المشرق

السنة الرابعة والخمسون — ايار – حزيران ١٩٦٠

مشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي

٤

بين الحكيم اليوناني والنبي السامي

بقلم الاب فريد جبر اللعازري

ان آخر ما انتهيت اليه في مقالي السابق هو ان ارسطو وضع منطقه على مرحلتين : مرحلة اولى وهي قائمة على استخراج المعلومات من الواقع الوجودي المحيط بنا وذلك عن سبيل الاستقراء على نحو ما حددت ، ومرحلة ثانية وهي تنظيم هـذه المعلومات وضبطها بأقيسة . فتبدو تلك المعلومات واضحة للعقل تعرض آنئذ ملتحمة بعضها ببعض ناتجة بعضها عن بعض .

فالمنطق في هذه المرحلة شكلي صوري بمعنى انه مجرد اساليب وطرق وضعت لعرض معلومات تسلمها العقل وليس عليه حينئذ ان ينظر فيها ويحكم على صحتها، بل ان يرى علاقاتها بعضها ببعض حتى يرتب فيما بينها صادقة كانت ام كاذبة . فالمنطق الصوري بالنسبة الى تلك المعلومات الموفرة له هكذا ، يبدو كأنه قالب

تصب فيه ليس الا كثر . اما ذلك التمييز بين الصالح والطالح في تلك المعلومات، بين الصادق والكاذب منها ، فهو راجع الى المنطق المادي الذي عن سبيله يمكن الحصول على تلك المواد التي تكون اولا صورًا ذهنية منتزعة من صميم الواقع ، ثم تحول الى قضايا ، ثم الى مقدمات تدخل في تأليف الاقيسة ، بعد ان يكون العقل قد حكم على انها يقينية ، حقيقية ، اعني انها هي هي في حقيقة الواقع وتدل عليه على مثل ما يجدها الانسان العالم في نفسه بعد ان انتزعها ، عن سبيل الاستقراء ، من ذلك الواقع المستقل عنه .

اما الغزالي ، فتراه ، بعد ان تقيد بمنطق ارسطو ، يسقط تلك المرحلة الاولى منه ، وهي مرحلة استخراج المعلومات التي تؤدي الى المنطق المادي ، ليحتفظ بالمرحلة الثانية وهي مرحلة مجرد تنظيم المعلومات وترتيبها وهي المرحلة التي تشكل المنطق الصوري . ذلك لانه لم ير نفسه في حاجة الى السعي وراء تلك المعلومات التي في نظره تأتيه عن غير سبيل الاستقراء : فهي موجودة امامه ، يتسلمها تسلماً ، وليس لعقله ان يعمل فيها محصاً ومميزًا ، بل يعتقد اعتقادًا جزماً بانها على ما هي تصلح وحدها ان تدخل كمواد للمقدمات اليقينية . ولذلك قلنا ان المنطق عند ارسطو هو قبل كل شيء تسجيل للواقع ، اما عند الغزالي فهو تنظيم للعقيدة ليس غير . ذلك ان ارسطو يرى ان منطقه في اصوله واسسه مرتبط ارتباطاً محكماً لا انفصام فيه بالواقع الوجودي ، ولا سيما الواقع الميتافيزيقي المستتر وراء الظواهر الطبيعية ، فلا يقف العقل في عمله عند الطور الاخير ، وهو طور ترتيب المعلومات ، بل يتجاوزه الى انتزاع تلك المعلومات على ما هي من صميم الواقع . فتكون الحقيقة ليس فقط توافق ما في الفكر بعضه مع بعض ، بل توافق ذلك ما في الفكر مع الاشياء التي يحاول الفكر معرفتها . وبذلك يبتدئ المنطق ، وهو بذلك نقطة انطلاق علم ما وراء الطبيعة كما قيل . اما عند الغزالي ، فالامور التي يجدها الفكر في نفسه ، والتي تأتيه عن سبيل التعليم والتلقين ، هي هي في حد ذاتها ، بصرف النظر عن ارتباطها بالواقع ، حقيقية ، يقينية . وليس للعقل الا ان يقصر نظره عليها حتى ينظمها ويرتب فيا بينها ، ويعرضها في صورة مقبولة مقنعة ، وعند هذا الحد يقف عمل العقل وتنتهي حدود المنطق .

كل هذا يذكرني باحد المعارف من المحاضرين الفرنسيين في جامعة السوربون، وهو لا ديني، يقول في اجتماع كان بيننا: «لو عاش المسيح في المحيط اليوناني لكان حكيماً، ولكنه وجد في بيئة سامية فتصوره الناس نبياً». وليس غرضي هنا ان اقف عند مناقشة ذلك القول، بل اذكره للاشارة الى الفوارق التي تميز العقليتين اللتين ينتسب اليها كل من المفكرين اللذين نحن في البحث عنها الآن: ارسطو من ناحية والغزالي من الناحية الاخرى. فالاول حكيم يرجع في آرائه الى مجرّد ما تملي عليه حكمته. والثاني مرتبط بدين سامي الاصل والمنشأ، متقيد بعقائد دينية يراها كشرح واف وصورة طبق الاصل لكل ما وجد وما يوجد في الحاضر وفي المستقبل، وهي عقائد يفرضها عليه نبي سامي يتبعه كما يتبع الناشئ معلماً معصوماً عن الخطأ في تعليمه، ولا يتم الحصول على الحقيقة الا عن سبيل التقيد بذلك التعليم.

وما معنى الحكمة هنا؟ لا يعنى بها ذلك الموقف العملي من الامور والحياة الذي يقابله الحمق والتهاوة، او بكلام اصح ليست الحكمة تلك الفضيله الادبية الاخلاقية التي تجعل صاحبها انساناً وقوراً متزناً، يسير في امره على وعي وهدو. واطمئنان وثقة وصبر واناة. بل ان كل ذلك الذي نراه اليوم في الحكمة لم يكن آنذاك إلا من نتائجها: فالمرء لم يكن متحلياً بكل تلك الصفات إلا لانه كان حكيماً. فالحكمة بمعناها الفني الخاص هي المعرفة وهي الفلسفة كما كان يفهمها اليونان وكما لا يزال الغربيون يعرفونها، وكما اصبح الناطقون بالعربية ينظرون اليها اليوم. فان الفلسفة اول ما عرفت وسميت، عرفت وسميت باسم الحكمة، وكانت تبدو آنذاك كالعلم الذي يجمع ويوحد ويؤلف بين العلوم جميعها. فان معرفة الاسباب كلها، قريبة وبعيدة، معرفة الطبيعة ومصير الكون والانسان، وجود الله في السما. وعنايته عز وجل على الارض، تنظيم المدن والاوطان، تسيير الحياة انسانية وكونية على اختلاف وجوهها، كل هذه امور كان الحكيم يعرضها على نفسه ويحاول لها حلاً. وذلك النظر الواحد الذي من شأنه ان ينفذ الى صميم الاشيا. واعماقها ليهتدي الى اسرارها، هو الحكمة بعينها. وهو نظر فيه ألوان من الاوصاف والميزات: فيه الهدو. والتروي والاصالة والكآبة، وهو ينساب انسياباً بصاحبه فيا فيه

وفيا حوله ، وهو يرتفع بذلك الصاحب الى اعالي السما. ، وذلك الصاحب يتبع نظره دوماً ، ويحس ويفكر ويتملكه العجب لما يرى ويحس ، وهو ابداً متيقظ ، ينتفض في احضان اللانهاية كتائه شريد يجهل نفسه وغير نفسه ويحاول ان يتلمس الطريق لنفسه ولغيره ... هذا هو الحكيم .

والمعنى ذلك اننا نجده للفظة حتى في الجيل السابع عشر . فديكارت مثلاً ينبه اليه اذ يقول : « لا نعني بالحكمة التروي في الامور ، انما هي المعرفة الكاملة لكل ما في استطاعة الانسان أن يعرفه ، سواء أكان لتسيير حياته ام كان لحفظ صحته ام كان للاختراع في كل الفنون » . ويعود لينيتز الى هذا التعريف ويوضح فيه ويفصل عنه في كتيب له عن الحكمة ألفه وهو لا يزال شاباً : « الحكمة هي المعرفة الكاملة لمبادئ العلوم كلها ، ولكيفية تطبيقها واستخدامها . فانها علم الحكم الصحيح والتفكير الصحيح ، وعلم استنباط الحقائق المجهولة ، وعلم تذكر ما كنا نعرفه في حينه واوانه . »[1]

ومهما كان من امر ، فان لفظة الحكمة في العرف الفلسفي المطروق ، لها معنى خاص قوي . فهي تدل على نوع من المعرفة هي اشبه شي. بالتأمل وتكون عن سبيل الفيض والملابسة من الداخل . فكأنك تحس بالمعلوم احساساً وتأتي عليه من كل جوانبه وتشعر بانك تحبه فتتذوقه تذوقاً وتتملى منه امتلاء ، فيتجلى فيك ذلك المعلوم بكامله دفعة واحدة وكأنه نور يتلألأ فيك . وهـذا ما لا يسعها ان تؤمنه المعرفة التي تتم عن سبيل الجدل ، معتمدة على العقل المشغول « بالعرض والجوهر » كما يقول الغزالي[2] . والحكمة بهذا المعنى ، تأتيك وهي فيها مبادئ العلوم جميعها ، وهي في الآن نفسه معرفة وميل ، فتدرك انت ذات الشي. الجزئي الموجود امامك بحدس نافذ لا يخطئ ولا يزيغ بنوع ملابسة وتجانس واتحاد بين العالم والمعلوم .

هذه هي الحكمة ، ومن يعرف عن سبيل الحكمة فهو الحكيم . واذا كانت هذه اللفظة « حكيم » اصبحت اليوم لا تدل على كل ذلك الذي اسلفنا ، فلا بد من ان نرجع لها ذلك المعنى عندما نراها مستخدمة للدلالة على امور

---

١) انظر المبادئ « Principes » ، المقدمة ، ٢ .

٢) احياء ، القاهرة ، طبعة حلبي ، ١٩٣٣ ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

الفكر في عصور الفلسفة الاولى ولا سيما عند اليونان . فالحكيم آنذاك ، لم يكن فقط المثال الاعلى للانسان فيما يختص بالاخلاقيات ، بل هو المثال الاعلى على على وجه الإطلاق ، الانسان الكامل في كل شيء : هو القاضي الوحيد ، والخطيب الوحيد ، والعالم الوحيد في كل علم وكل فن حتى في الفنون الصناعية . وهو في الان نفسه السعيد الوحيد والفاضل الوحيد والحر الوحيد والجميل الوحيد . وهو بحكمته فوق الناس جميعهم ولا يقاس تصرفه الى القوانين المفروضة في تصرف غيره من الناس : هو فوق الخير والشر وهو الذي يحكم بين الخير والشر . والحكيم يسير في كل ذلك على هدوء واطمئنان وترو واتزان في حركاته وسكناته ، من دون تفخيم في كلامه وتضخيم في مواقفه ، بل كانسان ينصرف الى ما ينهض له وهو على بصيرة من امره ويقين من مصيره .

اما محور الحكمة وغرض الحكيم في مسعاه ، فكانا مشكلة المعرفة ومشكلة العمل . غاية الاولى فهم الكون والواقع وهي نظرية ، وغاية الثانية فهم العمل الانساني وتنظيمه وتقنينه وهي عملية . ونرى هاتين المشكلتين توجهان اهتمام من عرفوا بحكماء اليونان السبعة الذين عاشوا في أواخر الجيل السابع واوائل الجيل السادس قبل المسيح . وهم في حقيقة الامر الفلاسفة الاول عند اليونان . فالفيلسوف ، في الاصل اليوناني ، هو محب الفلسفة ، والفلسفة هي حب الحكمة ، واللفظتان — حكمة وفلسفة — مترادفتان اذ أن معناها واحد ، كما نرى من تحديد غرض الحكمة ، الا ان اللفظة فلسفة φιλοσοφία حلت محل مرادفتها منذ فيتاغوروس في الجيل السادس قبل المسيح ، وهو كان يرى ان الحكمة تليق بالآلهة واما الانسان فلا يليق به ان يكون حكيماً في تمام الوضع ، بل ان يكون فيلسوفاً اي محباً للحكمة .

هذا وان هؤلاء الحكماء السبعة ، واشهرهم سولون ، يبدون كمشرعين واخلاقيين ، يسنون القوانين السياسية والادبية (وكلتا الناحيتين واحدة آنذاك) خاصة عندما كان مواطنوهم يستشيرونهم في صعوباتهم ومآزقهم . وسولون مشهور بالدستور الذي وضعه لاثينا . اما ما وصلنا من هؤلاء الحكماء او الفلاسفة الاول ان هو الا بعض حكم وامثال في الامور والحياة . والظاهر ان البعض منهم كانوا محصلين علماً واسعاً بالنسبة الى عصرهم ، وكانوا علماء بالمعنى العام .

فتاليس مثلاً امتـاز بمعلوماته في الرياضيات (وهو الذي وضع النظرية الهندسية المعروفة باسمه) وفي علم النجوم وعلم الجو والانوا.

ثم يأتي العهد الثاني للفلسفة اليونانية ويفصل بين غرضي الحكمة النظري والعملي وينصرف الحكما، الى الغرض الاول دون الثاني. وكان تضارب الآرا، وتخالفها، وكان السوفسطائيون، وهم، كما تدل عليه اللفظة في معناها الوضعي، حكما، في اول الامر، غرضهم فهم الكون، قبل ان يعدل باسمهم الى المعنى الذي نعرفهم به اليوم، اي اللاادارين الذين يشكون في كل شي. ويعتقدون بتكافؤ الادلة واستحالة اليقين.

ويليهم سقراط الذي انزل الفلسفة اليونانية «من السما، الى الارض» على حد قول شيشرون[1]، وهو يعني بذلك انه حول انتباه الفلاسفة والحكما، عن مشكلة فهم الكون، وهي المشكلة النظرية، الى مشكلات العمل الانساني، وهي المشكلة العملية، محاولاً ان يبني الاخلاقيات على اسس عقلية.

وهكذا ما زالت الحكمة والفلسفة اليونانية على اهتزاز وتراوح متواصلين بين هذين القطبين حتى اتيح لها ان تجد نقطة التوازن لها في مذهبي اعظم فلاسفة اليونان، افلاطون وارسطو اللذين اوصلا الفكر اليوناني الى اوج عزه. فكلاهما يجمع في تآلف محكم بين حكما، العهد الثاني عن الكون، ونظريات استاذهما في المعلومات الاخلاقية.

والذي يهمنا ان نقف عنده هنا، هو ان كل هذا العمل الفكري ما كان ليعتمد على وحي او على تعليم يتسلمه من الخارج بل كل من هؤلا، الفلاسفة او الحكما، يتسلم علمه عمن سبقه ثم ينقد ذلك العلم ويمحص فيه ويطلق لعقله الحرية التامة في التصرف فيه حتى يخرج منه ومن مبادئه وهو محول الى مذهب غير المذهب الاول. فسقراط يأخذ عن فلاسفة الطبيعة في العهد الثاني ويتطور فيما يأخذ بعد ان ينقده وينقحه مستهدياً بمجرد عقله وقواه. وهكذا يفعل افلاطون بالنسبة الى سقراط، وهكذا يفعل ايضاً ارسطو بالنسبة الى افلاطون. يفعل هكذا وهو يقول: «نعم الصديق افلاطون ولكن الحق فوقه».

(١) راجع Tusculanæ disputationes، مقطع ٥، ٤.

وهو في سعيه وراء الحق لا يعتمد الا على عقله ، مطمئناً اليه واثقاً منه لا يقف عند غرض او غاية ، دينية كانت ام اخلاقية ام سياسية ، يسير ولا وكد له الا تبين الحق وادراكه . ونظريته في الاستقراء خير الدليل على ثقته تلك من عقله اذ انه على يقين تام لا يخالطه الريب من ان تلك القوانين وتلك الكليات الضرورية التي يستخرجها عقله عن سبيل الاستقراء هي الحقيقة المطلقة الدائمة التي تستتر وراء الظواهر الحسية النسبية الزائلة فتكون اليوم وتختفي غداً . ولا يعني ذلك انه ضم الى رأيه كل من اتى بعده من مفكري اليونان . فان نظرته الفلسفية ما كانت دون خلل واضطراب حتى في اصلها واساسها ، اعني في تلك الصورة الذهنية التي اتخذها مبدأ لعلمه واساس لمذهبه . فهو يقول : « لا علم الا بالكلي الضروري ولا وجود الا للجزئي الفردي » . فنجيبه : « واذن فاما ان المعرفة لا تصل بالواقع الوجودي كما هو ، او اما ان الجزئي الفردي اي الشيء الموجود في الواقع ليس غرض العلم » . ولا شك في ان ارسطو وجد حلاً للاعتراض ذلك غير انه حل لم يكن ليقنع الجميع . وبالفعل فانه كان بعده مذهب الرواقيين الزينونيين ، ثم مذهب الافلاطونية الحديثة وكلا المذهبين استفاد منه ، فتقيد ببعض مبادئه وعدل عن البعض الآخر . هذا على الرغم من ان مذهبه الفلسفي ، كما سبقت وذكرت في مقالي الاول ، يبدو في خطوطه ومعالمه اشد المذاهب الفلسفية موافقة للعقل البشري فيما يختص بعلم المنطق وعلم ما وراء الطبيعة . ولكن هذا هو شأن الحكمة والفلسفة اليونانية ، وهذا ايضاً هو شأن الفلسفة العربية والى حد بعيد شأن الفلسفة كما نعرفها اليوم : –

هي اولاً في تحول دائم مستمر . فالمذاهب تتوالى بعضها وراء بعض ولا يسعنا ان نحكم على اية مسألة في ان البحث تم فيها بل تبقى مفتوحة الى الآراء الجديدة والنظر الجديد . وهذا راجع الى ان تلك الفلسفة والحكمة جد مدينة الى جانب العامل الشخصي الذاتي فيها . فهي تتقلب من مذهب الى مذهب لان المذهب يضيق بها فلا تعود تطيقه . وقيمة تلك المذاهب ونصيبها من الصحة ، وخصبها في انتاج الافكار الجديدة ، كل ذلك متوقف على عبقرية الفيلسوف او الحكيم الذي منه تستمد قوته وبه تحيا . ثم ان ذلك الحكيم

انسان يدعو غيره من الناس الى ان يشاركوه في نظره الى الامور والحياة . وهو في دعوته تلك يطلب من المدعوين لا ان يؤمنوا به بل ان ينظروا الى مذهبه ويحكموا فيه عقولهم ويكونوا حكماء كما كان هو حكيماً . ذلك لان الحكمة ، بالمعنى الذي حددته وبطبيعة حالها ، تنظر الى الامور والحياة من ناحية الانسان ومن حيث علاقاتها به : هي مجهود يبذل في تبيين وتوضيح ما هو انساني آدمي في الكون والجوامد . ولا يعني ذلك ان الفلسفة ان هي الا مجموعة آراء تتوالى على توالي العصور . فان تطورها التاريخي شديد الارتباط بتطور الحياة الروحية في الانسانية ، وبما ان ذلك التطور لا يخلو من مفترقات وتحولات تكشف عن واقعيات اساسية ما كان للانسان عهد بها من قبل ، فكذلك تهدي تلك المفترقات البحث الفلسفي الى طرق جديدة . فالحكيم يتبين تلك الطرق بنظره وحكمته التي هي ابداً ودوماً التطلع الى الامور والحياة على مختلف وجوهها واطوارها لتحديد موقف الانسان منها في عصره وزمانه ، معتمداً ابداً ودوماً ، على مجرد عقله وقواه ، من دون الاستعانة بتعليم يلقى اليه من الخارج او وحي يهبط عليه من عل .

ذلك هو الحكيم وتلك هي الحكمة في العرف اليوناني . وبهذا المعنى كان ارسطو حكيماً لا بل من اعظم الحكماء ، وكان مذهبه الفلسفي وليد حكمة لا يزال الكثير من المفكرين يتقيدون بمعالمها وخطوطها العامة ولو كانوا لا يرون بها في كل امر جديد يعرض لهم .

والغزالي هو ايضاً يعرف الحكمة ويستخدم اللفظة في مختلف معانيها . يعرفها اولًا في معناها كفضيلة ، ولكنها فضيلة تنتسب الى الفكر والعقل اكثر مما تمت الى الارادة والاخلاق ولو كان يحصيها كفضيلة اخلاقية . فالحكمة عنده « رأس الاخلاق الحسنة يسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثاً وجربزة ويسمى تفريطها بلهاً . والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة ويعني بالحكمة اذ ذاك حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية[1] ». الا ان الحكمة هي ذلك لانها قبل ذلك عبرة يتمش بها العقل

١) احياء ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

ويحيا بها الانسان . فالله يفتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر[١] وان من الشعر لحكمة[٢] . ومن هذه الناحية فان « كل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم انما تأتي عن طريق الكشف والالهام »[٣] . فالحكمة بهذا المعنى هي العلم والمعرفة اي « الاحاطة المجردة بنظم الامور ومعانيها الدقيقة والجلية والحكم عليها بانها كيف ينبغي ان تكون حتى تتم الغاية المطلوبة بها »[٤] . وقد درس الغزالي علم الحكمة بهذا المعنى في نيشابور على استاذه الجويني[٥] .

نعم قد يميز بين علوم الانبياء والاولياء من ناحية وعلوم العلماء من الناحية الاخرى . فالفرق هو ان العلم هناك يأتي عن سبيل الكشف والالهام من داخل القلب ، من الباب المفتح الى عالم الملكوت ، اي عالم اللوح المحفوظ عند الله ، وعلم الحكمة يأتي عن طريق العلم العادية ، من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك والشهادة الحسية[٦] .

الا ان هذا التمييز لا يعني شيئاً . فالحكمة هي ايضاً ، تأتي كما رأينا ، عن سبيل ما يسميه الغزالي الكشف والالهام[٧] . ومهما كان من امر ، فان العلوم جميعها ، في رأيه ، « لا يمكن الحصول عليها الا عن سبيل التذكر . فكانها مضمنة في غريزة العقل ولكن تظهر في الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود »[٨] . والمذكر هو النبي على كل حال وفي كل علم ، لان كل علم داخل في العلم الاكبر الاوسع الذي هو الحكمة ، تلك الحكمة التي ترجع في مبدئها

١) احياء ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .
٢) احياء ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .
٣) احياء ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
٤) اقتصاد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، بدون تاريخ ، ص ٧٦ .
٥) طبقات الشافعية ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، بدون تاريخ ، ص ١٠٣ . وايضاً Jabre, *La Vie et les œuvres de Ghazali, reconsidérées à la lumière des Ṭabaqāt de Subki* in mIDEO, Le Caire, 1945, N° 1, ص ٧٩–٨١ .
٦) احياء ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
٧) احياء ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
٨) احياء ، ج ١ ، ص ٧٧ .

واول ورودها الى الوحي[١] . فالعلم يأتي من الله الذي يوحيه الى ملاك الذي يوحيه الى نبي الذي يلقيه على بني البشر . وهذا ثابت في كل علم، حتى في تلك العلوم التي الفنا اليوم ان نعدها من مستنبطات مجرد العقل ، عن سبيل ما اعتدنا ايضاً ان نسميه الاستقراء[٢] .

فعلم الحساب مثلاً ، ان معلمه تعلم اكثر مما يعلّم وان استقلّ باستنباط ترتيب البعض . وكذا القول في معلم المعلم الى ان ينتهي مبدأ العلم الحسابي الى نبي من الانبيا. مؤيد بالوحي والمعجزة ، ولكن بعد افاضة الله علم الحساب فيما بين الخلق استغني في تعلمه عن معلم معصوم . فكذلك العلوم العقلية النظرية ولا فرق »[٣] .

هذا في العلوم الحسابية والهندسية التي تبدو على انها اشد العلوم وابعدها تجردًا من الواقع الحسي المادي . اما ما نسميه اليوم العلوم الطبيعية مثل علم النجوم والطب فهي ايضاً من خواص النبوة . فان « من يبحث عنها يعلم بالضرورة انها لا تدرك الا بالهام الهي وتوفيق من جهة الله تعالى ، ولا سبيل اليها بالتجربة . فمن الاحكام النجومية ما لا يقع الا في كل الف سنة ، فكيف ينال ذلك بالتجربة ؟ وكذلك خواص الادوية . فان ادوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصة فيها لا يدركها العقلا. ببضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الاطبا. الذين اخذوها من الانبيا. الذين اطلعوا بخاصة النبوة على خواص الاشيا. »[٤] .

قد لا يكون هذا رأي غير الغزالي من بين العلماء المسلمين ، والظاهر ان هذا ليس رأي ابن سينا وغيره من فلاسفة العرب . الا انني هنا احلل رأي الغزالي ليس غير ، وهذا الرأي واضح في مؤلفاته ، صريح في الكثير من تصريحاته .

---

١) مشكاة الانوار ، في الجواهر الغوالي ، القاهرة ، ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ١١٧ .

٢) انظر JABRE, *Notion de la Certitude chez Ghazali*، ص ٩٩–١٠٠ ، ١٣٧–١٣٨ .

٣) انظر JABRE, *Notion de la Certitude chez Ghazali*، ص ١٢٥ – ١٢٦ . وايضاً المستظهري عند GOLDZIHER, *Streischrift des Ghazali gegen die Batinijja Sekte*, Leiden, Brill. 1916, ص ٣٣–٣٤ .

٤) المنقذ من الضلال ، طبعه دمشق ، ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ١٣٨–١٣٩ .

واذا كان الامر هكذا في ذلك القسط من الحكمة الذي نعده اليوم من العلوم العقلية المحضة ، فهو اشد ايضاً فيما يختص بالنظريات الصرفة المتعلقة بالالهيات . ففي هذا المضار خاصة تقوم نظرية التذكر بدورها المهم . واننا نعرف ان المعقول في رأي الغزالي ، وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها على مرتبة واحدة ، بل بعضها تكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمه بان الشيء الواحد لا يكون قديماً حديثاً الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات والجائزات والمستحيلات ، ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز اعطافه ويستوري زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات . وانما ينبهه كلام الحكماء . فعند اشراق نور الحكمة يصير الانسان مبصراً بالفعل بعد ان كان مبصراً بالقوة . واعظم الحكمة كلام الله . ومن جملة كلامه القرآن خاصة ، فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار[1]

والقرآن ليس فقط جزءاً من الحكمة بل هو كل الحكمة والحكمة الصحيحة . هو البحر المحيط ومنه يتشعب علم الاولين والاخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط انهارها وجداولها . ويعلل الغزالي ذلك بان « العلوم التي عددها وما لم يعدها ليست اوائلها خارجة عن القرآن اذ انها جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى ، وهو بحر افعاله التي يدلّ عليها القرآن كما يدل على ذاته وصفاته . ومن علم هذه الافعال مثلاً الشفاء والمرض وتقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان ، وسير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار وتكور احدهما على الآخر ، وتشريح الاعضاء من الانسان ظاهراً وباطناً وعددها وانواعها وحكمتها ومنافعها . ووراء هذه العلوم علوم اخرى غامضة يغفل عن طلبها اكثر الخلق وربما لا يفهمونها ان سمعوها من العالم بها . ولو ذهبت تفصل ما يدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الافعال لأطلت . ولا تمكن الاشارة الا الى مجامعها . والكفاية في الامر هي ان تقول ان من جملة معرفة الله معرفة افعاله . فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل : فما لك

١) مشكاة الأنوار ، في الجواهر الغوالي ، القاهرة ، ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ١١٧ .

الا ان تفتكر في القرآن وتلتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الاولين والآخرين[1]».

ولذلك يرى الغزالي نفسه قادرًا على تعليم غرائب العلوم ، فيستخرج لك من القرآن مفاتيح العلوم كلها ، كما انه استخرج من نفس القرآن ، في القسطاس المستقيم ، موازين العلوم كلها لانشعابها جميعها منه . الا ان الغزالي يكتفي بالاشارة والتلميح الى كل ذلك ليقف ويطيل الوقوف عند الامر الوحيد الذي يهمه وهو امر العلوم الدينية التي لا بد للعالم من ان يكون حاصلًا على اصولها حتى يتيسر له سلوك الطريق والسفر الى الله . وهذه العلوم الدينية ان هي الا تلك العقليات الصرفة المتعلقة بالنظر في الالهيات : فيها بعض اليقينيات ولكن لا يبلغ اليقين فيها حده الا بطول ممارسة العقليات وفطام العقل عن الوهميات والحسيات وايناسه بالعقليات المحضة . وكلما كان النظر فيها اكثر والجد في طلبها اتم كانت المعارف فيها الى حد اليقين التام اقرب . ثم من طالت ممارسته وحصلت له ملكة بتلك المعارف لا يقدر على افحام الخصم فيه ولا يقدر على تنزيل المسترشد منزلة نفسه بمجرد ذكر ما عنده الا بان يرشده الى ان يسلك مسلكه في ممارسة العلوم وطول التأمل حتى يصل الى ما وصل اليه ان كان صحيح الحدس ، ثاقب العقل ، صافي الذكاء[2] . وهذا هو بالضبط تحديد العلم الذي يتم عن سبيل الحكمة كما رأينا ، ولكن هذا التحديد يتناول الحكمة من الناحية الذاتية اعني من ناحية الانسان العالم ولا من الناحية الموضوعية اعني من ناحية الشيء المعلوم . فهذه النظريات التي يجدها العالم في نفسه ، هي في نظره يقينية لا شك فيها ولكنه لم يحصلها بعقله وبقواه ، انما يتسلمها تسلما عن النبي ثم يتأمل فيها حتى يألفها وتصبح عالمه الداخلي ويدركها تفصيلًا بالتحقيق والذوق وتصير حالًا ملابسًا له . ولكنه ، على كل حال ، يتسلمها من النبي اولًا وعليه مبدئيًا ان يقبلها ويحاول فهمها . فليست «الكيفية والكمية والماهية مثلًا مما تتسع له القوى البشرية ، وقد وردت بها الانبياء المؤيدون

١) جواهر القرآن ، القاهرة ١٣٥٢/١٩٣٢ ، ص ٢٦-٢٨ .

٢) في كل ذلك ، تجد المراجع الى مؤلفات الغزالي ، ولا سيا القسطاس والمعيار ، مذكورة عند JABRE. *Notion de la Certitude chez Ghazali* ، ص ١٠٣-١٠٤ .

بالمعجزات فيجب قبولها منهم »[1]. . . « فالامور الربوبية المستترة وراء الطبيعة لا يستولي على كنهها العقل ولا مندوحة فيها عن تقليد الرسل واتباعهم »[2] ، انا « فائدة العقل وتصرفه ان يشهد للنبوة بالتصديق ، ولنفسه بالعجز عن درك ما لا يدرك الا بعين النبوة ويأخذ بايدينا ويسلمنا الى تلك العين تسليم العميان الى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين . والى ههنا مجرى العقل ومخطاه ، وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهم ما يلقيه الطبيب اليه »[3].

لست اقف هنا موقف الناقد المفند انما غرضي ان اعرض لفكرة وابسطها كما هي . ولا شك في ان ما بين موقف ارسطو والغزالي من المعرفة وجوه تقارب وتشابه . فالحكيم هناك هو الهادي العالم العارف بالامور ، وهو الوقور المتزن في حركاته وسكناته ، وهكذا النبي عند الغزالي . والحكمة هي هي عند الغزالي، كما هي عند ارسطو، الاطلاع على الامور ونظامها . الا ان ما بين الموقفين فرقاً اساسياً وهو ان عند ارسطو تم ذلك الفصل بين الانا واللاانا ، بين العالم والمعلوم الذي يعد كأساس الفلسفة والحكمة ، واما عند الغزالي فذلك الفصل قائم ايضاً ولكنه لا يتم عن سبيل العقل وقواه بالاعتماد على الاستقراء بل عن سبيل الوحي وتسلم العلم من نبي . ولا شك ايضاً في ان هناك مذاهب فلسفية قائمة على اساس التصديق والايمان ولا على مجرد نظر العقل وقوته ، ولكنها بنيت على اصول غير اصل النبوة والنظر بعينها ، فتطورت واندفعت في تيارات غير التي يسوق اليها تفكير الغزالي . ففي المقال المقبل سأحاول ان ابين ، انشاء الله ، كيف ان الغزالي توجه ذلك التوجيه وسار ذلك السير ليس فقط تحت تأثير عقيدته الدينية ، بل ان لغته العربية نفسها كأنها ارغمته ارغاماً ، في منطقه ونظره الى المعرفة والعلم ، على ان يتبرأ من ارسطو الحكيم اليوناني ويخلص الولاء للنبي العربي السامي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب .

---

١) تهافت الفلاسفة ، طبعة بويج ، ١٩٢٧ ، ص ١٣٢ .

٢) تهافت الفلاسفة ، الطبعة نفسها ، ص ١٢١ .

٣) المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق ، ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ١٤٦–١٤٧ .

٥

بين نظرة العقل وتصديق الخبر

كل ما ذكرته حتى الآن في مقالاتي السابقة ان هو الّا تسجيل للفوارق التي رأيناها تميز بين ارسطو والغزالي في موقفها من المنطق خاصة والمعرفة والعلم على وجه عام . فالمنطق عند ارسطو هو صوري ومادي في الآن نفسه وهو بذلك يبدو على انه مرتبط بالواقع ارتباطاً محكماً لا انفصام فيه ، لا وكد له ولا غاية الا تسجيل ذلك الواقع قبل ضبطه وتنظيمه بالقضايا والاحكام والاقيسة. اما عند الغزالي فذلك المنطق آلة شكلية صورية ليس غير ، احدثت لتنظيم معلومات يتلبلها عن غير سبيل الاستخراج من الواقع ، ليس للعقل فيها الا ان يفهمها حتى ينظم فيما بينهـا ويعرضها بشكل متسلسل مرتب يسهل حفظها ويظهر حسن انسجامها بعضها مع بعض . وذلك راجع الى ان ارسطو يقبل على مشكلة المعرفة والعلم كحكيم مثل غيره من حكماء اليونان ليطلع على الامور والحياة بمجرد عقله هو وقواه ، معتمداً على ذلك العقل فقط للتمييز بين الصحيح والكاذب ، وللمضي الى اعمق مـا يتستر وراء الظواهر الطبيعية من معلومات كلية ضرورية وقوانين مطردة عامة لا تقوم تلك الظواهر الجزئية الحسية الا بها . وهو اذ يدعو غيره الى ان يشاركوه في نظره الى الامور والحياة يطلب منهم ان يقفوا منها نفس الموقف الذي وقفه هو ، اعني ان يعودوا هم ايضاً الى مجرد عقولهم وقواها ، ويحكموها فيما يعرض عليهم ويتبينوا هم بانفسهم الصحيح والكاذب منها بدون اعتماد على اية سلطة كانت تؤثر على حكمهم وتوجه ادراكهم ، فيكون ذلك الادراك منطلقاً حراً من كل قيد ، لا يخضع لغرض او لغاية ، مستقلاً بنفسه تمام الاستقلال .

واما الغزالي فهو ايضاً يرى ان المعرفة هي الحكمة وهي تتم عن ذلك السبيل الذي يشير اليه ارسطو ، الا ان الحكيم الاكبر لا بل الحكيم الوحيد عنده هو النبي . فالنبي يطلع على الامور ويدركها ولكن ليس بنفسه بل عن سبيل الوحي اعني عن سبيل تعليم يأتيه من عند الله بواسطة ملاك . والتعليم ذلك

يعد كاملاً ليس قابلاً للتغيير ، وهو التعليم الحق لا بد للناس تابعين ومتبوعين من ان يتقيدوا به . فالتقيد به هو الحق ، والانحراف عنه هو الباطل ، وكل ما يخطر على العقل من معلومات ، هو صحيح او كاذب بقدر ما يتفق وذلك التعليم او يخالفه ، لا سيما اذا كان من تلك النظريات التي تتعلق بالالهيات اعني بعلم ما وراء الطبيعة .

ذلك هو موقف ارسطو ، وذلك هو موقف الغزالي من مشكلة العلم والمعرفة ، كما يبدو لنا من تحليل فكرتها ومذهبيها . الا اننا ههنا يعترضنا سؤال ولا بد من ان يعترض : لماذا ذلك الموقف عند ارسطو ولماذا يختلف عنه موقف الغزالي في الاساس ، مع ان الغزالي يبدو ، في اول امره ، متقيداً به ناقلاً له . غرضي من هذا المقال ان اجيب على ذلك السؤال . ولا بد لي من الاعتراف حالاً بان عملي الآن سيكون نظرياً محضاً ، استنتاجياً ، يقوم اذن على افتراضات واستنتاجات قد تقبل وقد ترد ، وليس تسجيل واقع ثابت مقرر يستطيع الجميع ان يدركوه ، مع العلم انها افتراضات واستنتاجات تستند الى الظواهر التي سجلتها سابقاً فيما يختص بالفوارق التي تميز ارسطو عن الغزالي او العكس بالعكس في موقفها من مشكلتي المنطق والمعرفة . وانني لأرى هذه الفوارق راجعة ، في اصلها واساسها ، الى العقليتين اللتين ينتسب اليها ارسطو من ناحية والغزالي من الاخرى . اما فيما يختص بارسطو فانني سأكتفي بتحليل العقلية اليونانية بالنسبة الى المعرفة ، واما فيما يختص بالغزالي فانني سأسمح لنفسي بان اقف واطيل الوقوف ، في تحديد عقليته وموقفه من الموضوع الذي يهمنا ، عند عامل اللغة العربية في تفكيره . تلك اللغة التي بها يفكر الغزالي ويكتب ويؤلف ، والتي كان لها فيما ارى ، التأثير البعيد في عبقريته ونظرته الى الامور والحياة .

اما فيما يختص بالعقلية اليونانية ، فما لنا الا وان نتبع تطورات التفكير الذي ادى الى المعرفة الفلسفية ، وهي ، في الصيغة التي تقوم عليها اليوم ، راجع في اصل نشأته الى التفكير اليوناني .

ذلك ان الشعور بالواقع الوجودي المستتر وراء الظواهر الحسية ، او ان شئت فقل الشعور بالبعد بين ما نرى وبين ما هو موجود في الحق والواقع ،

ذلك الشعور هو الذي يسيّر بحث الانسان ويوجهه . وهو العامل الداخلي الذي يدفع الانسان الى العلم والمعرفة . والشعور هذا ليس من خواص الفلسفة وميزات الحكماء ، بل هو الذي يقوّم العقل الانساني في حد ذاته ، وهو الذي يميّز ذلك العقل في اساسه ويجعل الانسان يقف من الامور والحياة موقفاً يختلف اساسياً عن مواقف الحيوان مهما كان تطور ذلك الحيوان وتقدمه في الحيوانية . فذلك الشعور لا يظهر الا مع العقل دائماً ، فيوجد فيه الاندفاع والميل الى المعرفة ، ويزعجه الى البحث والسعي وراءها ، وآثاره موجودة في كل زمان ومكان مهما صعدنا في ماضي الانسانية ومهما نزلنا في طبقات الشعوب والامم التي توالت على وجه الارض . عند الجميع بدائيين ومتمدنين ، نرى ان العقل مسيّر بالمبادئ التي بها تسير الاشياء والامور : فهو يتطلب النظام ويفترضه افتراضاً ، وهو يحكم بان تلك الاشياء لا تكون هكذا على ما تقع وتتفق ان تقع ، وبان الطبيعة لا تعمل ولا تنبسط باطلاً دون غرض وغاية ، وبان كل شيء يتعلق بسبب او حكمة تحدد وجوده وقيمته ، ولو كنا لا ندرك ذلك السبب وتلك الحكمة او كانت تلك الحكمة ابعد من ان يمكننا ان ننالها فتبقى سراً بالنسبة الينا . وبمقتضى هذه المبادئ يكون التوافق فيما بين العقل الانساني والحكمة التي تنستر في الاشياء ، وتقومها ، مما دفع وليم جامس ان يعرّف الانسان بانه « حيوان ما ورائي » ميتافيزيقي اعني حيواناً يتميّز عن غيره من الحيوانات بان يسعى دوماً في ان يتجاوز بادراكه الظواهر الطبيعية الزائلة ليدرك ما وراءها من امور ابدية دائمة وقوانين مطردة لا تفنى ولا تزول .

الا ان ذلك العمل ، ذلك الادراك للامور لا يتم الا عندما يتمكن الانسان من ان يميّز بين نفسه وبين ذلك الذي يدركه ، بين الأنا وبين اللاأنا ، فيعود الى نفسه في حين انه يعرف ويعلم ويدرك الكيان الخاص لتلك النفس وميزاتها ثم يتقبل معها وبها على المعلوم الذي استقرّ فيها مثاله ، فينحني على ذلك المعلوم وينظر فيه ويتمعن ويحلله ويصفيه من كل الشوائب التي اختلطت به ، حتى يقيمه هكذا نصب عينه ، كما هو في حد ذاته معزولاً عن كل عنصر غريب عنه ، فيأمن الغلط والخطأ عندما يحكم عليه بانه هذا الشيء او ذاك . وهو عمل لا يتم عند البدائي لان البدائي لا يستطيع الرجوع الى نفسه حتى انه ولا

يفكر به . فهو يعمد الى الامعان في معلومه والمثال الذي اخذه عنه، ولا يحلله، بل يكتفي بادراكه والاندفاع العفوي وراء ذلك الادراك كما يحس به ويشعر. وهناك امر آخر ايضاً وهو ان الانسان في عمله التحليلي هذا ، اذا شئنا اللهم ان يؤدي تفكيره الى ما نعرفه بالفلسفة اليوم ، يجب الّا يعتمد الا على مجرد عقله وقواه.. فهو هو ، بعقله وبعقله فقط يقبل على ذلك المعلوم او بالاحرى المثال الذي استقر في نفسه من ذلك المعلوم ، فينظر فيه ويحلله الى عناصره الخاصة به ، فلا يستند على سلطة فوقه او وراءه تدعمه ، اليها يرجع حتى يطمئن الى صحة معرفته وعلمه ، لا سلطة الله ، ولا سلطة ملاك ولا سلطة نبي . هو العقل الذي ينظر ، وهو الذي يحكم وهو الذي يرى لنفسه الصلاحية في الحكم الذي لا مرد له لانه يرى نفسه المقياس الاخير الذي اليه كل شيء يرد ويقاس . فلا يرتاح الانسان الى معرفته وعلمه لان احداً غيره قال له ان تلك المعرفة وذلك العلم صحيح فآمن بذلك القول وصدقه ، بل لأن عقله رأى ان ذلك الامر الذي ادركه وعرفه هو هكذا وهو لا يمكن ان يكون الا هكذا .

وبذلك يتم الفصل بين الأنا واللاأنا ، بين العالم والمعلوم ، مجردين عن كل ما ليس منهما : العقل من ناحية ، وهو ملكة المعرفة ، بمجرد قواه ، بدون استناد الى سلطة او قياس يدعمه ويرجع اليه ، ومن الناحية الاخرى المعلوم او مثاله مصفى من كل عنصر غريب عنه ، ينظر اليه بعد التجرد من كل ميل وغرض وغاية . واذا تم ذلك كان التفكير الفلسفي وابتدأت الفلسفة ان تسير وتتجه الى ما شاء الله ان تتجه .

فهذا ارسطو يأخذ عن افلاطون وسقراط اللذان اخذا عن مفكري اليونان الاول . فمبدؤه هو مبدأ افلاطون وسقراط وهو ان غرض المعرفة الصور الذهنية المجردة المنتزعة من الواقع الحي . ثم ان هذه المعرفة يقينية فيما يختص بالمعلومات العامة والكليات الضرورية . وهذه لا وجود لها الا في الجزئيات المادية وبتلك الجزئيات . فهي في الواقع الحي ونحن نستخرجها عن طريق الاستقراء . هذا وان معرفة العلم الكلي ، اذا صح استقراؤنا له ، تمكننا من استنتاج الشيء الجزئي الفرد . واذن فالعلم برهاني اعني انه قائم على البرهان الذي هو مقياس اليقين في نهاية الامر . ولكن هل يكون البرهان ابداً ودوماً ضرورياً لا بد

منه ؟ هو قياس متركز على مقومات مقررة ثابتة ، لا بد وان تكون في نهاية الامر غنية عن البرهان ، اذ ترجع بها ، بحلقات متتالية الى ادراك مبادئ العقل الاولى واساسها مبدأ التناقض . وميزة هذه المبادئ هي انها لا تتطلب البرهان لانها غنية عنه . فهي تعرف بيقين اقوى من اليقين الخاص بالمعلومات المستنتجة : هي منبع اليقين ، ومصدرها ، والاستنتاج ليس الا الواسطة التي نصل بها الى ذلك اليقين . ثم ان الملكة التي تدرك تلك المبادئ هي العقل وهو في نظر ارسطو معصوم عن الخطأ ، هو هو بحد ذاته .

ونظرية ارسطو هذه خير جواب على موقف اللاأدريين الذين يذهبون الى انه من المستحيل ان نثبت كل شيء او نبرهن عنه : وهذا حق . الا ان تلك النظرية تفترض افتراضاً ما هو في اساس موقف اللا أدرين ذلك ، وهو ان المعرفة ممكنة والعلم ممكن . يقول ارسطو، اذا كان لا بد لنا من اثبات كل شيء والبرهان عنه ، فالعلم والمعرفة امر مستحيل . ويجيبه اللا أدري : «لا غرو ولا عجب ، فانني انكر امكانية العلم والمعرفة وانت ترد انكاري بافتراضك ما انكره كمبدأ ضروري لا بد منه ، وامر يجب ان يسلّم حتماً به» . فالذي في اساس نظرية ارسطو كلها نهائياً ، هو ان اليقين ممكن ولا بد من ان يكون ممكناً . انه يرى ان عصمة العقل عن الخطأ امر مقرر ثابت ثبات الواقع الذي لا يخطئ ولا يزيغ ، فلا يرد ولا ينكر ، وهو هو بالضبط ، الحد الذي لا بد من ان يصل اليه كل من يريد ان يقاوم اللا أدرية بمجرد الاعتماد على العقل .

ولكن هل هذا يعني الايمان بالعقل والتصديق به ؟ كلا بل يعني ثقة العقل بنفسه والاطمئنان الى انه مقياس الامور ومدركها ، والارتياح الى صحة نظرته الى الاشياء . فكما اننا نعرف وجود الاشياء بالنظرة الحسية فكذلك نعرف اسباب تلك الاشياء وحقائقها المستترة وراءها بنظرة عقلية لا حاجة لها الى سند ترد اليه للاطمئنان الى اليقين من ذلك الذي نعرفه : لا ايمان ولا تصديق ، بل نظرة خاطفة تدرك وتستقر وتثبت . ونظرة العقل هذه تعرف اليوم في الفلسفة الغربية ، او بالاحرى في الفلسفة على وجه الاطلاق ، بلفظة : Evidence التي لا مقابل لها في اللغة العربية ، كما سنرى فيما بعد . ولربما كان ارسطو يعمل ويفكر بمقتضى مفهوم تلك اللفظة لانها لا توجد عنده ، على الاقل بالمعنى الخاص الذي

نفهمه عليها الآن . واول من استخدمها انصار المذهب الفلسفي الاختياري[١] ، اعني مذهب اولئك الذين كانوا يرون ان الفلسفة الصحيحة هي اختيار الآراء المستحسنة من المذاهب الفلسفية المختلفة السابقة ، وهو مذهب يأتي ، تاريخيا ، بعد مذهب ارسطاطاليس ، ومذهب اللا أدرية البروني ، واليه ينتسب نوعاً ما شيشرون الذي كثيراً ما يستخدم تلك اللفظة (Evidence) في مؤلفاته الفلسفية . اما مفهوم تلك اللفظة فكان ولا يزال يسير بمقتضاه كل مفكري اليونان وكل المفكرين المتقيدين بمبادئ اليونان الفكرية ، اعني كل المفكرين الغربيين حتى يومنا هذا ، والمفكرين العرب اليوم . قلت ان السير بمقتضى ذلك المفهوم كان عفوياً في بادئ امره ، ولم يدرك ادراكاً صحيحاً واضحاً واعياً الا في القرون الوسطى المسيحية ، عن يد توما الاكويني الذي ، كما نعرف ، تقيد بمبادئ ارسطو الفلسفية وتطور بها بعد ان اخضعها ولينها لتتلاءم والعقائد الدينية المسيحية . يقول القديس توما ان « نظرة العقل التي نحن في صددها لا تتم ولا يتم اليقين من صحتها الا بعد رجوع كامل من العقل الى نفسه . فالعقل يدرك الامور باندفاعه العفوي ، ثم يعود الى ادراكه ذلك ، ليس فقط ليدرك ذلك الادراك ويعرفه ، بل ليرى علاقته هو العقل مع الشيء الذي يدركه . ولا يتم العمل ذلك الا بمعرفة حقيقة عملية الادراك وطبيعتها ، وحقيقة عملية الادراك هذه لا يحصل عليها الا بعد معرفة الملكة العارفة نفسها ، وهي العقل الذي من طبيعته ان يتكيف بتكيف الاشياء والامور ، ويلابسها من الداخل حتى يدركها ويعرفها »[٢] . وبذلك يعرف العقل الاشياء بالعود الى نفسه وبنظرته الى نفسه وهو في حال كون هيئته هيئة الاشياء . كما يقول الغزالي[٣] ولكن لغاية اخرى ويمعنى آخر . وبكلام مختصر فان العقل يدرك مندفعاً بغريزته ، ثم يشعر بالادراك فيرجع الى نفسه ويرى نفسه مدركاً ، ومتخللاً ملابساً بالشيء المدرك في الآن نفسه . ففي حين يعرف نفسه يعرف ايضاً الشيء الذي يدركه . وبنظرة العقل الخاطفة يتم في العقل الحكم على المعلوم بانه صحيح او خطأ ، وحينئذ

١) تعريب للفظة الفرنسية Eclectisme التي عربت ايضاً باللفظة « انتقائية » .

٢) القديس توما الاكويني ، « في الحقيقة » سؤال اول ، فصل ٩ .

٣) احياء ، ج ٣ ص ٢٥٧ .

يكون اليقين او عدم اليقين . ولا حقيقة للقياس غير ذلك : لا سلطة خارجة عن العقل تفرض عليه المعلوم فرضاً ولا نبي يتسلّم تسليماً من ملاك ولا اله يوحي بذلك التعليم[1].

ونظرة العقل هذه تكون باطنة مباشرة عفوية (Intrinsèque) عندما يرى العقل هو بنفسه العلاقة بين المحمول والموضوع ، بين المسند والمسند اليه في الاسناد ، وذلك بمجرد ادراك معنى الالفاظ المستخدمة كما هو الامر مثلاً في العلاقة بين مفهوم لفظة « عالم » ومفهوم لفظة « حادث » في القضية : « العالم حادث » . وهذه النظرة المباشرة الباطنة تقع في ادراك المبادئ الاولى للعقل وفي المعلومات والقوانين والكليات الضرورية المستخرجة من الجزئي الحسي عن سبيل الاستقراء . وتكون نظرة العقل هذه غير مباشرة وغير باطنة (Extrinsèque) عندما لا تقع على المعلوم بحد ذاته ولكن على ظروف خارجة عنه تجعلنا نتيقن من صحته ونطمئن اليها ، ولكن تلك الظروف واقعة ، مبدئياً ، تحت نظرة العقل المباشرة . وهذا هو الامر فيما يختص بالحوادث التاريخية المنقولة الينا والتي نرتاح الى صحتها بعد تدقيق النظر بالظروف التي ساعدت على نقلها .

وعلى كل حال فنظرة العقل المباشرة هي في اساس المعرفة والعلم عند ارسطو كما في الفكر اليوناني . وبمقتضى تلك النظرة يتم اليقين . فكأن العقل يدخل بها دخولاً ويلج ولجاً في المعلوم الذي كانه ينشق على نفسه وينفتح امام العقل آنئذ ليكشف له عن اسراره وعوالمه . ويجب ألا نجسم ذلك الدخول ونشخصه ونتصوره على شكل مادي كدخولنا في باب غرفة او بيت مثلاً . بل هو تداخل مشترك بين العقل والمعلوم واشبه شيء به هو تداخل النور بالنور . او بكلام اصح ان ذلك التداخل والتمازج يتمّ بين العقل العالم والمثال الذي يحصل فيه من الشيء المعلوم ، فيصبحان كأنهما واحد . والتوضيح هذا واجب لتمييز المعرفة التي تتم عن سبيل نظرة العقل على نحو ما عرضته عن المعرفة كما يراها افلوطين وهي تداخل تام او بالاحرى اتحاد تام بين العالم والمعلوم نفسه .

---

١) انظر JABRE, *Notion de la Certitude chez Ghazali* ، ص ١٣٧–١٣٨ .

ولا عجب ، فان افلوطين يمثل آخر طور وصل اليه الفكر اليوناني القائم على نظرة العقل التي تلج به الى اعماق المعلوم الملابس له بمثاله من الداخل . ونظرة العقل هذه هي العقل الذي ينظر او بالاحرى الذي استحال نظراً . ومن ثم فلماذا ذلك المثال الذي ينصب كحجاب ، كحاجز بين العالم والمعلوم وهما من جنس بعضهما اذ الحكمة في الاشيا. هي انعكاس للعقل الذي في الانسان . وبما ان الامر كذلك فلماذا لا تتم المعرفة عن سبيل التداخل التام بين العقل العالم والشيء المعلوم فيتمازجان ويتحدان الاتحاد التام مع كل ما يستلزم من شروط وعناصر بها يتم ويقوم . فيكون حينئذ الفنا. الافلوطيني (Extase) الذي هو غير فنا. الغزالي .

***

فالفنا. عند الغزالي ليس اضمحلال العالم وغيابه في المعلوم بالمعنى الوضعي ، انما هو فنا. العالم عن نفسه واحواله ، بطلان شعوره بها بمعنى انه ينساها ولا يبقى له التفات اليها لاشتغاله بالمعلوم وتركز كل انتباهه على ذلك المعلوم الذي لا ينفتح امامه ليدخل فيه ، انما يبقى مغلقاً على نفسه يحاط ويدبر من الخارج[1]. فلا يقف العقل منه موقفاً ايجابياً ، فيجده هو بنفسه ويطلع عليه ويقبل عليه بالتنقيب والبحث والتحليل والتمييز فيه بين الصالح والطالح ، بين الكاذب والصحيح . انما موقف العقل من ذلك المعلوم سلبي محض يتسلمه تسلماً بعد ان ينبه اليه وليس له بعد ذلك الا ان يرتب فيما بين اجزائه وعناصره بقدر ما يتبين ، من الخارج دوماً ، بين تلك العناصر والاجزاء. من علاقات تربطها بعضها ببعض . ولقد قدمت ، دعماً لذلك ، في المقال السابق خاصة ، الشواهد الكافية من تصريحات الغزالي في الحصول على العلم والمعرفة حتى في العلوم التي نعتبرها اليوم عقلية محضة ولا نرى فيها للنبوة لا ناقة ولا جمل . بقي علي ان ابين كيف ان اللغة العربية التي يستخدمها ، وهي اللغة العربية القديمة الصحيحة التي لا شوب فيها ولا غبار عليها ، هي هي التي كانت تحكم عليه بذلك الموقف الذي نراه عنده من المعرفة والعلم .

١) انظر في ذلك المقال في مجلة *Studia Islamica* ، ملزمة ٦ ، ١٩٥٦ : JABRE, *L'Extase de Plotin et le Fanā' de Ghazali* .

فان هذه اللغة مبنية ليس على جملة منطقية (Phrase logique) وحكم منطقي (Jugement logique) كما هو الامر في اللغة اليونانية واللغات الاوروبية التي نشأت منها وتأثرت بصرفها ونحوها في نشأتها وتطورها . فان جملة كهذه تحليلية تتطلب التحليل بحد ذاتها وتفرضه فرضاً على العقل بمجرد اعتراضها له ، فتحمله بطبيعة الحال ان يقف من الامور والاشيا. ومعرفته لها موقفاً ايجابياً ، موقف العالم الذي يريد ان يجد اكثر مما يُريد ان يفهم . اما الجملة العربية فهي تأليفيه قائمة على التصديق . والتصديق ، في الوضع العربي ، هو بالضبط فعل العقل وعمله بحد ذاته ، وهو مبني ، في نهاية الامر على الايمان ، على ثقة العالم بالغير ، مع الافتراض بان ذلك الغير ينقل اليه خبراً او يطلعه على حادث او يرويه قصة . والامر ذلك ثابت ينطبق ، بدون تمييز ، على ما نعرفه اليوم بالمبادئ او المعلومات العقلية — مثل : الاثنان والاثنان اربعة — ، وعلى حادث اطلعنا عليه نحن بانفسنا — مثل : المطر نازل — ، وعلى خبر سمعناه وارتحنا الى صحته — مثل : وجود مكة وهجرة محمد الى المدينة في سنة ٦٢٢ مسيحية . كل هذه المعلومات التي نحصل عليها اما بما هو معروف بنظرة العقل (Evidence) عند الاجانب ، اما بالاعتماد على غير انفسنا ، كل هذه المعلومات اقول تقبل ويسلم بها على انها داخلة تحت حكم التصديق ، الذي ، اعود واقول ، هو عمل العقل المحض الذي لا دخل فيه لتأثير الارادة وعملها . ففي حد ذاته ، ان التصديق هو ادراك عقلي محض لواقع جزئي مفرد ، هو الحكم الذي به يعبر العالم عن توافق ما في عقله مع الواقع الوجودي او بالاحرى مع الحق[1].

ذلك ان الناشئ العربي ، لا يكاد يطلع على صرفه ونحوه الا ويلقن ان الجملة خبرية وانشائية . ولندع الآن الجملة الانشائية اذ لا فائدة منها في العلم والمعرفة لانها ليست لتطلعنا على الواقع ولتعبر عن وجود الاشيا. كما هي ، انما اوجدت للطلب والتمني والترجي. اما الجملة الخبرية فهي التي تصرف الى التقاط الواقع وينسب فيها الكلام الذي يفيد معنىً ويفيد علماً ومعرفة ، ولكن لا تفيد ذلك الا عن سبيل الخبر ، بطبيعة حالها وحدها . فكأننا في اللغة العربية ،

---

١) انظر JABRE, *Notion de la Certitude* ، ص ٣٨٢ وتابع .

كل علم على وجه الاطلاق يستفاد من الغير عن سبيل الخبر ، مهما كان غرض ذلك العلم سواء أكان مبدأ اوليا يجده العقل في نفسه ، او معرفة مكتسبة يستنبطها من الواقع الحسي ، او حادثا تاريخيا يطلع عليه بالشواهد التاريخية ، او نظريات تتعلق بالالهيات ، كما رأينا . والعربي الذي لم يطلع على لغات اجنبية ، ولا سيما على لغات تقرب ، في عبقريتها ، من اللغة اليونانية ، لا يسعه الا ان يتصرف بمقتضى المركب النفسي الذي تولده فيه عبقرية لغته على نحو ما تتشكل وتتكيف امامه في تلك الجملة الخبرية .

فعبقرية هذه اللغة تفرض على صاحبها ، ابدا ودوما ، موقفا سلبيا من العلم والمعرفة فلا يخطر في باله ، بطبيعة الحال ، ذلك الموقف الايجابي الذي يحمل العالم على ان يقبل ، هو بنفسه ، على الشيء المعلوم ، فيدقق فيه وينقده ، ويصفيه ، ويحلله الى عناصره ، كأنما معرفته له تبتدئ فيه هو نفسه وليس من عالم قبله اقبل على ذلك المعلوم ثم توعاه ثم سلمه اياه . هو يتسلم كل شيء عن سبيل الخبر .

والخبر ابدا مغلق على نفسه ، لا يتطلع عليه من الداخل ، ولا يقف عليه العقل حتى ينفتح امامه ويكشف له بواطنه . كل شيء ، كل علم قائم على التصديق ، على ادراك ذلك الشيء من الخارج ، كواقع جزئي فردي ، على الاحاطة به ، ومن ثم العبارة : احاط به علما .

ولذلك نرى انه ليس للفظة الفرنسية (Evidence) مقابل في اللغة العربية . وهو امر حاولت ان اجد له حلا مع اللغوي المشهور الاستاذ بلاشير ، فما لبث ان وافقني على رأيي ذلك . واظن ان لفظة «ادراك» اقرب لفظة في لغتنا الى مدلول (Evidence) مع العلم ان الادراك يقال في كل علم سواء أكان اوليا-عفويا ، ام نظريا مكتسبا . هذا علاوة على ان اللفظة تلك «ادراك» تدل ايضا قبل كل شيء على الالتحاق بالشيء والتقاطه فيقال «لحق به فادركه» ، وهي ابدا تفيد الاحاطة بالمعلوم من الخارج وليس النفاذ فيه الى داخله وصميمه . نعم اعرف ان اساتذة الفلسفة اليوم ، الذين يعلمون الفلسفة باللغة العربية والذين الفوا كتبا في المنطق ، عربوا لفظة (Evidence) بلفظة «بداهة» او «بديهة» . الا ان البداهة لا تفيد ذلك الاقبال الايجابي على العلم والمعرفة ، ذلك الاستقلال

عند العالم من المعلوم مهما كان مصدره ومنشؤه ، وهو قبل كل شيء مدلول لفظة (Evidence) . انما البداهة تفيد سرعة فهم التعليم والمعلوم بعد قبولها ، فتولد بذلك عند العالم موقفاً سلبياً في اساسه . هذا علاوة على ان اللفظة هذه ، مثل لفظة الادراك ، تطبق على العلوم الاولية الضرورية والعلوم المكتسبة ، بدون تمييز . اما فيما يختص بالفئة الاولى من العلوم يقول الغزالي : « لا يحتاج الانسان فيها الا الى ذهن ترتسم فيها المفردات ، والى قوة مفكرة تنسب بعض هذه المفردات الى البعض ، فينتهض العقل على البديهة الى التصديق او التكذيب »[1]. ويقول في الفئة الثانية ، ومنها العلوم المختصه بطرق المجادلة والادلة : « فنحن ايضاً نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة او هيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة ، حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال ، كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال »[2]. ولذلك عدلت الى تعريب (Evidence) بالعبارة « نظرة العقل » .

لا شك ان مدلول ال (Evidence) فيه شيء من السلبية الموجودة في الفهم. فان العقل عندما يقبل على المعلوم يقتضي ذلك المدلول يفهم المعلوم وهذا طبيعي، ولكنه لا يحاول فهمه الا بعد ان يكون قد قبله هو بنفسه وتيقن من صحته . اما عند الغزالي فعمل العقل هو مجرد الفهم ليس غير . تأخذ الشيء عمن يعلمك اياه ، وتقبله فتعرفه ثم ينتهي بك التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد اخرى الى اليقين الضروري بان استاذك ما غلط . هذا في العلوم الحسابية وغيرها من العلوم التي تسهل على العقل . اما في النظريات الصرفة التي تتعلق بالالهيات التي لا يقوى على تعليمها الا النبي ، والتي هي بالضبط موضوع علم ما وراء الطبيعة عند ارسطو ، فالامر فيها اشد[3]. ولقد ذكرت في المقال السابق ان فائدة العقل هنا

---

١) المستصفى ، القاهرة ، ١٣٥٦/١٩٣٧ ، ج ١ ، ص ٢٩ .

٢) احياء ، ج ١ ، ص ٨٦ ؛ وايضاً اقتصاد ، القاهرة ، المكتبة التجارية (بدون تاريخ) ، ص ٥٢ ، ٦٥ .

٣) المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق ١٣٥٣/١٩٣٣ ، ص ١٤٠ – ١٤٢ . انظر ايضاً Jabre, *Notion de la Certitude* ، ص ١٠٣ حيث تجد المراجع الى مؤلفات الغزالي كالمعيار والقسطاس .

ان يشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما لا يدرك الا بعين النبوة ، فيأخذ بايدينا ويسلمنا الى تلك العين تسليم العميان الى القائدين . . . وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهم ما يلقيه النبي اليه[1] . ويكون ذلك التفهيم على درجات : الاولى منها الاعتقاد ثم العلم ثم المعرفة بالذوق . فبالاعتقاد يقبل التعليم قبولاً ويسلم بصحته مبدئياً ، وبالعلم يدعم ذلك التعليم بالادلة والبرهانات الجدلية التي من شأنها لا ان ترسخه في النفس وتحكمه فيها ، بل ان تميلها اليه وتحببه اليها فتحبذه ، ثم تأتي المعرفة بالذوق « وتكون بادراك المعلوم تفصيلاً بالتحقيق والذوق بان يصيرا حالاً ملابساً للعالم فيكمل ويكون بذلك كالباطن بالاضافة الى درجة العلم التي كانت من قبل » . ولكن ذلك العلم ، هو هو في المعرفة بالذوق كما هو في الاعتقاد ، يتقبله صاحبه تقبلاً ولا يجده هو بنفسه وبمجرد عقله وقواه[2] .

وموقف الغزالي ذلك السلبي من العلم والمعرفة ليس اوضح دلالة عليه من الصورة التي يعمد اليها ليصف كيف يتم العلم وهي صورة المرآة . يقول : « لكل معلوم حقيقة ، ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها . وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور : وكذلك ههنا ثلاثة امور : القلب وحقائق الاشياء . وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه . فالعالم عبارة عن حقائق الاشياء . والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة »[3] .

ولنلاحظ هنا حالاً ان هذه الحقائق او امثلة المعلومات لا تأتي على العقل من الواقع الحسي بل تطبع هكذا وتنبسط على مرآة القلب بالانعكاس عن « اللوح المحفوظ الذي يوجد فيه كل ما قدر الله ان يتم منذ ابتداء العالم حتى انقضائه[4] » . وكل ذلك يهبط على الملاك ثم من الملاك ينعكس على عقل النبي والنبي يسلمه للانسان العادي فيقبله هذا ويحفظه ويتأمل فيه . فالعقل دوراً في

---

١) المقال السابق ، ص ٦–٧ .

٢) انظر في كل ذلك JABRE, *Notion de la Certitude* ، ص ١٣٨ وتابع .

٣) احياء ، ج ٣ ، ص ١١ .

٤) احياء ، ج ٣ ، ص ١٦ .

موقف سلبي ، موقف القبول من المعلوم الذي يدرك من وراء التعليم . فلا غرو بعد ذلك ان كان الغزالي لا يفقه للاستقراء الارسطاطاليسي معنى ، اذ ان ذلك الاستقراء يفترض في العقل موقفاً ايجابياً من الامور والحياة بمقتضاه يقبل عليها العالم بجسارة وثقة قوية من نفسه حتى ينتزع من تلك الامور والحياة تلك الكليات الضرورية وتلك القوانين المطردة التي تتستر وراء الجزئيات الفردية الحسية . اعود واقول انه لا بد ، آنئذ ، من ان يفترض في المعلوم ان ينفتح وينكشف امام العقل حتى يستطيع العقل ان ينتزع منه كل هذا الذي ينتزعه . اما عند الغزالي فيُفرض المعلوم فرضاً على العقل . ويعرض عليه مغلقاً فلا ينفذ الى صميمه ليرى من الداخل ما يربطه بغيره ولذلك يبقى الاستقراء عند مفكرنا احصاء جزئيات فردية تضاف الى جزئيات فردية ليس غير ، فلا يمكن ان ينتقل منها بالحكم على الكليات ، التي يدركها العقل ، هي ايضاً ، على نحو ما يدرك الجزئيات .

وهكذا القول ايضاً عن تلك المبادئ الاولية او العلوم الضرورية التي يقف ويطيل الوقوف عندها في صفحات المنقذ الاولى ، مثل علم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً معاً . فهذه العلوم ضرورية بمعنى ان العالم لا يدري من اين حصلت وكيف حصلت ... ويجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطوراً عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من اين حصل له اعني لا يدري له سبباً قريباً والا فليس يخفى عليه ان الله هو الذي خلقه وهداه . والصبي الذي يشتمل قلبه على تلك العلوم الضرورية تكون عنده العلوم النظرية غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة ، فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد .

وقصارى الكلام فان تلك العلوم الاولية الضرورية يتم ادراكها على نحو ما يتم ادراك الفردي ، ولكن بصورة عفوية مباشرة . وهي لا تعرض للعقل مفتوحة منكشفة لينظر فيها ويتخذها كمبدأ لتفكيره وللحصول على المعلومات الاخرى المكتسبة . بل انها تطفو على وجه ضميره الواعي كعلوم ضرورية لا بد من اليقين منها فيتعوّد العقل على تلك الضرورة التي لا بد من ان يتصف بها التعليم

الصادر عن النبي . فهذا التعليم ليس ضرورياً في بادئ الامر ، انما يصبح ضرورياً بالتذكر والمايزة ، فيدركه حينئذٍ العقل ويقبله على نحو ما يدرك ويقبل العلوم الاولى الضرورية ، التي يصبح ادراكها بذلك كأنه اختبار سابق للضرورة التي بها يقف التعليم الصادر عن النبي[1].

وبعد . هل يمكن ان يعد كل ذلك طعناً في تفكير الغزالي وفي موقفه من العلم والمعرفة . كلا ثم كلا . اردت فقط ان اقول ان الغزالي عند اقباله على نظريات ارسطو في المنطق والعلم والمعرفة ، اقبل عليها بلغته العربية المحضة على ما تتصف به تلك اللغة بعبقرية تصبغها بطابع خاص يميزها عن غيرها . فهي تأليفية لا تحمل الانسان الذي يتكلمها على التحليل بطبيعة الحال ، وهي تفرض المعلوم فرضاً على العالم فتحدد عنده موقفاً سلبياً . وهي تتنافى وما تستتبعه نظرة العقل في اللغة اليونانية من امكانية في استخراج الكليات الضرورية التي تعم كل مكان وكل زمان ، فتدرك تلك الكليات ، بمقتضاها ، كما تدرك الجزئيات الفردية . وكل ذلك لا ضير فيه ان كان قد ابعد الغزالي عن فلسفة ارسطو فهي ليست الحق بنفسه . فالرأي كل الرأي ، ان نقبل على تلك اللغة ونقف في استخدامها ، الموقف الذي وقفه الغزالي : فلربما ساقنا ذلك ، ولا بد من ان يسوقنا ، الى ابتكار اتجاهات جديدة وتيارات غير مألوفة للفلسفة فيما يختص بالعلم والمعرفة والشعور الديني . واريد هنا ايضاً ان انبه الى شيء تنبه اليه المطلعون على الآداب الغربية . فهم بعد قراءتهم لتلك الآداب ، يرون ان فيها قيمة انسانية تجعلها مستحبة في كل عصر وكل مصر . ذلك لانهم يقوّمون تلك القيمة الانسانية بغير المقوّمات التي تصلح ان تطبق على الادب العربي . فاللغة العربية تأليفية ولا تساعد على الاستقراء ، وهو الاستقراء الذي يحمل الانسان على ان يدخل في المعلوم ويحلله ويرى فيه ما هو ثابت مقبول عند كل انسان مهما كان مكانه وزمانه . اما اللغة العربية فهي تلتقط المعلوم على نحو ما يلتقط الجزئي الفردي ويدرك . ولذلك يبقى ذلك المعلوم كأنه مقيد بالحس والواقع ، متصل به اتصالاً وثيقاً . وهذا له التأثير البعيد على الصورة الادبية

---

١) راجع في كل ذلك Jabre, *Notion de la Certitude* ، ص ٢٣٠ وتابع حيث تجد المراجع إلى مؤلفات الغزالي .

اجمالًا والصورة الشعرية بنوع خاص . فان المقطوعات الادبية العربية ، لمجرد سبكها في اللغة العربية وهي لغة تأليفية ، لا تحضر امامك على الفور في قيمتها الانسانية القائمة عادة في الآداب الغربية على الخيالات والانفعالات الاصيلة العميقة التي تكون وليدة التنقيب والتحليل . فان هذه المقطوعات اول ما تبدو لك فبهواتف واصداء تسمعها الاذان ، وبصور حسية تراها العين . والشاعر العربي يعمد الى هذه وتلك ليرمز رمزًا الى الجو الذي يضطرب فيه وجدانه . واذا انت فهمت رموزه ، فكأنه يتناولك ويرمي بك رمياً الى ذلك الجو ثم يحبسك فيه بوحدة الروى والقافية . وكأن الصورة الشعرية ، في المقطوعة العربية ، لالتصاقها بالحياة المادية ، الحسية ، وهي التقاط جزئي فردي في حد ذاتها ، كأن تلك الصورة اقول لا تزال اسيرة الاطـار الحسي ، محصورة فيه . فتبدو ململمة منقبضة بعضها على بعض . فهي ان وصلت اليك هكذا وصدمتك وايقظت فيك شيئاً وعرفت كيف تدبرها كشفت لك عن لبابها فوقفت امامها كأنك ما كنت تتوقع هذا الشيء الجديد الطريف الذي تجده فيها .

اما الصورة الشعرية في الآداب الغربية التي نشات كلّها عن الادب اليوناني فكأنها تحت عمل التحليل وانفتاح المعلوم ، حطمت ذلك الاطار الحسي بعد اشباع الخيال بتفكير منعش بالعاطفة المتطورة المسيرة بالعقل . وكأنها قد تم لها ذلك في الشعر اليوناني نفسه . فتبدو لنا بعد هذا كله ، لا ململمة منقبضة ، بل منبسطة انبساط الفكرة المطمئنة من نفسها ، واسعة الخطى ، تتمدد في نفوسنا بمثل ما تتمدد موجة البحر الوادعة الهادئة على الساحل الرملي الصافي المنقى ، فيرى فيها كل انسان ما يلائم عقليته في الزمان والمكان اللذين يعيش فيهما .

فهل كل هذا الذي اسلفت وعرضت له مجرد آراء ونظريات قد تقبل وقد ترد ، فيما يختص بالتصديق وعبقرية لغة الضاد التي وجهت تفكير الغزالي وارغمته ارغاماً ، بمقتضى تلك العبقرية ، على ان يتبرأ من ارسطو ونظرياته في العلم والمعرفة والنظر الى الامور والحياة ؟ لا اظن . فاننا في درس الفكر العربي المتأثر بالفكر اليوناني نرى ان الموقف الذي نلاحظه عند الغزالي يعود ويتجدد عند غيره وسيتضح لنا ذلك اتضاحاً وافياً عندما نتبين ، في المقال المقبل ، كيف دخلت الفلسفة اليونانية وكيف سبكت في فلسفة الاشراق .

٦

فلسفة اليونان في فلسفة الأشراق

انني اذ انتهي الى مقالي السادس والاخير، لا ارى بدًا من ان ارجع الى ما ذكرته في مقالاتي السابقة، فيما يختص بموقف الغزالي وارسطو من المنطق خاصة والمعرفة والعلم على وجه عام، فاعرض للفوارق بين نظر المفكرين على نحو ما يلي :

ان المنطق عند ارسطو هو صوري ومادي في الآن نفسه وهو بذلك يبدو على انه مرتبط بالواقع ارتباطًا محكمًا لا انفصام فيه، لا غاية منه الا تسجيل ذلك الواقع قبل ضبطه وتنظيمه بالقضايا والاحكام والاقيسة. اما عند الغزالي فذلك المنطق آلة شكلية صورية ليس غير، احدثت لتنظيم معلومات يتسلمها عن غير سبيل الاستخراج من الواقع، ليس للعقل ان يجدها بل ان يفهمها حتى ينظم فيما بينها ويعرضها بشكل متسلسل مرتب يسهل حفظهـا ويظهر حسن انتظامها بعضها مع بعض. وذلك راجع الى ان ارسطو يقبل على مشكلة المعرفة والعلم كحكيم مثل غيره من حكماء اليونان ليطلع على الامور والحياة بمجرد عقله هو وقواه معتمدًا عـلى ذلك العقل فقط للتمييز بين الصحيح والكاذب، وللمضي الى اعمق ما يتستر وراء الظواهر الطبيعية من معلومات كلية ضرورية وقوانين مطردة عامة لا تقوم تلك الظواهر الجزئية الحسية الا بها. وهو اذ يدعو غيره الى ان يشاركوه في نظره الى الامور والحياة يطلب منهم ان يقفوا منها نفس الموقف الذي وقفه هو، أعني ان يعودوا، هم ايضًا الى مجرد عقولهم وقواها، ويحكموها فيما يعرض عليهـا، ويتبينوا هم بانفسهم الصحيح والكاذب منها بدون اعتماد على اية سلطة كانت تؤثر على حكمهم وتوجه ادراكهم، فيكون ذلك الادراك منطلقًا حرًا من كل قيد، لا يخضع لغرض او لغاية، مستقلًا بنفسه تمام الاستقلال .

واما الغزالي فهو ايضًا يرى ان المعرفة هي الحكمة، وهي تتم عن ذلك السبيل الذي يشير اليه ارسطو، الا ان الحكيم الاكبر لا بل الحكيم الوحيد عنده هو النبي. فالنبي يطلع عـلى الامور ويدركها ولكن ليس بنفسه بل

بواسطة الوحي اعني بواسطة تعليم يأتيه من قبل الله عن يد ملاك. والتعليم ذلك بعد كاملا ليس قابلا للتغير، وهو التعليم الحق لا بد للناس، تبعين ومتبوعين، من ان يتقيدوا به . فالتقيد ذلك هو الحق والانحراف عنه هو الباطل، وكل ما يخطر على العقل من معلومات، هو صحيح او كاذب بقدر ما يتفق وذلك التعليم او يخالفه، لا سيما اذا كان من تلك النظريات التي تتعلق بالالهيات اعني ما وراء الطبيعة .

لقد حاولت في مقالاتي السابقة ان ابين ان هذه الفوارق التي سجلناها بين ارسطو والغزالي فيما يختص بموضوعنا، راجعة في اصلها واسبابها الى العقليتين اللتين ينتسب اليهما ارسطو من ناحية والغزالي من الاخرى . اما ارسطو فهو يقبل على المعلوم بما سميته نظرة العقل وهي العبارة التي اراها اشد من غيرها استيفاء لمعنى اللفظة الفرنسية: (— Evidence) . قال: (Evidence) هي فهم المعلوم ولكن بعد اقبال العالم بنفسه عليه اقبالا مباشرا ليحلله الى اجزائه وعناصره ويبحث عن الحق فيه ليتبينه ويميزه عن الباطل . ويتطلب ذلك من العالم موقفا ايجابيا من المعرفة والعلم مع الافتراض ان المعلوم ينفتح انفتاحا امامه فيلج فيه ويحاول ان ينفذ الى اعمق خفاياه. اما الغزالي فعبقرية اللغة العربية الخالصة التي يستخدمها تفرض عليه موقفا غير هذا الموقف . فالمعلوم بمقتضى هذه اللغة يعرض على العالم عرضا ضمن جملة خبرية تصدق او تكذب، وتتم المعرفة ابدا ودوما عن طريق تصديق خبر يبقى، مهما كان نوعه وغرضه، مغلقا على نفسه لا مجال فيه للتحليل مما يفرض على العالم موقفا سلبيا قائما على مجرد الفهم والاقتناع بما يعرض ويبدو. واعود واقول انه ربما لم يكن ذلك الموقف موقف ابن سينا والفلاسفة المسلمين، بل ربما لم يكن موقف العلماء المسلمين جميعا. الا انه، في الواقع، موقف الغزالي على نحو ما يظهر من كتبه ومؤلفاته .

الا انه الى جانب ذلك السبب السيكولوجي الذي نجده في اصل الفوارق بين ارسطو والغزالي سبب آخر تاريخي لا يمكننا ان نلم به الماما وافيا ما لم نلق نظرة عامة على ما كان من مصير الفلسفة اليونانية فيما نعرفه بفلسفة او حكمة الاشراق .

هذا وان اول ما يجدر بنا ان نذكر هنا هو اننا حتى هذه المدة الاخيرة

كنا نجهل تلك الفلسفة جهلاً شبه تام . واذا كنا لنستطيع اليوم ان ندعي الاطلاع على بعض الشيء منها فالفضل راجع الى لويس وخاصة الى ايفانوف وكوربين اللذين وقفا حياتهما على البحث في اصولها ومبادها ونشر الدراسات المتمة عنها . واوضح تحديد نراه لها هو تعليق قطب الدين شيرازي على لفظة « اشراق » نفسها اول ما وردت في كتاب الشهروردي، « حكمة الاشراق ».

« فحكمة الاشراق هي الحكمة المؤسسة على الاشراق الذي هو الكشف ، او حكمة المشارقة الذين هم اهل فارس ، وهو ايضاً يرجع الى الاول لان حكمتهم اشراقية اعني راجعة الى المعرفة بالكشف والذوق . ولقد نسبت الى الاشراق لانه ظهور الانوار العقلية ولمعانها على الانفس الكاملة عن التجرد عن المواد الجسمية . وكان اعتماد الفارسيين في الحكمة على الذوق والكشف ، وكذا ايضاً قدماء اليونان خلا ارسطاطاليس وشيعته . فان اعتمادهم على البحث والقياس »[1] .

وهذا التعريف يحصر لنا حكمة الاشراق ضمن الحدود التي تميزها عن الفلسفة في معناها الخاص ولا سيما تلك التي اصطبغت بالمذهب الارسطاطاليسي في اتجاهاتها وتطوراتها . ثم انه يدلنا على الاصول التاريخية التي بها تتصل وعنها تتسلسل ، مما يسوقنا الى كلام وجيز عن مكانة النبوة منها .

اما فيما يختص بالحكمة الاشراقية في حد ذاتها، فالحكمة هنا ليست ذلك الموقف العملي من الامور والحياة الذي يظهر بالهدو والتروي القائمين على بعد النظر وعمق التأمل او بكلام اصح ليست تلك الحكمة هذه الفضيلة الادبية الاخلاقية التي تجمل صاحبها انساناً وقوراً متزناً يسير من امره على وعي وهدو واطمئنان وثقة وجد واناة . بل كل ذلك الذي نراه اليوم في الحكمة لم يكن آنذاك الا من نتائجها . فالمرء لم يكن متحلياً بكل هذه الصفات الا لانه كان حكيماً ، اي مطلعاً على الامور والاشيا . فالحكمة بهذا المعنى هي بحقيقة الواقع العلم النظري بحد ذاته . ويرى الاشراقيون ان العلوم تنقسم الى

---

١) انظر « مجموعة دوّم مصنفات شيخ اشراق شهاب الدين يحيى سهروردي در حكمت الهي » بقلم كربين طهران ١٣٣١/١٩٥٢ ، صفحة ٢٩٨

قسمين: ذوقية كشفية وبحثية نظرية. فالقسم الثاني يعنى به «معاينة المعاني والمجردات بفكر وبحث ونظم دليل قياسي او نصب تعريف حدّي او رسمي»، كل ذلك الذي يتولد عنه الاستقراء بالمعنى الارسطاطاليسي المشهور. اما القسم الاول فيعنى به «معاينة تلك المعاني والمجردات مكافحةً، بمجاهدة روحية تجعل العلم يفيض عليك بانوار اشراقية متتالية متفاوتة بسلب النفس عن البدن، فتتبيّن المعلومات مطلقة تشاهد تجردها وتشاهد ما فوقها من العناية الالهية»[1].

ولا يعني ذلك نبذ العلوم المستمدة من البحث والفكر واستنكارها، بل تعتبر كطور تمهيدي لا بد منه للوصول الى حكمة الاشراق في معناها التام. فهي تعرف ايضاً بحكمة التاله بمعنى لفظة θεοσοφία عند اليونان، اي الحكمة القائمة على تذوق الله، وصاحبها هو الحكيم الالهي او المتأله θεόσοφος. فهو يؤالف، في نفسه، بين العلم النظري الفلسفي في اعلى درجاته وبين تجربة نظرية هي ايضاً وحيدة في نوعها، من شأنها وطبيعتها ان تحول العالم بكامله الى مرآة مجلوة ناصعة تنعكس فيها لتضرمها الانوار المشرقة الصافية التي هي ملائكة قائمة بانفسها تفيض منها الاشراقات على نفوس الناس. فالحكيم المتأله ليس فقط الصوفي الذي يحاول التجرد عن حواسه ليصل الى المعرفة التجريبية الروحية عن سبيل الكشف من دون استعداد علمي فلسفي سابق، شأن الكثيرين من المتصوفين الذين ليس عندهم ثقافة فلسفية مثل الحلاج والبسطامي، وهو ايضاً ليس فيلسوفاً يكتفي بعلمه النظري عادلاً عن العمل بذلك العلم وتحقيقه في نفسه، شأن الكثيرين ممن يدّعون الفلسفة. فالحكمة الاشراقية هي النظر الى كل شيء في الله وبالله، هي سلوك سبيل الله، ومعرفة الانسان نفسه اذ يتذوق الله وكأنه يتحول اليه، مما دفع بعض الاشراقيين الى ان يقولوا: ان ابن سينا والفارابي لم يكن لهما بتلك الحكمة عهد، ولم يفقها لتلك الحكمة معنى[2].

ولذلك نرى السهروردي شيخ اتباع المشرقيين يجدد، في كتابه حكمة

---

١) المرجع نفسه، صفحة ٥.

٢) في كل ذلك انظر المقدمة الفرنسية التي وضعها المستشرق كوربين للمرجع السابق، في الفرنسية صفحة ٣ وتابع وخاصة صفحة ٢١-٢٢

الاشراق مراتب الحكماء وطبقاتهم . فهنالك الحكيم الالهي المتوغل في التاله العديم البحث، ثم يأتي الحكيم البحاث العديم التاله وفوق الاثنين الحكيم الالهي المتوغل في التاله والبحث . وثمة حكماء متألهون بين بين، اما متوغلون في التاله متوسطون في البحث ، واما متوسطون في التاله متوغلون في البحث. وان اتفق في الوقت نفسه متوغل في التاله والبحث فله الرئاسة وهو خليفة الله ولا رئاسة في ارض الله للباحث المتوغل في البحث ولم يتوغل في التأله. اما المتوغل في التاله وحسب فهو احق من الباحث فحسب[1] .

والسهروردي ليس فقط شيخ اتباع المشرقيين ، بل هو ذلك لانه محيي رسوم حكماء الفرس في قواعد النور والظلمة ، وهذا يسوقنا الى الوقوف بعض الشيء عند الاصول التاريخية التي تتصل بها فلسفة الاشراق المعروفة ايضاً بعلم الانوار . فان اصحابها لا يعدون انفسهم مقطوعين هكذا لا تاريخ لهم ، بل يرون انهم افراد عائلة روحية واسعة لها ممثلون في كل امة ولا سيما عند الفرس واليونان .

فالثقافة الفارسية هي اول مرجع يذكره الاشراقيون لحكمتهم القائمة على المعرفة بالتأويل اي الانتقال من الرمز وهو الشيء الحسي الظاهر الى المرموز اليه وهو الموجود الحقيقي المستتر وراء الظواهر . فكأن التأويل هو رد الشيء الى ما هو مبدؤه واوله . ومعروف ان النور والظلمة عند الفرس هما المبدآن الاساسيان للامور . فعلى الرمز تبتني قاعدة اهل الشرق ، وهم حكماء الفرس القائلون باصلين احدهما نور والآخر ظلمة ، لانه رمز على الوجوب والامكان . فالنور قائم مقام الوجود الواجب والظلمة قائمة مقام الوجود الممكن . ولا شك في ان الاشراقيين ، وهم موحدون ، اضطروا في ان يحدثوا تبديلات جوهرية في مذهب الثانوية المزدكية ليستطيعوا ان يصلوا بتأويلهم الى مفهومي الواجب والممكن من دون ان يثبتوا الكثرة في الواحد فيجعلون المبدأ الاول اثنين احدهما نور والآخر ظلمة . لان قاعدتهم ليست قاعدة كفرة المجوس والحاد ماني وما يفضي الى الشرك بالله . الا ان هذا هو الامر الواقع ، وهم يذكرون اول

---

١) كتاب حكمة الاشراق ، طبعة كوربين ، باريس ١٩٥٢ ، صفحة ١١-١٢

مـا يذكرون ، اسلافهم من المفكرين الفرس مثل جاماسف تلميذ زردشت وفرشادشير وبزرجهر ومن قبلهم مثل الملك كيموث وطهمورث وافريدون وكيخسرو وزردشت من الملوك الافاضل والانبياء. الاماثل على حد قول قطب الدين شيرازي. والسهروردي يعد محيي رسومهم لانه ظفر باطراف من حكمتهم ورءاها موافقة للامور الكشفية الشهودية فاستحسنها وكملها[١] .

وهذا لا يعني ان المشرقيين عدلوا عن الفلسفة اليونانيـة بل انهم حاولوا الجمع والتأليف بينها وبين التفكير الفارسي. فهم يعدون ايضاً من اسلافهم عند اليونان افلاطون وهو امام الحكمة ورئيسها « وصاحب الايد والنور » ، ثم هرمس والد الحكماء ، وهو النبي ادريس عند العرب ، ثم انباذقلس وفيثاغوروس وغيرهما من حكماء اليونان الاول . اما المعلم الاول ارسطاطاليس ، وان كان كبير القدر عظيم الشان بعيد الغور تام النظر ، فلا يجوز المبالغة فيه على وجه يفضي الى الازدراء باستاذيه ، ومن جملتهم جماعة من اهل السفارة والشارعين مثل هرمس واسقلينوس[٢] .

هذا الكلام للسهروردي يحدد فيه موقفه من ارسطو . فهو يحترمه ويتقيد به ولكن الى حد ، لان مذهبه بحثي نظري يعتمد على مجرد العقل والفكر والاستقراء. وما ينتج عن ذلك من نظم دليل قياسي او نصب تعريف حدي او رسمي وهي كلها امور يعدها الاشراقيون ، كما ذكرت ، كتمهيدات ليس غير للحصول على الحكمة الالهية او حكمة التاله . وهذه الحكمة ، اعود واقول ، جمع وتأليف بين الفلسفة النظرية الارسطاطاليسية وتحقيق لتلك الفلسفة في شخص العالم نفسه بوجه انه يصبح بعلمه وكانه الله نفسه تتوحد فيه الامور والاشيا. .وبذلك تبدو الحكمة الاشراقية على وجهها الاتم في اصولها التاريخية : هي تأليف بين حكمة اليونان وحكمة الفرس ، وتتخلل هاتين الحكمتين عناصر حكمية بابلية ومصرية ، وهندية ، وصينية بوذية الا ان الطابع الشامل الاقوى الذي يفرض على الكل صبغته وتوجيهه هو الطابع الفارسي . ثم أن

---

١) انظر المرجع نفسه في المقدمة صفحة ٢٤ تابع ثم في النص صفحة ١١ ، ٣٠١-٣٠٢

٢) المرجع نفسه في النص صفحة ١٠-١١ .واسقلينوس هو اسقليبيوس (صفحة٣٠٤)

تلك العناصر كلها تتوحد وتتألف ضمن نزعة تصوفية وميل الى المعرفة والعلم عن سبيل الكشف والذوق والتجربة الروحية التي هي التاله[1] . ولذلك نرى السهروردي يقول في آخر مقدمة كتابه : « حكمة الاشراق » : كتابنا هذا لطالبي التالـه (- Expérience théosophianique) والبحث (Dialectique philosophique) وليس للباحث الذي لم يتأله او لم يطلب التأله فيه نصيب . ولا نباحث في هذا الكتاب ورموزه الا مع المجتهد المتأله او الطالب للتأله . واقل درجات قارئ هذا الكتاب ان يكون قد ورد عليـه البارق الالهي (Fulguration divine) وصار وروده ملكة له . فمن اراد البحث وحده فعليه بطريقة المشائين فانها حسنة للبحث وحده محكمة وليس لنا معه كلام ومباحثة في القواعد الاشراقية ، بل الاشراقيون لا ينتظم أمرهم دون سوانح نورية[2] . فارسطو نعم ، نعم الاستاذ ، ولكن لا يجوز المبالغة فيه على وجه يفضي الى الازراء باساتذيـه ، ومن جملتهم جماعـة من « اهل السفارة والشارعين[3] » .

من هم اهل السفارة والشارعون هؤلاء ؟ يقول الشارح لكتاب حكمة الاشراق « انهم اهل الكتب الالهيـة المنزلة من السماء ، وارباب النبوات ، والشارعون للنواميس . واغاثاذيموس وهرمس واسقلينوس منهم ، كما انهم منهم ايضاً الحكماء المشهورون القدماء جميعهم . فهم جميعاً من عظماء الأنبياء واهل النواميس واصحاب الوحي ، ولهم النصيب الاوفر من الحكمة . فبقوة الوحي والاتصال العقلي قدروا على تدوين الحكمة واظهار الفلسفة اذ ان مبدأ الفلسفة مأخوذ عن الشارعين الفاضلين الجامعين للفضائل النبوية والحكمة الفلسفية[4] » .

وننتهي بذلك من درس فلسفة الاشراق الى النقطة الهامـة فيما يختص بالموضوع الذي نعالجه الا وهي الحصول على العلم عن سبيل النبوة . وللاشراقيين

---

١) المرجع نفسه ، المقدمة الفرنسية ، صفحة ٢٢-٢٤ ، حاشية ٤٩

٢) المرجع نفسه ، النص ، صفحة ١٢-١٣

٣) المرجع نفسه ، النص ، صفحة ١١

٤) المرجع نفسه ، النص ، صفحة ٣٠٤-٣٠٥

في الامر نظرية نجدها عند الاسماعيلية والتعليمية على وجه عام. وهي ان مضمون الرسالة النبوية يكون عند المقربين في الملأ الاعلى. فاول الانبياء المرسلين هو العقل الاول، وآخرهم اعني خاتم الرسالة النبوية والانبياء هو العقل الاخير، رب النوع الانساني، ملاك الانسانية الذي اسمه ايضاً العقل الفعّال او الروح القدس. فعلى الانسان العالم ان يتحد به، ويتم له ذلك بعد التجرد عن الحواس، بالتأويل، اعني بالرجوع بنفسه الى اولها ومبدئها[1]. واذا تم له ذلك الاتحاد نوعاً ما، اصبح الانسان العالم قائماً مقام ملاك الانسانية المشار اليه، حالاً محله. ومهما كثر عدد هؤلاء الناس العالمين الذين حققوا ذلك الشرط وتوصلوا الى ذلك الحد من العلم والمعرفة كانوا جميعاً انبياء، وكان كل منهم «خاتم الانبياء». وبذلك ليس محمد وحده نبياً وخاتم الانبياء، بل ان تلك الميزة التي يتمتع بها يمكن ان تحصل لكل حكيم متأله توصل، بتجرده عن حواسه وبارتفاعه بنفسه، الى الملأ الاعلى فاتحد بالروح القدس الموحي الاعلى، معلم التأويل. فهرمس، وحكماء اليونان، وافلاطون وسقراط وارسطو بقدر ما يتجاوز الحكمة البحثية، ثم جاماسب، زردشت، بزرجمهر عند الفرس، والسهروردي اخيراً شيخ المشرقيين المتبرع، كل هؤلاء الحكماء المتألهين انبياء. وائمة ازمنتهم يقومون بحجج الله ويؤدونها الى اهلها عند الاحتياج، بهم وبامثالهم، ولو كانوا متسترين اليوم، يدوم نظام العالم ويتصل فيض الباري[2].

هذه هي حكمة الاشراق، حكمة ذوقية، تألهية، بالمعنى الذي ذكرت، تجمع بين الفلسفة اليونانية ولا سيما القديم منها والافلاطونية الحديثة وتيارات الفرس الفكرية التي تصبغها نهائياً بصبغتها، وهي في نهاية الامر تستمد موادها ليس من الاستقراء والبحث الفكري، بل من انوار النبوة عن سبيل التأويل.

---

١) انظر كوربين في مقدمته الفرنسية لكتاب ناصر خسرو «جامع الحكمتين»، باريس وطهران ١٩٥٣، صفحة ٦٥ تابع

٢) لكل هذا المقطع انظر «رسالة شق القمر» في الفارسية في مجموعة فرع المخطوطات الايرانية، مخطوط ٢٩، ورقة ١٥-٢٠، انظر تحليلاً لهذه الرسالة عند كوربين، مجموعة دوّم مصنفات شيخ اشراق الخ... الكتاب المذكور في الحاشية رقم ١، المقدمة الفرنسية، صفحة ٥٢-٥٤

الا ان هذه الحكمة ، انا تناولناها بالتحليل وهي قائمة بحد ذاتها ، كمذهب فلسفي مستقل مكتمل ، منتظمة الاصول منسجمة العناصر . ولقد ننتهي الى شيء اوضح واقرب الى تفكير الغزالي اذا ما تتبعنا تلك العناصر في محاولة مفكري الباطنية التعليمية في التأليف بين حكمتهم الالهية وفلسفة اليونان ، كما هو الامر عند احد مشاهيرهم مثلاً ، وهو ناصر خسرو في كتابه جامع الحكمتين .

واول ما يبدو لنا هنا هو ان الوجه الذي كان مفكرو الباطنيين يتصورون عليه الفلسفة اليونانية ليس ذلك الذي نتصورها عليه اذ نعلّمها او ندرسها في جامعاتنا اليوم ، اعني تلك الفلسفة التي تعتمد على مجرد العقل وقواه والتي تتقيد ، على اقل تقدير ، بمعالم المذهب الارسطاطاليسي وخطوطه العامة ان كانت تنفصل عنه في التفاصيل . فالفلسفة اليونانية كانت تبدو للمفكرين الباطنية على نحو ما نراها معروضة في رسائل اخوان الصفا او كتب فلاسفة الاشراق . فالحكمة اليونانية القديمة تبدو لهؤلاء جميعاً كحكمة نبوية ، تلقاها الناس عن الانبياء . هم يرونها من وراء اطار الفيثاغورية الحديثة ، ومذهب انبذقلس كما دخل في التلفيق اليوناني — الفارسي ، او ايضاً من وراء افلاطونية حديثة هي الى خلفاء افلوطين اقرب منها الى افلوطين نفسه ، وهي ، على هذا الوجه كانت قد استطاعت أن تبدو مع شيء من مذهب ارسطو عن سبيل التيولوجيا المشهورة المنسوبة زورا الى ذلك الفيلسوف . فهي هذه الناحية من الفلسفة اليونانية التي يجب ان نفكر بها عندما نتكلم عن محاولة حكماء الباطنيين في ان يؤلفوا بينها وبين حكمتهم . فالحكيم اليوناني بهذا المعنى عند الباطنيين مثله عند السهروردي شيخ الاشراقيين. والباطنيون يحصون بين الحكماء الالهيين القدماء او اهل الحكمة الالهية فيثاغوروس ، وانبذقلس ، وسقراط ، وافلاطون وحتى ارسطو ، ويعتبرون ان تأله هؤلاء المفكرين اليونان خولهم رسالة تشبه رسالة الانبياء ، اذ انهم مرسلون لينبهوا النفوس ويوقظوها من سبات اللاوعي والجهل[1] .

---

١) انظر في ذلك كوربن في مقدمته الفرنسية لكتاب ناصر خسرو « جامع الحكمتين » ، باريس وطهران ١٩٥٣ ، صفحة ٥٣ تابع .

ولكن اذا كانت حكمة التأله هي هي عند الاشراقيين وعند الباطنيين ، واذا كانت الفئتان تستخدم التأويل لفهم الامور ، فان الفئة الثانية ، اعني الباطنيين ، كانت لا تهدف فقط الى غاية نظرية محضة وانتاج مذهب فلسفي قائم بذاته ، بل كانت تسعى ايضاً ، معتمدة على تلك الحكمة الالهية ، الى غاية عملية ، الى تحقيق نظام اجتماعي ، ونشر دين منزل مقيد بنص موحى به ، عليه يقع التأويل وبه يتقيد . والباطنيون يرجعون الى ذلك النص والى تأويله بتقتضى اساليب واسس متواطأ عليها ، اذ ينقدون من آراء حكماء اليونان ما لا ينسجم في محاولتهم في التأليف والجمع بين فلسفة اليونان وحكمتهم . فانهم يرون ، من هذه الناحية ، « ان الفلاسفة والمتقدمين منهم وان كانوا فضلاء في زمانهم فقد استمر عليهم سلطان الخطأ في كثير مما تكلموا عليه من العقليات . ولو كانوا في مدة الاسلام ورأوا ينابيع البركات كيف هي فائضة من بيت الوحي بحقائق الامور على ما عليه الدعوة العلوية[1] لكانوا مع اجتهادهم لانفسهم ينصفون وعن انفسهم كثيرًا من اعتقادهم فيما غاب عن الجواب يقفون ، ولكانوا اثار من جعل الله له نورًا في غوامض الامور يقتفون[2] . فانهم في ازمانهم اتبعوا ارائهم وعقولهم فيما نحوه مالوا ، فصار كل منهم في اعتقاده الى ما تدل عليه مصنفاته على ما عليه اهل الظاهر في الملة الحنفية حين اعتمدوا على عقولهم في سلوك مسالك الديانة . فاختلفت آراؤهم . وبين اولئك تفاضل . فمنهم من اصابته اكثر ومنهم من خطؤه اكثر[3] » .

ومع ذلك فان الباطنيين ، مع يقينهم من انهم على الصواب لانتسابهم الى بيت الوحي واخذهم العلم عن الامام المعصوم عن الخطأ ، ان الباطنيين اقول لا ينبذون آراء هؤلاء الفلاسفة اليونان برمتها بل يحاولون التأليف بين حكمتهم القريبة الى حكمة الاشراق وبين حكمة اليونان على قدر ما هي تألهية بالمعنى

١) التي اليها ينتسب العلويون .

٢) انظر قرآن ٦ : ١٢٢ ، ٢٦ : ٤٠ الخ .

٣) حميد كرماني ، كتاب الرياض ، باب ١ ، فصل ٣٨ ، مخطوط . راجع تحليل هذا الكتاب عند ايڤانوف ، في كتابه *Studies in early Ismaîlisen* ، ليدن ١٩٥٢ ، صفحة ١٣٠ تابع .

الذي شرحت سابقاً ، ولا يعدون اصحابها من اهل الجاهلية الوثنيين . ثم انهم مع عملهم التوافقي هذا بين الحكمتين ينحون باللائمة المرة على هؤلاء الظاهريين، اهل التفسير والتقليد ، فقها . دين الاسلام ، امة الحشويين الذين يقفون عند ظاهر النص المنزل ولا يحاولون ان ينفذوا الى باطنه عن سبيل التأويل . الا انهم لا يقفون من طرف التنزيل الموقف التحريري الذي يقفه فلاسفة الاشراق. فانهم يرون انه بدون التأويل ليس التنزيل الا نصاً جامداً لا حياة فيه ، والخضوع له رق لا يحتمل – ولكنه بدون تنزيل ، يبقى التأويل معلقاً لا سند له . فلا سبيل بعد ذلك الى التأليف بين الحكمة التألهية الباطنية وآراء الفلاسفة الذين ينكرون وجود النبوة ، او الذين لا شبه قط بينهم وبين الانبياء . فالظاهر وحده ، نعم ، هو قشر لا نفع فيه ولا معنى له ، ولكن بدون النص الظاهر لا يكون ثمة وعاء يودع فيه الباطن او حجاب يتستر وراءه فيستخرج بعد ذلك بالتأويل[1] .

وليس غرضي هنا ان ادخل في تفاصيل التأويلات التي يذهب اليها الباطنية في اعتمادهم على ظاهر نص الكتاب المنزل . فخلاصة ما يمكن القول فيها الآن هي انها تنافي العقيدة السنية في الكثير من نواحيها . انما ذكرت هذه الاصطلاحات ومكانتها من محاولة المفكرين الباطنيين في التوفيق بين حكمتهم وفلسفة اليونان ، لانها اساسية اولاً ، ثم لانها تسوقني الى امر مهم جداً يختص بموضوع جملة محاضراتنا ، الا وهو امر النبوة .

اذا كان هنالك تنزيل لا بد منه ، فمن الطبيعي ان يكون ثمة نبي لا بد منه ايضاً ، لمعرفة الامور والحقائق . وناصر خسرو ، في كتابه « جامع الحكمتين » ينحي باللائمة المرة على الطبيب الرازي في استنكاره لوجود النبوة وحملاته عليها[2] . فان الحكمة الباطنية من شأنها ان تزمن الخلاص ، خلاص النفس من الحواس ، عن سبيل التأله المستند على التأويل . ولكن لا تكفي

---

١) راجع في كل ذلك كوربين ، المقدمة الفرنسية لكتاب ناصر خسرو « جامع الحكمتين » ، صفحة ٦٥ تابع .

٢) المرجع نفسه ، صفحة ١٢٩ وتابع .

لذلك معرفة الادلة العقلية وترتيبها، وعمل الاقيسة التامة وسبكها. فلأحداث العلم لا بد من صدمة، وهذه الصدمة لا يقوى العقل الفلسفي على احداثها بجهد ذاته ومجرد قواه لان العقل ذلك لا يمكنه ان يقنع النفس على ان تتجرد من حواسها وان تتخلص من عالم الدنيا الذي قد تراه نعيمها. فالنفس لن تتنبه وتنهض وتقوم الا باصطدامها بحرف التنزيل، وحينئذ تتم ولادتها الدينية الروحانية، ثم تتطور وتكتمل اذ تنفذ عن سبيل التأويل الى باطن ذلك الحرف او النص الظاهر[1].

لا شك في ان فكرة النبي عند الباطنية لا تتفق تمام الاتفاق مع فكرة النبي عند اهل السنة. الا ان الامر الواقع هو انهم يرون انه لا بد منه للحصول على العلم والمعرفة وهم يتميزون ايضاً عن الاشراقيين بانهم يرون ان محمداً هو هو النبي الاعظم وخاتم الانبياء. ويتصورون على انه، في ايصال الوحي الى الناس، هو الاصل الناطق اعني الذي ينطق بالتنزيل: فينقله الى الوحي فينقله هذا بدوره الى الامام الذي يصبح بعد ذلك المعلم المعصوم عن الخطأ، وهو الذي يكون صاحب التأويل الصحيح الذي يهدي الناس الى بواطن الامور وحقائقها المستترة وراء حرف التنزيل. وكل ذلك داخل في فلسفة نظرية محكمة وليس فقط نظاماً عملياً اجتماعياً وسياسياً او بالاحرى ان ذلك النظام الاجتماعي السياسي القائم على ضرورة وجود الامام مرتبط ارتباطاً محكماً بتلك الفلسفة النظرية لا بل انه المبدأ الاساسي فيها، مبدأ الامامة اي تسلم العلم والمعرفة عن سبيل امام معصوم عن الخطأ لا بد من التقيد بتعليمه للوصول الى الحق واليقين.

ويمكننا الآن ان نعلل بتمام المعنى كل هذه الفوارق التي سجلناها بين الغزالي وارسطو في موقفهما من المنطق خاصة والعلم والمعرفة بصورة عامة. اجل ان الغزالي كان عالماً اسلامياً سنياً شديد التقيد بعقيدته الدينية. فما كان ليمكنه ان يتبع ارسطو في تحرره الفكري ويترك لعقله المجال في ان يسير كل مسير في حقل العقليات والنظريات. فلا يعتمد على مجرد العقل وقواه ليتبين الحق من الباطل بل يرجع دوماً الى مجموعة النظريات التي تؤلف عقيدته فيأخذ ما وافقها وينبذ ما خالفها.

١) المرجع نفسه، صفحة ١٤١ وتابع.

ثم ان الغزالي ما كان ليفقه الاستقراء الارسطاطاليسي معنى لانه كان يرى ان العلم لا يأتيه عن تنبيل مجرد العقل بل عن سبيل التلقي من نبي وصل اليه العلم بالوحي المأخوذ عن ملاك . وكانت لغته ، بعبقريتها ، لا تفسح له المجال للاعتماد على ذلك الاستقراء . لان الاستقراء يتطلب نظرة العقل Evidence التي تنفذ الى صميم الشيء المعلوم وتفتحه وتلج فيه وتحلله الى كل عناصره ، فترى ما يتستر وراء الجزئيات الحسية من قوانين وكليات عقلية ضرورية ابدية .

الا اننا ، فوق كل ذلك ، نعرف ان الغزالي ألف كل مؤلفاته وهو يفكر بنظريات الباطنية في العلوم والمعرفة . فاخذ هذه النظريات وجردها من معناها الباطني ونفحها بمعنى سني . فهو ايضاً ، مثل الباطنيين يقول بالباطن والظاهر والتأويل ولكنه على غير الوجه الذي يراه الباطنيون . والباطنيون يستندون الى الفلسفة اليونانية نعم ، ولكن مثل الاشراقيين ، او لانهم اشراقيون لا يستندون الى تلك الفلسفة البحثية الفكرية التي وضعها ارسطاطاليس بل الى الفلسفة التي هي حكمة ذوقية قبل كل شيء . فان تقيدت بمنطق ارسطو فذلك لترتيب نظرياتها ومعلوماتها ليس غير ، وتمهيداً للوصول الى الحكمة التألهية التي تعد كالغرض والغاية . وتلك الحكمة التألهية لا تنال ولا تتم الا عن سبيل التقيد بنبي يصله العلم عن سبيل الوحي . فلذلك كله لم يأخذ الغزالي عن ارسطو الا المنطق الصوري واسقط المنطق المادي ، ثم كان جاهلاً لوضع الاستقراء ، واخيراً كان متبرئاً من الحكيم اليوناني ارسطو ومخلصاً الولاء للنبي العربي السامي محمد خاتم الانبياء .

رسالة في التصوّف (تابع)

شرحها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

الفصل الحادي عشر: في بيان السعادة والشقاوة

اعلم ان الناس لا يخلوا من هذين القسمين او احدهما فاذا تبدّلت حسناته واخلاصه تُبدِّلُ جهة شقاوته الى السعادة اي تُبدّل النفسانية الى الروحانية واذا اتبع هواه انعكس الامر واذا استوى الجهتان فالرجاء على الخير كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشرُ امثالها فزاد في الحسنة دون السيئة ووُضع الميزان لاجلها اي السعيد والشقي لان مَن تبدّل من النفسانية الى الروحانية بالكلية فلا حاجة الى الميزان له فهو يدخل الجنة بغير حساب ومن ترجح حسناته يدخل الجنة بلا عذاب كما قال الله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن ترجح سيئاته يُعذَّب بقدر جنايته ثم يخرج من النار ان كان له ايمان ويدخل الجنة ومرادنا من السعادة والشقاوة ان الحسنات والسيئات تُبدل احديها بالاخرى كما قال النبي صلعم السعيد قد يشقى والشقي قد يُسعد فاذا غلبت السيئات يكون من اهل النار واذا تاب وعمل صالحًا تتبدّل شقاوته الى السعادة وانّما المقدّر في الازل من السعادة والشقاوة لكلّ واحد كما قال عليه الصلوة والسلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي شقيّ في بطن امه فليس فيه لاحد بحثٌ لانه من سرّ القدَر ولا يجوز لاحد ان يحتجّ بسر القدر كما قال صاحب التفسير البخاري رحمه الله تعالى ان كثيرًا من الاسرار يُعلَم ولا يُتكلَّم به كسرّ القدر فان ابليس احال امره على سرّ القدر فلُعن بذلك وان آدم عليه السلام اضاف عصيانه الى نفسه فافلح ورُحم وفي مناجاة بعض العارفين: الهي انت قدّرت وانت اردت وانت خلقت المعصية في نفسي. فهتف به هاتف: يا عبدي هذا شرط العبودية. فعاد وقال انا اخطأت وانا اذنبت وانا ظلمت نفسي. فعاد الهاتف وقال: انا غفرت وانا عفوت وانا رحمت وقد اوّلوا ان المراد من الآدم في الحديث مجموع العناصر التي تتولّد منها القوى البشرية فالتراب والماء مظهر السعادة لانها مُحيان ومُنبتان العلم والايمان والتواضع في القلب. واما جزء النار

والريح فبالعكس لانها محرقان وميتان فسبحان من جمع بين هذه الاضداد في جسم واحد . سُيل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى بمَ عرفت الله تعالى قال بجمع الاضداد وذلك لان الانسان نسخة امّ الكتاب ومرآة الحقّ جلالًا وجمالًا جامعُ الكونين ويُسمّى كونًا جامعًا عالمًا اكبر لان الله تعالى قال : انا خلقت بيدي اي بيدى القهر واللطف لانه لا بُدَّ للمرآة من جهتين جهة الكثافة واللطافة فيكون مظهر الاسم الجامع بخلاف سائر الاشياء فانها خُلقت بيد واحدة اي بصفة واحدة إمّا صفة اللطف فقط كالملائكة فهم مظاهر اسم السُّبوح واما صفة القهر فقط كابليس وذرّياته فهم مظهر اسم الجبّار . ولذلك تجبّر وتكبّر عن السجدة لآدم عليه السلام. فالانسان جامعٌ لجميع الخواص من الكون عُلوًّا وسفلًا. فالانبياء معصومون والاولياء ليسوا معصومين وقيل محفوظون بعد كمال الولاية قال شقيق البلخي رحمه الله تعالى علامة السعادة خمسة لين القلب وكثرة البكاء والزهد في الدنيا وقصر الامل وكثرة الحياء . وعلامة الشقاوة خمسة قسوة القلب وجمود العين والرغبة في الدنيا وطول الامل وقلّة الحياء. وقال عليه الصلوة والسلام علامة السعيد اربعة اذا أوتمن عَدَلَ واذا عاهد وَفَى واذا حدّث صدق واذا خاصم لم يفجر. وعلامة الشقي اربعة اذا أوتمن خان واذا عاهد خالف واذا حدّث كذب واذا خاصم فجر ولا يعفو ومن عفا واصلح فاجرُهُ على الله واعلم انّ تبدُّل السعادة الى الشقاوة او عكسه يكون بالتّربية كما قال عليه الصلوة والسلام كلّ مولودٍ يولد على فطرة الاسلام ولكن ابواه يهوّدانه او ينصّرانه او يمجّسانه يَدُلّ على ان في كل احد قابلية السعادة والشقاوة فلا يجوز ان يُقال ان هذا سعيدٌ محض او شقيّ محض بل يقال لسعيدٌ اذا غلبت حسناته وكذا عكسه. ومن قال غير هذا فقد ضلّ كالقدريّة قعدوا عن العمل الصالح وقالوا لا فائدة في العمل فانه لا يغيّر القدر وهذا ضلال لانهم اعتقدوا ان دخول الجنّة بلا عملٍ وتوبة ودخول النار بلا معصية وهذا خلاف النصوص لانّ الله تعالى وعد الجنّة لاهل الصالحات والنار لاهل المعاصي والشرك والكفر كما قال الله تبارك وتعالى مَن عمل صالحًا فلنفسه ومن اساءَ فعليها. وقال تعالى اليوم تُجزى كلّ نفس بما كسبت وقال تعالى وان ليس الانسان الّا ما سعى وان سعيه سوف يُرى ثم يُجزاه الجزاء الاوفى .

الفصل الثاني عشر : في بيان الفقراء

انما سمّوا صوفية. قال بعضهم لانهم كانوا يلبسون الصوف. وقال بعضهم لانهم صفّوا قلوبهم مما سوى الله تعالى. وقال بعضهم لانهم قائمون يوم القيمة في الصف الاول وهو عالمُ القربة لان العالم اربعة عالم المُلك وعالم الملكوت والجبروت واللاهوت وهو عالم الحقيقة وكذا الارواح اربعة روحٌ جسماني وروح السرّ وروح سلطاني والرابع الروح القدسي . وكذا التجليات اربعة تجلّي الاثار وتجلّي الافعال وتجلّي الصفات وتجلّي الذات وكذا العقل اربعة الاول عقل المعاني والثاني عقل المعادي والثالث عقل الروحاني والرابع العقل الكلّي وهذه العوالم المذكورة والعلوم الاربعة والارواح الاربعة والتجليات الاربعة والعقول الاربعة المذكورات اهل. فبعض الناس مقيّدون بالعلم الاول وبالروح الاوّل وبالعالم الاول وبالتجلي الاول وبالعقل الاول وبعضهم مقيّدون بالثواني وبعضهم مقيّدون بالثوالث وبعضهم مقيّدون بالغفلة عن حقيقة الامر واهل الحقّ والعناية من الفقراء العارفين الكُمّل نفذوا من كلّها ووصلوا الى الحقيقة والقربة ولم يتقيّدوا بشيء سوى الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام وهما حرامان على اهل الله تعالى اي الدنيا والآخرة. وفي الحديث القدسي محبّتي محبة الفقراء. وقال عليه الصلوة والسلام الفقر فخري والمراد من الفقر الفناء بالله تعالى بحيث لا يبقى في نفسه لنفسه شيء. ولا يكون في قلبه غير الله تعالى وغير حبّه كما قال تعالى ما وسعني ارضي ولا سمائي بل وسعني قلبُ عبدي المؤمن اي المؤمن الذي صفا قلبه من صفات البشرية وخلا من الاغيار فوسع الحق في قلبه بالانعكاس. وقال ابو يزيد رحمه الله تعالى لو ان العرش وما حواه في زاوية من زوايا قلب العارف ما احسّ به. فمن احبّ هؤلاء المحبّين فهو معهم في الآخرة وعلامة حبهم حبّ محبتهم وطريقتهم والاشتياق الى الله تعالى ولقائه كما قال في الحديث القدسي خطاباً لداود عليه السلام طال شوق الابرار الى لقائي واني اشد شوقاً اليهم. واما لباسهم فهو على ثلثة اوجه صوف الغنم للمبتدئ وصوف الغنم للمتوسط وصدق المِرعز للمنتهي وهو صوف المربّع . قال صاحب تفسير المجمع : يليق كلُّ خشن من الملبس والمطعم والمشرب لانهم اهل الابتداء ويليق بالعرفاء

الواصلين كل لين منها والظاهر عنوان الباطن فعمل المبتدى متلون بالالوان الذميمة القبيحة والحميدة ومخلوط وعمل المتوسط متلون بالالوان الحميدة مثل انوار الشريعة والطريقة والمعرفة فلباسهم كذلك مثل البياض والزرقة والخضرة وعمل المنتهي خال عن الالوان مثل نور الشمس . فنورها لا يفيد الالوان مثل السواد لا يقبل الالوان وهو علامة الفنا. وهو نقاب نور معرفتهم كما ان الليل نقاب نور الشمس. وقد قال الله تعالى وجعلنا الليل لباساً فيه اشارة لطيفة لمن له لب وايضاً اهل القربة في الدنيا سجن وغربة وغم وغصة ومحنة وظلمة وشدة كما قال عليه الصلوة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فيليق بالظلمة لباس الظلمة وقد صح ان النبي صلعم لبس الاسود وتعمم بعمامة سودا. وهذا لباس البلا. موكل بالانبيا. ثم الاوليا. ثم الامثل فالأمثل . وقال صلعم المخلصون على خطر عظيم وهذا كله من صفة الفقراء والفنا. وفي الخبر الفقرا. سود الوجه في الدارين معناه لا يقبل الالوان والسواد بمنزلة خال في وجه جميل يزيده جمالاً وملاحة فاذا نظر اهل القربة الى جمال الله تعالى فبعد ذلك لا يقبل نور اعينهم غير الله تعالى ولا ينظرون الى ما سوى الله تعالى بالمحبة بل يكون محبوبهم ومطلوبهم هو الله تعالى في الدارين لا يقصدون غيره تعالى لان الله تعالى خلق الانسان لمعرفته وصلته فالواجب على الانسان ان يطلب ما خلق لاجله في الدارين كيلا يضيع عمره بما لا يعنيه .

الفصل الثالث عشر : في بيان الطهارة

وهي على نوعين طهارة الظاهر بماء الشريعة وطهارة الباطن بالتوبة والتصفية من المعاني الدنية وبسلوك الطريقة فاذا نقض وضوء الشريعة يجب تجديد الوضوء بالماء كما ورد : من جدد الوضوء جدد الله ايمانه . واذا نقض وضوء الباطن بالافعال الذميمة والاخلاق الدنية الردية وهي كالكبر والعجب والحقد والحسد والغيبة والنميمة والبهتان والكذب والخيانة مثل الجناية بالعينين واليدين والرجلين والاذنين كما قال النبي صلعم العينان تزنيان الحديث فتجديد التوبة بالاخلاص عن هذه الامور المفسدات وتجديد الانابة بالندم والاستغفار يقمعها من الباطن وينبغي للعارف ان يحفظ تربيته من هذه الآفات ليكون صلوته تامة كما قال

الله تعالى هذا ما توعدون لكل اوّاب حفيظ. فوضوء الظاهر وصلاته موقّتة كل يوم وليلة لخمس صلوات بخلاف الوضوء في الباطن فانه وصلاته مؤبدٌ في العمر في كل يوم وليلة وكل حين متصل .

الفصل الرابع عشر: في بيان صلوات الشريعة والطريقة .

اما صلوة الشريعة فقد عُلمت بهذه الآية : حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى والمراد اركان الجوارح الظاهرية بحركات جسمانية مثل القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود والصوت والالفاظ . واما صلوة الطريقة فهي صلوة القلب مؤبد . وقد عُلمت بهذه الآية بقوله تعالى والصلوة الوسطى اي صلوة القلب لان القلب خُلق في وسط الجسد بين اليمين والشمال وبين العُلوي النوراني والسُفلي الظلماني وبين السعادة والشقاوة كما قال عليه الصلوة والسلام: ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. والمراد من الاصبعين صفة القهر واللطف فبهذه الآية والحديث يُعلَم ان الاصل صلوة القلب فاذا غفل القلب عن صلوته فسدت صلوته وصلوة جوارحه كما قال عليه الصلوة والسلام لا صلوة الّا بحضور القلب المراد منه نفي ثواب الصلوة وفضيلتها لا نفي جوازها مطلقاً كما قال عليه الصلوة والسلام ان في جسد ابن بني آدم لمضغة اذا صلُحت صلُح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وصلوة الشريعة ان يُصلي هذه الصلوات بالجملة متوجهاً للكعبة تابعاً للامام . واما صلوة الطريقة فهي مؤبدة في عمره ومسجدها القلب وجماعتها اجتماع القوى الباطنية على الاشتغال باسماء التوحيد وإمامها الشرق في الفؤاد وقبلتها حضرة الاحدية وجمال الصمدية وهي القبلة الحقيقة والقلب والروح مشغول بهذه الصلاة على الدوام وهو لا ينام ولا يموت بل مشغول في النوم واليقظة بذلك بلا صوت ولا قيام ولا قعود فهو مخاطب بقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ومتابع للنبي صلعم. ففي تفسير القاضي هنا هذا اشارة الى حال العارف وانتقاله من حالة الغيبة الى الحضور. ولذلك قال النبي صلعم الانبيا. والاوليا. يُصلّون في قبورهم اي مشغولون بالله تعالى ومناجاته لحياة قلوبهم . فاذا اجتمعت صلاة الشريعة والطريقة ظاهراً وباطناً فقد تمّت صلاته فله اجر عظيم في الدرجة والقُربة فيكون عابداً في الظاهر عارفاً في الباطن. واذا لم

تحصل صلاة الطريقة لحياة القلب فهو ناقص فيكون اجره من الدرجة لا من القربة.

الفصل الخامس عشر : في بيان طهارة المعرفة

في عالم التجريد على نوعين: طهارة معرفة الصفات وطهارة معرفة الذات. فطهارة معرفة الصفات لا تحصل الّا بالتلقين وتصفية مرآة القلب بالاسماء من النقوش البشريّة والحيوانية فيُصفي القلب ويحصل له بذلك النظر بعين القلب من عكس جمال الله تعالى. والمؤمن مرآة المؤمن. وكما ورد العالم ينقش والعارف يصقل فاذا اتمّ التصفية بملازمة الاسماء حصّل معرفة الصفات بمشاهدتها في مرآة القلب. واما طهارة معرفة الذات في السر لا تحصل الا بملازمة اسماء التوحيد الثلاثة الاخيرة من الاسماء الاثني عشر في عين السرّ بنور التوحيد . فاذا تجلّت انوار الذات ذابت البشرية وفنيت بالكلّية. فهذا مقام الاستهلاك وفناء الفناء. وهذا التجلي يمحو جميع الانوار كما قال الله تعالى كل شيءٍ هالكٌ الّا وجهه فيبقى الرّوح القدس بنور القدس ناظرًا اليه ناظرًا به ومنه ومعه وفيه وله بلا كيف ولا تشبيه لان الله تعالى ليس كمثله شيء. فيبقى النور المطلق ولا يمكن الاخبار عما وراء ذلك لانه عالم المحو لا يبقى ثمّة عقل يُخبِر عنه ولا محرم غير الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام لا يسعني فيه ملَكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل وهذا عالم التجريد من غير الله تعالى كما قيل تجرّد تصل والمراد من التجرد فناء كل الصفات البشرية فيبقى في عالمه بصفة الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام تخلّقوا باخلاق الله تعالى والله الموفّق .

الفصل السادس عشر : في بيان زكاة الشريعة والطريقة

فزكاة الشريعة ان يُعطى من كسب الدنيا الى اهل الزكاة . واما زكاة الطريقة فهي ان يُعطى من كسب الاخرة كلّه في سبيل الله تعالى الى فقراء الدين والمساكين الاوخروية . والزكاة تسمّى صدقة لان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان تصل الى يد الفقراء . والمراد منه قبول من الله تعالى لها وزكاة الطريقة مؤبّدة وهي ان يُعطى ثواب كسب الاخرة للعاصين لرضاء الله تعالى ويغفر الله لهم وذلك مثل ثواب الصلوة والزكاة والصوم والحج وثواب التسبيح

والتهليل وتلاوة القرآن والسخا. وغير ذلك من الحسنات ولا يُبقي لنفسه شيئاً من ثواب حسناته ويبقى مفلساً. فالله تعالى يُحبُّ السخاوة والافلاس والمفلس في امان الله تعالى في الدارين . فالعبد وما في يده كان لمولاه . فاذا كان يوم القيامة اعطاه الله تعالى بكل حسنة عشر امثالها كما قال الله تعالى مَن ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة . والمراد من القرض ان يُعطي ما له من الحسنات في سبيل الله احتساباً لوجه الله تعالى شفقةً بلا منة ولا طلب عوض في الدنيا وهذا من قِسم الانفاق في سبيل الله تعالى. قال الله تعالى: لن تنالوا البرّ حتى تُنفقوا مما تحبّون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم.

الفصل السابع عشر : في بيان صوم الشريعة والطريقة

فصوم الشريعة ان يُمسك عن المأكولات والمشروبات وعن وقاع النساء نهاراً وغير ذلك . واما صوم الطريقة فهو ان يمسك جميع اعضائه عن المحرّمات والمناهي والذمايم مثل الغيبة والاعجاب والكبر والبخل والحسد والحقد والنميمة والبهتان والكذب وغير ذلك ظهراً وباطناً . فكل ما يُبطل صوم الطريقة فهو ناقص اجراً وصوم الشريعة مؤقت وصوم الطريقة مؤبد في جميع عمره . قال صلعم :رُبَّ صائم ليس له من صومه الا العطش والجوع ولذلك قيل كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم اي يمسك اعضائه من الآثام وايذاء الناس بالجوارح كما قال الله تعالى في حديث قدسي:الصوم لي وانا أجزي به . وقال عليه الصلوة والسلام للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند الرؤية. قال اهل الشريعة المراد من الافطار الاكل عند غروب الشمس ومن رؤية الهلال في ليله العيد . وقال اهل الطريقة الافطار عند دخول الجنة بالاكل مما فيها من النعيم وفرحة عند الرؤية اي عند لقاء الله تعالى يوم القيامة بنظر السرّ معاينة . واما صوم الحقيقة فهو امساك الفؤاد عن محبّة ما سوى الله تعالى وامساك السر عن محبة مشاهدة غير الله تعالى كما ورد : الانسان سرّي وانا سرّه والسرّ من نور الله تعالى فلا يمسك غير الله تعالى وليس له سواه محبوب ولا مرغوب ولا مطلوب في الدنيا والآخرة فاذا وقعت فيه محبة غير الله تعالى فسد صوم الحقيقة . واما قضاؤه فان يرجع الى محبة الله تعالى ولقائه وجزاء هذا الصوم لقاء الله تعالى في الآخرة

كما قال الله تعالى: الصوم لي وانا اجزي به وهو النظر الى الجمال القديم الازلي .

الفصل الثامن عشر : في بيان الحج

وهو على نوعين: حج الشريعة وحج الطريقة . فاما حج الشريعة فهو ان يحج الى بيت الله تعالى بالشرائط والاركان حتى يحصل الحج وثوابه لان الله تعالى امر باتمام الحج بقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله فمن شرايط حج الشريعة الاحرام اولاً ثم دخول مكة ثم طواف القدوم ثم الوقوف بعرفة ثم وقوف المزدلفة ثم ذبح الاضحية في منى ثم حلق الرأس ثم دخول الحرم ثم طواف بالبيت سبعة اشواط ثم ان يشرب من ماء زمزم ثم ان يصلي ركعتي الطواف في مقام ابراهيم عليه السلام ثم ترك محرمات الاحرام من الصيد وقطع شجر الحرم ونحو ذلك فجزاء هذا الحج العتق من الجحيم والامن من قهر الله تعالى كما قال الله تعالى ومن دخله كان آمناً ثم طواف الوداع ثم الرجوع الى وطنه . واما حج الطريقة فزاده وراحلته الميل اولاً الى صاحب التلقين ثم ملازمة الذكر باللسان وملاحظة معناه بالقلب حتى تحصل حياته ثم الاشتغال بذكر الباطن ليصفو بملازمة اسماء الصفات فتطهر كعبة السر بانوار صفات الجمال كما امر الله تعالى ابرهيم واسماعيل عليهما الصلوة والسلام بتطهير الكعبة المشرفة بقوله تعالى واوحينا الى ابرهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين . فكعبة الظاهر تطهيرها لاجل الطائفين من الخلق وكعبة الباطن تطهيرها لنظر الخالق فما اجدر هذه بالتطهير مما سواه تعالى ثم خرج بنور الروح القدس ثم دخل كعبة القلب ثم طاف طواف القدوم بملازمة الاسم الثاني ثم ذهب الى عرفات القلب وهو موضع المناجاة فوقف بها بملازمة الاسم الثالث والرابع ثم ذهب الى مُزدلفة الفؤاد وجمع بين الاسم السادس والخامس ثم ذهب الى منى السر وهي ما بين الحرمين فوقف بينهما ثم ذبح النفس المطمئنة بملازمة الاسم السابع لانه اسم الفناء. الثاني ورفع حجاب الكفر كما قال عليه الصلوة والسلام الكفر والايمان مقامان ما وراء العرش وهما حجابان بين العبد وبين الله تعالى احدهما اسود وهو الجلالية والثاني ابيض وهو الجمالية. ثم يحلق رأس الروح من صفات البشرية بملازمة الاسم الثامن ثم دخل حرم السر بملازمة الاسم التاسع ثم وصل الحدوية العاكفين فيتكف في بساط القربة

والانس بملازمة الاسم العاشر ثم رأى جمال الصديّة بلا كيف ولا شبيه ثم طاف سبعة اشواط بملازمة الاسم الحادي عشر وهي ستة من اسماء الفروع ثم يشرب من يد القدرة كما قال الله تعالى وسقاهم ربهم شراباً طهوراً بقدح الاسم الثاني عشر ثم يرفع الوجه الباقي فينظر بنوره الى وجه الله تعالى . وهذا معنى قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يعني كلام الله تعالى بلا واسطة الحروف والاصوات ولا خطر على قلب بشر يعني ذوق الرؤية والخطاب ثم حلّل ما حرّم الله تعالى عليه بتبديل السيئات الى الحسنات بتكرار اسماء التوحيد كما قال الله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدل سيئاتهم حسنات. وقال عليه الصلوة والسلام اذا احب الله عبداً لم يضره ذنب والمعنى اذا احب الله العبد وفّقه للتوبة فيتوب فلا يضيره الذي صدر منه قبل التوبة . وقال النبي صلعم ما من شيء احب الى الله تعالى من شاب تائب ثم العتق من التصرفات النفسانية . ثم الامن من الحزن والخوف كما قال الله تعالى. الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفضله وكرمه. ثم طواف الوداع بتكرار الاسماء كلها ثم الرجوع الى وطنه الاصلي في عالم القدس في احسن التقويم بملازمة الاثني عشر ويتعلق بعالم اليقين - وهذه التأويلات في دائرة اللسان والعقل . واما ما وراء ذلك فلا يمكن الاخبار عنه لانه لا تدركه الافهام والاذهان ولا يسعه الا الخواص كما قال عليه الصلوة والسلام : ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بامر الله تعالى فاذا نطقوا به انكره اهل الغرّة والعارف يقول ما دونه والعالم يقول ما فوقه فان علم العارف سرّ الله تعالى ولا يعلمه غير الله تعالى فانه يعلم السرّ واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى . وقال تعالى: ولا يحيطون بشيء من علمه الّا بما شاء .

الفصل التاسع عشر : في بيان الوجد والصفاء

قال الله تعالى: تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية . وقال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله الآية. وكما ورد جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن لا وجد له لا دين له . قال الجنيد البغدادي الوجد

بمصافاة الباطن فتُنتج وارداً من الله تعالى يورث او حزناً . الوجدُ على نوعين : وجد الجسمانية النفسانية ووجد الروحانية الرحمانية . فوجد النفسانية ان يتواجد بقوة الجسم بغير قوة الجذبة الغالبة الروحانية مثل الرياء والسمعة والشهوة كما ورد الشهوة آفة . وهذا القسم كله باطل لان اختياره غير مغلوب ولا مسلوب ولا تجوز الموافقة لمثل هذا الوجد . واما وجد الروحانية وهو ان تقوى الروحانية بقوة الجذبة مثل قراءة القرآن بصوت حسن او شعر موزون او ذكر مؤثر فلا يبقى للجسم حركة ولا اختيار وهذا الوجد الرحماني تستحبّ موافقته واليه الاشارة بقوله تعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الآية وكذا أصوات العشاق والطيور والحان القواني . ففي كل ذلك قوة للروح ولا مدخل للنفس والشيطان في مثل هذا الوجد لان الشيطان في الظلمانية النفسانية ولا تصرّفَ له في النورانيات الروحانية فانه يذوب منها كما يذوب الملح في الماء كما في الحديث . ففي قراءة القرآن واشعار الحكمة والمحبة والعشق والاصوات الحزينة قوت نوراني للروح . فالواجب ان يصل النور الى النور وهو الروح كما قال الله تعالى والطيّبات للطيّبين . واما اذا كان الوجد شيطانياً ونفسانياً لا يكون فيه نور بل ظلمانياً وكفراً وضلالاً والظلماني يصل الى الظلماني وهو النفس فيقوى به لانه من جنسه وشبيه الشي . فيجذب اليه كما قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين وليس للروح فيها قوة . فحركات الوجد نوعان : اختيارية كحركات الانسان الصحيح ليس في جسده ألم ولا مرض . فهذه الحركات للواجد غير مشروعة كما مرّ . والثاني الحركات الاضطرارية وهي التي تحصل بسبب آخر مثل قوة الروح فلا تقدر النفس على منعه لان هذه الحركات غالبة على الحركات الجسمانية مثل حركات المحمى عليه لان الحمى اذا غلبت عجزت النفس عن تحملها فلا اختيار لها حينئذٍ . فالواجد اذا غلبت عليه الحركات الروحانية يكون الوجد حقيقياً وروحانياً ورحمانياً ، والوجد والسماع آلة محركة لما في قلوب العشاق والعارفين . والوجد قوت لارواح المحبين ومقوّي الطالبين كما ورد : ان السماع لقوم فرضٌ ولقوم سنّةٌ ولقوم بدعة . الفرض للخواص والسنة للمحبين والبدعة للغافلين . وكما ورد : من لم يتحرك عند السماع فليس منا حتى قيل من لم يحركه السماع بأشعاره والربيع بأزهاره والعود بأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وهو ناقص عن الجمال

والطيور بل وعن سائر البهائم فان جميعها يتأثر بالنغمات الموزونة . فالجاهل بالحد ويحصل لها الطرب والهيام وتقطع المسافة الطويلة في المدة القليلة. ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته. والوجد الى عشرة اوجه بعضها جلي يظهر اثره في حركات الجسم وبعضها خفي لا يظهر اثره في الجسد كثل القلب الى ذكر الله تعالى وقراءة القرآن العظيم بالصوت الحسن ومنها البكاء والتألم ومنها الحزن والخوف ومنها التأسف والحيرة وتولّد عند ذكر الله تعالى ومنها التحسّر والنفرة ومنها التغيّرة في الظاهر والباطن ومنها الطلب والشوق ومنها الحرارة والمرض والعرق عند ذكر الله تعالى وغير ذلك من الواردات الرحمانيّة.

الفصل العشرون : في بيان الخلوة والعزلة

وهي على وجهين ظاهرة وباطنة . فالخلوة الظاهرة عزل نفسه وحبس بدنه عن الناس لئلا يُؤذى الناس بالاخلاق الذميمة ولتترك النفس مألوفاتها وتحبس حواسّها الظّاهرة لفتح الحواس الباطنة بنيّة الاخلاص، والموت ودخول القبر وتكون نيّته في ذلك رضى الله تعالى ودفع شرّ نفسه عن المسلمين كما قال صلعم من سلّم المسلمون من لسانه ويده. وقال عليه الصلوة والسلام من حُسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فيكفّ لسانه عما لا يعنيه وكذلك بقيّة الجوارح كما قال عليه الصلوة والسلام سلامة الانسان من قبل اللسان وملامة الانسان من قبل اللسان وكفّ عينيه من الخيانة والنظر الحرام. قال تعالى: ما يلفظ من قول الّا لديه رقيب عتيد . وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكذلك في رجليه واذنيه . قال عليه الصلوة والسلام العينان تزنيان والاذنان تزنيان واليدان تزنيان والفرج يصدّق ذلك او يكذبه ويحصل من كل زنًى من هذه الاعضاء شخص قبيح في صورة الاسود يقوم معه يوم القيامة ويقعد معه في قبره ويشهد عليه عند الله تعالى ويأخذ صاحبه فيعذّبه في النار فاذا تاب وحبس نفسه كما قال الله تعالى ونهى النفس عن الهدى وتُبدلُ صورته الى صورة امرد مليح من غلمان الجنة وينجو من الشر وكأن الخلوة وحصنه من المعاصي فيبقى عمله صالحًا ويكون محسنًا كما قال الله تعالى ان الله لا يُضيع اجر المحسنين . وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملًا صالحًا ولا يُشرك بعبادة ربّه

احذا؛ اي يكون خاليًا عن ما سوى الله تعالى . واما الخلوة الباطنة فهي ان لا يدخل في قلبه شيئًا من التفكرات النفسانية والشيطانية مثل محبة المأكولات والمشروبات والملبوسات ومثل محبة الاهل والعيال والحيوانات والريا والسمعة ومثل ذلك من الصفات الذميمة كما ورد : الشهوة آفة وكلٌّ يتمناها والخمول راحة وكلٌّ يتوقاها ولا يدخل في قلبه شيئًا من الكبر والعجب والبخل والحسد والغيبة والنميمة والحقد والقهر والغضب وغير ذلك من الذمايم : فاذا دخل في قلب المختلي شيء من هذه الذمايم فسدت خلوته وقلبه وما في قلبه من الاعمال الصالحة والاحسان فيبقى القلب بلا منفعة كما قال تعالى : ان الله لا يُفلح عمل المفسدين وكل من في قلبه شيء من هذه المفسدات فهو من المفسدين وان كان في الظاهر في صورة المصلحين كما قال عليه الصلوة والسلام الغضب يُفسد الايمان كما يفسد الخلّ العسل . وقال عليه الصلوة والسلام الكبر : والعجب يفسد الايمان . وقال عليه الصلوة والسلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . وقال عليه الصلوة والسلام الغيبة اشد من الزنا . وقال عليه الصلوة والسلام : الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها . وقال عليه الصلوة والسلام البخيل لا يدخل الجنة ولو كان زاهدًا عابدًا . وقال عليه الصلوة والسلام الريا شرك خفي . وقال عليه الصلوة والسلام النمّام لا يدخل الجنة وغير ذلك من الاحاديث الواردة والاخلاق الذميمة فهذا محلّ الاحتياط والمقصود اولًا من التصوّف تصفية القلب منها قمع هوى النفس وقلعه من اصله يحصل بالخلوة والرياضة والصمت وملازمة الذكر بالارادة والمحبة والتوبة والاخلاص والاعتقاد الصحيح السني سالكًا على آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن المشايخ والعلماء العاملين بعلمهم رحمهم الله تعالى فاذا حُبس المؤمن الموحّد في الخلوة بالتوبة والتلقين وحافظ على هذه الشروط المذكورة خلّص الله عمله وعلمه وقلبه ولين جلده وقلبه وطهره ولسانه وجمع حواسه في الظاهر والباطن ورفع عمله الى حضرته وسمع دعاءه اي قبله كما يقال : سمع الله لمن حمده اي قبل الله تعالى ثناءه ودعاءه ونداءه وتضرّعه وانا له غرضه من القربة والدرجة كما قال الله تعالى : اليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه والمراد من الطيّب الخالص وحفظ لسانه من اللغو لكرته آلة لذكر الله تعالى وتوحيده كما قال الله تعالى قد

افلح المؤمنون هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الآية: فيدفع الله العلم والعمل والعامل الى رحمته وقربته ودرجاته بالمغفرة والرضوان واذا حصلت هذه المراتب للخلوة كان قلبه كالبحر لا يتغيّر كما ورد: كن بحرًا لا يتغيّر فيموت وبريات النفسانية كما غرق فرعون وآله في اليمّ فتكون سفينة الشريعة جارية عليه وتكون الروح القدسية غائصة الى قعره فيصل الى درّ الحقيقة ويُخرج من مكنون لؤلؤ المعرفة ومرجان اللطايف كما قال الله تعالى يخرج منها اللؤلؤ والمرجان لان هذا البحر حصل من مجمع مجري الظاهر والباطن فلا يمكث فيه الفساد في القلب لا يغيّره وتكون توبته ناصحة وعمله نافعاً صالحاً لا يميل الى المعاصي ويكون السهو والنسيان معفوًا بالاستغفار والندم.

الفصل الحادي والعشرون: في بيان اوراد الخلوة

وينبغي ان يجلس في الخلوة صايماً ان استطاع ويصلي الصلوات الخمس في الجماعة باوقاتها لان الصلوة الواحدة مع الجماعة افضل من سبعين صلاة بغير جماعة مع سنتها وشرايطها واركانها على التعديل ويصلي اثني عشرة ركعة بعد نصف الليل او ثلثة بنيّة التهجّد كما قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ويصلي ركعتين بنيّة الاشراق بعد طلوع الشمس وركعتين بعده بنيّة الاستعاذة بالمعوذتين وركعتين بعده بنيّة الاستخارة وستّ ركعات بعدها بنيّة الضحى وركعتين بنيّة كفّارة البول يقرأ في كل ركعة انا اعطيناك الكوثر سبع مرات بعد الفاتحة فاذا صلى ذلك كفّر ذنوب البول ونجا من عذاب القبر. كما قال عليه الصلوة والسلام: اتنزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه. ويصلي اربع ركعات بنية صلوة التسبيح يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة بعدها ويقول بعد القراءة في القيام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم يركع ويقول في الركوع عشر مرات ثم يقول قائماً ويقول في الاعتدال ايضاً عشر مرات ثم يقول في السجدة الاولى ايضاً عشر مرات ثم يرفع رأسه ويقول بين السجدتين عشر مرات ايضاً ويقول في السجدة الثانية عشر مرات ويقول في قيام الركعة الثانية قبل قراءة الفاتحة خمس عشرة مرة وهكذا يفعل في الركعة الثانية والثالثة والرابعة ويصلي هذه الصلوة كما ذكر في كل يوم او ليلة مرة ان

استطاع ، والا ففي كل اسبوع مرّة والا ففي كل شهر مرّة والا ففي كل سنة مرّة والا ففي عمره مرة قال النبي صلعم لعمه العبّاس رضي الله عنه ما معناه يا عمّ الا احبوك الا امنحك الا اتحفك الا اهديك . وذكر له هذه الصلوة وقال له ما ذكرتم ذكر ثوابها بانه ذنوبه كلّها وان كانت اكبر من عدد الرمال وعدد نجوم السّماء وعدد الاشياء كلّها ثم يقرأ دعاء السيفي كل يوم مرة او مرتين ويقرأ من القرآن في كل يوم مقدار مايتي آية كما وردتم يذكر الله تعالى ذكرا كثيرًا اما جهرًا ان كان من اهل الجهر او خفية تضرعًا وخيفة ان كان من اهل الخفية ومقام الخفية بعد حيوة القلب ونطقة بلسان السرّ . كما قال الله تعالى واذكروه كما هديكم الى مراتب ذكركم في مقام وادب يعرفه اهله ويقرا . قل هو الله احد كل يوم مائة مرة ويصلي على النبي صلعم مائة مرة ويقول استغفر الله واتوب اليه ماية مرة ايضاً ثم ان استطاع زاد ما شاء من النوافل والتلاوات وما تقدم والله المعين .

الفصل الثاني والعشرون : في بيان الواقعات في النوم والسنة

قال الله تعالى : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ . قال تعالى عن يوسف عليه السلام اني رأيت احد عشر كوكباً الآية . وقال النبي صلعم لم يبقَ بعد النبوّة الا المبشّرات يراها المؤمن او تُرى له والمراد منها الرؤيا الصالحة لما قال صلعم الرؤيا الصالحة جزؤ من ستة واربعين جزءا من النبوّة . وقال عليه الصلوة والسلام من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي اي يتابعني بنور الشريعة والطريقة وعلم المعرف وبنور الحقيقة والبصيرة . كما قال الله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فلا يتمثل الشيطان بهذه الانوار اللطفة كلّها . قال صاحب المُظهر : هذا ليس لاختصاص النبي صلعم بل لا يتمثل بكل ما هو مظهر الرحمة واللطف والهداية كجميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام والاولياء والملائكة عليهم السلام والكعبة والشمس والقمر والسحاب الابيض والمصحف وامثال ذلك لان الشيطان يظهر القهر والجلال فلا يظهر الا في صورة اسم المضلّ فمن كان يظهر الاسم الهادي كيف يظهر بصورته فان الضدّ لا يظهر بصورة الضدّ لما بينهما من التنافر والتباين وليتميز الحق والباطل كما قال الله تعالى كذلك يضرب الحق والباطل . وقال الله تعالى . ليميز الله الخبيث

من الطيب: واما تمثيله في صورة الربوبية فانما هو من جهة اسم المضلّ فقط كما مرّ ولا يظهر في صورة اسم الجامع القديم لما فيه من معنى الهداية واللطف والرحمة وفيه كلام يطول شرحه. وقوله تعالى على بصيرة: انا ومن اتبعني اشارة الى الوارث الكامل المرشد اي الارشاد بعدي لمن له بصيرة باطنية مثل بصيرتي من وجهٍ . والمراد منه الولاية الكاملة كما اشار اليه في آية اخرى وليًّا مرشدًا ثم الرؤيا على نوعين احدهما افاقي خارج او نفساني وكل واحد منها على نوعين فالنفساني الداخل اما من الاخلاق الحميدة او الذميمة. فالحميدة مثل رؤية الجنان ونعيمها والحور والقصور والغلمان والصحراء السهلة والنور الابيض مثل الشمس والقمر والنجوم وما اشبه ذلك. وكل ذلك يتعلّق بالقلب. واما ما يتعلّق بالنفس المطمئنة منه الصفة الحميدة نحو مأكول اللحم من الحيوانات الشرعية والطيور لان معيشة المطمئنة في الجنة تكون من هذه الانواع كشوي الغنم والطيور واما البقر فانه اتى من الجنة لادم عليه السلام لاجل الزراعة في الدنيا . واما الابل فانها منها ايضًا كالبقر لانها من (×) الكمية الظاهرة والباطنة . واما الخيل فانها ايضًا منها لانها آلة الجهاد (××) وذلك للآخرة . وفي الحديث ان الغنم (×) من عل الجنة (×××) الجنة والبقر من زعفرانها والخيل من ريحها والحمير من حجارتها لاجل مصلحة ادم عليه السلام وذريته لكسب فوائد الاخرة في الدنيا . واما ما يتعلّق منها بالروح فهو مثل الشاب الامرد والانوار الالهية لان اهل الجنة على هذه الصورة كما قال عليه الصلوة والسلام: اهل الجنة جرد مرد مكحّلون وورد. رأيت ربي على صورة شاب امرد. وقال بعضهم المراد من مثل هذا تجلي الحق بصفة الربوبية على مرآة الروح وهو الذي يسمّونه بطفل المعاني لانه مربّ للجسد ووسيلة بينه وبين الرب . قال علي كرم الله وجهه: لولا المربي لما عرفت ربي. وهذا المربي الباطني انما يحصل بسبب تربية مربّ ظاهر بالتلقين فالانبياء والاولياء يربّون القالب وتربية القلوب ما يحصل من تربيتهم من القاء روح آخر كما مرّ وطلب المرشد لاجل هذا الروح الذي به يُحيي القلب ويعرف به ربه فافهمْ . قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى: يجوز ان يُرىَ الرب عزّ وجل في المنام على صورة جميلة اخروية على التأويل المذكور . قال لانّ هذا المربي يخلقه الله تعالى على قدر استعداد الرأي مناسبة لا على حقيقته الذاتية لانه تعالى

منزه عن الصورة بذاته وكذا رؤية النبي صلعم على هذا القياس يجوز ان يُرى على صورة مختلفة على قدر مناسبة الرائي ولا يرى الحقيقة المحمدية الا الوارث الكامل في علمه وعمله وحاله وبصيرته ظاهرًا وباطنًا. وكذا قال في شرح مسلم: تجوز رؤية الله تعالى في صورة البشرية النورانية على التأويل المذكور. وكذا القياس في تجلي كل صفة (+++) كما تجلى لموسى عليه الصلوة والسلام في صورة النار (×××) وكانت تلك النار نورًا لكن سمّيت (××) عليه السلام وطلبه لا كان اذ ذاك في طلب النار ذلك الوقت وليس الانسان ادنى مرتبة من (×) فلا عجب ان يتجلى بصفة من صفاته في الحقيقة الانسانية دون الحيوانية كما تجلى لكثير من الاولياء كابي يزيد حيث قال: سبحاني ما أعظم شاني. وكالجنيد حيث قال: ليس في جبّتي سوى الله تعالى. ونحو ذلك. وفي هذا المقام لطائف عجيبة لاهل التصوف يطول شرحها ثم في التربية لا بدّ من المناسبة جزمًا فالمبتدى في اول امره لا مناسبة بينه وبين الله تعالى ولا بين نبيّه صلعم فاحتاج لا محالة الى تربية الوليّ اولًا لان بينهما مناسبة من جهة البشرية كما للنبي صلعم حال حياته. فلو كان النبي صلعم في الحياة الدنيوية لما احتاج احد الى غيره عليه وسلّم. واما حيث انتقل الى الآخرة انقطع من صفة التعلّق ووصل الى محض التجرد وكذلك الاوليا اذا انتقلوا الى الاخرة لا يصل ارشادهم الى المقصود فافهم. فلم يبقَ للمبتدى معهم مناسبة. واما الولي فله مناسبة به لان له جهتي التعلّقية والتجردية من جهة الوارثية الكاملة فيتولّى بالولاية النبويّة ويتصرّف بها في الخلق فافهم. فان ما وراء ذلك سرًّا عميقًا يدركه اهله. قال الله تعالى فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين. واما تربية الارواح فالروح الجسمانية مربّ في الجسم والروح الروان مربّ في القلب والروح السلطاني في الفؤاد والروح القدسي في السرّ وهي الواسطة بينه وبين الحق ومترجم من الحق تعالى الى الحق لانه اهل الله تعالى ومحرمهُ. واما الرؤية التي هي من الاخلاق الذميمة من صفات الامارة واللوّامة الملهمة فهي ان يرى السباع كالنمر والاسد والدب والذيب والكلب والخنزير ومثل الارنب والثعلب والهرة والفهد ومثل الحية والعقرب والزنبور وغير ذلك من الموذيات فهذه هي الصفات الذميمة التي يجب الاحتراز منها وتجب اماطتها من طريق الروح. فاما النمر فهو من صفة العجب والكبر

على الناس والاسد صفة الكبر والتعظم على الخلق. وامّا الدب فهو صفة الغضب والغلبة على السحت والذيب صفة اكل الحرام والشبهات من يين والكلب من صفة حب الدنيا والقهر لاجلها والخنزير من صفة الحقد والحسد والحرص والشهوة والارنب صفة الحيلة والمكر في المعاملة الدنيوية والثعلب منه ايضاً لكن في الارنب الغا غالبة والفهد الغر الجاحل وحب الرياسة والعزّ والهرّة صفة البخل والنفاق والحية صفة الايذا. باللسان كالشتم والغيبة والنميمة والكذب والطمع والعقرب من صفة الفخر واللمز والهمز والنميمة والزنبور من صفة ايذاء الخلق باللسان خُفية. وقد تدل الحية على العداوة مع الناس واذا رأى السالك يحارب مع هذه المؤذيات ولم يغلب عليها بعد فليجتهد في العبادة والذكر حتى يغلب عليها ويقهرها ونفيها ويبدلها الى صورة البشرية. فان قهرها وقتلها بالكلية فهو تكفير السيئات في قول الله تعالى في حق بعض التائبين: كفّر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم. وان رأى انها تبدّلت الى الصورة الانسانية فهو معنى تبديل السيئات الى كما قال الله تعالى في حق بعض التائبين : الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فقد خلص منها فينبغي ان لا يأمن منها بعد ذلك لانه اذا وجدت النفس قوة من جناية العصيان تقوّت وغلبت على المطمئنة ولذلك امر الله تعالى ان يجتنب العبد من المناهي في جميع الاوقات في الدنيا وقد يرى ذات النفس الامّارة على صورة الكفّار واللوّامة على صورة اليهود والملهمة على صورة النصارى وكذا في صور المبتدعة .

الفصل الثالث عشر : في بيان اهل التصوّف

وهم اثنا عشر فرقة احدهما سنّية افعالهم واقوالهم موافقة للشريعة والطريقة جميعاً وهم اهل السنّة والجماعة فيدخلون الجنـة بعضهم بلا حساب ولا عذاب وبعضهم بحساب يسير وعذاب قليل فيخرجون من جهنم ويدخلون الجنـة ولا يخلدون في النار كالكافر والمنافقين والبواقي بدعيون ضالّون . فمنهم الحلولية والحالية والاوليائية والشمراخية والحوريّة والاباحية والحبّية والمتكاسلة والمتجاهلة والواقفية والالهامية . فامّا مذهب الحلوية فانهم يقولون ان النظر الى

الوجه الجميل من النساء. والامرد حلال وفيه صفة الحق فيرقصون ويدعون التقبيل والمعانقة وهذا كفر محض. واما الحالية فانهم يقولون الرقص وضرب اليدين حلال ويقولون للشيخ حالة لا يعتبر فيها الشرع وهذا بدعة قبيحة ليست في سنة رسول الله صلعم. واما الاوليائية فانهم يقولون اذا وصل العبد الى مرتبة الاوليا. سقط عنه تكليف الشرع. ويقولون الولي افضل من النبي وهذا كفر: واما الشمراخية فانهم يقولون الصحبة قديمة وبها يسقط الامر والنهي ويحلون الدفّ والطنبور وباقي الملاهي ولا حلال ولا حرام بينهم من جهة النساء. ودمهم مباح. واما الحبية فانهم يقولون: اذا وصل العبد الى درجة المحبة يسقط عنه التكاليف ولا يسترون عوراتهم. واما الحورية فانهم كالحالية لكن يدّعون وطء الحور في حالاتهم فاذا افاقوا اغتسلوا. واما الاباحية فيتركون الامر بالمعروف ويبيحون المناكر والمحرّمات والفروج. واما المتكاسلة فيتركون الكسب ويسئلون من الابواب. واما المتجاهلة فيلبسون لباس الفساق. واما الواقفية فانهم يقولون: لا يعرف الله غير الله تعالى. واما الالهامية فيتركون العلم وينهون عن التدريس ويتابعون الحكماء ويقولون القرآن حجاب والاشعار قرآن الطريقة فمن تشبّه بقوم فهو منهم. كما قال ذلك النبي صلعم. وقال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار. وفي فقه الباطن ان الصحابة رضي الله عنهم اجمعين كانوا اهل الجذبة بقوّة صحبة النبي صلعم ثم انتشرت تلك الجذبات من آخر الخلفاء علي كرّم الله وجهه الى مشايخ الطريقة ثم تشعب منهم سلاسل كثيرة حتى ضعفت وانقطعت عن كثير منهم فبقي منهم رسميّون في صورة الشيخية بلا معنى ثم تشعب منهم اهل البدع فانتسب بعضهم الى قلندر وبعضهم الى حيدر وبعضهم الى ادهم والى غيرهم ممن يطول ذكرهم وشرحهم ثم في هذا الزمان اهل الفقر والارشاد اقلّ من القليل ويُعلم اهل الحق منهم بشاهدين احدهما ظاهر والآخر باطن. فالظاهر موافقة الشريعة ونهياً كاملاً. والباطن ان يكون سلوكه بشاهدة البصر والبصيرة فيرى من يقتدى به وهو النبي صلعم فتكون روحانية النبي صلعم واسطة بينه وبين الله تعالى او جسمانيته في محلّه. فان الشيطان لا يتمثّل به صلعم فتكون منه الى المريد السالك فلا يكون على العمياء. وههنا دقايق في التمييز يُدركها اهلها.

الفصل الرابع والعشرون : في بيان الخاتمة

ينبغي للسالك ان يكون فطناً :

ان لله عباداً فطنا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا انها ليست لحيّ وطنا
جعلوها الجنّة واتخذوا صالح الاعمال منها سفنا

فيكون ناظراً الى خواتم الامور متفكراً وادبارها ولا يتغير بظاهر جلاوة الاحوال. فقد قال اهل الصفوف ان الساكتة الى الاحوال تعقل عن محالها . قال الله تعالى: فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون. وقال النبي صلعم في الحديث القدسي يا محمد بشر المؤمنين باني غفور وانذر الصدّيقين باني غيور فان كرامات الاولياء واحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج بخلاف معجزات الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانها مأمونة من ذلك ابداً وقد قيل :خوف الخاتمة سبب النجاة من سوء. قال الحسن البصري ان اولياء الله بالخوف ارتفعوا فينبغي ان يكون الخوف غالباً لئلا تخدعه البشرية فتقطع سبيله من حيث لا يشعر. قالوا يكون الخوف في الصحة غالباً ويكون الرجاء في مرض الموت غالباً . قال عليه الصلوة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاستويا. واما في حالة النزع فينبغي ان يكون رجاءه في فضل الله تعالى اغلب كما قال عليه الصلوة والسلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظنّ بالله تعالى، يعني يتفكر في سعة رحمته وغلبتها على غضبه ويتفكر في استغنائه انه تعالى ارحم الراحمين فيفرّ من قهره الى لطفه ومنه اليه راجعاً متذللاً متضرّعاً متملقاً معتذراً معترفاً بما اقترف من الذنوب مقبلاً على باب الله متوقعاً فيض الطافه وعفوه عن ذنوبه انه هو البرّ الرحيم والجواد الكريم. اللهمّ يا هادي الضالين ويا راحم المذنبين علمك كافٍ عن المقال وكرمك وافرٍ على السؤال صلّ على سيدنا ونبينا محمّد وآله وصحبه بالنوال واغفر لنا ولوالدينا والمسلمين اجمعين .

ارز لبنان في هيكل سليمان

بقلم المونسنيور بطرس روفائيل

ان كتبة الاسفار الالهية يعتبرون الارز ملك الاشجار فكثيرًا ما يذكرون اسمه في اشعارهم ونثرهم . وقد جاء الارز لكثرة ذكره في الكتاب موصوفًا بهيئته وخواصه واصله :

اين منبته : الجواب في الكتاب المقدس: منبت الارز هو لبنان . الصدّيق مثل ارز لبنان ينمو . وهو مجد لبنان وزينته[1] .

كيف هي هيئته : يجيب النبي حزقيال اذ يقول : الارزة شجرة بهيجة الاغصان غبياء الظل ، شاخة القوام . ناصيتها بارزة بين اغصان ملتفة . رائحة خشبه قوية ذكية . الارزة جميلة في عظمتها وفي طول اغصانها وكل شيء في جنة الله لا يماثلها في بهجته . في اغصانها تعشش جميع الطيور وتحت فروعها تلد جميع وحوش الصحراء[2] .

من زرعه : يجيب النبي داوود اذ قال : هو الرب ولهذا تدعى باسمه : ارز الله . وهو يسقيها اشجار الله ارز لبنان التي غرسها[3] .

وقد لعب الارز في سياسة الاجيال الغابرة دورًا مهمًا . فكان وجوده في لبنان مدعاة لطمع الدول القديمة المتمدنة في استملاك ارض فينيقية وجبالها اللبنانية او السيادة عليها . وهكذا ضع الكلدانيون والاشوريون والمصريون وغيرهم كثيرون . كانوا بعد ان يبتاعوا لهم من اخشاب الارز والسرو والشربين والسنديان في لبنان وفينيقية يطمحون الى غزو تلك البقاع الغنية بغاباتها ومصانعها وتجارتها .

وكانت عادة مألوفة عند الاقدمين كالاشوريين والمصريين والفرس ، عادة معروفة من جميع الامم المتنورة ان من اراد البنايات الخالدة والقصور الشاخة

---

١) داود مزمور ٩٢'١٣ – اشيا ١٤: ٨–٣٠: ٢–٦٠: ١٣ .

٢) حزقيال ٣١: ٣'٧'٨–٣٠: ٦

٣) داوود مزمور ٨٠: ١١–١٠٤: ١٦ .

والهياكل الفخمة ، لا بد له من استعمال خشب ارز لبنان . ولذلك لبث لبنان مدة الوف من السنين مطمح انظار جميع الشعوب .

ونحو القرن العاشر قبل المسيح كانت مملكة بني اسرائيل قد اتسعت اتساعاً لم تعرفه قط مدى اجيال حياتها . فكانت حدودها تمتد من حدود مصر الى حدود بلاد الكلدان ومن شاطئ البحر الاحمر الى جبل لبنان ومع ذلك لم يكن بعد لتلك البلد عاصمة. فلما مسح داود ملكاً على شعب اسرائيل اخذ على عاتقه تشييد عاصمة . فاسس اورشليم التي هي اليوم مدينة القدس.

فحارب اليبوسيين وفتح عنوة مدينتهم اورشليم واتخذها عاصمة له واراد ان يجعلها جميلة عظيمة غنية وكان يعلم حق العلم ان رعاياه تجهل فنون الهندسة والنقش فالتجأ الى جاره حيرام ملك صور . فارسل اليه ملك صور بخشب الارز ومهندسين ونقاشين اقاموا البيوت الجميلة والبنايات الشاخة فسقفوها بالارز وشدوا مصاريع الابواب بالواح من الارز . وبنوا للملك داوود قصراً لا مثيل له . في ذلك القصر كان يضرب بالقيثارة بينما كانت امرأته ابنة شاول تستهزئ به ساخرة محتقرة ، وهناك ارتكب خطيئته وبكى وتاب . هناك ايضاً كتب المزامير البديعة وضمنها اسمى عواطف الايمان والرجاء . واصدق علامة التوبة والندامة .

ولما انجزت تلك البناية الملكية سر داوود كل سرور وقال لناتان النبي مفتخراً : ها انا مقيم في بيت من الارز . فاجابه ناتان : اصنع كل ما في نفسك لان الله معك .

وبعد ان استقر مقام داوود في قصره الفخيم صار كلام الله الى ناتان قائلاً : اذهب وقل لداوود عبدي : هكذا يقول الرب لا تبني لي انت بيتاً للسكنى . اني لم اسكن بيتاً مذ يوم اخرجت اسرائيل الى هذا اليوم ولكني كنت من خيمة الى خيمة ومن مظلة الى مظلة .

فكلم ناتان داود بهذا الكلام وهذه الرؤيا . فداخل داود حينئذ نخز الضمير اذ رأى ان لا بيت للرب الاله بينما كان للآلهة الكاذبة عند جيرانه المصريين والفينيقيين هياكل وبيوت شاهقة ، غنية ، عظيمة ، مشهورة .

فعزم على اقامة هيكل يكون بيتاً لاله اسرائيل ، يكون بيت قرار

لتابوت عهد الرب ولموطئ قدمي الرب اله اسرائيل . فاقام نحاتين ينحتوا حجارة مربعة للبناء. وجهز حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الابواب ونحاساً كثيراً يفوت الوزن وخشب ارز لا يحصى لان اهل صور وصيدا احضروا خشب ارز بكثرة الى داود .

لكن تحقيق الفكرة كان على عاتق سليمان لان داوود كان شاخ واتت ساعة وفاته. فاحضر ابنه واعطاه رسم الرواق وبيوته وخزائنه وغرفه ومخادعه الداخلية وجميع المخادع حوله وخزائن بيت الله وخزائن الاقداس .

ولما جلس سليمان على عرش ابيه باشر بالعمل وزاد على مواد البناء زيادة كبيرة حتى انه جعل الفضة في اورشليم مثل الحجارة وجعل خشب الارز مثل الجميز الذي في الصحارى كثرة[1] .

ولما كان يعرف مثل ابيه ان شعب اسرائيل قليل المهارة في الفنون الجميلة وتشييد البنايات اضطر سليمان ان يلتجئ الى اجانب يخرجون الى حيز العمل فكرته. وكان داوود ابوه سبق فدعا الفينيقيين الى بناء قصره وعاصمته. فارسل اليه صديقه حيرام ملك صور بنجارين وبنائين ومواد البناء. فعمد سليمان الحكيم على تكليف اهل فينيقية سيما وان دلائل حذاقتهم كانت ظاهرة . فان هياكل آلهة فينيقية كانت معروفة وبالاخص هياكلهم في بيبلوس وهي جبيل حالياً ، وفي افقا وفي صور كانت اشهر من نار على علم .

ولم تنسوا بعد ويلات الحرب الكبرى العالمية التي اجرت الدماء انهراً ولا مبالغة في هذا القول .

لم تنسوا ما حل بلبناننا العزيز وجبالنا وسهولنا من المصائب . تلك الحرب قد خربت بلادنا خراباً فاقفرت الارض ويتمت من بقي من الاولاد وهدت اركان العيال وجعلت الضياع العامرة قبوراً دفن فيها سكانها عشرات عشرات مئات مئات بل الوفاً الوفاً . لم تنسوا ذلك .

ففي تلك الايام السوداء قام اولاد لبنان المتخلفون في بلاد المهجر مذعورين ونشطوا الى مساعدة ذويهم الذين يهلكون في لبنان جوعاً وضنكاً وهماً وفاقة

---

[1] سفر الملوك الثالث فصل ١٠ عدد ٢٧

وظلماً . ارسلوا الاعانات افراداً وجماعات . نشروا الكتابات مستصرخين ؟ حبروا المقالات مستغيثين ؟ الفوا الجمعيات مستعطين ليسدوا رمق من هم في لبنان المحبوب هدف سهام الظلم والتعصب .

وبين تلك الجمعيات جمعية عرفت في الولايات المتحدة باسم جمعية بنات لبنان اعضاؤها سيدات وكريمات مواطنينا الكرام. ففي سنة ١٩١٧ تأسس في مدينة بوفالو في الولايات المتحدة فرع لهذه الجمعية غايتها مساعدة من يتضور جوعاً في لبنان . فيوماً ماكانت سيدة لبنانية وابنتها تتحدثان عن جمعية بنات لبنان امام اسرائيلي كريم معتبر واسمه المستر شوستر . فاستوضحها الرجل عن غاية الجمعية ولما عرفها قدم مبلغاً من المال قائلاً : نحن يا سيدتي مدينون بهيكل سليمان لارز لبنان . فعلينا جميعاً ان نهتم بخلاص الارز وبلاد الارز واولاد الارز .

لعمري قد اصاب هذا الاسرائيلي الكريم في كلامه كل الاصابة وصدق فيما قال . اذ لا مبالغة اذا اكدنا ان هيكل سليمان اعجوبة زمانه ومعجزة العهد القديم قد كان عمل ابناء فينيقية ابناء لبنان .

فالفينيقيون هم هم قد قدموا كل ما يلزم لاقامة هذا الهيكل .

فينيقياً كان المهندس الذي اشرف على الاعمال كلها .

فينيقيين كان الصاغة والنقاشون والبناؤون ونحاتو الحجارة .

من فينيقية جلبت اكثر المواد للبناء. وفي اولها خشب الارز الذي كان له النصيب الاكبر في قيام الهيكل وزينته .

فعباد عشتروت وبعل «الفينيقيون» هم الذين شيدوا وزينوا هيكل الاله الحق .

فارسل سليمان ملك اسرائيل الى حيرام ملك صور وصديق ابيه برسالة قائلاً :

« كما فعلت مع داوود ابي وارسلت له ارزاً ليبني له بيتاً يسكن فيه تفعل معي . فاني لبني بيتاً لاسم الرب الهي لاقدسه له واحرق امامه بخوراً عطراً . والبيت الذي انا ابنيه بيت عظيم لان الهنا عظيم فوق جميع الالهة . فمن يستطيع ان يبني له بيتاً والسماوات وسماوات السموات لا تسعه ؟ ومن انا حتى ابني له بيتاً الا لاسجد له . فالآن ارسل لي رجلاً حاذقاً يعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والارجوان ماهراً في النقش . . . وارسل لي اخشاب ارز وسرو وصندل من لبنان لاني اعلم ان عبيدك حاذقون بقطع الخشب من لبنان

وهزلاً. عبيدي مع عبيدك فليجهزوا لي بكثرة لان البيت الذي ابنيه عظيم عجيب. وانا اعطي القطاعين الذين يقطعون الخشب عشرين الف كرّ من الحنطة طعاماً لعبيدك وعشرين الف كرّ من الشعير وعشرين الف بث من الخمر وعشرين الف بث من الزيت».

وكان الكر يوازي تقريباً اربعمائة ليتر والبث اربعين ليتراً!

فقرأ حيرام ملك صور رسالة سليمان فوجد الشروط موافقة كثيراً. فاجابه وهو وثني يعبد بعل وعشتروت قائلاً:

«مبارك الرب اله اسرائيل صانع السماوات والارض الذي رزق داوود الملك ابناً حكيماً صاحب معرفة وفهم ليبني بيتاً للرب. والآن فقد وجهت رجلاً ماهراً صاحب فهم حيرام ابوه رجل من صور. وهو خبير بعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر والخشب والارجوان وصناعة كل نقش واختراع كل شيء يلقى اليه. والآن فالحنطة والشعير والزيت والخمر ما تكلم عنه سيدي يرسله لعبيده ونحن نقطع الخشب من لبنان بحسب كل حاجتك ونرسله اليك على اطواف في بحر يافا وانت تصعده الى اورشليم».

واصحب حيرام ملك صور رئيس العمل بعدد عديد من المهندسين والنقاشين والنحاتين والنجارين والبنائين والرسامين.

وسخر الملك سليمان من كل اسرائيل وكان المسخرون ثلاثين الف رجل. وكان يرسل منهم الى لبنان عشرة آلاف في الشهر مناوبة فيكونون في لبنان شهراً وفي بيوتهم شهرين. وكان سبعون الف رجل يحملون الاثقال وينقلون الاخشاب من يافا الى اورشليم وثمانون الف رجل يقطعون الحجارة في جهات جبيل وحوالي اورشليم وثلاثة آلاف وست مئة يناظرون ويأمرون على القوم الذين يعملون العمل.

لا تستغربوا ذلك التسخير لالوف من العملة لاقامة مشروع من المشاريع العمومية. فهذا كان مألوفاً في الايام القديمة.

ان المؤرخ هيرودوت يخبر انه سُخر لتشييد هرم شيوبس العظيم في مصر مائة الف عامل يتناوبون في الشغل مرة في كل ثلاثة اشهر وذلك مدة عشرين سنة.

وفي مؤلفات لينورمان الاثري الشهير صورة يُرى فيها مئات من العبيد مربوطين ببعضهم بحبال قوية يجرون على بكرات او دواليب من خشب (rouleaux) وبواسطة آلة رافعة (levier) ثورًا مجنحًا عظيماً من الحجر .

ولم تكن النفقات لمثل ذلك التسخير باهظة ، فأجرة العامل كانت تكفي بالكد والجهد قوت عائلته، تلك الاجرة كانت تقوم في اغلب الاحيان بشيء من القمح او من بعض الحبوب وبشيء من الزيت والخمر .

وكان الاسياد والاغنياء لا يعتبرون العبيد من جنس آدم وحوا بل يعدونهم آلات للعمل لا نفس لهم ولا عقل بل اكثر من ذلك لا لحم فيهم ولا دم . وكانت فكرة سائدة عند الاسياد وهي ان الانسان لـه ظهر ولا يطيع ولا يتحرك الا اذا شعر بضرب العصا المؤلم . هي العصا خصوصاً التي شيدت في مصر الاهرام، وفي صور هيكل بعل العجيب وفي اثينا قلعتها المذهلة وفي بعلبك البنايات الفريدة بعظمتها وفخامتها . هي العصا ايضاً التي ساعدت على تشييد هيكل اورشليم .

فسخر سليمان الشعب الذين بقوا من الاموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين لم يكونوا من بني اسرائيل . فضرب عليهم تسخير عبوديته لاشغال الهيكل .

ولما شخص حيرام المهندس ومن معه بين يدي سليمان استلم رسم الهيكل من الملك وشرع بالعمل . وامر الملك سليمان ان يقلعوا حجارة كبيرة ثمينة لتأسيس الهيكل بالحجارة المنحوتة. فكان العملة يستخرجون الحجارة ويقطعونها . واما امر نحتها وتنظيمها فكان موكولًا الى اهل جبيل وكانت جبيل مدينة فينيقية لبنانية مشهورة بحذاقة بنائيها ونقاشيها . فكانت الحجارة تنقل الى مكان البناء تامة كاملة ولم تكن تسمع مطرقة ولا نشر ولا شيء من آلات الحديد عند البناء .

ودامت الاعمال الاعدادية للبناء ثلاث سنين . وشرع بالبنيان في السنة الرابعة للملك سليمان ولم ينجز العمل الا بعد سبع سنين وكان ذلك في السنة الاربع مائة والسبع وثمانين لخروج بني اسرائيل ونحو الف سنة قبل ميلاد مخلص العالم سيدنا يسوع المسيح .

وكان قياس الهيكل الذي بناه الملك سليمان للرب ستين ذراعاً طولاً وعشرين عرضاً وثلاثين علواً والرواق امام هيكل البيت عشرين ذراعاً . وبنى على جوانب الهيكل طوابق ثلاثة وصنع غرفات على محيط الهيكل لخدمة الهيكل واثاثه والكهنة .

وسقف الهيكل كله بالواح من الارز . وفرش الطوابق المحيطة بالهيكل بخشب الارز . وبنى الدار ثلاثة صفوف من الحجارة المنحوتة وصفاً من الواح ارز .

وداخل الهيكل فرش ارضه بالواح السرو وجدرانه بالواح الارز . وكان على الجدران ارز منقوش على شكل زهور متفتحة ويقول الكتاب المقدس ان ان داخل الهيكل كان كله ارزاً فلم يكن يُرى حجر[١] .

وقدس الاقداس اي بيت تابوت العهد حيث كان لا يدخل رئيس الكهنة الا مرة واحدة في السنة كان طوله عشرين ذراعاً وعرضه عشرين ذراعاً بني بالواح الارز وغشاه سليمان بذهب خالص وصنع مذبحاً من الارز تجاه قدس الاقداس وغشاه بذهب وهذا هو مذبح البخور .

حيرام الفينيقي هو الذي انجز مع معاونيه الفينيقيين ما طلبه سليمان واخرج الى حيز الوجود ما كان رسمه داوود الملك في ما يختص ببناء هيكل الرب .

وكان حيرام حسب قول الكتاب المقدس رجلاً ممتلئاً حكمة ومعرفة في عمل كل صنعة من النحاس فاشرف ليس فقط على اقامة البناء ونقشه بل ايضاً على صنع اثاث الهيكل[٢] .

فبنى في سهل نهر الاردن مصانع لصب النحاس وسبكه . فرسم عمودي نحاس طول العمود الواحد ثماني عشرة ذراعاً وصنع تاجين من نحاس مسبوك ليضعها على أروس العمودين سمك كل منهما خمس اذرع . ونصب العمودين في رواق الهيكل .

وصنع البحر النحاسي مستديراً قطره من شفة الى شفة عشر اذرع وفي وسعه ان يحتوي على الاقل على اربعين الف ليتراً من الماء . وكان قائماً على اثني عشر ثوراً من نحاس .

١) سفر الملوك الثالث الفصل السادس عدد ١٨ .
٢) « « « السابع عدد ١٤ .

وصنع المتسلات العشرة والقواعد والقدور والمجارف من النحاس المجلو .

وصنع جميع ادوات بيت الرب المذبح من الذهب والمائدة التي عليها خبز التقدمة من الذهب والمنائر من ذهب خالص خمساً عن اليمين وخمساً عن الشمال والازهار والسروج من الذهب والطسوت والمقاريض والجامات والصحون والمجامر من ذهب خالص والمفاصل لمصاريع قدس الاقداس ولمصاريع الهيكل من ذهب.

وهكذا نجز الفينيقيون اجداد اللبنانيين اليوم كل الاعمال التي ارادها سليمان في بيت الرب .

وكانت نفقات الهيكل على سليمان باهظة .

ان بعض الكتبة المؤرخين قد غالوا في تقدير اكلاف بناء الهيكل واثمان اثاثه ولا اعلم على اي مرجع يستندون في ذكر مجموع المدفوعات بالتدقيق .

قال احدهم : قد جاء في تعديل المؤرخ فيلاليانددرس ان قيمة وزنات الفضة والنحاس التي صرفها سليمان لبناء هيكله بلغت ٦،٨٧٩،٨٢٢،٠٠٠ ليرة انكليزية وقيمة ما انفقه على الجواهر التي زين بها الهيكل المذكور لا يقل عن القيمة المذكورة وثمن الاواني الذهبية كما ذكره يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير بلغت قيمتها ١٤٠ الف وزنة التي تبلغ من النقود الاميركية ٥٧٥،٢٩٦،٢٠٣ ريالات وقيمة ما صرفه لعمل الاواني الفضية يبلغ ٦٤٩،٣٤٤،٠٠٠ ليرة انكليزية . وقيمة ملابس الكهنة والمرتلين ٣،٠١٠،٠٠٠ ليرة انكليزية وبلغ ثمن الابواق ٢٠٠،٠٠٠ ليرة انكليزية فاذا اضفنا على المبالغ المتقدم ذكرها اجور الفعلة الذين كانوا يشتغلون في هذا الهيكل مع بقية المواد التي استعملت في بنائه لبلغت قيمتها مبالغ وافرة يندهش منها كل قارئ وقد ثبت انه اشتغل مدة سبع سنوات عشرة آلاف عامل لقطع اشجار الارز من لبنان وستين الف حمّال لنقلها الى مينا. يافا ومنها الى اورشليم وثمانين الف نحات وثلاثمائة مناظر واذا عدلنا قيمة المواهب التي وهبها سليمان لهؤلاء العملة ما عدا اجورهم لبلغت ٦،٧٣٣،٩٩٧ ليرة انكليزية واذا فرضنا ان كلًّا منهم كان يأخذ اجرة شلينين في النهار الواحد لبلغت قيمة اجورهم مدة بناء الهيكل ٦٣،٨٧٧،٠٨٨ ليرة انكليزية وبتعديل آخر وجد صرف على بنائه ٢٩٤،٥٣٣،٧٠٠ ليرة انكليزية فيكون كلفة بنائه ١٧٤،٤٢٤،٤٣١،٦٨١ ليرة انكليزية » .

كان حيرام ملك صور قد امد سليمان بخشب ارز وسرو وبذهب على حسب طلبه وكان سليمان يرسل اليه لقاء ذلك حبوب وخمر وزيت وبعد عشرين سنة خلت من اتمام الهيكل كان سليمان لا يزال مديناً لحيرام ملك صور بمائة وعشرين قنطارًا من الذهب[1] . ولتصفية الحساب اعطى سليمان لحيرام عشرين مدينة في الجليل بقرب عكا . فخرج حيرام من صور لينظر الى المدن التي اعطاها له سليمان فلم تحسن في عينيه فقال : ما هذه المدن التي اعطيتني يا اخي وسماها ارض كابول اي في كلامنا الدارج ارض زبالة .

فهذا البناء المقدس ثمرة شغل لا يقدر ونفقات لا تحصى ولا تعد . وقد بقي قائماً نحو اربعمائة وسبع عشرة سنة اي الى سنة خمسمائة وسبع وثمانين قبل ميلاد المسيح وفي تلك السنة وفد نبوكدنصر ملك بابل صوركل جيوشه على اورشليم ونزل عليها وحصرها واعمل السيف في بني اسرائيل والذين نجوا من السيف جلاهم الى بابل حيث صاروا عبيدًا له ولبنيه .

وعمد النحاس التي في الهيكل والقواعد وبحر النحاس الذي في الهيكل كسرها الكلدانيون وحملوا نحاسها الى بابل عاصمتهم والقدور والمجارف . الجامات والصحون وجميع ادوات النحاس التي كان بنو اسرائيل يخدمون بها اخذها الكلدانيون . والمجامر والمقاريض ما كان منها ذهباً فالذهب وما كان فضة فالفضة اخذها الكلدانيون .

وهدم نبوكدنصر اسوار اورشليم واحرق جميع بيوت اورشليم واحرق ايضاً هيكل الرب ولما كان خشب الارز والسرو كثيرًا في داخل الهيكل وفي خارجه في سقفه وجدرانه وارضه التهبت النار الهيكل حالاً وسريعاً واصبحت اورشليم قفرًا لان شعب اسرائيل سيق الى المنفى .

وفي سنة خمسمائة وست وثلاثين اي بعد احدى وخمسين سنة من حصار نبوكدنصر اطلق كورش ملك فارس في مملكته كلها نداء وكتابات قائلاً : جميع ممالك الارض قد اعطانيها الرب اله السماوات واوصاني ان ابني له بيتاً في اورشليم في بلاد يهوذا فمن كان منكم من شعبه فليصعد الى اورشليم وكل

---

١) كان وزن القنطار ٤٣ كيلوغراماً ونصف على التقريب .

من بقي من بني اسرائيل في احد المواضع حيث هو متغرب فليهده اهل موضعه بالفضة والذهب والمال والبهائم فضلاً عما يتطوعون به لهياكل الرب في اورشليم.

ثم اخرج الملك كورش آنية بيت الرب التي كان قد اخرجها نبوكدنصر من اورشليم ووضعها في بيت آلهته، اخرجها كورش ملك فارس وسلمها لرئيس بني اسرائيل.

وازاد كورش ان يبني الهيكل بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصف من خشب الارز والنفقة تكون من بيت ماله ومن مال الملك من خراج عبر نهر الاردن تعطى النفقة معجلة لليهود ولشيوخ اليهود لئلا يتعطلوا[1] .

فقام كل من في بلاد بابل من الاسرائيليين المنفيين والتفوا حول زربابل احد رؤساء الشعب وهو من ذرية داوود ورجعوا الى اورشليم وشرعوا حالاً بالعمل. واما زربابل كي يضمن نجاح المشروع التجأ بعد استئذان كورش الى الفينيقيين ليشيدوا الهيكل ثانية واتفق مع سكان صور وصيدا على العمل وكان بنو اسرائيل يعطوه فضة للنحاتين، والنجارين وطعاماً وشراباً وزيتاً لاهل صور وصيدا ليأتوا بخشب الارز من لبنان الى يافا. وكانت توضع اسس الهيكل بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصف من خشب الارز. وبدئ بالعمل سنة ٥٣٥ لكنه ما عتم ان اوقف بسبب وشايات رفعت الى ملك فارس وفي سنة ٥٢٠ على عهد الملك داريوس استؤنف العمل ولم ينجز الا في سنة ٥١٦ قبل ميلاد مخلص البشر. وفي هذا الهيكل الثاني كان لخشب الارز نصيب عظيم في تشييد الجدران والسقوف. وكان الهيكل كله في داخله مزيناً بخشب الارز المنقوش حتى ان زكريا النبي يسمي هذا الهيكل لبنان لكثرة ما فيه من خشب الارز لما قال: افتح ابوابك يا لبنان وتأكل النار ارزك[2].

وهذه المرة ايضاً اقام الفينيقيون عباد بعل وعشتروت بارزهم وحجارتهم للاله الحق هذا الهيكل الثاني الذي سيجلس فيه من هو اكبر من سليمان اعني فادي العالم ومخلصه.

---

١) سفر عزرا الاول الفصل الرابع عدد ٤ و٨ والفصل الاول عدد ١-٥

٢) سفر زكريا الفصل ١١ عدد ١

وبسبب دخول فادي العالم يقول الله عن هذا الهيكل الثاني بفم النبي: اني ازلزل جميع الامم ويأتي مشتهى جميع الامم فاملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود. وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاول قال رب الجنود. وفي هذا الموضع اعطي السلام يقول رب الجنود[1] .

ان اسكندر الكبير قد زار هذا الهيكل الثاني وذبح فيه الذبائح للاله الحق . وبعد الاسكندر جاء الملك انطيوكس ودنس الهيكل وابطل الصلاة فيه للاله الحق واقام على مذبح المحرقات مذبحاً صغيراً مخصصاً للاصنام . واخذ مذبح الذهب ومنارة النور مع جميع ادواتها ومائدة التقدمة والمساكب والجامات ومجامر الذهب والحجاب والاكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل وحطمها جميعاً واخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة واخذ ما وجد من الكنوز المكنونة اخذ الجميع وانصرف الى ارضه[2] .

وفي السنة الثالثة والستين قبل ميلاد مخلص البشر استولى بومبيوس (Pompée) الروماني على اورشليم واتى الى الهيكل ودخل وحاشيته حتى قدس الاقداس انما لم يمدّ يداً الى كنوز الهيكل ولا الى ادواته . وفي اليوم التالي امر بتطهير الهيكل وقدمت فيه المحرقات لكن كراسوس وهو قائد روماني ايضاً دنّس ما كان احترمه بومبيوس ووضع يده على الكنوز التي كانت العائلات الاسرائيلية قد ودعتها في الهيكل .

ولما توج هيرودوس في رومية ملكاً على اليهودية رجع الى اورشليم ومعه الجنود الرومانية وحاصر المدينة فالتجأ انطيكون خصمه مع اليهود انصاره الى جبل موريا . وبعد حصار دام خمسة اشهر سلمت المدينة . فالجنود الرومانية نهبوا الهيكل وانتهكوه واحدثوا اضراراً فيه انما لم يخربوه فبقي هذا الهيكل قائماً نحو ٤٩٩ سنة اي ٨٣ سنة اكثر من الهيكل الاول هيكل سليمان .

وكان هيرودوس هذا قد شيد هياكل عديدة باسم القيصر عاهل رومية وساعد اهل جزيرة رودس الوثنيين على اقامة هيكل لأبولون فاراد ان يرضي الشعب الاسرائيلي فرمم هيكل زربابل وزينه احسن تزيين بدون ان يهدمه

١) نبوّة حجّاي الفصل الثاني عدد ٧-١٠

٢) سفر المكابيين الاول الفصل الاول عدد ٢٣ و٢٤

بل انه كبره ووسعه ولم تبطل فيه الخدمة الالهية في إثناء ذلك .

واستخدم الملك هيرودوس عشرة آلاف رجل لهذا المشروع وعلم نحو الف رجل من الكهنة واللاويين مهنة نحت الحجارة ونقش الخشب ليجددوا قدس الاقداس حيث يتعذر الدخول على العملة العلمانيين .

وكان لاهل فينيقية ولبنان نصيب يذكر في تجديد البناء . وأدخل الارز في الهيكل بكميات عظيمة .

وكانت الحجارة ذات حجم جسيم وكان قياس البعض يبلغ اربعين ذراعاً طولاً وقد تكون تلك الحجارة التي تكلم عنها مخلص البشر يسوع وقال: انه ان يبقى منها حجر على حجر .

وذكر متى الانجيلي ذلك قال : وبينما كان يسوع خارجاً من الهيكل تقدم اليه تلاميذه . يرونه بناء الهيكل . اما هو فقال لهم : اترون هذه البنايات ؟ الحق الحق اقول لكم انه لا يترك حجر على حجر الا سينقض .

وكان سقف الهيكل كله من خشب الارز المنقوش .

وكانت الجدران قائمة بثلاثة صفوف من الحجارة وصف من خشب الارز وكان داخل الهيكل وقدس الاقداس مغطى كله كما كان هيكل سليمان بخشب الارز المنقوش .

ففي هذا الهيكل قُدم يسوع مخلص العالم الى ابيه السماوي وقُدم عنه زوج يمام . وفي هذا الهيكل كان يأتي مع امه ومار يوسف للاحتفال بالاعياد وفي هذا الهيكل علم وهو في الثانية عشرة من عمره وجلس بين العلماء يجادلهم وفي هذا الهيكل في سنين بشارته كان يصلي مع تلاميذه . وفي هذا الهيكل غضب وطرد من الاروقة الباعين والصيارفة وقال لهم : قد كتب بيتي بيت الصلوة يدعى وانتم تجعلونه مغارة للصوص .

ولما ملك هيرودوس المعروف باغريبا الثاني احب ان يزيد في علو الهيكل عشرين ذراعاً ليبلغ علوه ١٢٠ ذراعاً فيساوي علو هيكل سليمان ولهذا الغرض قد اتى بخشب لبنان من ارز وسرو وقد انفق في سبيل ذلك مبالغ جسيمة الا ان الحرب اشتعلت نارها بين اليهود والرومان فاستخدم هذا الخشب لاعمال الدفاع .

فخرب البناء خراباً تماً وذلك بعد ترميمه بسبع وسبعين سنة . ففي سنة السبعين بعد ميلاد المخلص تمرد اليهود وثار ثائرهم على الرومان فاستولوا على حصن انطونيا وذبحوا حاميته . وكانت من الجنود الرومانيين . فهاجمهم طيطوس القائد الروماني بفرقة وكان السيد المسيح قد سبق وقال لتلاميذه : متى رأيتم الجيوش تحيط باورشليم وتحاصرها فاعلموا حينئذ ان يوم خرابها قد قرب. فالذين يكونون في اليهودية فليهربوا الى الجبال والذين يكونون في المدينة فليخرجوا منها والذين يكونون في الحقول فلا يخالجهم فكر الرجوع الى المدينة .

فتذكر المسيحيون نبوة سيدهم وانتبهوا اليها فتركوا اورشليم على منظر من الجنود الرومانيين وفي مقدمتهم استقفهم سمعان وهربوا الى الجبال فيما وراء الاردن الى ان تمت النبوات على المدينة الجاحدة .

وبعد ان طال أمر الحصار ضربت المجاعة والامراض اطنابها في اورشليم فدخل طيطوس وجنوده المدينة وارتكبوا فيها كل فظاعة فخربوا واحرقوا كل شيء وكل من كان يقع من اليهود بين ايديهم كان يذبح ذبحاً بدون شفقة ولا رحمة . انما طيطوس كان يريد ان يخلص الهيكل من الخراب مهما كلفه الامر لان الهيكل كان من اجمل وافخم بنايات السلطنة الرومانية. فاصدر امره والح في وجوب ملاحظة الهيكل وحفظه من كل ضرر لكن جندياً رومانياً طلب ان يرفعوه الى علو احدى النوافذ وكان كأنه مدفوع بقوة الهية فرمى جمرة مشتعلة في احدى الغرف الملاصقة للهيكل فانتشرت النار سريعاً فعرف طيطوس القائد بذلك فاسرع واتى على عجلته واصدر امره بالكلام والاشارات ان اطفئوا النار فتعامى الجنود كي لا ينظروا اشاراته وتصاموا كي لا يسمعوا كلامه بل اخذوا يزيدون نشاطاً ويحثون بعضهم على اسعار النار واضرامها في البناء. فما عتم ان سقط البناء. ولما كان خشب الارز كثيراً فيه على الجدران كلها وفي السقوف وبين صفوف الحجارة التهمت النار كل شيء بسرعة .

وبعد ان تم الانتصار لطيطوس اتت الشعوب المجاورة تقدم له مع التهاني اكاليل الغار والزهور فاجاب القائد الظافر الوفود: اني لم اكن الا آلة للانتقام الالهي . وبعد هذا بسنين اقام ادريانوس الامبراطور الروماني في مكان الهيكل

بناية وضع فيها تماله وتمثال جوبيتر كبير الالهة عند الرومانيين فجا. قسطنطين الكبير فامر بهدمها ولما تبوأ العرش بعده جوليانوس الملقب بالجاحد اراد ان يجدد بنا. الهيكل فشمر عن ساعد الجد ووضع في تحقيق فكرته كل نشاطه ونفوذه وكنوزه. فكان يخال ان النجاح مضمون لان المشروع قد صادف عضدًا وتنشيطاً ومساعدة من كل جهة: الامبراطور في رومية وحاكم اليهودية والشعب: العلم والقوة والغنى. ولم يكن يعاكس المشروع الا امر واحد: نبوة يسوع الناصري. لم يكن لتلك النبوة اعتبار في عيني جوليانوس. بل انه سيسعى في تكذيب تلك النبوة.

فشرع الجميع بالعمل بنشاط وحماسة: الرجال والنساء والاولاد وكان جوليانوس يحرض اليهود على العمل فاراد كل منهم ان يكون له حجر في ذلك الهيكل.

لكن خاب ظنهم وهبط مسعاهم وباطلًا كان ادعاؤهم. فبينما كان اليبوس رئيس نظار الاشغال يحرك على العمل بهمة لا تعرف الملل بمساعدة حاكم اليهودية اذ خرج من اسس البناء ريح نارية مرعبة التهمت مرارًا العملة وجعلت ذلك المكان قفرًا. وبهذا النوع أهمل المشروع تماماً. وغلب جوليانوس الجاحد على امره. كان يسوع الناصري قد قال: الحق الحق اقول لكم ان يبقى في هذا البناء حجر على حجر[1]. قد صدقت نبوته. وما يريده الله لا يقاومه البشر.

هذا ما كان من فضل الارز في بناء هيكل اورشليم ومن فضل الفينيقيين واللبنانيين في امر تشييده.

ما هي نتيجة كلامنا؟ النتيجة هي دعوتي اياكم الى العمل. ان الوطن لا يزال في مهده فيحتاج الى قوى لينمو ويتقدم ويُثمر. على كل منا ان يأتي بحجر لبنيان الوطن: المفكر والكاتب والمتمول والتاجر والزراع والعامل، على الجميع ان يتضامنوا كل فيما يخصه على اخصاب الارض والعقل والارادة.

الى العمل! الى العمل!

الى الورا. الدسائس والنميمة والانشقاق والمالقة والتزلف.

(1 Ammien Marcellin XXII, 1

الى العمل ! وهذا العمل هو تتميم الواجب . والواجب على كل لبناني ان ينفخ في وطنه الجديد الحياة ويوجد فيه النظام والسعة . وهذا لا يكون الا بشروط الحرية وبالشغل المتواصل في داخلية البلاد لا في خارجها. وبالاتحاد . فالاتحاد يرفعنا ويعظمنا كما ان انقساماتنا وانشقاقاتنا قد اضعفتنا وسقطت بنا الى درجة الخمول والحسد والنميمة. ورابعاً بالتضحية لان من المحال ان يكون وطن الا بتضحية المصلحة الافرادية وتفضيل المصلحة العمومية عليها .

وفي مثل هذه الحالة كيف يجب ان تكون الارزة في عيني كل لبناني ؟ يجب ان تكون الارزة موضوع حبه وموضوع احترامه، يجب ان تكون الارزة موضوع حب لانها رمز عن الوطن . يجب ان تكون الارزة موضوع الاحترام لانها قد نظرت كل الشعوب التي لمست ارضنا المحبوبة وكانت شاهداً عياناً على حياة اجدادنا ومجدهم وعظمتهم وشاهداً ايضاً على وقائعهم وعذاباتهم واستشهادهم .

ثم ان الارزة هي العلم يحملها كل لبناني وهو رافع رأسه ومن اجلها يرقص قلبه طرباً عندما يراها تخفق على قمم الجبال وواجهات المساكن ومن اجلها يُضحي ان اضطرت الاحوال خيراته وحياته .

الارزة شاهد على الماضي ستكون شاهدة على الحاضر والمستقبل .

الارزة على راية محاطة بلونين احمر وابيض. هذا هو العلم . والابيض هو ثلج الجبال الخالد، هو نقاوة مبادئ العدل والايمان والامانة التي فيها تربّى اللبنانيون. والاحمر هو الارجوان الذي كان له الفضل الكبير في شهرة فينيقية وغناها . الاحمر هو الدم الذي اهرقه مدى الاجيال اجدادنا ليصونوا حقوقهم وتعاليدهم . الاحمر ما يجب ان نتوقعه من القتال وما نقبله من التضحيات لرفع الوطن الى صف البلدان الاكثر تمدناً وعلماً .

امام هذا العلم كل لبناني اياً كان ومن اي معتقد كان يحني رأسه اكراماً . وان مات ففي طيات هذا العلم يرقد رقاده الاخير .

الارزة يجب ان تكون بيننا علامة الالتئام والتعارف ، يجب ان تكون صورتها محفورة في اثاث البيوت وامتعتها . مطرّزة على وجوه الطاولات والموائد مرسومة على صورة القاعات ، وعلى كتب التلامذة والطلبة ، معلقة على صدور الرجال، متزلة في قلائد السيدات .

. على كل قرية من لبنان ان تزرع في مساحتها العمومية الارزة، فهي تكون شجرة التذكار، شجرة الحياة الجديدة، شجرة الحرية . ففي ظلّها يلعب الصغار ويراجع الشيوخ في اذهانهم الايام الماضية ويسبر الشبان غور الايام المستقبلة .

وبهذا الشكل يكون هذا الرمز قريباً من كل يد ترغب في لمسه ومن كل عين تتمنى ان تراه .

بهذا الشكل يعيش لبنان المثّل برمز الارزة في كل ناحية وفي كل وقت في عقول اولاده وفي قلوبهم .

ولتتأكد ان الامة التي في حياتها لا تنسى ماضيها وفي كل خطوة تنظر الى مستقبلها ستخدم بامانة حتى الموت . تضحي حتى الحياة وتقود تاريخها الى اوج المجد والشرف . واخيرًا يجب ان تكون الارزة شعارًا للبنانيين . يجب ان يكونوا كالارزة، كالارزة بغير فساد في ايمانهم ومعتقدهم، كالارزة غير متزعزعين في تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم وبالرجاء بمستقبل جميل زاهر، كالارزة يقاومون كل عاصفة وجهتهم . فبالاتحاد والاتحاد وحده تحطم كل قوة .

وثائق تاريخية عن حلب

٥

اخبار السريان وما اليهم اخذاً عن يومية نعوم البخاش

١٨٤٠ – ١٨٧٥ وغيرها من المخطوطات

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

تمهيد

كنت ولداً لم يتجاوز عمري التسع سنوات وكنت اقرأ العربية في مدرسة الروم الكاثوليك الصغرى المخصصة في حلب « لدقدق الصغار » وكان معلمنا جورج مخلوطة يقضي ساعات التدريس متربعاً على الدوشك في كرسي خشبي واسع، متكئاً على ساعده يعير اذناً متغافلة تسميع الاولاد فيتناوبون على يمينه وعلى يساره بقراءة الامثولة اما في كتاب نخب الملح واما في مجاني الادب. وكان المجاني في طليعة دخوله المدرسة يجتذب اعيننا بلونه الاحمر الارجواني فنحمله معنا الى البيت فتغلفه الوالدة بقماش جميل من « عندها » ونفتحه ونقرأ من شعره في السهرة على الوالدين وعلى الحاضرين فيعجبون بالقارئ وبالقراءة ويثنون على جامع الكتاب. وظهرت مجلة المشرق بعدئذٍ بقليل واخذ الاب لويس شيخو ينشر فيها ما دثر من آثار الاقدمين والمحدثين.

وكان يدخل على معلمنا في المدرسة احد الادباء من الكهنة او من اهالي التلاميذ فيقوم المعلم ويخلي له موضعه ويحادثه ونحن نصغي الى الحديث لا باذن متغافلة ولكن بانتباه متقطع بين قرصة يقرصها احدنا رفيقه وسطر يتممه « وعيطة يأكلها » من الاستاذ اذا ارتفعت الاصوات وتعالت ضجتها.

وجاء احد الاولاد يوماً ومعه دفتر مستطيل القطع اصفر اللون فعرضه على المعلم كما كنا نعرض عليه من حين الى حين تحفةً او شيئاً مستغرباً فيلتهي به فينظر الينا نظرة الرضى فنغتبط ويغبطنا رفاقنا على ما نتمتع به من الالتفات. واخذ المعلم جورج الدفتر المستطيل وقلّبه وقال: هذا دفتر نعوم البخاش. وقرأ

منه اخباراً اشكالًا والواناً ومنها ما راق الحاضرين سماعه ومنها ما ساءهم لان للحديث شؤوناً واسباب الحلل في الكتاب بيّنة وفيه من اخبار الناس ما يُضحك وفيه ما يُبكي وفيه من ذكرى الحوادث ما يدعو الى الذم وفيه ما يستوجب الاستحسان . وفيه ما يستحق الذكر وفيه ما لا قيمة له ولا افادة في ذكره .

وروى احد الحاضرين عن كاهن من الكهنة، ولا اخاله الا الخوري ميخائيل شحود رحمه الله ، فقال هذا الكتاب مخطوط سيستخفّ به الناس الى ان يأتي احد الآباء اليسوعيين فيعالجه وينشره .

ومضى على ذلك العهد نحو الاربعين عاماً والتلميذ الصغير نشأ وصار يسوعيًّا ودخل سن الكهولة ووقعت يده على مخطوط نعوم البخاش فعالجه وزاد عليه بما وُثق اليه من التعليات عن حلب وتاريخها ونشره في مجلة المشرق ثم في هذا الكتاب .

المقدمة

عنوان المخطوط ووصفه

هذا الكتاب ناقص في اوله وفي آخره . فليس عليه عنوان ولا اسم المؤلف. لكن فحواه وخطّه يهدينا الى معرفة اصله . فهو الدفتر الذي جمع فيه المعلّم نعوم البخّاش الحلبي حوادث ايامه ، اذ كان ، في منتصف القرن الماضي ، يعلّم الاحداث في الشهباء . : ومن اجل ذلك سمّيناه يوميَّة .

طول الكتاب ٢٠ سنتيمتراً ، وعرضه زهاء ١٠ . وهو مقروض عند اطرافه وصفحاته مقسومة الى اعمدة ثلاثة .

وفي كل عمود جزءان : الاعلى ، وهو متوّج بالتواريخ ، وفيه العدد الدالّ على الاسبوع في مرتبته السنوية الكنائسية اخذاً من عيد الفصح فما بعد، والعدد الآخذ بحساب بدء السنة الليتورجية عند السريان اي في اول احد من تشرين الاول ومن ثم ذكر الاعياد المهمة الواقعة في الاسبوع . ويتبع ذلك لائحة التلاميذ مسلسلةً على عمود في يمينه رقم عدد الاولاد من اسرة واحدة ، وفي يساره عدد الاسابيع التي واظب فيها التلميذ المذكور ، في اسابيع كذا اخذاً من

عيد الفصح فما بعد . وايام تموز وآب وايلول فيها الاحصائيات كما في سائر ايام السنة مما افاد انهم لم يصرفوا فيها الاولاد للعطلة المدرسية ، شأننا اليوم .

اما جزء العمود الاسفل ففيه ذكر وقائع حلب محررة باختصار يوماً فيوماً، واسبوعاً فاسبوعاً، وشهراً فشهراً، وسنة فسنة ولا ترتيب في المواد سوى مراتب وقوعها بالزمان . فيسردها البخاش مبتدئاً الاسبوع بالاحد اوله، ويذهب بها الى غاية السبت ، اذ يؤرخ اليوم والشهر من السنة الميلادية الغربية والشرقية ومن السنة الهجرية . وقد يعود عند وداعه الاسبوع فيتذكر ما فاته ذكره في يومه فيدونه . وربما اكتظت المواد فضاق بها العمود ، ففاضت على الهوامش وتعسرت قراءتها لدقة خطها . لكنها على الاجمال واضحة بالبلور المكبر .

اما الورق المستعمل في الكتابة فعادي . وقد يأخذك العجب لحسن حفظه بالرغم من عشرات السنوات تداولته فيما يدا المعلم البخاش ، ثم ايدي الناس الى ان بلغ الينا . فيشهد لصاحبه بالصبر والعناية البليغة .

وربما كان جزؤه الناقص خفياً الى اليوم في بعض الخزائن او الدكاكين في حلب ، كما ظل هذا المخطوط مخفياً الى ان اقتنته المكتبة الشرقية من الشيخ الترمذي بائع العاديات في حلب . عسى ان نشرنا هذا يستفز همة من يكون بين يديهم باقي اليومية فيحفظونها او يودعونها من يحفظها من الضياع الى ان يتسنى نشرها لناشر فتأتي تكملة لما نطبعه منها .

***

ظهرت هذه المقدمة في المشرق ١٩٣٩—١٩٤٠ واسعدنا الحظ وفي السنة ١٩٥٨ وقعنا في حانوت السيد باسيل خوام « ما وراء العمارة » في ساحة فرحات في حلب على اوراق مبعثرة ودفاتر مهملة وبلمحة العين رأينا بينها ثلاثة دفاتر من يومية البخاش فاقتنيناها للمكتبة الشرقية ولست ادري هل سبق الدفتر الاول غيره لانه كتب في السنة الثالثة عشرة من افتتاح المكتب كما قال نعوم البخاش في ٤ تشرين الاول ١٨٤٠ ولعل « السابق » ضاع او لعل المعلم لم يبتدئ بتدوين الوقائع الا بعد مرور ثلاثة عشر عاماً على تعليمه وربما افادنا المستقبل عن حقيقة الامر اذا وفقنا الى تحصيل المفقود كما وفقنا في تحصيل الدفاتر الثلاثة التي اخذنا بنشرها .

وفي الامر الواقع فاليومية التي بين يدينا مدونة كما يلي في اربعة دفاتر :

الاول يشمل الحوادث بين ١٨٢٠ و١٨٤٦ .

الثاني بين ١٨٤٦ و١٨٥٥ .

الثالث بين ١٨٥٥ و١٨٦٦ .

الرابع بين ١٨٦٦ و ١٨٧٥ .

وقد نشرنا في سنة ١٩٤٠ الدفتر الثالث بعد ان ظهر تباعاً في مجلة المشرق وطبعناه على حدة .

ونفدت طبعته فرأينا ان نعيد فيها النظر ونصلحها بين زيادة ونقصان وننشرها للمرة الثانية تلبية لمن يطلبونها وتكملة لما اعددناه للطبع فسوف تقع بعد الدفتر الاول والثاني وقبل الرابع . وبذلك تأتي الاخبار متسلسلة على مدى ٣٥ سنة .

وكان نعوم البخاش من طائفة السريان الكاثوليك فيروي اخبارهم ولا سيما اخبار رجال الاكليروس منهم ولذلك عنونا الكتاب « باخبار السريان» لكنه لم يهمل شأن سائر الطوائف فيذكرها ايضاً في اليومية فنشرناها كانها « الى السريان» كما نشرنا سابقاً منظومة الشيخ وفا الرفاعي عن المسلمين وما اليهم في « اولياء حلب» (١٩٤١) و«دفتر اخوية عزبان الارمن وما اليهم» (١٩٥٠) و«اخبار الموارنة وما اليهم» (١٩٥٨-١٩٥٩) وفيها مع ما يمتاز كل كتاب منها بطائفة خاصة من الحلبيين تعليات وفوائد عامة تتصل بتلك الطائفة وتؤدي مادة لا يستهان بها في اثبات « الوثائق التاريخية عن حلب » وعن اهلها من مسيحيين ومسلمين .

وغربلنا محتويات اليومية تفادياً من تكرار ما لا فائدة منه مثلاً « يكون معلوم » فهذه العبارة تأتي عشرات المرار فلم نروها الا بعد حين وحين . ولم ننشر اسماء التلامذة الا في بدء الكتاب تسهيلاً لقراءة اول عمود منها في صورة المخطوط ، ولكن رأينا افادة في نشرها في آخر كل سنة كما دونها البخاش اخذاً بالاسبوع من العيد الكبير وفيه رقم حضور التلميذ على مدار السنة . فنعلم منه مواظبة التلميذ المذكور على كذا عدد من الاسابيع ذلك ما لا تخفى اهميته على الاسر الحلبية .

وان في « اليومية » الشيء غير اليسير من ثرثرات الرجل المولع بالصيد على نهر القويق والحريص على الا يفوته تعداد السمكات وثقلها وكميتها ومواضع صيدها فيأتي بالكلام عليها تكراراً مملاً فاكتفينا بروايتها من حين الى حين . وسوف نعالج امرها بدراسة اجمالية في ذيل الكتاب تشمل مع ترجمة المؤلف النظرات في الحياة الدينية والاجتماعية الحلبية في زمانه .

وان التواريخ محررة بالسنة الميلادية الغربية والشرقية وبالسنة الهجرية بالشهر واليوم . فاذا كان التاريخ لحدث مسيحي كاثوليكي ذكرت السنة الميلادية الغربية واذا كان للروم ذكرت السنة الميلادية الشرقية واذا كان لواقع مرجعه لحساب الحكومة كذكرا. البيت ذكرت السنة الهجرية. وقد تقع التواريخ على غير نظام طوراً في اول الاسبوع وطوراً في خلاله فضبطناها تسهيلاً لسياق الحوادث على مرور الايام .

وان الاخبار مدونة عمودياً اسبوعاً باسبوع كما ترى في صورة الصفحة الاولى من المخطوط وكل صفحة منه تسع ثلاثة اسابيع فاشرنا الى الاسابيع في صفحاتها وعليها الرقم المفيد عنها . مثلاً : [٦'] معناه الصفحة ٦ في الاسبوع الاول — [١٧'] معناه الصفحة ١٧ في الاسبوع الثاني الخ .

وفي الغالب ايام الاسبوع يشار اليها برقمها اخذاً من الاحد: ا| اي الاحد ... ا| ٤ اي الاربعا ... ا| ٧ اي السبت فافدنا عنها بالارقام .

وتركنا لغة اليومية وعباراتها والفاظها الحلبية على علاتها وسوف تؤدي مادة للكلام في آخر الكتاب على اللغة العامية وخاصةً على اللغة الحلبية .

ورصعنا المتن بالحواشي اينما رأينا في الامر افادة .

وكثر ما يساعد قاموس برتلمي على تفسير الالفاظ فعلمنا عليه بحرف (ب) A. Barthélemy : *Dictionnaire Arabe-Français. Dialectes de Syrie : Alep, Damas, Liban, Jérusalem.* Paris, 1935.

الدفتر الاول

قد ابتدينا على خيرة[1] الله تعالى وتوفيقه في هذا الدفتر المبارك يوم ل٦ الذي هو اليوم الرابع عشر من آب وهو صوم السيدة منتهاه سنة ١٨٤٠ الموافق ٢ آب شرقي السنة المذكورة الموافقه هجره ١٦ جماد الثاني سنة ١٢٥٦ .

جعله الله تعالى دفتر الخيرات ومدر السرور والنعم والبركات .

[٦١] — عدد الاولاد [الاحد] ١٧ بعـد العيد [الكبير] و١٠ بعد العنصرة و٤٤من السنة [الطقسية السريانية بدؤها الاحد الاول من ت ا]١٧عيد السيدة غربي و٣[القديسة سوسانه غربي .

عدد الاولاد		عدد جمع
١[2]– كبه	مرصود	١٧
٢ – كبابه		١٧
١ – كلزي		١٧
٣ – كلداني		١٧
١ – كلسث		١٧
١ – كانيتكه		١٧
٢ – شوكتلي ف		١٧
٢ – شوكتلي ن		١٧
١ – ستوحه		١٧
٤ – شدياق		١٧
١ – ساباك		١٧
١ – سابا		١٧

١) على خيرة الله : اي على ما يلهمني الله ان اختاره من الاخبار والحوادث لتدوينها دون غيرها (ب) .

٢) حاشية الارقام السابقة للاعلام معناها عدد الاولاد من الاسرة . مثلًا ١ كبة اي ولد واحد من بيت كبة . وتجاهها عدد الجُمع التي حضر فيها التلميذ الدرس فيتقاضى المعلم اجرته عليها و « مرصود » دليل على ان للدفتر فصلًا سبق ذكرت فيه الاسابيع ولم نحصل عليه .

٢ – خوري	١٧
١ – خوري ش	١٧
١ – خوري ك	١٧
٢ – خياط	١٧
٢ – حكيم	١٧
٢ – حمصي	١٧
١ – حلاق	١٧
٢ – حجه	١٧
١ – عجوري	١٧
١ – عرقتنجي	١٧
١ – عازار	١٧
٢ – اندريه	١٧
٢ – انطاكي	١٧
١ – باسيل	١٧
١ – بسكوال	١٧
٢ – ناطال	١٧
١ – ضاهر	١٧
٣ – وكيل	١٧
١ – زلعوم	١٧
١ – قضياتي	١٧
١ – بخاش	١٧
١ – بليط	١٥
٣ – يغمور	١٧
١ – يغمور ك	١٣
١ – سايغ	٣٩
١ – نونونجي	١٥
٢ – خودالي	٢
١ – بخاش ك	١
١ – نمان	١
١ – بازرجي	١

١٨٤٠ م، ١٢٥٦ هـ

هذه [الجمعة] الـ١ [الاحد] اولها، رحنا دباغه[1] .واخذنا مقدار نصف رطل وما رحنا لبعيد للبستان من طرف العيد ومن طرف لوسيا .

— والـ٢ فيلومينا عيدها .

— والـ٣ سوسان .

— والسبت السيدة .

— والـ١ اولها صار خبر ان اولاد كبه[2] يوسف ونصرالله اخذوا قرار . يوسف :سوسان بنت الدلال ونصرالله : سوسان بنت نعمةالله صباغ السرياني . الله يجعله مباركاً . وهو الاحد الثالث من لعب المزعبر[3] الفرنجي على التله . يكون معلوم .

---

١) الدباغه بستان يمر به نهر القويق جنوبي حلب . وفيه تدبغ الجلود .

٢) يوسف غنطوز كبه وجيه الطائفة المارونية في حلب . راجع اخباره في « وثائق تاريخية عن حلب » ٤ – « اخبار الموارنة وما اليهم » في سنة ١٨٣٦ – والكرسي الرسولي يقدر له اتعابه ويلقبه بكفالير وما اسهل ما ينقلب اسم « كبه » العربي الى « كوبا » فيوقع احدهم في تحريره الى البطريرك يوسف الخازن تهنئة عند جلوسه في ١ ت ١ ١٨٤٥ « فتح‌الله مركيز دي غنطوز كوبا وكيل المجمع المقدس » .

وآل كبه معروفون في يومنا في رومة وفي ليڤرنا ومنهم الاب روفائيل كبه اليسوعي . المولود في ٣ اذار ١٩٠٥ والذي دخل الرهبانية اليسوعية في ٢٧ ك ٢ ١٩٢١ وسيم كاهناً في ٢٥ تموز ١٩٣٦ وهو يشتغل في الشؤون الاجتماعية حالاً في رومة ١٩٥٨ .

راجع : غانم (يوسف خطار) ، برنامج اخوية القديس مارون . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ في ترجمة المطران يوسف دياب ، ص ٧٢ وص ١٣٤ وفيها ترجمة المطران روفائيل كوبا اسقف ليفورنا المولود في حلب ١٧٧٣ كاهن نحو ١٧٩٣ مطران ١٨٣٣ توفي ١٨٤٠ .

٣) المزعبر او البهلونجي ، والتلة كانت جزءاً من « التال » قرية من « الصليبة » بغرب ولم يبقَ لها اثر في يومنا . وكانت اولاد المدارس تقصد اليها للتنزه ، قرب «ارض المشنقة» .

[٦٢] — الاحد تزوجت سوسان بنت (م) الى (م[١]) المذكور كان نهاه البطرك عن الدخول لعندهم فما قلعوه فاخذها خفية ولما ظهر حبلها راحت عنده وتكللت والمذكور شيخ حارة .

— والاربعا تغير كيفي وقبل ليلة كنت متعنس .

— وال٥ قعدت بالفرشه وكانت خضــه من بيت كوبا من طرف الورق الصراف .

— يوم السبت صار خبر على ان الامير بشير[٢] اخـذ من عند عثمان باشا الاي ٣ عسكر بناء بده يلم سلاح وقتلهم [ردهم] وارسل يطلب غيرهم والاحد آخرها صار خبر ان الانكليز اخذوا بيروت وصيدا .

في ٢٣ آب ١٨٤٠

[٦٣] — وهذه الجمعة اراد الله واسترحت .

— ويوم ال٥ طلعت الى بيت نعمةالله حمصي لانه ارسل خلفي من باكر لاجل كتابة صمدية[٣] . فرحت العصر كتبتها . وركبنا ورحنا الى المرجه : رزق الله وميخائيل وجرجي وابن الثابت . وقفنا كلمنا فطومه البستانية . واخبار الانكليز دايره والناس يقولون انهم برعش . ويوم الثلاثا اتى فرمان لقنصل الانكليز واري Warry من السبع قرانات (؟) ومامور بقراءة قدام القاضي والمفدى [المفتي] على ان الاسلام يعينوا الانكليز على تقليع براهيم باشا وذلك بارادة

---

١) اهملنا ذكر الاسم تورعاً لان آله احياء يرزقون .

٢) هو الامير بشير الثاني « الكبير » وسوف يتسلم للانكليز عن قريب . وبعد ان احتل المصريون سورية من ١٨٣١ الى ١٨٤٠ اكرهوا على اخلائها . فيكتب نعوم البخاش الاخبار والبلاد تعود الى حكم بني عثمان — ولم يتم ذلك الانقلاب الا بوقائع حربية اسهبت كتب التاريخ في وصفها ويتعدى لها نعوم البخاش تصدياً لا يخلو من الفائدة للسند التاريخي .

٣) الصمدية قد تكون طاقة عليها لوح من الخشب فوق البـاب او الشباك ويكتب عليه الشعر . والى يومنا الكثير من امثال ذلك في بيوت حلب القديمة . (اطلب ب في مادة صمض) .

سلطان عبد المجيد فجاوبوا بك اني (حسن) يكون معلوم[1] .

— ويوم الـ ٤ اجا يوسف كلزي خطيب بنت جرجي بليط من ازمير وله خاطب سنة ٩ .

[٧'] الـ ١ اولها . قبل الاحد كان عيد قطع رأس يوحنا غربي . طلعنا يوم الـ ٦ مساء عند فطومه وتمنا السبت والاحد .

الـ ٢ نزلنا مساء وانا نزلت من بكره .

— فتحت المكتب . وكان خبر الانكليز شايع وهذه الجمعة ذكروا ان الفرنساوي صار مع محمد علي ومراده يأخذ اسلامبول والمذكور ومحمد علي التحموا على الملوك عبد المجيد والنمسا والمسكوب والانكليز وبروسيا ومزمعين يتداكشوا (يتقاتلوا) ومهما يجري نذكره فيما بعد .

— وهذا الاحد كان السادس من لعب المزعبر على التله ويوم ٣ و ٤ صار معالجه بيني وبين الخواجا نعمةالله شوكتلي من جهة اولاده يكون معلوم .

وهذه الـ ٣ [كذا] الحقة بطلت وصار الرطل ٨٠٠ درهم حقتين ونزلنا الـ ٢

---

١) راجع فيليب الخازن . المحررات السياسية المجلد الاول ص ٣١ . ولامنس تاريخ سورية ٢ ص ١٦٧ وما كتبناه في « مختصر تاريخ سورية ولبنان » ص ١١٤ (بيروت في ١٩٢٤) اذ اضحى مصير سورية في ايدي رجال السياسة بعد انتصار ابراهيم باشا في نصيبين فرغبت فرنسة في تأييد ابراهيم باشا ابن محمد علي الكبير ولم تطق انكلترة ان ترى المصريين قائمين على ضفاف الفرات رابضين على طريق الهند فاتفقت مع بروسية والنمسا وروسية وعقدت معاهدة في لوندره (١٥ تموز ١٨٤٠) والزمت محمد علي ان يبارح بيرهة عشرة ايام الولايات السورية . وجاءت مراكبهم وضربت مدينة بيروت ١١ — ١٤ ايلول ١٨٤٠ وكان الامير بشير قاسم شهاب قد خرج مع اللبنانيين على ابراهيم باشا فاقاموه حاكماً على الجبل مكافأة له ونُفي الامير بشير الكبير الى مالطة .

وكان ابراهيم باشا قد اظهر في سورية عامة وفي حلب خاصة تساهلاً مع المسيحيين وفتح لهم ابواب المجالس الادارية وكان منهم حنا وجرمانوس بحري الدمشقي وسعى لالغاء العادات المحتقرة بشأن المسيحيين فلما انسحب ابراهيم من سورية حدث الاضطهاد كما وصفه نعوم البخاش .

من البستان واختي كرزه رمدت[١] الله يشفيها .

[٧٢] — الحد عرس الياس بن الياس حمصي فسفسي عديل تدوري انطاكي . رحنا مع بيت كوبا الى العويجى . صلوا الوردية ورجعوا كلهم .

وهذه الجمعة طلع الخبر ان الفرنساوي ما يتحشم[٢] محمد علي وان الفرنساوية فرقه ٣[٣] يكون معلوم ومن الحكم طلع الخبر ان كل من حكى في هذه المصلحة يروح للومان سنة ٤ ومن لعب المزعبر ٧ يكون معلوم .

— يوم ال٦ جبنا فستق رطل ٧ لان الخفة بطلت واختي رمدانه .

[٧٣] — الاحد رحنا القطانه وكان نجنينة الحصرم شريك جبرا بازرجي ونسوانه وطالعنا سمك مقدار اوقية ٣ . وقبضت حق حوش في زقاق الاربعين بظهر المدار ساكنتها خالتي مريم بنت الزحلان بالف ٢٠٢٠ ودفعت غرش ٣٠ فروغ لواحد كان قصده مشراتها و٣٠ بالمحكمة لاجل الحجة .

— والاثنين رحت القطانه كان عيد الصليب وما جبت سوى وقيه ١ . الثلاثا قعد عندنا حبيب ابن شكر .

— في ١٥ ايلول غربي سنة ١٨٤٠ في ١٩ رجب ١٢٥١ .

واه طالت فرخ انكليزي من الشيخ طاها درهم ١٠٠ يكون معلوم . واختي رمدانه .

وهذا الاحد هو الثامن من لعب المزعبر اي البهلوان على التلة والنباية وبده

---

١) الرمد قد يكون سببه النوم تحت السماء اذا ما سقط الندى على الجفون مع الغبراء التي لا تخلو منها حلب .

٢) لم يدافع عن محمد علي . وكانت اذ ذاك حلب بين نارين : نار العثمانيين العائدين اليها ونار المصريين الخارجين منها وما على الاهالي الا السكوت وفيه السلامة !

٣) هذا وفيما يليه في الاسبوع القادم عن « فرق » الفرنساوي تنويه بما جاء عن شارل لويس نابوليون بونابرت الذي حاول اعلان ذاته امبراطوراً في بولونيا وخلع الملك لويس فيليب في سنة ١٩٦٠ .

يلعب بعده احداث ارخص من اول ٥٠[1] الآن ٣٢ . وصار خبر ان ملك فرنسا قلعوه وان بيروت خربها الانكليزي والدكش عمال لان الفرنساوي فرقه تريد مشيخه وفرقه تريد بوناباتره وفرقه ما تريد الملك القايم بروسهم — اشتريت الحوش وكتبتها باسم اختي كزه ولكن هي رزقي .

[٨^١] — الاحد اولها طرحت مرأة انطون عزوز بتوم وكان نقشت بنت الياس شامي الى انطون راجي اخو خوري الياس الموراني عديل الى بطرس اينا . وولدت مرأة سالم بنت جبرا اسيون واتت بصبي [هو حبيب وسيولد له من وسيل حمصي الخوري جرجس سالم وفؤاد سالم ابو جان المحامي] .

والسبت رحت عند المطران [يولس اروتين] واستكريت الحوش كل سنة ١٠٠٠ بدهليز بيت القمدة .

— في ٢٦ رجب ١٢٥٦ في ٣٠ ايلول غربي ١٨٤٠ جعلها الله مباركة .

والسبت الاول من لعب المزعبر — مشورة بطرس خوري الى بنت يوسف متري — واجا بدروس كازي من عينتاب وكان صراف .

[٨^٢] — والاحد اولها رحت القطانه وكسرت بالوع ٣ وما جبت شي. ومساء رحنا ظهر القناية مع خواجا كوبا ركب .

— ١٨٤٠ ٢٧ ايلول .

— والاحد كانت مشورة ميخائيل بن نعمة الله حمصي الى بنت انطون عجوري . والاحد ولدت مرأة جرجي صاجاتي الساعة ٣ من النهار والساعة ٩ من الليل ولدت مرأة نيقوغوص شاه وكيلي واتوا الاثنين بصبيان—والاثنين كانوا بيت كوبا من بكره للمسا في بستان العجمي وكان معهم الحلبي (النوباتي ؟) .

— واله سافر الاي من حلب والامور مشوشه من طرف الانكليز وبراهيم باشا .

— والاحد اولها في ١٥ ايلول ١٨٤٠ شرقي في ١ شعبان ١٢٥٦ .

---

١) اي في بدء ظهوره في حلب كان الاقبال عليه عظيماً فيتقاضى ٥٠ (باره ؟) وبعد ان قل عدد المتفرجين خفض قيمة الدخول للعامى فصارت ٣٢ .

وطلب الله ابراهيم باشا من حلب ١٥٠٠ خيال ورأسهم عبد الله بك بابنسي وكل واحد بالشهر ١٠٠ غرش بارادتهم وعمال ينكتبوا وفيما بعد عفاهم من النظام اذا قدر وملك[1] لا يأخذهم نظام والـ٢ من لعب البهلوان المزعج ... والاحد اولها مات ابن انطون الزغير نعمة الله الله يرحمه

[٨ت] – الاحد اولها رحنـا للصيد الى الدغيل وكان بازرجي ونصر الله خوري بن شكر الله خوري ونهارها طالعت مقدار اوقيه ٢ سمك والاحد ٣ من لعب البهلوان على التله والله تمشينا كنا معزومين بيت الوكيل وكان مريم بنت الشوحه زيارتها عند اختها عزمتها وعزمتنا .

والله اجا الويين من مرعش وراحو للأوردي والخياله لا زالوا مطلوبين للان والله ارسل الخديوي محمد علي وعرف الحكام ان يقولوا للقناصر الذين سلاطينهم ضده ان يسافروا او يتركوا القنصلية ويبقوا وكذلك الحمايات ويصيروا رعايا[2] او يسافروا وماذا يجري نذكر..

– والـ٦ و٩ في تشرين اول غربي وهي انتهاء السنة ١٣ لافتتاحي المكتب .

– وابتدا الـ١٤ في ٢٧ ايلول شرقي ١٨٤٠ في شعبان ٣ سنة ١٢٥٦ .

ربنا يحييها لامثالها والله كان كليل بنت ميشيل ادلايت الى برتاليس الفرنساوي .

[٩ت] – الاحد اولها كان نقشة بنت الشوحه مريم اخت مرأة الوكيل الياس الى نصرالله مراش . والاحد اولها رحنا الى القطانه وما جبت سوى

---

١) وكان ابراهيم باشا على اهبة الرحيل من سورية . وكان قد اعتاد الطاعة العمياء من الفلاح المصري فلم يدرك عناد الحلبي واصراره على المقاومة فحاول لم الرديف بالاكتتاب والتطوع لا بالاجبار . والملك او الملكي نقيض العسكري .

٢) اي ان يتخلوا عن جنسيتهم ويدخلوا في حكم الحكومة كمصريين او عثمانيين. في ايام الحرب بين تركية واليونان ١٨٩٦ شهدنا في حلب رجال الشرطة الاتراك يقفون عند حانوت رجل حلبي يوناني الجنسية ويخطرونه اما بالتخلي عن جنسيته اليونانية واما بالرحيل حالاً لساعته ولا يتركون له الفسحة لتدبير اموره قبل السفر . واذا تخلى عن جنسيته اضطروه الى دفع ١٠ تأخر عليه من الجزية .

وقية ١ او اوقيه ٢ واله مار اسيا رحنا القطانة وجبت مثل يوم الاحد ...

– ال٦ فرضوا كسر الخراج الادنى ٥ والوسطي ١٠ والاعلى ٢٠ يكون معلوم .

– ويوم الخميس اجا الاي هواري [غير نظامي] وراح الى الاردي لعند ابراهيم باشا . وسافر قونصل الانكليز ومعه يوسف كونلي الى اسكندرونه وتجار الانكليز احتموا عند غير قناصر مثل الجلو والفرنساوي كيس وغيرهما.

– والثلاثا قلبنا سقف المربع[1] وتمو الفعالة الى آخر الجمعة والنجارين يوم[2].

– في ١٢ ت ١ ١٨٤٠ غربي في ٣٠ ايلول ١٨٤٠ شرقي في ١٦ رمضان ١٢٥٦ .

[٩٦] – الاحد كانت نقشة بنت انطون عجوري الى ميخائيل ابن مقدسي نعمة الله حمصي . وما لعب البلوان هذا الاحد . وصار خبر ان الموسكوب وصل الى ارفه وعن الاردي ان اهل الجبل [الدروز ؟] قتلوا من عسكر ابراهيم باشا مقدار ثلاثين الف. وانهزم براهيم للشام وكان سليمان باشا موجود في اللاذقية ومعه اربع الايات فضايقوه عسكر الانكليز والجبل والمصلي فانهزم وما قدر يجر الطواب فسد القاله بسمار حديد غليظ حتى لا يضربهم العدو بطوابهم. واخذوا مني ومن والدي عشرين غرش كسر الخراج كل واحد ١٠ يكون معلوم[3] . وفي قول ان الجبال مثل اللجا وجبال نابلوس والدروس (كذا) والنصيريه قايمين على ابراهيم باشا كلهم والتاريخ .

– الاحد اولها في ١٨ ت اول سنة ١٨٤٠ غربي في ٥ ت اول شرقي ١٨٤٠ وكان المظال عند اليهود في ٢١ شعبان ١٢٥٦ هجره .

---

١) اي انهم ترعوا «الزريقة» ورمموا خراب السطح واصلحوه لكي يتمنوا الوكف. ولم يستعملوا المجدلة قط في حلب كما في لبنان وكانوا يفرشون على التراب نوعاً من الطين المصنوع من قصر الملّ (ب) والقنب والكلس وهذا يسمونه الزريقة ولا ينش الماء المطر .

٢) اقلبها فتقرأها اعتراف – وكذلك يأتي في الدفتر هلوانم اقلبها فتقرأها مناولة . دلنا على حل هذا اللغز المرحوم قسطاكي حمصي .

٣) في جمع مال الخراج كانت الطائفة مكلفة بمبلغ مناسب لعدد افرادها . وكان الغني يحمل الفقير . فيظهر من كلام البخاش ان والده وهو دفعا الكسر عن فقراء الطائفة .

[٩ب] — الاحد رحنا الدباغة وجبنا مقدار اوقيـة ١٧ سمك وكان معنا بازرجي .

— الاثنين رحت وحدي الى جبل النهر والقبار والريحاوي .

— والاحد اولها لعب المزعبر وطير شي. مثل القبة[1] في السما. وحد ما قطع من التلة التي عند بستان الكلاب لحد قلعة حلب وقعت ؟ شي. كثير كويس ما شفناه بحلب يكون معلوم . ونصرالله حوا مريض ومخطر .

والجمعة صار خبر ان الكلاسة والوراقه وهديك الاطراف[2] تفضي لان الاوردي مزمع ان ينتصب قدام القشلة التي عند جسر السنديانة وماذا يجري نذكره .

— والاثنين كان اول رمضان . وولدت مراة صولا بنت عزوز وجابت بنت .

— ٢٨ ت ١ ١٨٤٠ .

— السبت اجا الاي الطوبجية وايضاً الاي صواري وبياده ونظـام وغيرهم وتموا ينتقلوا الى نصف الليل وبقيوا بحلب. وهذا الاسبوع اجا ميخائيل عجوري للمكتب وكان نافر عن المجي فأجا .

[١٠أ] — الاحد رحت الشابندر .

— والاربعا. فضوا القواسير [القيصريات] في الصليبة ونزل الاي نظـام في الصليبة وكان سببها قال حمزه بك ان كبر الخراج يعطوه الكبار فما فعلوا امره فنكاية نزل الكدخان بالصليبة والناس موهومين كثير من طرف براهيم باشا .

---

١) قد تكون القبة من الورق على كم البالون وشأنها معروف يملؤونها من الدخـان ويضعون في اسفلها عند الفتحة اسفنجة مبتلّة بالزيت فتصلح وقودًا ونأتي بحرارة تدفع القبة في الهواء . ولكن الخطر كل الخطر من سقوطها في المواضع التي يمكن ان تضرم بها النار .

٢) اي ان سكان تلك الاحيـاء استوحشوا جيرة العسكر فتركوا بيوتهم ونجأوا الى غير مواضع . والكلاسة اسم الحي عن سكانه الذين يشتغلون بالكلس . والوراقة هم الذين يورّقون الحيطان اي يطلونها بنوع من الغبار الابيض الناعم وهذه « الورقة » تمتاز بها البنايات الحلبية دون سائر البلاد .

— والجمعة راح الشبل العريان[1] ومعه طواب الى العمق لان الكراد نزلوا نهبوا العمق واخذوا ١٥٠٠ جاموز ابراهيم باشا ونهبوا البدار فارسل ينهبهم. والمزعبر لاجل انه طاير القبة التي ذكرناها سابقاً فارادوا يبركلوه فشفعوا به فابطل اللعب. وقالوا نزل القبة بالقلعة قصده يحرق الجبخانه ويخرب حلب هذا كان السبب.

— والاحد اولها كان عرس بطرس خوري الى بنت يوسف متري وولدت مرأة رفول مشاطي واتت ببنت وصار خبر ان العسكر يعمل قشلة في الشتوية بحلب.

— والخميس في الليل دبجوا ابن الدنبقي ومرته في الليل والذي ذبح ونهب مسكوه: بن عبود العيد مسلم. وتوهموا الناس ذنبوا بالعسكر وخصوصاً الصليبة بقيوا مرعوبين وفضيت ارفه ومرعش وعينتاب وكثر من العسكر والجميع بحلب ولما دخل من ادنه وترسوس وكلك بوغازي معمر طابيات مقدار ٢٠ كل طابية عود خشب ١٠٠٠ وموجوده داخلهم الجبخانه فعطا النار خربهم وقتلوا نفر وافر من نظام مقدار ٣٠٠.

والفعول (الفعلة) خلصوا من عندي هذه الجمعة والسبت.

ومكلفين الطابيات[2] مقدار ١٦٠٠٠ او ١٧٠٠٠ كيس ودعك العار الذي حوالِيهم والنظام الذي قُتل كان مريض وعليل فاحاطه بالطابيات وعطا النار فماتوا[3].

— في ٢٦ ت ١ ش في ٧ ت ت غ ١٨٤٠ في ١٣ رمضان ١٢٥٦.

[١٠٣] — الاحد توفي نصرالله حوا. والاحد رحنا القطانة وجبت مقدار اوقيه ٤ سمك[4].

١) شبلي العريان احد زعماء الدروز وقائدهم في محاربة المصريين

٢) الطابية البرج المدور [ب].

٣) عوض ان يعتنوا بالمرضى والجرحى... اجهزوا عليهم عادة بربرية قبل تأسيس جمعية الصليب الاحمر.

٤) من ملح اليومية وفكاهاتها ومما يزيد قيمتها في تصوير الوقائع ان البخاش يجمع في عمود واحد اخباراً خطيرة تاريخية يتخللها نكتات او خبريات لا تأتي في نظر المؤرخ الّا

— والاحد صار خبر ان الالايات جميعها طالبها ابراهيم باشا وبدها تروح وبدها تفضي البلاد . وبتنا ليلة اوشم النومات .

— والاثنين صاروا يبيعوا حمطة الباشا شنبل ٤٠ كان ٦٠ والعسكر بدا يبيع مقتاه وبده يرحل .

— والثلاثا كذلك .

— والاربعا صار خبر من ابراهيم باشا من والده ان الفرنساوي معه فضربوا طواب زينة وما بقي يروح العسكر وكفوا عن بيع الحمطة .

— والخميس بدوا يبيعوا منها بالسعر المذكور ٤٠ وصار جفلة نهارها بحلب وطربقوا (ب) الخانات وكان سببها ان كدع (جدع او قبضاي) من النظام هبش ثوب جيث من دكان من الدكاكين فركضوا خلفه وركضوا الناس من غير علم . ناس يقولوا زلزلة . ناس العسكر عمال ينهب . وناس كثير رعيبه . فانهزموا ودخلوا الخانات وسكروا البواب هذا هو الباعث للجفلة كان. واكثر الناس ارتعبوا يكون معلوم .

— والاربعا اجا متسلم لكلز عصلي فطردوه اهل البلد وقالوا ناس ان ابن شريف متسلم حلب صار من قبل العصلي وقاعد بالجسر ومنتظر رواح المصري حتى يدخل بحلب ومعه مقدار ٢٥٠ نفر .

— والاحد اولها كان ١٤ رمضان ٥٦ وال ١ من تشرين الثاني ١٨٤٠ غربي و١٩ تشرين اول شرقي ١٨٤٠ .

— والسبت رحل العسكر وبدي يشحط الى الشام نسا ورجال واولاد وطواب والايات ولبش وغير ذلك واهل البلد الاسلام تظربنوا وبدوا يتوعدوا النصاره بشيء مهول والناس مرعوبين ومنهم راحوا ناموا بالمدينة[1] ونقلوا لبش

كعجة الرمل بين حجر البناء. ولكن لها سكاتها ولا نستنكف عن ذكرها من حين الى حين عنواناً لاسلوب المؤلف المدع المثيل ولا ادري هل يوجد ما يباريه مثلها في الاداب العربية . . . وغيرها . . .

١) المدينة هي في عرف الحلبيين المنطقة التي تشمل الخانات وما اليها من الاسواق. هذه الخانات موجودة الى يومنا وهي كالحصون بابوابها الغليظة وابنيتها المسورة . والى يومنا عليها حراس يغلقون تلك الابواب في الليل

وفي النهار صاحوا ينغا[1] بالصرايا وبالقشلات وايضاً بالشيخ ابو بكر وبصراية ابراهيم باشا . وصاروا يبيعوا اللبش . والشون [مخازن المون] نهبهم العسكر ينغا وصاروا يبيعوا التفنكه بغرش واحد والمطره (اي وعاء من جلد للماء في السفر) بعشرة بارات وبعشرون باره والتاسومه الواحده بغرشين والنحاس والملبس بالحنا (او بالجنا ؟) انباع حتى باعوا الجميع وجلد الجاموس بسعر ٣٠٠ غرش انباع بعشرين غرش . والما اخذوا علايف خبز وشعير ودراهم وقاصدين الرواح الأحد يكون معلوم وليلتها الناس مرعوبين كثير .

[في سنة ١٩٤٠ كان محرر هذه الاسطر يدور في اسواق حلب مع فريق من العسكر الافرنسي ليفرجهم على البلد . ودخلنا سوق البيمارستان وفيه الاقمشة والسلع معروضة للبيع . وما ان رأى احد الباعة قدوم العسكر الاوارنج واخذ يلم بضاعته ليحميها من « الينغا » ظاناً بان العسكر سوف ينهبها كما كان يجري على الايام التي نحن نكتب عنها . وان تكن دقيقة الا وتغلق السوق وتمتد الجفلة الى سائر اسواق « المدينة » . ولكن اشرنا بجدوه الى صاحب البضاعة ان ليس عليه خطر ولا على بضاعته فهدأ وسكنت السوق وابتاع العسكر ما شاؤا ان يبتاعوه ذكرى لمرورهم في الشهباء يحملونه الى بلادهم من امثال ذلك « التواسيم الحمر والطرابيش الحمر » . ووقفوا عند الحلوبجي وابتاعوا كل منهم سقاطة بقلاوى . . .]

— اولها الاحد ١٥ ت ثاني ١٨٦٠ في ٢١ رمضان .

راح عسكر مصري نسا ورجال والايات بيادة ومزرحين (مسرحين) وصواري ووردیان (حرس) وطوبجية والى الظهر فضيت البلد ما بقي ولا واحد

— ينغا هو صراخ الجند اذا دعوا الى النهب اي لكل انسان ما تقع عليه يده يأخذه ولا عتاب عليه ومال الينغا كالغنيمة في الغزو عند اهل البادية ونقيض « المدينة » « الصائح » وهي الاحياء وما اليها في الجديدة خاصة . سميت بالصائح لان الباعة يصيحون فيها وينادون فيما يعرضون بضائعهم للبيع .

١) وشيء من ذلك حدث في نهاية الحرب الكونية الاولى عند انسحاب الاتراك من البلاد السورية والحلفاء يطاردونهم .

وكذلك في حلب سنة ١٩٤٠-١٩٤٥ عند انسحاب القوات الافرنسية منها في اواخر الحرب الكونية الثانية اذ بيعت البارودة او التفنك وذخيرتها بسعر بخس جداً . ونهبت الفشلة في السوبات التي خلت من الحرس بين خروج جيش فيشي ودخول جيش الانكليز والافرنسيين الاحرار .

حتى الكتبة القبط من غير الحلبية ذهبوا وعرب هتاري وصار سكته بجلب وصاروا اهل البلد ينهبوا من القشلات تفنكات وبارود ورصاص ولبش عسكر وكل واحد من الاسلام يأخذ تفنكتين وثلاث ومنهم ٢٠ ومنهم ٣٠ ومنهم بوقته يدكوا ويضربوا وصار الكل يضربوا تفنك وارتعبوا اهل البلد والبعض ذهبوا الى الخانات يناموا ووقموا النصارى بيد الاسلام وبقوا يرجفوا قصب (كالقصب) وعبد الله بابنسي ثم منسلم من طرف الافرنج ومن طرف بن شريف . وجرمانوس بحري سافر وحريمه عند بيت الباهو [بيچوتو] القنصل وتاجر نصري وشكر الله سافروا وطول النهار والليل عمال ضارب تفنك ورز الرصاص في الاذان والاثنين والثلاثاء والاربعاء بهدلوا النصارى بهدله بنظومه البعض يضربوهم البعض يتهددوهم البعض يرموا لفاتهم في الارض ولفات المصريه[1] صاروا طارات من خوفهم وكل ليلة يصير وخف يتسلحوا ويدوروا بالليل وعبدالله بابنسي ايضاً يتسلح ويدور كل البلد ونحن كل ساعة برعبة شكل .

— يوم الخميس اجا بن شريف متسلم حلب يوسف آغا ساعة ٧ من النهار (باعتبار الساعة العربية اي ٧ بعد طلوع الشمس) وبعد مجيه طلع خبر ان يزينوا البلد سبع ايام وسبع ليالي هذا غلق[2] تساري فالباري تعالى دبر شلفوها بعد عيد رمضان يكون معلوم .

— ويوم الجمعة ولدت مرأة نصرالله خوري واتت ببنت الساعة ٢ من النهار .

[١١'] — ١٨٤٠ — ٢٣ ت ٢ — الاحد ما طلعت من البيت من خوفي لان تم قلب لفات وتشقيق مناديل للنصاره .

— الاثنين الجمعة التي قبلها دخلوا بعض الاسلام الى كنيسة السريان ونزلوا

---

١) الطارة آلة من الآلات الطرب كالطنبور الصغير يُضرب عليه .

٢) الغلق التساوي في حصر المعنى هو ملتقى الخطوط التسمة في عقدة سقف القبو وفي المعنى المجاز كما هنا « كالة المراب » (ب في مادة تسع) .

قنديل فضة فارسلوا (السريان) خلف قنصل الروام[1] فارسل كم نفر من عنده فضربوا الاسلام واخذوهم لمند القنصل والقنصل ارسلهم للمتسلم فحبسهم عنده وجاب البطرك قلق (حرس) ثمانية انفار من عند المتسلم تمو ينطروا الكنيسة ثلاثة ايام وبعده دشرهم .

. — الثلاثا. كان الوقفة .

— الاربعا. عيد رمضان عيدوه بكل هنا. الاسلام وفي العيد ونبوا كم واحد من الكبار الذين اتوا يعايدوهم وخرفلوهم(؟) ومن الجملة شيخ الشورنجي وبن شيخ القامتليه وايضاً بن بيازيد وغيرهم والبلد ركنت عن اول واحسن وصار خبر ان جايه ثلاثة باشاوات موجودين في عنتاب وعمال يكتبوا نظام والاسلام ريحوا شي. قليل ومعهم مقدار ثلاثون الف منهم ١٢ الف نظام والباقي باشي بزق .

والاربعا مات يوسف فتال الساعاتي .

— والاحد كنت معزوم بيت المجوري للغدا. صار خبر ان ابراهيم باشا بعث طلب الجبخانة الموجودة بحلب فارسلوا يقولوا له ما عندنا. مثال ارسل دواب لترسل لك اياها وتمت باقية في حلب وان ارسلوها بعد نعرف عنها .
وكان عيد سيدة النجاة بواسطة عيدها الباري تعالى كف غضبه عن مدينة حلب بشفاعتها وان هذه السيدة هي محامية حلب وعلى هذه المنية علقوها في كنيسة السريان .

— والاثنين ولدت مرأة فتح الله عرقتنجي وجابت صبي .

[١١٢] — ١٨٤٠ — ٢٩ ت ٢ — الاحد عيد عمران سيدة النجاة فارتعا هلوانم (اقلبا فتأتي اعتراف ومناولة) .

---

١) ان دار مطرانية (او بطريركية) الاروام او « الفانفة » تقع تجاه دار مطرانية السريان وكنيستهم عن بعد بضعة امتار فلا عجب في ان يستنجد السريان باخوتهم الاروام على الاشقيا. الذين اخترقوا حرمة المبد وترلوا القنديل الفضة . ودار القنصل الاروام غير بعيدة عن الحي .

اجا زخريا باشا[١] سر عسكر عصلي ومعه الاي ثمانماية واحد ركاب والسبت قبله اجا مثله عدد نفر وضربوا له طواب . وطالع دلال امن وامان ولا احد يتعارض احد وهذا كل يوم من بعد رواح المصري الى الآن يطلع كل يوم دلال واثنين ان لا احد يقارش احد ولا يتبارد على احد .

— ويوم الاثنين راحوا يسلموا عليه الاعيان وراح البابنجي المتسلم ويوسف آغا ابن شريف حكمدار حلب فتصدر البابنجي ولبسه كوكوله (نوع طربوش) مزركشة مقدار ٨٠ مثقال قصب وسماه بابنجي بك متسلم حلب فلبسها وضرب تمني وتبل اذياله وقلع ابن شريف يكون معلوم .

ولم يزل البهدله في النصاره من السيدة [جمع سيّد] الى الآن .

— والاخد رحنا بستان العويجي وكان مطر وانا جبت فرخ براق واحد مقدار درهم ١٥ وكان معي بازرجي لان اخاف اطلع وحدي . والبرباره نظمناها بيتنا والاسلام كل من له على احد عمال الان يستبد فيه اضعاف وما احد عمال يقصر من قتل وضرب وتبليص .

— ويوم الخميس ليلة البربارة ايضاً دخلوا اسلام الى الكنيسة وسلحوا لفاتهم ودخلوا بتناديل لكي لا يعرفوا وضربوا القندلفت وضربهم وارسلوا خلف يسقي قنصر الروام فانهزموا[٢] .

[١١[٣]] ١٨٤٠ — ٦ ك ١ — الاحد اجا اسعد باشا باشة حلب ونهارها راح

---

١) احمد زخريا باشا من كبار قواد الجيش العثماني . عُهد اليه بتابعة الجنود المصرية ويرد النظام الى البلاد في حالة الفوضى التي تحدث في انقلاب الحكم . راجع الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا . تولى جمعها وضبط قراءتها ووضع فهارسها الدكتور اسد رستم بيروت — المجلد الخامس: الاوراق السياسية لسنة ١٢٥٦ ﻫ. التي نحن في صددها . ص ٢٢٨—٢٣١ وفيها يومي القواد والاعيان بالعودة الى طاعة السلطان و ص ٢٥٨—٢٥٩ بالاعتناء «بملاحظة الفقراء والضعفاء». ١٨ شوال ١٢٥٩ وجاء في الاصول ص٢٦٥—٢٦٧ ذكر « خيانة شريف باشا » فهل يكون بينه وبين ابن الشريف علاقة ؟ والله اعلم !

٢) ان المسيحيين في القرى لباسهم كلباس المسلمين فيضعون على رأسهم الحطاطة والعقال . واذا دخلوا الكنيسة يترعون العقال احتراماً ولا يبقى على رأسهم الا الحطاطة او المنديل . . . فيظهر من كلام البخاش ان الذين دخلوا الكنيسة هم مسلمون تنكروا بزي المسيحيين فعرفهم القندلفت وطردهم . . .

مقدار ٨٠٠ واحد بيادق الى حماه وبراهيم باشا للان باقي بالشام ما راح .

— والاربعا. كان مرفع الميلاد ونهارها انترع كيف اختي والمسا فصدناها وثاني يوم صح كيفها .

— ويوم الخميس قتاوا بنت توما مزأة السايغ وكانت بين نفسين رفسوها برجلهم على بطنها طرحت ولدين وماتت والذي ضربها مسكوه وماذا يصير نعرف عنه .

— ويوم الاربعا اجا ابن الكروتلي يوسف من بيروت وصار حماية[1] انكليز لانه تسركل مع القونصل فهادوه مكافأة حماية وناس يقولوا مثل ما راح مثلها اجا (اي انه لم ينل حق الحماية) .

[١٢'] — ١٨٤٠ اا ١ ١٣ كانون الاول — الثلاثا انعزمت العبارة عند بيت عجوري فتح الله وكان فرنسيس ومرته وميخائيل صادر وانبسطنا .

— الجمعة تقاتلت انا وبقلاوه[2] وضربته بيت الكتابه كف ونقره بالغليون لاجل انه ضرب ولد من اولادي الذين بالمكتب وكان معي بالدرب ونحن خارجين من رياضة الميلاد .

— والاحد اولها ضربوا طواب ان صلح بين براهيم باشا والعصملي ان يتركوه بمصر واسكندرية .

— والجمعة صار ضرب طواب بسبب المادة المذكورة .

— والسبت صار ضرب طواب وما عندنا خبر المادة وهي الزينة التي ذكرناها سابقاً انقضت بضرب طواب ايام عده ٧ .

[١٣'] — الاربعا سكر الياس [...] الموراني وضربوه العسكر بباب

١) في ذلك العهد الى الناء الامتيازات الاجنبية في الحرب الكونية الاولى كان للقناصل في السلطنة العثمانية امتيازات لهم ولتراجمتهم وللذين يلوذون بحمايتهم . . . منها انهم كانوا في الدعاوي يقضون للمتحاكمين لا في المحكمة العثمانية ولكن في دار القنصلية .

٢) مَنْ هذا بقلاوه ؟ — قد يكون الاسم مستعاراً لشخص لم يرد البخاش ان يدون اسمه الدفتر . النكتة جديرة بالذكر فانها دليل على مكانة معلم المدرسة في البيئة الحلبية وعلى غيرته وسطوته . والنقرة بالغليون ؟ . . . من المعلوم ان كان الغليون له قصبة طويلة في تلك الايام فاستعملها البخاش كالعصا ؟

الفرج وايضاً ودوه للصرايا وايضاً ضربوا الذي خلصه كاميلو بالفرد رصاص ما طلع . والفرنجي كان الذي خلصه حكيم ساكن بالشرعوس.

[١٢٢] — ١ ك٢ — ١٢٥٦هـ. ١٨٤١م الجمعة رأس السنة غربي .

— ماتت مريم بنت ديدكوس سمان وكان برد صارم واخذت خبر من الخواجا انجلو ان ببلاد فرنسا كبر النهر او البحر واخذ نفر ماله عدة آلافات من الشعب مع بيوتهم واموالهم واعيالهم وبمصر زاد النيل زود عن معتاده شبر ٨ وجرك القطن والرز والمزروعات كلها يكون معلوم .

[١٣١] — ويوم الـ٦ ليل السبت في الليل ماتت بنت الخواجا عبدالله دلال وكان بطرس خوري طلع من الحبس لان المذكور طلب منه اسعد باشا باشة حلب ان يشغل له طاقات ضولي وتعوقوا بدفع الدراهم له حتى يقدم هو الصوالي وهو تعوق بالتقديم فلذلك نزل الباشا يتفرج على الشغل بالقيسرية فما رأى شغل غير اربع اصابع وكان مضا أيام ١٥ فارسل خلفه حبسه وبعده طلع وجاز عنه شغل الطاقات(الصايات). وهذه الجمعة طلعت من الخفا[1] من بعد رواح ابراهيم باشا الى الجديدة. وبيت المزعبر على التلة هذه الجمعة خربوه وباعوه وكان واحد للعب وواحد لاجل الميخانة لانهم كانوا يبيعوا عرق وعنبرية ومشروبات ميخانه. وزرقوه ونظفوا له بلور مثل بيوت الصايح .

[١٣٢] — ١٨٤١ الاحد ١٠ ك ٢ — الـ٤ مبتدا سنة جديدة شرقي وأله رحنا للشابندر وطالعنا في العجين وفي الملتق . والاربعا كانت اختي كرزه متعشية بيت الكوبا وسهرت ورحت جبتها .

— الخميس كان فوتة عروس بيت البازرجي بنت الشامي مرة اخو الخوري. وانبسطنا كتير للساعة ٨ عصمليه والاحد اولها خطبة بنت ميخائيل بازرجي الى ابن نصري شماس ورحت لفوتت العروس وحدي واهلي انعزموا وما راحوا والاحد كنت سهران بيت المقسي نعمة الله حمصي وكان بيت العجوري ليلتها عندهم سهرانين .

---

١) قد يكون البخاش لازم بيته في حي الصليبة (؟) او ما وراء العارة ؟ وذلك الحي بينه وبين « الجديدة» بوابة الياسمين ولا يفرقه عن الجديدة الا ثلاثمئة او اربعمئة متر. . . فكان الناس يخافون قطعها لئلا ينالهم الاذى في وقت الفتن التي جاء ذكرها سابقاً .

— والجمعة نظم الباشا الى العيان بهدلة لان الاسلام كانوا عمال يبهدلو النصارى وقلب لفات وغير اشيا[1] اتعرفوا ان النصارى مؤتمنين ومولانا السلطان لولا يريد النصارى بملكه كان نفاهم ومن الان وصاعد وهو الحالف من فمه والله العظيم ان بعد اليوم صار بهدله للنصاره قبل ما اطلع من حق الذي بهدل يطلع من حقكم انتم قبلا وبعده يطلع من حق الذي جرت على يده ومن الان وصاعد ديروا بالكم ان يصير بهدله او كسرنام للنصاره يكون معلوم . والباشا اسعد باشا .

[١٣٢] — اجا خبر مطران روفائيل بن كوبا[2] في ليكورنو وكنت معزوم عندهم وكان مشوي دج دجاجة ترنبيط .

— ويوم الاحد اجا فرامين للباشا اسعد باشا وصيروا [البابنبي] المتسلم قبجي باشي يكون معلوم والباشا لبس الاعيان كوكولات وايضاً المتسلم وضربوا طواب الخميس اجا قونساوس الانكليز واري وهذا كان براهيم باشا سركله والآن رجع بفوته عظيمة وسحب له الباشا يدك (ابهة) يساوي ١٢ الف برخته[3] وقواسه ونظام للاقاته وضرب له طواب عدد ٧[4] . واراد الباشا يساوي له

١) منها اذا التقى المسلم بالنصراني قال له طورق اي انزل في الطاروق حيث تجرى المياه القذرة في الازقة . والى اليوم عدد غير قليل من الجهال يبصقون على الارض اذا مر امامهم احد المسيحيين في البلد والاولاد يحكون رؤوسهم . ولا تسأل عن الشتائم التي تنهال على الصليب وغير ذلك — وهذه البهدلات لا يرضى بها رجال الدين الاسلام المتنورون ولكن لم يستطيعوا الى يومنا ان يمنعوا العامة عنها . والمعلم المسيحي في مدرسة المعارف في حلب يسمع الولد المسلم يخاطب رفيقه المسلم ويقول : معلمنا كافر ! ويبلغ الكلام الى آذان المدير المسلم فعوض ان يونب الصغار يعذرهم ويقول للمعلم المسيحي اذا احتج لدى الادارة عما سمعه مشينا في حق دينه : « شو عرفهم هدول ولاد ! » ومنها نرى في صيدا سائق السيارة المسلم اذا رد بقية العملة الى الزبون المسيحي وهذا اراد ان يقبضها اخذ المسلم يد المسيحي وترلها تحت يده وقبضه عن يد وهم صاغرون . (شاهد عيان)

٢) راجع سابقاً [٦١] حاشية ٢

٣) الرخت او السرج المزركش .

٤) في هذه الوثيقة وفي غيرها مما ننشره بعدها نرى المكانة التي احرزها قنصل انكلترة عند الباشا ولا عجب لما كان لانكلترة من النفوذ وهي التي كانت بطليعة الدول التي ردت للسلطان سطوته وناصرته على محمد علي عزيز مصر والجأت ابراهيم باشا والمصريين الى النزوح عن سورية .

فنطزية اكتر فكان نهاره ماتت بنت عديله بنت كليك فمن شأنها ما راد ان يساوي فنطزية يكون معلوم . وبنت الدلال كانت مريضة وفرقت لقدام احسن من قبل . وبهذا الوقت كتران الجدري والحرسان .

[١٤'] والاحد قعد عندي بن حنا رعد والاحد اولها رحنا وبازرجي للقطانة وما اخذنا سوى فرخ ٥ درهم ورجعنا للتابندر جبت مقدار اوقية واحدة وبعده جبنا من القبار وجبل النهر قطع ١٠٠ درهم .

وال ٦ مار انطونيوس والناس مخبرين بوبا وكتير الناس اخذينه بذهنهم يكون معلوم .

ونظموا بيت دير اروتين عزيه الى ميشيل حمصي عزيه منظومة بنوبتهـا يكون معلوم .

وبنت الدلال طابت هذه الجمعة .

[١٤'] الـ ٣ سمعان الشيخ رحت بيت الحلو واخذت تفنكه ورحت للباشاليات (او بستان الباشا ؟ في الميدان وجبت دج ٣ . (ب غريف)

البطرك رسم نعمة الله بن اخوه قسيس وسماه روفائيل والمذكور بن فتح‌الله جروه . وانطون الجد حكيمي مريض ومتقل بالمرض .

[١٤'] بارض الجمعة اروح صبحية مساوية الى القبار .

[١٥'] ١٣ ١٨٤١ شباط — الاحد . كان سمعان الشيخ شرقي وكنت معزوم بيت الوكيل انا واهلي يوم الاثنين ايضاً والثلاثا يكون معلوم .

— الخميس كان السكارى فتحت (المدرسة) لان عندنا نجار من اجل الدرابزون .

— الجمعة رحنا من بعد الظهر لمسا الاولاد قاطبة [للتنزه] .

— السبت رحت مع الاولاد بعد الظهر واخذت التفنكة وضربت دج واحد . ونهارها بعد الظهر وقع بسكوال عجوري من قدام خان بيت الناتوز

من القافعة[1] الى اسفل والحمد لله ما يموت . وقعة ملعونة واستقام بالمدينة (لان بيت الناتوز كان في المدينة لا في الصائح) في الارض بالفرشه وامه وابوه عنده.

[١٥^٢] — ١٨٤١ ٢ شباط — الاحد اولها كان المرفع الكبير .

— الاثنين ان شاء الله سنة مباركة وهو اول يوم من الصوم الاربعيني .

وصار خبر ان بيت الفارحي[2] في الشام خدموا عند المصلي باشت الشام والقنصل الانكليز ما اراد فارنسل قال للباشا فما اراد يسلك كلام القنصل فبعد ايام عدة ١٥ جاب اه العزله من اسلامبول يكون معلوم .

— السبت ملر فرام رحنا عين التل ووالدي وقضياتي وبنا وجبنا مقدار نصف رطل سمك من النهر . وبنت كوبا يوم الجمعة نزل نزله عليها وزمدت يكون معلوم .

يوم الاحد اولها فارتما (اعترفت) .

[١٥^٣] الاحد اولها — رحنا الى الشابندر وما جبنا شي . سوى ربع وقية وكان مطر . وفي ارض الجمعة زوج صبحية الى الشابندر والناعوره ناخذ فراخ كلود وكرسين وبرميد قطع من ١٠٠ الى ٤٠ درهم ويكون معلوم بعجين .

[١٦^١] ١٨٤١ ١ آذار الاحد .

— الثلاثا اربعين شاهد .

— الاحد رحنا الى الميدان وكان نهارها حاكم المستقرضات ونهارها ما قطع المطر ونحن مخابيين بالطاعون الذي على درب الخلاص (اي على نهايته) .

الاثنين اخذت تتون رطل ٣ سعر ٦٦ غرش يكون معلوم مشروب الهنا .

[١٦^٢] ١٨٤١ ١٩ آذار .

الجمعة بسكوال طلع للزقاق وزلغطوا له(هو الذي كان وقع من القافعة).

---

١) الطاقة التي يأتي منها الهواء او النور وتكون في سقف الاقبية وتُغطى بلوحة من حجر او من حديد « مفقع » .

٢) الفارحي اسرة يهودية عرفت في حلب . ومنها في بيروت فارحي صاحب الصيدلية وهو من وجهاء الطائفة الاسرائيلية ووكيل جميتها الخيرية .

الثلاثا بديو الاولاد بالمقامات عازار وكبابه ورفقاتهم ونصري بادي بالمزامير.

[١٦ٓ] ١٨٤١ ٢٥ اذار الخميس اجا دفتر دار من اسلامبول .

[١٧ٔ] ١٨٤١ ٢٠ اذار — الاثنين انوجد قتيل بين تلات الزبل بالمشارقة والحكم عمال يفتش عليه وماذا صار نذكره فيما بعد و(في) الريحاوي عبدالله بك [البابنسي] المتسلم عمال يعمر قصره وصار له ايام يكون معلوم .

— الثلاثا المسا تغير كيف بن كوبا انطوناكي وشرطوه من نقرته واذانه وصار له هزة الحيط (ب Convulsions infantiles) وبين الاولاد [وعددهم٥٩] باتوا محرسنين شدياق وخوري س وحمصي وحجه ووكيل ونجاش ويغمور وحبيب وجهامي ورعد .

[١٧ٓ] عدد الاولاد الـ ١٥ بعد العيد والـ٤٦ بعد المنصرة والـ ٢٧ بعد السنة والـ ٧ من الصوم والـ ٣ بشارة شرقي — ٣ ، كبه ٥١ -٢، كبابه ٥١-١ ، كلبي ٥١-١، كنداني ٥١-٢)، شوكتلي ٥١-٢ ، شوكتلي ٥١-١ ، شوحه ٥١-٣ ، شدياق ٥١-١ ، سابا ٥١-١ ساباك ٥١-٢ ، خوري ٥١-١ ، خوري س ٥١-١ ، خوري ك ٥١-١ ، حكيم ٥١ — ٢ ، حمصى ٥١-١ ، حلاق ٥١-١ حجه ٥١-٢ ، عجورى ٥١-١ ، عازار ٥١-٢ ، انطاكي ٥١-٢ ، اندريه ٥١-٢ ، ناطال ٥١-١ ، بسكوال ٥١ ١ ، باسيل ٥١-١ ، ضاهر ٥١-٣، وكيل ٥١-١ ، زلعوم ٥١-١، قضياتي ٥١-١ ؛ نحاس ٥١-٢ ، يغمور ٥١-١ ، حبيب ٣١-٣ ، جهامي ٢٧-٢ تركماني ٢٣-٣ ، نعمة الله انطاكي ٢١-١ ، بازرجي ١٨-١ ، حنا بدره ١٨-١ ، رعد ١١-١ ، نصري عجوزي ٧-١ ، اديب ١٥-١ ، بخاش ك ٢٨ . م

[ان الرقم السابق الأسم يفيد عن الولد من الاسرة والرقم التابع الاسم يفيد عن عدد اسابيع حضوره في المدرسة . مثلاً من بيت كبه حضر ولدان على مدى واحد وخمسين اسبوعاً .

١٨٤١ ٢٧ آذار يوم الجمعة طلعت المحرمية وضاجت البلد وبعده راح قونصل الانكليز عند الباشا ورفعها ، وبنت كوبا رمدانة وما طابت .

[١٧ٓ] — الاربعا اجا ابن السقال يسيا ابن الوريث .

[١٨ٔ] ١٨٤١ ١٨ نيسان — الاحد الجديد . نهارها رحت للصيد الى كرم مصري ضيعت بيت القداحة مزركشة وكيس التوتون شال وكيس الصيد وكان هولا الضايعين نشل من نسوان كانوا موجودين جنبي ونهارها كان موجود (في) بيت عازار ابن قونصل الانكليز باركر واخته ومرته ، عزيه . وبنت رعد كانت مثقلة على اثر الخرسان . طابت يوم الاثنين .

— والجمعة كان عيد مار جرجس درت عيدت يكون معلوم.

[١٨ ٣] ١٨٤١ ٢٧ نيسان — الثلاثا وقع رزق الله عجوري في النهر في بستان العويجي وارتعبت انا وهو وبعده طالعناه وكان نعوم عبجي شده من يده وشلحناه والبسناه غير ثياب ووديناه للبيت .

— والخميس صار مطر وافر[1] وطافوا بيت عزوز وصولا وبازرجي وبليط وشكر ودخلت الميه الى الحواش والاقبوة والمغاير والجباب وشربنا للرعبة ثلاث ايام ترياق[2] من بنت الحجوري وكان الاحد اولها عرس لبنت الياس قسيس .
وزكريا باشا اجا طلب وعمال يجمع عسكر ومراده التوجه الى ارفه لان المذكوره اهلها سبوا حريم النصاره ويدعوا عاصين فراحوا يضربوهم ويطيعوهم وماذا يجري نذكره بعد يكون معلوم .

[١٨ ٣] — الاحد راح فتح الله قراألي الى صيد السمنه (طير) وهو عمال يصطاد ضرب سمنه (ب Caille) صاب ابنه يوسف الكبير ووقتها وقع بالارض قتيل مات والمسا دفنوه وعمره مقدار ١٣ سنة الله يرحمه .

وزكريا باشا سافر لاورفا واناس يقولوا لاسلامبول لكي يحامي لان الانكليز صاروا مع المصري وتركوا العصملي فان كان ذلك كذلك فنعرف بعده عنه ماذا يذكر .

والجمعة اجا فتح الله باسيل من ازمير وفرج الله بن فرقوعه موصلي من بيروت يزور ويرجع لانه بخدامة ابن الحموي في البلاد ولابس افرنجي (السترة والبنطلون لا القنباز) .

---

١) لم يكن في البلد مجاري لتصريف المياه الا مجاري «الطاروق» الضيقة . فاذا انسد الطاروق طفت المياه وفاضت على البيوت والمنر وقطعت الطرق .

٢) شراب الرعبة «ترياق» يداوي من الخوف كانت تختص به احدى العائلات ولها فيه سرها . ومن الذين اختصوا في صنع ترياق دواء الرعبة العبدة «زعفران» كان بيتها في «الكتاب» في اواخر القرن ١٩ . فتأخذ شيء من ماء الورد وتضعه في الماء مع شيء من الرمل الاحمر وتسقيه وصفة لا بد من ممارستها على ايام معدودة وتتقاضى على كل مرة نقدم فيها شراب الرعبة شيئاً من الدرجمات . وقال بعضهم انها كانت تمزج الشراب بالبول . . . ! خفية ثم تسقيه المريض بمرض الرعبة . وليس الامر بعيداً عن الحقيقة اذا ما فتحنا باب الخرافات من امثال ذلك .

[١٩'] — الخميس مات ميخائيل شدياق المصري واتوا الزوار من مار جرجس وسافروا يوسف بن انطون تيناوي ونصري نعمة الله الطومجي الى البلاد .

[١٩'] — السبت سافر الياس فرقوعه الى انطاكية من طرف الكمرك والخميس اجا عسكر صواري ونزلوا بالميدان مقدار . والاحد كان عرس ابن رعد الى بنت البويجي وابن رعد اخو القسيس واناس يسنوهم بيت كبريته والسبت ولدت مرأة رزق الله جبامي وجابت بنت في ٢٣ ايار ١٨٤٠ .

[١٩'] —اولها الاحد اجا فتح الله خياط من قبرص وكانوا صيتوا عليه انه مات .

— والثلثا سلمت عليه وعزموني المسا للنوبة ورقصوني بالليل وانا ما لي عادة ارقص بل من اجل صهرهم فتح الله ششمان حتى ما يعمل فقسه يكون معلوم .

[٢٠'] — الاحد اولها رحنا عند فطومه [البستانية] وحاج طاها في بستان وادي جهنم ومعنا بازرجي وكوسا واولاده ووالدي ونصرالله خوري ونهارها جبنا مقدار كل واحد انا وبازرجي مقدار رطل انكليز وبابوج بياض يكون معلوم . والسبت تغير كيفي ووقعت بالفرشة والجمعة الثانية بعد المنصرة كنت مريض ما طلعت من البيت اصلي وارجع . الا ٤ الحمد لله صح كيفي . ومرض معي نصرالله حكيم وللان مريض ومخربط وهذه الا ٧ جابوا له لويس حكيم افرنجي والاحد اولها ماتت مرأة الطنبة وايضاً مرأة برغود المصفي النبيذ واناس يسموه ابن ايوب . والا ٢ ماتت مرأة شكرالله خوري كثر بنت المعجي الله يرحمها .

[٢٠'] ٦ حزيران ١٨٤١ —اولها الاحد رحنا عند فطومه (البستانية) كلنا بستان وادي جهنم (الجورة الواسعة الواقعة شرقي بستان التاقي بشال - غير بعيدة عن السيل وهو في شمالها بغرب) . وكان عرس ابن الكبابه الى بنت جنبرت .

— الجمعة المسا مات الخيلو دوريكلو ١٢ حزيران قونسل جنتار دولة اسبانيا الله يرحمه واجوا تفرجوا بيت كوبا وبيت الوكيل وبيت نيقوغوص شاه وكيل وصارت دفنته فرجه . كل من قال انا قسيس وبطرك ومطران وقونسل طلعوا وراه .

١٨٤١ — ١٣ حزيران الاحد — الخميس عيد ميلاد يوحنا رحنا جنينة الشيخ ومعنا عمتي وكتير انبسطنا يكون معلوم . وبنت كوبا ما طابت .

[٢٠^٢] الـ ٦ الجمعة الاولى — والسبت بعده الاحد كان خطبة بنت مدول اختي غره الى بن الجاموس وانا واختي انعزمنا ما رحنا — واجا الياس ضاهر من العجم سلمت عليه — والـ ١٧ اجانا قفتين من عند فطومه كز ومشمش وتفاح احمر وحمامي.

[٢١^١] — الخميس توفي يوحنا باسيل زوج بنت غزاله واجا خبر شكر الله نجاش من الشام بن موسى نجاش.

[٢١^٢] — الجمعة كانت فطومة امرأة طاها البستاني مريضة ماتت ودفنوها والـ ٣ اخذت مقدار اوقية ٣ فرخين الواحد انكليزي والثاني تقل.

١٨٤١ ١ آب — الاحد رحت للناعورة.

الخميس ١ آب اجا خبر ابن الحمصي اخو المقدسي نعمة الله حمصي ميخائيل في البلاد. والثلاثا ماتت بنت سالمة مرأة جرجي كبابه والاحد آخرها مار الياس شرقي.

في ٢٠ تموز شرقي ١٨٤١ في ١ آب غربي ١٨٤١ في ٢٠ جماد ثاني ١٢٥٧ .

[٢٢^١] — الجمعة ٦ آب كان عيدي (التجلي: نعمة الله) فارتها هلوانم.

— والاحد اجا الفونس دوريكاو من السويديه — والاحد اولها كان مرفع السيدة. ونحن ما صمنا بل صمنا مع الروم والاحد آخرها اتت بينت مرأة نعمة الله غزال. وبنت كوبا ما طابت.

[٢٢^٢] — السبت اجت بصي وستة الياس لوسيا بنت زلعوم مرأة جرجي زلعوم بكرها في ١٩ جماد ثاني ١٢٥٦ في ٣ آب غربي ١٨٤١ الاحد اجا نقولا اليان من السفر.

— الاثنين باكر نصف الليل سافروا نعوم شوكتلي وابنه نصر الله وابن اخوه يوسف وابن فرقوعه ميخائيل الى مصر.

— الاحد قعد عندي اولاد بليط وايضاً فنتور ابن بطرس قرالي في ٨ آب غربي ١٨٤١.

— الخميس رفعنا مع الروم لان اغلب اولادنا روم.

[٢٣^٢] — السبت مساء سافر قفل الجبل [1] راح خوري جرجس صعب ومعه اولاد

١) يعني به جبل لبنان. والمدرسة هي اكليريكية الشرفة.

للمدرسة ابن القصار وابن اسلامبولي وسافر ايضاً نعوم قسيس ومرأته واولاده وابن التاجر وكتير اناس وابن باسيل ويوسف رباط لانه قفل كبير يكون معلوم.

— السبت سافر القاضي الى اسلامبول .

[٢٣'] — يوم الجمعة كان عيد السيدة شرقي وانا عيدت مع الروم لاني صمت معهم ويوم العيد تغديت باذنجان محشي ومسا. تغير كيفي ومرضت ونزل المرض على بيضتي وورمت . وانفصدت السبت مساء والاحد ما صليت .

— الجمعة ٢١ بعد العيد ما فتحت سكرت ولاجل اني سكرت (المدرسة) طلع من عندي اولاد الشدياق وابن بيره وكان هذه الجمعة سكر شدياق عبدالله وعدا عن الكار (اي ترك التعليم) .

الاربعا (١٢ حزيران) مات جننار[1] الذي كان طالع ورا الجيلو لما توفي شاكك ريش بالبرنيطة انكليزي . وصار لـه موته مثل الجيلو وانظم . وانا كنت مريض واجوا ناس تفرجوا من عندنا . راحوا بيت كوبا الى بستان المفدي . والجمعة ٢٢ بعد الفصح فتحت واجوا عندي اولاد عزوز اتنين.والاحد كان نقشت بنت اختي مدول كتر الى ابن الجاموس.

[٢٣'] — اجاني سليقه[2] من بيت كلداني وخوري وزلوم ورعد — ومدام برتاليس جابت صبي ومدام جكاردي بنت في هذه الجمعة .

— الاحد انهزمت بيت العجوري بقصر الريحاوي وكان بطرس اينا قرألي وتوما عجوري وبيتهم وفتح الله عجوري وبيتهم وفرنسيس عجوري وبيتهم وبيت بطرس قرألي وشكر الله قرألي وكان البستان صلحه مع المتسلم البابنـي لان قبل ليلة كانوا موجودين بالقصر والقصر للمتسلم اجا دشرهم وبعده عزمهم يكون معلوم .

---

١) لا يعرف عنه البخاش الا انه شك ريش بالبرنيطة وانه انكليزي . وكانت جنازته حافلة . ويكون بيت البخاش مطل على شارع التلل الذي تمر به الجنازات .

٢) في ايلول كانوا يسلقون القمح بكمية وافرة ويفرشونه على الاسطحة لينشف ثم يطحنونه برغلاً لمؤونة الشتاء . وكان الناس يتهادون « السليقة » بالسكر والافاويه .

[٢٣^٢] — الجمعة الساعة ٨ عصملي سافر نصر الله كبه الى ليكورنا لعند عمه حنا كوبا ومع كوبا راح ايضاً شدياق عبد الله الجبيلي (معلم مدرسة الموارنة ؟) .

[٢٤^١] — الجمعة اجا نعوم خياط من قبرص .

[٢٤^٢] — السبت انتهاء السنة ١٤ لافتتاحي المكتب وابتداء ١٥ الاحد اجوا نعوم وبيدروس اجير بنت كوبا الذين راحوا يوصلوا نصر الله كوبا ونزلوه بالمركب واجوا . في ٩ تشرين الاول غربي في ٢٧ ايلول شرقي ١٨٤١ في ٢٤ شعبان ١٢٥٧ اسلامية ربنا يحيينا لامثالها .

[٢٤^٣] — الاربعا صار خواجه عبد الله دلال حماية باش ترجمان النمسا . والثلاثا فك ابنته من باسيلي بن الخواجا جرمانوس بحري(مدير مالية ابراهيم باشا).

تعريف عن الكتب

من ذخائر التراث الفلسفي الفكري :

« كتاب اساس التأويل »

[يعتزم الاستاذ عارف تامر ان يدفع في الايام القريبة الى الطبع كتاب « اساس التأويل » للداعي الاجل الفقيه النعمان بن حيون المغربي التميمي قاضي قضاة الدولة الفاطمية . وقد شاء كعادته ان يخص المشرق بهذا المقال عن الكتاب ومؤلفه وموضوعه ومعنى التأويل الباطني عند الاسماعيلية] .

ترددت كثيراً قبل ان اقدم على دفع كتاب اساس التأويل الى الطبع ، وما ذلك الّا لرغبتي التامة بالابقاء عليه في كهف « التقية » مدة اطول ، بين مجموعة المخطوطات الاسماعيلية التي لم يحن وقت نشرها وتعميمها بعد ، هذا ومن جهة اخرى ، فلاعتقادي بان المعلومات التي يجب الحصول عليها عن موضوع الكتاب لم تستكمل بعد ، كما وان هنالك مخطوطات اخرى من الضرورة العلمية ان تسبقه للنشر ، فهي بالرغم من انها دونه بالرتبة ، الّا انها تقود اليه وتعتبر مفتاح بابه ، او المدخل الى فسحاته .

والآن فكلما خطرت ببالي كلمة « تأويل » التي نحن في صدد التحدث عنها ، فلا يتراءى لي الّا « اساس التأويل » وحده ، لانه الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الاسماعيلية الذي يعالج موضوعاً معيناً هو « التأويل » والسفر النفيس الذي يمثل الفكرة الاساسية لهذا العلم تمثيلاً متزناً معقولاً ، عارضاً الموضوع عرضاً دقيقاً مفصلاً ، ملقياً الاضواء على فقراته ومواده ، ومقرباً اياه للاذهان :

لقد كان التأويل في عهد الدعوة الاسماعيلية المبكرة ، وفي ابان ازدهارها ، الموضوع الاساسي لكل فكرة فلسفية باطنية ، والشجرة التي نمت وترعرعت ثم تفرع منها الكثير من الاعضاء ، او بلغة اصح الاساس الذي تركزت عليهم دعائم هذه الدعوة الفكرية ، والغذاء الذي مون الفلسفة الباطنية بالحكم والمنطق

والبيان . ولاجل هذا كله اعتبر كتاب « اساس التأويل » لدى الاسماعيليين من الكتب الثمينة والذخائر الغالية التي تقضي تعاليمهم العقائدية بالمحافظة على سريتها وكتمان تعاليمها ، والسهر على منع تسرب موادهـا لمن هم من غير الاسماعيليين ، وكل هذا يعتبر سر العقيدة ومفتاح باب الدعوة ، مضافاً الى ذلك ان في الكتاب تأويلاً لقصص الانبياء التي وردت بالكتب السماوية الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن ، فكل هذا كان يشكل موضوعـاً تقضي العقيدة بالمحافظة على اسراره التامة مما يخرج عن نطاق المفهوم العام لدى طبقات العامة الذين لم ينالوا من الثقافة الّا القشور .

قد يكون من الواضح ان « التأويل » بمعنـاه الواقعي لدى الاسماعيليين يختلف عن « التفسير » بمعناه الصحيح لدى عامة الفرق الاسلامية الاخرى ، فالتفسير معناه جلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القارئ ، فاذا سئلنا مثلاً ما هو تفسير كلمة شجرة ؟ اجبنا : انهـا نبتة تغرس صغيرة ، ثم تنمو فيتفرع منها جذوع واغصان ينبت عليها ورق اخضر ، وفي الربيع تحمل ازهاراً لا تلبث بعد ذلك حتى تعقد ثمراً طيباً ... الخ . اما اذا قلنا ما هو تأويل كلمة شجرة ؟ فنجيب : بان ذلك يتبع رأي المسؤول المباشر عن التأويل ، فقد يقول انها حجرة ، او بقرة ، او صخرة ، او غير ذلك مما يجب ان يتلاءم مع الحقيقة والواقع والعقل ، ولا يكون غريبـاً عن التصديق ولا بعيداً عن الفكر . اذن فالتأويل هو باطن المعنى ، او رمزه ، او جوهره ، وهو حقيقة مستترة وراء لفظة لا تدل عليها ، ومن هنا اعطى الاسماعيليون صلاحية التفسير « للناطق » ووهبوا صلاحية التأويل « للامام » ، فالاول اعتبروه يمثل الشريعة والاحكام والفقه والقانون الظاهر ، والثاني يمثل الحقيقـة والتأويل والفلسفة والباطن .

ومهما يكن من امر فلا بد من القول ايضاً بان التنزيل اختصّ به الناطق في حياته وهو علم الظاهر واحكام الشريعة كما قلنا ، والعلم المصرح بتعلمه وتبنيه واعتناقه لطبقات العامة ، كما ان الامام او « الاساس » ، وكلمة اساس تطلق على كل امام يعاصر الناطق ، فمسؤول عن الباطن والتأويل والحقيقـة ومرموزاتها وتعاليمها السرية التي لا يمكن الافصاح عنها الّا لجنود الدعوة

المخلصين الذين ترفعوا في مراتبها ومناصبها وهم طبقات « الخاصة » .

لهذه الاسباب ترى ان كتابي « اساس التأويل » و « دعائم الاسلام » وكلاهما من وضع « النعمان بن حيون » يمثلان فكرتين واتجاهين مرتبطين تمام الارتباط بعضها البعض، واعني بها الباطن والظاهر، فالاول اعتبر اساساً للفلسفة الباطنية ، والثاني اساساً للفقه والشريعة ، وقد رواه الامام « جعفر بن محمد » الصادق عن جده الرسول الناطق محمد باعتباره المسؤول المباشر عن الشريعة واحكام الظاهر والتنزيل كما قلنا . وكل هذا يعطي الدليل القاطع على اهمية الكتاب ويبرهن عن ان الدراسات الاسماعيلية الباطنية كانت على درجات ، وان مراتبها مقسمة الى صفوف ، لا بد للمستجيب من الدخول اليها ، واجتياز حلقاتها .

ونعود الى صلب الموضوع مكررين القول بان الصعوبة بمكان استيعاب نصوص الفلسفة الاسماعيلية والوصول الى نهايتها وفهم تعابيرها ومرموزاتها وما ترمي اليه اذا لم يمر القارئ بنصوص بدائية ، ولا شك ان « اساس التأويل » من النصوص التي يجب ان تدرس بامعان ، وان يتفهم ما تذخر به . ومن الامور التي يجب ايضاً ان لا تخفى على الباحثين والمهتمين ان « النعمان بن حيون » قد وضع كتباً عديدة في الفقه والقانون والاحكام والتاريخ وفي علم التأويل الذي يعتبر المدخل الى الفلسفة ، ولكننا لم نلاحظ انه وضع كتباً في الفلسفة نفسها ، ولا ندري فيما اذا كان قد خطر عليه ذلك ، لان المعروف لدينا ان « جعفر بن منصور اليمن » كان المسؤول المباشر عنها في تلك الفترة والمأذون الوحيد بعرضها والكتابة عنها والمناقشة فيها ، ولكن كل هذا لا يمنعنا من القول بان النعمان يعتبر من الادمغة المفكرة الكبرى التي وضعت ركائز الفكر في الدولة الفاطمية . اجل.. وليس غريباً اذا قلنا ، ولا مغالاة اذا اعلنا ان الاسماعيليين كان لهم قصب السبق في ميدان الفكر ، فهم قد اغنوا المكتبة الاسلامية بالانتاج العلمي الضخم قبل وجود الدولة الفاطمية ولكن مع كل اسف ضاع ذلك التراث الثمين ، ولم تبق الايام منه بين ايدينا الا رسائل اخوان الصفا . وحدها . وهناك شيء آخر جدير بالانتباه ، ويأخذ قسم طويل من تفكيرنا ، هو موضوع المؤلفات الاسماعيلية التي وضعت قبل الدولة

الفاطمية. فمما لا شك فيه ان انظمة التأويل والقوانين الفلسفية كانت تسود مجتمعهم العقائدي في تلك الفترة ، فأين ذهبت تلك الثمرات الفكرية ، وما هي اسماء واضعيها ؟

قد يكون الجواب على هذا السؤال من الصعوبة بمكان ، لانه في الواقع لم تبق لنا تلك العصور السالفة المتقلبة المشحونة بالاحداث اي اثر من آثار الاسماعيليين سوى رسائل اخوان الصفا. كما قلنا، ومن المرجح ان تلك الآثار قد دثرت في مركز الدعوة (سلمية – سوريا) اثناء غارات العباسيين والقرامطة والقبائل الاخرى، ولهذا فان المعلومات عن الشاعر « عبد السلام بن رغبان » – ديك الجن » وعن المتنبي وعن المعري كانت قليلة فلم تُنر الطريق امـام الباحثين ولم تروِ غليل المهتمين .

ومهما يكن من امر بلا بد لنا من الاشارة الى القصة التي رواها « جعفر الحاجب » بسيرته التي نشرهـا المستشرق ايفانوف – W. Ivanow عن محمد المهدي – عبيد الله – مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، عن تعرض بعض اللصوص اليه وهو في طريقه من سلمية الى المغرب وسلبهم منه مجموعة الكتب النفيسة التي كان قد حملها معه من المشرق ، ثم عودة الامام « القائم » الفاطمي الى المكان ذاته عندما استتب للفاطميين الامر في المغرب واسترجاعه الكتب، وهذا يدل على أن المجموعة التي انتقاها وحملها وآثرها وفضلها عـلى الذهب والفضة والاحجار الكريمة ذات قيمة كبرى ، ولا يخامرني الشك بانها تحتوي على نظام العقائد الباطنية وعلى قواعد الفلسفة والتأويل .

كنا قلنا بالامس ونعود فنردد ما قلناه اليوم بان القرنين الثالث والرابع الهجريين هما من ازهر العهود بالنسبة للعالمين العربي والاسلامي ، ففيهما قـد ازدهرت الدعوة الاسماعيلية ازدهارًا فكريًا شاملًا ، فبرز حلبة العلم دعاة اسماعيليون تحرروا من كل المؤثرات والقيود والتبعات ، فعملوا على نقل الكثير من علوم الفرس والهند واليونان بعد ان شرحوها وكيفوها وهذبوها ووضعوا في اسـها النظريات المبعثرة مرتبة ومطبقة تطبيقًا جاء ملائمًا للقواعـد الاسلامية والعقل وذلك بطريق النقل، وكل هذا جرى في عهد الدعوة الاسماعيلية المبكر، وعندما كانوا يعتمدون على مباحث العلم والجدل والمناظرات التي كانت تنتشر

بسرعة كلية في جميع انحاء العالم ، وهذا بالاضافة الى اعتمادهم على التمسك بظاهر الشريعة وتكاليفها وموجباتها واحكامها تمسكاً واقعياً يحتم عليهم ان لا يتسامحوا بتركها واهمالها مع اضافة الرغبة الدينية الملحة بالتمسك في العبادة العلمية الباطنية الى جانبها .

ومما لا شك فيه ان البويهيين والحمدانيين قد رفعوا لواء الثقافة والادب عالياً في المشرق ، كما ان الامويين قد ساهموا مساهمة فعالة ببناء النهضة العلمية في الاندلس ، ولكن كل هذا لا يعادل جزءاً صغيراً مما ساهم به الفاطميون في هذا المجال ، وخاصة في عهد الامام « المعز لدين الله » الذي يعتبر التاريخ عصره بانه من ازهر العصور التي مرت على الاسلام ، فالمعز الفاطمي كان على جانب عظيم من التفهم وبعد النظر والحرص على بعث النهضة العلمية في ارجاء دولته الشاسعة ، لذلك لم يكن غريباً علينا اذا رأيناه يساهم بنفسه ويشترك مع داعيه الاجل النعمان فيضعان كتابين اعتبرا اساساً لكل علم وفقه وفلسفة ، فالاول جاء اساساً للشرع الظاهر او ما تسمى العبادة العملية وهو (دعائم الاسلام) والثاني جاء اساساً للفلسفة الباطنية والعبادة العلمية وهو (اساس التأويل) ، وكما جاء الاول اساساً للشريعة والاحكام والجسم ، فكذلك جاء الثاني اساساً للحقيقة الفلسفية وللروح .

اجل . . . ساهم الامام المعز لدين الله في انعاش الدولة الفاطمية في المجال الفكري ، ونهض بالناحية العلمية نهوضاً جباراً لم يسبقه اليه احد من الائمة الفاطميين سواء السابقين أو اللاحقين ، ففي عصره وصلت الثقافة الى الذروة والى المستوى الرفيع واصبح سوق الادب رائجاً والقاهرة المعزية كعبة يؤمها العلماء والادباء والفلاسفة والطلاب والمستجيبين للانتهال من ينابيعها الدافقة بشتى العلوم والفنون ، فالمعز في هذا المضمار قد تفوق على منافسيه علماً وادباً كما تفوق عليهم سياسياً وحربياً ، واننا اذا عرفنا ان المعز نفسه كان من المثقفين ثقافة عالية وانه نال قسطاً وافراً من العلوم ادركنا السبب ، فهو بالاضافة الى معرفته لاكثر اللغات السائدة في عصره كاللاتينية والايطالية والاسبانية وقد قيل انه تعلمها لرغبته بافتتاح بلدانهم وضمها اليه ، ثم الصقلية والبربرية والسودانية وقد تعلمها بالنظر لوجود العدد الكبير من الضباط والجنود في عداد جيوشهم ، اذن فبالاضافة

الى كل هذا كان من المتضلعين في الشعر والادب كما رواه عنه المؤرخون، وها هو المقريزي وغيره من المؤرخين يحدثون بان مكتبته كانت تذخر بالكتب النادرة النفيسة، وانه كان من المغرمين بعقد المجالس العلمية والاستماع الى مناظرات العلماء وتشجيعهم وتوفير الاموال لهم كما انه كان يشرف على المؤلفين ويتناول مؤلفاتهم بالتغيير والتعديل .

هذا ومن الجدير بالذكر ان « النعمان بن حيون » مؤلف كتاب « اساس التأويل » من مواليد المغرب ومن اسرة تنتسب الى قبيلة بني تميم العربية، ولم نرَ في سيرة حياته اي ذكر لتاريخ ولادته ولكن عرف انه توفي في القاهرة سنة ٣٦٣ هـ بعهد امامة المعز لدين الله الفاطمي، والنعمان يعتبر بحق اب اسرة خدمت العلم خدمات جلى وادت للدعوة الاسماعيلية كل ما يمكن تأديته من الخدمات العلمية، وان انتاجها الغزير في هذا المجال كان ذا اثر على مجرى التفكير العام وعلى الحياة العقلية ليس في القطر المصري بحسب بل في كافة الممالك الاسلامية . ومن الانصاف القول انه اشهر فقيه نشأ في الاسماعيلية منذ فجر الاسلام بل ومن اكثرهم انتاجاً واغزرهم مادةً واخصبهم قريحة واتجههم للكتب الفقهية وللبحوث القانونية والشرعية . خدم الامام « محمد المهدي — عبيد الله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب في اواخر سني حياته، ثم تولى بعهد « القائم » الفاطمي شؤون القضاء في طرابلس الغرب، وفي عهد الامام «المنصور» عيّن قاضياً « للمنصورية » وله في نواديها العلمية ومساجدها المجالس الادبية والمحاضرات التي كانت تستهوي افئدة الراغبين وطالبي العلم، وحينما جاء الامام المعز لدين الله الى مصر اصطحبه واسرته معه، وغرضه ان تستفيد الدولة منه في مصر كما استفادت في المغرب، ولكننا ونحن في معرض الحديث عن النعمان لا بد ان نتساءل عن انتاجه في المغرب ؟ وهل اصابه ما اصاب غيره فضاع في زوايا الازمنة ؟

واخيراً لا بد من الرجوع للموضوع الرئيسي « التأويل » والقول :

بان هذا النوع من العلم عمل الاسماعيليون على تعميمه بين طبقات المسلمين بجذر شديد وفي الواقع هو نتيجة لعلمهم الاساسي ونظامهم الفكري، لان الدين كان بنظرهم ان يتوصل الانسان بالتمرين المستمر والترقي من درجة الى

اخرى حتى يصل اخيرًا الى معرفة منازل الكون التي قطعتها العوالم المسكونة بعد ان انفصلت عن المبدع المتعالي اي عن الفكر المطلق النير مجسم او العقل الاول او النور الاعلى او القوة المطلقة او القلم الكاتب او السابق بالوجود المرسل من نفسه الانوار في المنزلة الثانية او للعقل العام الثاني او النفس الكلية العالمية، وهذان الاصلان هما اللذان يحدثان بعد ان تتغير العقول الانسانية وعقول الانبياء والائمة والخاصة، اما طبقات العامة فليس لهم عقول مميزة بل (هم من المدمنين) طالما انهم لم ينهلوا من المعرفة او لم ينتقلوا الى المنزلة الثانية بواسطة التنوير والارشاد، ولهذا التعليم درجات عديدة اذا ما سار فيها الانسان بلغ الدرجة القصوى من الكمال العقلي والادبي اللذان هما الغرض الاسمى في حياة الانسان، ولبلوغ هذه الغاية يجب العمل على انماء القوى العقلية ثم السيرة الطيبة والحياة الادبية الموافقة لمطالب العقل السليم ولنظرية التطور الفكري التي تقود الى الاعتقاد بالانسان الكامل او الحكيم المتجرد .

ونظام التأويل هذا كان ينمو ويقود الى هذه النظرية، لان الاسماعيليين اولوا الشرائع الدينية والآيات القرآنية تأويلًا باطنيًا يختلف عن ظواهرها ولكنه جاء موافقًا للعقل السليم ومطابقًا له وبالوقت ذاته لم ينبذوا الشرائع المنزلة ولم ينكروا ما جاء به القرآن والكتب السماوية الاخرى ولكنهم اولوها واعترفوا انهم في غنى عن موجباتها وانهم يعلمون ما قصد الله منها لانهم من الذين فتح الله بصائرهم بالعلوم ورقاهم في مراتب دعوة عالم الدين التي هي ممثول عالم المبدعات والموجودات .

ومن هنا يمكننا الحكم بان الاسماعيليين لا يعملون بالتفسير الظاهري فحسب بل يؤولون الشرائع والاحكام والقرآن تأويلًا باطنيًا مأخوذًا عن مصدر ثقة يعتبر بنظرهم ممثول العقل الكلي، اذن فبامكاننا ان نسميهم « العقليين » او اهل العقل «Rationalistes» الذين لا يركزون عقائدهم الا على هذه القواعد.

ومهما يكن من امر فامامنا القرآن الكريم فهو يوضح لنا بان العقيدة التي جاء بها الاسلام لا تتنافى مع العقل كما انه لا ينبغي لها ان تتنافى معه، او ان تكون غير تامة اذا لم تنسجم معه، فالدين الاسلامي منذ نشأته دين عقلي، واذا تصفحنا آيات القرآن وحللنا ما جاء فيها على ضوء العقل والمنطق والواقع

علمنا ان الانسان عليه ان يفكر ويتدبر وان ينظر ويتأمل وان يعتبر ويستنبط ، فالاسلام نظام عالمي عام يوجه الانسان في الحياة ويساعده على ان يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية على اسمى درجة من الكمال الانساني في الروح والخلق والمادة والعقل ، كما ان المعرفة في الاسلام جعلت شرطاً للايمان . فمن اعتقد من غير فهم ومعرفة لم يكن خيراً ، والاعتقاد الصحيح الحق هو الذي ينشأ عن دليل وعن فهم واختيار ، كما اننا نستطيع ان نقول : ان الاسلام ثورة على الجمود العقلي وحرب على الرجعية والتعصب والانكماش . فهو قد اعطى الحرية للانطلاق من القيود والاغلال ، كما انه اطلق حرية الرأي والفكر ، واصلها المنزلة الرفيعة والمكانة العالية ، واحاطها بسياج من العناية والرعاية وبنى العقيدة الاسلامية على الحجة والدليل لا على الاكراه والتقليد الاعمى ، ونوّه بالعقل واراده على اليقظة وطالبه بالتنبه ولم يسهل للشخص ليكون آلة صماء يقبل كل ما يقال له دون ان يحكم عقله . والاسلام ايضاً جاء محرراً للعقول البشرية من قيود التقليد مفسحاً المجال امامها للسير في سبيل هدايتها في جو واسع من الحرية مقيماً العقل السليم حكماً فاصلاً بينه وبين مخالفيه وخاصة عند البحث والدرس والمناقشة . ولقد اراد بذلك ايقاظ العقل وتنبيهه الى اداء مهمته وتنمية القوى العقلية والفكرية للسير في مجال الاعتداد بالنفس والاستقلال بالرأي والانطلاق نحو حرية التفكير .

هذا عرض موجز لموضوع « التأويل » كما جاء في كتاب (اساس التأويل) للنعمان بن حيون التميمي ، تناولناه من جميع نواحيه آخذين من معلوماتنا الاسماعيلية القدر الكافي ، واضعين نصب اعيننا قانون الدعوة الاسماعيلية وحدها الذي نعتبره المصدر الوحيد الذي يرشد الباحثين الى الدقائق والمغمضات .

عارف تامر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة

مؤلف كتاب « ختم الاولياء » ، الــذي نقدمه للنشر لاول مرة ، هو ابو عبدالله محمد بن علي[١] بن الحسن[٢] – أو الحسين[٣] – بن بشر ، الملقب بالحكيم[٤]

١) ترجم له في تاريخ بغداد ١١ : ٣٧٣ (٦٢٣٦) .

٢) هكذا هو مذكور في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧ – وطبقات الشافعيــة ٢ : ٢٠ – والحلية ١٠ : ٢٣٥ – وطبقات الصوفية ٢١٦ .

٣) انظر ماسنيون L. T. ص ٢٨٨ – و G. A. L. I, P. 216 ومقدمــة نوادر الاصول .

٤) لماذا انفرد الترمذي من بين شيوخ الصوفية بهذا اللقب ؟ ألأنه كان « على معرفــة بتركيب الجسم مما يدلّ على انه درس الطب » (راجع المقدمة على كتاب الرياضــة وأدب النفس ، التي وضعها آربري وعلي حسن عبد القادر ص ١٣ ط . القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ .) . أو لانه « كان حريصاً على ان يجمع » في حياته وفي تآليفه « بين الناحية الروحية القديمــة للثقافة الاسلامية وبين المنهج العقلي الذي جدّ في عصره » (انظر مقدمة كتاب الحقيقة الآدمية للترمذي ، نشر عبد المحسن الحسيني ص ٧ ، مجلة كلية الاداب ، جامعــة فاروق الاول (اسكندرية) مجلد ٣ سنة ١٩٤٦) . او لان الترمذي « كان اول مسلم بدت لديــه براعم الافكار الفلسفة الاغريقية . . . فكان بالتالي الممهد لمذهب العرفان (La gnose) في التصوف الاسلامي » (راجع L. T. ص ٢٩٣) . ونحن نرى ان لقب الحكيم اسند الى الترمذي خاصة لان التعاليم الصوفية قد خطت على يديه خطوة حاسمة في سيرها الموفق المطرد . فهي عنده لم تعد مجرد احوال نفسية ينفعل لها الصوفي في جلوته ، او مشاعر ذاتية يحس بها في خلوته ، بل حقائق موضوعية لها كيانها المستقل وعالمها الخاص . و « حكمة » الترمذي في تصوفه تبدو في هذا التحليل البارع لطبيعة النفس الانسانية ، وفي هذا التصوير الرائع لمناهج السلوك الروحي ، واخيرا في هذا التمييز الحاسم بين أغاليط الحكمة ودرجات المعرفة . وقد شرح الترمذي هذه المعاني جميعاً في شتى كتبه ورسائله ومسائله وبصورة خاصة في كتاب « علم الاولياء » و« كتاب الحكمة » و« اثبات علل الشريعة » و« ختم الاولياء » .

الترمذي نسبةً الى مدينة «ترمذ[٥]» مسقط رأسه، حيث قضى بها الشطر الاكبر من عمره ولفظ انفاسه الاخيرة فيها[٦]. وُلد شيخنا في اوائل القرن الثالث للهجرة وتوفي في أواخرها على أصح تقدير. وان كنا لا نعلم تماماً تاريخ نشأته ومماته، وبالتالي مقدار سني معاشه[٧].

إن الخطوط العامة والرئيسية لشخصية الترمذي لا تزال مجهولة لنا، وما نعرفه عن حياته ينقصه الدقة ويشوبه الغموض والابهام. وجميع ما لدينا من مصادر، في الوقت الحاضر، لا تفي بحاجتنا في هذا الصدد[٧]. فهي على وفرتها لا تعدو ذكر اسماء بعض شيوخه واصحابه، وقصة نفيه من ترمذ الى بلخ، ونبأ رحلته

٥) بخصوص مدينة ترمذ واهميتها في الاسلام وما قبله، راجع مقالة دائرة المعارف الاسلامية، والمصادر التي ذكرت في ذيل المقالة، المجلد الرابع ص ٨٣٦ – ٨٣٨ (الطبعة الفرنسية).

٦) مكان وفاة الترمذي لا يزال معروفاً حتى الآن في خرائب ترمذ القديمة. يقول ارتولد: «ونجد بين الابنية في اطلال المدينة القديمة لترمذ ضريح الولي ابي عبدالله محمد بن علي الترمذي، وهو من المرمر الابيض». راجع: Barthold, *Turkestan down to the Mongol invasion* (Tr. H. A. R. Gibb) p. 75—76 ودائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع ص٨٣٧

٧) يقول الذهبي انه عاش ٨٠ سنة (تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧) – وابن حجر ٩٠ سنة (لسان الميزان ٥: ٣١٠) – وفريد الدين العطار ١١٥ سنة ؟ (تذكرة الاولياء ٢ : ٩١). اما عن تاريخ وفاته فيرى دار اشكوه وحاجي خليفة ان ذلك كان سنة ٢٥٥ (سفينة الاولياء ورقة ١٨٦، نسخة المكتب الهندي رقم ٦٦٧ – وكشف الظنون، تحقيق فلوجل ١: ١٥٥). ولكن هذا التاريخ معارض بما يذكره الترمذي عن نفسه في بدو الشأن كما سنراه بعد (انظر ص ٤٠٩) ومعارض ايضاً بما يذكره السبكي والذهبي من ان الترمذي قد رحل الى نيسابور سنة ٢٨٥ (طبقات الشافعي ٢: ٢٠ – تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧). ويذكر ابن حجر العسقلاني (لسان الميزان ٥: ٣٠٨) ان الانباري سمع منه سنة ٣١٨ ولعل هذا مما دعا بعض المؤرخين المحدثين من الغربيين الى اعتبار وفاة الترمذي سنة ٣٢٠ (GAL.I,P.216) ويرى الاستاذ ماسنيون ان وفاته كانت ٢٨٥ (L. T. P. 286).

٧) راجع مصادر حياته التي اثبتناها في بحثنا عن مؤلفات الترمذي الذي نشر في Mélanges Massignon مجلد ٣: ٤١٨ وراجع ايضاً مقدمة «بيان الفرق بين الصدر...» للدكتور نقولا هير ص ٥–١٠.

الى نيسابور وتحديثه فيها . وهذا كله ، مع اعترافنا بقيمته ، لا يشبع رغبة الباحث في استجلاء معالم شخصية فذة كشخصية الحكيم الترمذي ، ولا يصور الأثر البليغ الذي أبقاه في الاوساط العلمية والروحية هذا المفكر الاسلامي العظيم .

ولعل أكمل وثيقة في هذا الميدان هي تلك الصورة الانسانية الجامعة ، التي خلد فيها ذكرى الحكيم الترمذي ، شاعر الفرس العبقري فريد الدين العطار في كتابه الشهير « تذكرة الاولياء »[٨] . فقد أبرز العطار ، في مصنفه الخالد، شخصية الترمذي محاطة بهالة من النور والصفاء والقداسة ؛ وعرض امام انظارنا ملامح جذابة لحياة شيخنا الوقور ؛ وجمع لنا مواد طريفة ، شيقة عن دراسته وتربيته وسلوكه وبيئته العائلية الجميلة . بيد ان خيال الشاعر المجنح ، لدى وصفه الاشياء وتأريخه لها ، يعجز دون متابعته او اللحاق به راصد حركات الزمان ومؤرخ الوقائع المادية . . .

ومع ذلك ، فلنستمع الى شاعر الفرس وهو يقص علينا نبأ تعليم الترمذي الفتى ، باسلوبه الانساني المؤثر وبطريقته الخاصة

« كان الشيخ الترمذي قد عقد النية في اول امره على الرحلة لطلب العلم
« في رفقة اثنين من إخوانه . وفي أثناء ذلك مرضت أمه . فقالت له : يا بني ،
« إني امرأة ضعيفة ، لا عائل لي ولا معين يعينني ، وانك المتولي لأمري ، فالى
« من تكلني وتذهب ؟ فنالت هذه الكلمات من نفسه وعدل عن الرحلة .
« ومضى زميلاه في سبيلها .

« ثم مضى على ذلك بعض الوقت . فبينما كان في احدى المقابر يبكي
« بكاءاً شديداً ويقول : ها أنذا قد بقيت جاهلاً مهملاً ، وسيرجع أصحابي
« وقد حصلوا على العلم — إذا به يرى أمامه ، فجأة ، شيخاً مشرق الوجه .
« فسأله الشيخ عن سر بكائه ، فأفضى اليه (الفتى) بحاله . فقال له الشيخ :
« ألا أعلمك في كل يوم شيئاً من العلم ، فلا تمر عليك كثير وقت حتى تسبق
« أخوانك . فأجابه (الفتى) الى ذلك .

---

٨) تذكرة الاولياء ، تحقيق نكلسون (لندن وليدن ١٩٠٥–١٩٠٧) جزء ٢ : ٩١–٩٩

« واستمر الشيخ على تعليمه كل يوم . ومضت على ذلك اعوام . ثم عرف « (الترمذي) بعد ذلك أن الشيخ هو الخضر ، عليه السلام ! وأنه انما حصل « على هذا ببركة دعاء أمه[٩] ! . . . »

***

اذا كانت تعوزنا حقاً المصادر التاريخية النقدية للاحاطة بحياة الترمذي وفهم طريقته وابراز جوانب شخصيته ، فان شيخنا نفسه – لحسن الحظ – قد ترك بخط يده اثراً هاماً عن تربيته الروحية ونشأته العلمية . وسيكون هذا الاثر الفريد ، بطبيعة الحال ، عمدتنا في تأريخ حياة الترمذي ومعرفة العوامل المؤثرة في سلوكه ونهجه ما دامت تنقصنا المصادر الاخرى . وقد ذكر شيخ ترمذ ، في رسالته هذه ، طائفة من الاحداث والانباء لا نجدها في الكتب العديدة التي خصصت له . وهذه الرسالة – كما قلنا – بقلم الترمذي نفسه . فهي اذن في غاية الاهمية بالنسبة لموضوعنا ، وتهمنا في الواقع لاكثر من سبب او معنى: انها أقدم وثيقة تاريخية تتصل مباشرة بحياة حكيم خراسان ؛ كما هي ايضاً اقدم نص نعرفه عن حياة رجل من رجال الفكر الاسلامي ، مكتوب بخط يده .

ولكن يجب ان لا نغلو كثيراً في تقديرنا لهذا الاثر التاريخي الخاص . فهو ، على أهميته ، وجيز جداً ، مقتضب جداً ، « يعج » بالاحلام والرؤى ولا ينقع غلة الصادي تماماً . ان صفحاته لا تتجاوز كثيراً ، من الوجهة المادية ، عدد الاصابع ؛ وموضوعاته لا تعدو ذكر رحلة الشيخ الى مكة وتوبته لدى « الملتزم » وخروجه عن جميع ما يملك من متاع الدنيا ورياضته والرؤى التي رآها أو رئيت له . كل ذلك يمر سريعاً كالبرق الخاطف .

ومهما يكن في الامر ، فقد روى حكيم خراسان في هذه الرسالة ، باسلوب مؤثر حقاً ، قصة اضطهاده واتهام معاصريه له بالبدعة وادعاء النبوة . . . ولعله يشير بذلك الى اصداء افكاره عن النبوة والولاية ، التي بثها في كثير من كتبه ورسائله وخاصة في كتاب « ختم الأولياء » . كما ابقى لنا صفحات ،

٩) المصدر السابق ص ٩١-٩٢ .

لا تزال طرية غضة، لم يجف مدادها بعد، عن اثر زوجـه الكريمة في حياته الروحية وعن اخلاصها وتفانيها وعبير التقوى والطهارة الذي يتضوع منها .

من اجل ذلك كله، ارتأينا اثبات هذه الوثيقة التاريخية بالنص الكامل في صدر هذا البحث .

عنوان هذه الرسالة : « بدوّ شأن ابي عبدالله محمد الحكيم الترمذي، رحمه الله ! » ويظهر ان هذه التسمية من وضع أحد اتباع الشيخ او اصحابه . ولا يوجد لهذا النص في الوقت الحاضر، على ما نعلم، سوى نسخة واحدة محفوظة في مكتبة اسماعيل صائب، بأنقرة، تحت رقم ١٥٧١ : ٢٠٩ب – ٢١٨أ، وهي ضمن مجموعة كلها للحكيم الترمذي وبتاريخ ٥٤٣ للهجرة

***

(١) انظر وصفنا لهذا المخطوط في « *L'œuvre de Tirmidhī,* » in *Mélanges Massignon*, Tome III p. 425—26.

نص رسالة

بدوّ شان ابي عبد الله

محمد (بن عليّ) الحكيم الترمذي

رحمه الله (تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

[٢٠٩ب] ١) قال ابو عبد الله :

كان بدو شاني ان الله – تبارك اسمه – قيّض لي شيخي ، رحمة الله عليه ، من لدن بلغت من السن ثمانيا . يحملني على تعلم العلم ويعلمني ويحثني عليه ويدئب ذلك في المنشط والمكره . حتى صار ذلك لي عادة وعوضاً عن اللعب في وقت صباي . فجمع لي في حداثتي علم الآثار وعلم الرأي . حتى اذا قارب سني سبعاً وعشرين أو نحوه ، وقع عليّ حرص الخروج الى بيت الله الحرام [٢١٠أ] فتهيّأ لي الخروج . فوقفت[10] بالعراق طالباً للحديث ؛ وخرجت الى البصرة[11] . فخرجت منها الى مكة في رجب . فقدمت مكة في بقية شعبان . فرزق الله المقام بها الى وقت الحج . وفتح لي باب الدعاء عند الملتزم في كل ليلة سحرًا . ووقع على قلبي تصحيح التوبة والخروج مما دق وجل ؛ وحججت . فرجعت وقد أصبت قلبي .

وسألته عند الملتزم[12] ، في تلك الاوقات : ان يصلحني ويزهدني في الدنيا ويرزقني حفظ كتابه . وكنت لا اهتدي لشيء من الحاجات غير هذا .

---

١٠) الاصل فوقعت .

١١) مدينة اسلامية ، بنيت على انقاض Vahishtābād Ardashīr الفارسية . انشأها عتبة بن غزوان سنة ١٧ للهجرة بأمر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهي احدى عواصم الفكر الاسلامي القديم . راجع مقالة المستشرق الفاضل Pellat في دائرة المعارف الاسلامية ، الترة الفرنسية ، الطبعة الثانية مجلد ١ : ١١١٧–١١١٩ والمصادر العديدة التي الحقها بمقالته القيمة . راجع ايضاً كتاب صورة الارض لابن حوقل ١ : ٢٣٥–٢٣٨ (تشرة Kramers – ليدن سنة ١٩٣٨) و (The Lands of the Eastern Caliphate) (ص ٤٤–٤٥ G. Le Strange) ومعجم البلدان ١ : ٦٦١–٦٦٣)

١٢) باب الكعبة الشريفة الملاصق للحجر الاسود .

٢) فرجعت، وقد ألقى عليّ حرص حفظ القرآن[١٣] في طريقي . فاخذت صدرًا منه في الطريق ، فلما وصلت الى الوطن يسّر (الله) عليّ ذلك بمنّه حتى فرغت منه . فأقامني ذلك بالليل ؛ فكنت لا أمل من قراءته[١٤] . حتى انه كان ليقيمني ذلك الى الصباح . ووجدت حلاوته .

فأخذت اتتبع من الكتب محامد الرب ، تبارك اسمه ! والتقاط محاسن الكلام ، من طريق العظات ومما يستعان به على أمر الآخرة . واسترشد في البلاد فلا أجد[١٥] من يرشدني الطريق ، او يعظني بشي. اتقوّى[١٦] به ، وأنا كالمتحير لا أدري اي شي. يراد لي . إلا أني أخذت في الصوم والصلاة . فلم ازل كذلك حتى وقع في مسامعي كلام اهل المعرفة ؛ ووقع اليّ كتاب الانطاكي[١٧] فنظرت فيه ، فاهتديت لشي. من رياضة النفس . فاخذت فيها ، فأعانني الله . والهمت منع الشهوات نفسي ؛ حتى صرت كاني أعلم على قلبي الشي. بعد الشي. ؛ حتى ربما كنت [٢ب] أمنع نفسي الماء[١٨] البارد ، واتورع عن شرب ماء الانهار . فاقول : لعلّ هذا الماء جرى في موضع بغير حق . فكنت اشرب من البئر ، او من الوادي الكبير .

ووقع عليّ حب الخلوة في المنزل والخروج الى الصحرا(ء) . فكنت اطوف في تلك الخربات والنواويس[١٩] ، حول الكورة . فلم يزل ذلك دأبي . وطلبت

---

١٣) الاصل : التحفظ للقرآن .

١٤) « : قرآنه .

١٥) « : فلا احد .

١٦) « انقوا .

١٧) هناك صوفيان اثنان يذكرهما السلمي في طبقاته بهذا اللقب : احمد بن عاصم الانطاكي ، من اقران بشر بن الحارث والسري والمحاسبي (طبقات الصوفية ١٣٦) ؛ وعبدالله ابن خُبيق بن سابق الانطاكي . صاحب يوسف بن اسباط وعلى طريقة الثوري (طبقات الصوفية ١٤١) . وانظر ايضاً .Rec ص ١٢-١٤ . ويبدو ان المقصود هنا هو احمد بن عاصم والكتاب المشار لعله « علوم المعاملات » راجع حلية الاولياء مخطوط ليدن رقم ٨٩٢ : ١٧٢ ا — ١٧٢ ب .

١٨) الاصل : ما .

١٩) مفردها ناووس — ولها معنيان : ١ً متاع على هيئة صندوق ، من حجر او خشب

اصحاب صدق يعينونني[٢٠] على ذلك فعز علي[٢٠'] ، فاعتصمت بهذه الحربات والخلوات.

٣) فبينا أنا على هذه الحال ، اذ رأيت ، فيما يرى النائم ، كاني أرى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، دخل المسجد[٢٠'] الجامع في كورتنا . فأدخل على اثره فألزم اقتفاء[٢١] اثره . فما زال يمشي حتى دخل المقصورة ، وأنا على أثره ، ومن القرب منه ، حتى كأن أكاد الترق بظهره واضع خطاي على ذلك الموضع الذي يخطو (عليه) ، حتى دخلت المقصورة .

فرقي المنبر ، فرقيت على اثره . كلما رقى درجة رقيت على اثره ، حتى اذا استوى على أعلاها درجة قعد عليها فقعدت عند الدرجة الثانية من مجلسه عند قدميه[٢٢] ، ويميني الى وجهه ووجهي (الى) الابواب التي تلي السوق ، وشمالي[٢٣] الى الناس . فانتبهت من منامي وانا على تلك الحال .

٤) ثم من بعد ذلك بمدة يسيرة ، بينا أنا ذات ليلة أصلي فثقلت فوضعت رأسي في مصـلاي جنب فراشي ، إذ رأيت صحرا(ء) عظيمة[٢٤] ، لا أدري اي مكان هو . فارى مجلساً عظيماً ، وصدراً مهيئاً لذلك المجلس . وحجلة[٢٥] مضروبة . لا أقدر على صفة تلك الثياب وذلك الستر .

او معدن ، تودع فيه الموتى – ٦ً الخلاء او المكان الذي توجد فيه مقابر الاموات . والمعنى الثاني هو المراد في هذا الوطن .

٢٠) الاصل : يعينوني .

٢٠') « : لي . – ٣) الاصل مسجد .

٢١) « : قفاه .

٢٢) نفس المشهد الروحي « في عالم حقائق المثال في حضرة الجلال » كما يقول الشيخ الأكبر – يصفه ابن عربي في مكاشفته القلبية واجتماعه بالنبي عليه الصلاة والسلام : « ... وحصلت في موضع وقوفه ... وبسط لي على الدرجة التي انا فيها ... حتى لا اباشر الموضع الذي باشره ، صلى الله عليه وسلم ، بقدميه تنزيهاً له وتشريفاً وتنبيهاً لنا ... ان المقام الذي شاهده من ربه لا يشاهده الورثة . » (فتوحات ١ : ٢–٣) .

٢٣) الاصل : وشمال .

٢٤) « : عظيما .

٢٥) الحجلة (وجمعها حجل وحجال) من معانيها ، المناسبة لهذا المقام : حجرة تزين بالثياب والاسرة والستور .

فكأنه يُقال لي : انه يذهب بك الى ربك . فادخل تلك الحجب [٢١١] فلا[٢٥أ] أرى[٢٥ب] شخصاً ولا صورة[٢٥ج] . الا انه وقع في قلبي أني لما دخلت وقع عليّ الفزع في ذلك الحجاب. فأيقنت في منامي بالوقوف بين يديه . فما لبثت ان رأيت نفسي خارجاً من الحجب، بالقرب من باب الحجاب، واقفاً وأنا أقول : عفا عني ! وأجد نَفْسي قد سَكَنَ من الفزع .

٥) فدام لي شأن رياضة النفس ، من تجنب[٢٦] الشهوات ، وقعود[٢٧] في البيت على عزلة من الخلق، وطول مجرى من الدعا . فانفتح له شيء بعد شيء . ووجدت في قلبي قوة وانتباهاً . وطلبت من يعينني . فكان يكون لنا اجتماع بالليالي : نتناظر ونتذاكر وندعو[٢٨] ونتضرع بالاسحار .

فأصابتني غموم من طريق البهتان والسعايات، وحمل[٢٩] ذلك[٣٠] على غير محله . وكثرت القالة ، وهان ذلك كله عليّ . وسلط عليّ اشباه ممن ينتحلون[٣١] العلم : يؤذونني ويرمونني بالهوى والبدعة ويبهتون. وأنا في طريقي ، ليلاً ونهاراً ، دؤوباً دؤوباً[٣٢] .

حتى اشتد البلا(.)، وسار الامر الى ان سعى بي اليّ والي « بلخ »[٣٣أ] .

٢٥أ) الاصل : فلا .
٢٥ب) « : ار .
٢٥ج) « + : فكأنه يقال لي انه يذهب بك الى ربك .
٢٦) « : تجنب .
٢٧) « : وقعودا .
٢٨) « : وندعوا .
٢٩) « : وحل .
٣٠) « : بى .
٣١) « : ينتحل .
٣٢) « : دوبا دوبا .
٣٣أ) لعل والي بلخ الذي يشير اليه شيخنا هو يعقوب بن ليث أو عمرو بن ليث . والمعروف تاريخياً ؛ ان ولاة بلخ في عهد العباسيين كانوا جميعاً امراء منحدرين من خُتَّل (راجع اذانشهر ص ٣٠١) . وكان احد هؤلاء الامراء — داود بن عباس البانيجوري — قد طرده يعقوب بن ليث عام ٢٥٦ للهجرة . وفي سنة ٢٨٦ اسر اسماعيل بن احمد عمرو بن ليث . ومن ذلك الحين انتقلت المدينة الى حكم السامانيين . (راجع دائرة المعارف الاسلامية ، النشرة الفرنسية ، طبعة ثانية ١ : ١٠٣٢) .

وورد البلا(ء) من عنده، من يبحث عن هذا الامر. ورفع اليه ان ههنا[٣٢ب] من يتكلم في الحب، ويفسد الناس، ويبتدع، ويدّعي النبوة[٣٣]! وتقوّلوا عليّ ما لم يخطر قط ببالي، حتى صرت الى «بلخ»[٣٤]. وكتب عليّ قباله أن لا أتكلم[٣٥] في الحب!

٦) وكان ذلك من الله – تبارك اسمه! – سبباً في تطهيري: فان الغموم تطهر القلب. وذكرت قول داود، صلى الله عليه وسلم، انه قال: «يا رب، امرتني ان اطهّر بدني بالصوم والصلاة؛ فبِمَ أطهر قلبي؟ – قال: [٣١١ب] بالغموم والهموم، يا داود!»[٣٦].

فتواترت عليّ الغموم، حتى وجدت سبيلاً الى تذليل نفسي. فكنت اراودها على امور قبل ذلك، من طريق الذلة، فتنفر ولا تطاوعني. مثل ركوب الحمار في السوق، والمشي حافياً في الطرق[٣٧] (ولبس) الثياب الدون، وحمل شيء مما يحمله العبيد والفقراء. فيشتدّ عليّ ذلك. فلما اصابتني[٣٨] هذه المقالة والغموم – ذ(ہبت) بشرة[٣٩] نفسي. فحملت عليها هذه الاشياء، فذلّت وأطاعت، حتى وصل الى قلبي حلاوة تلك الذلة.

٣٢ب) الاصل ها هنا.

٣٣) لعل شيخنا يشير بذلك الى آرائه الخاصة بالولاية وصلتها بالنبوة التي اودعها في رسائله المتعددة وخاصة في كتابه «ختم الاولياء» و«علم الاولياء». وهي اراء لم تفهم على وجهها، كما يقول السلمي، من قبل معاصريه. (طبقات الشافعية ٢ : ٢٠).

٣٤) بلخ مدينة مشهورة في العصور القديمة والعصور الوسطى في اقليم خراسان: كانت سابقاً القصبة السياسية لولاية خراسان ثم اصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان. وفي العصر الحاضر، بلخ هي بلدة صغيرة تابعة لافغانستان، على الطرف الشمالي منها. فتحت المدينة في عهد الاسلام اولاً من قبل الاحنف بن قيس (سنة ٣٢ للهجرة) ثم اعاد فتحها قيس بن الهيثم (او عبدالرحمن بن سمرة) عام ٤٣. انظر وصف المدينة واهميتها في مختلف عصورها في دائرة المعارف الاسلامية (النشرة الفرنسية، طبعة ثانية ١ : ١٠٣١–١٠٣٢).

٣٥) الاصل : يتكلم.

٣٦) هذا الحديث روى في كتاب حقيقة الآدمية للترمذي نفسه ص ٤١ ط. الحسيني.

٣٧) الاصل : الحرق.

٣٨) « : اصابني.

٣٩) « : شده.

٧) فبينا انا كذلك ، اذ اجتمعنا ليلة على الذكر ، في ضيافة لأخ من اخواننا . فلما مضى من الليل ما شاء الله ، رجعت الى المنزل . فانفتح قلبي في الطريق فتحاً لا اقدر أن اصفه . وكأنه وقع في قلبي (شيء). طابت (له) نفسي والتذت به . وفرحت حتى مررت . فما استقبلني شيء . هبته ، حتى ان الكلاب ينبحن[٣٩] في وجهي . فآنس[٤٠] لنباحهن من لذة وجدت في قل(بي) . (حتى بدا) له ان السما(ء) بكواكبها وقمرها صارت[٤١] الى قرب الارض. وانا (فيها) بين ذلك أدعو ربي . ووجدت كأن قلبي نصب فيه شيء . فاذا وجدت تلك الحلاوة ، التوي[٤١ا] وتقبض بطني ، والتوى[٤١ب] بعضه على بعض ، من شدة اللذة ، واعتصر . وانتشرت في صلبي وعروقي تلك الحلاوة . وكان يخيل إليّ ان قربي من مكان قرب العرش[٤٢] !

فما زال ذلك دأبي كل ليلة الى الصباح : اسهر ولا اجد نوماً . فقوي قلبي على ذلك . وانا متحير ، لا ادري ما هذا . الا اني ازددت قوة ونشاطاً فيما كنت فيه .

٨) وهاجت ببلاد فتنة[٤٣] ، وانتقاض[٤٣] امر ، حتى هرب جميع من كانوا

---

٣٩) الاصل : ينحن .

٤٠) « : فانست .

٤١) « : صار .

٤١ا) « : التوا .

٤١ب) « : والتوا .

٤٢) عديدة هي الوثائق ، في الآداب الصوفية ، التي تكشف لنا عن هذه الظاهرة الروحية التي تعتري سالك الطريق في ترقيه المنوي . انظر التحليل البارع لهذه الظاهرة ، من الوجهة النفسية والروحية في بحث الاستاذ الكبير قربان :
Confessions extatiques de Mīr Dāmād, in Mélanges L. Massignon, I. 331—378) .

٤٢ا) ربما يشير شيخنا الى ثورة يعقوب بن ليث ضد والي بلخ في ذلك الحين ، داود ابن عباس البانيجوري عام ٢٥٦ للهجرة . انظر تعليق رقم ١/٣ ص٣٩٥ . والواقع ان الثورات والفتن كانت لا تنقطع في هذه المنطقة سواء في عهد الامويين او العباسيين . راجع دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٠٣١–١٠٣٢ (الطبعة الثانية ، النشرة الفرنسية) .

٤٣) الاصل : وانتقاص.

يؤذونني[٤٤] ويشنعون[٤٥] عليّ في البلاد . وابتلوا بالفتنة ، ووقعوا في [٢١٢ا] الغربة ، وخلت[٤٦] البلاد منهم ..

فبينا انا كذلك ، إذ قالت لي أهلي : اني رأيت في المنام كأنّ قائمًا في الهوا.[٤٧] ، خارجاً من الدار ، في السكة ، في صورة رجل شاب ، جعد ، عليه ثياب بياض ، له[٤٨] نعلان. ويناديني في الهواء[٤٨ا]. وانا في الصفة بحذائه[٤٩] : أين أين زوجك ؟ قلت : خرج . قال : قولي له ان الامير يأمرك ان تعدل. ثم مرّ

٩) فلم يأت على هذا مدة ، حتى اجتمع الناس ببابي ، (من) مشايخ البلد من غير لن اشعر بهم . وقرعوا البـاب ، فخرجت اليهم . فكلموني في القعود لهم . — وقد كان هؤلاء الاشكال[٥٠] ، قد قبحوا أمري عند العامة قبحاً كنت أتوهم أنهم السَّقَم اكثرهم ، لما كانوا يذيعون ، هؤلاء ، عليّ من الكلام القبيح . ويشنعون امري ويرمونني بالبدعة ؛ من غير أن يكون ذلك من شأني ، او توهمته قط .

فما زا(لوا) يكلمونني[٥١] في ذلك حتى أجبتهم الى القعود . فذكرت لهم من الكلام شيئاً كانه يغترف من البحر . فأخذت[٥٢] مني القلوب مأخذًا . . (؟)[٥٢ا] واجتمع الناس ، فلم تحتمل[٥٣] داري ذلك ، وامتلأت[٥٤] السكة والمسجد .

---

٤٤) الاصل : من كان يوذيني .
٤٥) « : ويشنع .
٤٦) « : وخلا .
٤٧) « : الهوى .
٤٨) « : وعليه .
٤٨ا) « : الهوى .
٤٩) « : بحذاه :
٥٠) الاشكال ، مفردها شَكْل وتجمع على شُكُول ايضاً ولهذه اللفظة معان كثيرة منها : القناع المصنوع للوجه ولعل الشيخ اطلقها هنا مجازًا على اهل الرياء والنفاق . وهذه اللفظة تجري كثيرًا على لسان الترمذي في كتبه ورسائله .
٥١) الاصل : يكلموني .
٥٢) « : فأخذ .
٥٢ا) « بعد كلمة مأخذا : سيأ .
٥٣) « : يحتمل . ٥٤) الاصل : وامتلت .

فلم يزالوا بي حتى مدّوني (جرّوني)الى مسجد . . . (؟)[٥٤أ] وذهبت تلك الاكاذيب والاقاويل الباطلة . ووقع الناس في التوبة ، وظهرت التلامذة . واقبلت الرياسة والفتن ، بلوى من الله لعبده .

ورجع اولئك الاشكال الى البلاد ، بعد ما قويت وكثرت التلامذة واخذت القلوب مواعظي . وتبيّن لهم ان هذا كان منهم بغياً وحسداً . فلم ينفذ لهم بعد ذلك قول وأيسوا . [٢٣ب] وقبل ذلك ، كانوا صيّروا السلطان والبلاد عليّ بحال لا أجترئ أن أطلع رأسي . فأبى[٥٤ب] الله الا ان يبطل كيدهم .

١٠) فتتابعت عليّ الرؤي (الاصل : الرويا) من أهلي ، كل ذلك بقرب الصبح . ترى الرؤيا بعد الرؤيا ، كأنها رسالة . ولم يكن يحتاج الى عبارتها[٥٤ج] لبيانها ووضوح تأويلها . وكان فيما رأت ان قالت :

رأيت حوضاً كبيراً في موضع لا أعرفه . وما(ء) الحوض صاف[٥٥] كما(ء) العين . فيظهر على ذلك الحوض (في) رأس الما(ء) ، عناقيد عنب ، بيض كلها. وانا واختي[٥٦] قعود على رأس ذلك الحوض[٥٧] ، نأخذ من ذلك العنب فنأكله ، واقدامنا متدلية في الحوض ، موضوعة[٥٨] على ظهر الما(ء) ، لا ترسب ولا تغيب.

فأقول لاختي الصغرى : نحن نأكل من هذا العنب كما ترين[٥٩] ، فمن يرسل هذا الينا ؟ — فا(ذا) برجل مقبل[٦٠] ، جعْد ، وقد تعمم بعمامة بيضا(ء) ، وقد أرخى شعره من خلف العمامة ، وعليه ثياب بياض. فيقول لي : لمن مثلُ هذا الحوض ، ومثل هذا العنب ؟ — ثم يأخذ بيدي ، فيقيمني فيقول لي ، بمعزل منها[٦١] :

٥٤أ) الاصل : مسجد الحاس .

٥٤ب) « : فابا .

٥٤ج) اي الى تفسيرها وحل رموزها .

٥٥) : صافي لي

٥٦) « : واختي .

٥٧) « : الحو .

٥٨) « : واضعة .

٥٩) « : ترى .

٦٠) « : رجلا مقبلا عليه ، ويمكن قراءة الجملة : فأ(رى) رجلًا مقبلًا . . .

٦١) « : منهم .

قولي[٦٢] لمحمد بن علي ان لا يقرأ[٦٣] ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة[٦٤]﴾ حتى يتم الآية . لا يوزن بهذا (الميزان) دقيق ولا خبز . وانما يوزن بهذا كلام هذا — ويشير الى لسانه ويوزن بهذا[٦٥] هذا(!) وهذا — ويشير الى يديه وقدميه . انت لا تعلمين[٦٦] ان افضل الكلام سُكرًا كسكر الخمر إذا شرب !

فأقول له : أحب ان تقول لي من أنتم ؟ فيقول : انا من الملائكة ، ونحن نسيح في الارض ، وننزل [٢١٣ ب] بيت المقدس . ورأيت بيده اليمنى آسا[٦٧] اخضر رطبا[٦٨] ، وبيده الاخرى رياحين . فهو يكلمني وذاك بيده. فيقول: نحن نسيح في الارض ، فنذهب الى العُبّاد. فنضع هذه الرياحين على قلوب العُبّاد حتى يقوموا بهذا الى عبادة الله ؛ وبهذا الآس ، على قلوب الصدّيقين والموقنين حتى يعلموا الصدق بهذا . وهذه الرياحين في الصيف هكذا . والآس لا يتغير في صيف ولا شتاء . فقولي لمحمد بن علي : انت لا ترضى ان يكون لك هذان ؟ — يشير الى الآس والى الرياحين .

ثم قال : ان الله قادر على ان يرفع للمتقين تقواهم، الى موضع لا يحتاجون (فيه) الى ان يتقوا . ولكن جعل هذا عليهم حتى يعلموا التقوى .

قولي له : طهّر بيتك . فأقول: ان لي اولادًا صغارًا ولا اضبط تطهير بيتي. فيقول لي : ليس من البول اعني . انما أعني من هذا — ويشير الى لسانه .

فاقول له : فَلِمَ لا تقول له انت بنفسك ؟ قال : أنا لا اقول له ، من أجل أنه ليس بكبير من الامور وليس بقليل: هذا من الناس قليل ومنه كبير[٦٨ أ] . ولماذا[٦٩] يعمل مثل هذا ؟ ثم يحرك يده التي فيها الآس ، فيقول: من أجل أن

---

٦٢) الاصل : قل
٦٣) « : نقرا ..
٦٤) سورة ٢١ : ٤٧ .
٦٥) الاصل : هد .
٦٦) « : نعلم .
٦٧) الاصل : آس .
٦٨) « : رطب .
٦٨ أ) « : لسير .
٦٩) « : وعاذي .

هذا منه بعيد. ثم يخرج من الآس، الـذي في يده من الدستجة[٧٠]. بعضه فيناولني.

قلت: هذا أمسكه لنفسي أو أدفعه اليه[٧٠]؟ فيضحك، فتبـدو اسنانه كانها اللؤلؤ. فيقول: خذي هذا؛ فان هذين اللذين بيدي، انا أجيء بها إليه. وهذا بينكما. وأنتما جميعاً في مكان واحد.

وقولي له: لكن هـذا [٣-٣] آخر موعظتي له[٧١] والسلام عليك! — ثم يقول: ان الله يعطيكم — معشر الاخوات — روضـة، لم يعطها[٧٢] لكم بعبادة صوم ولا صلاة. انا يعطيكم بصـلاح قلوبكم وبانكم تحبون الخير ولا ترضون السو(ء) — بالاعجمية: بذي نيسنديذ ودوست داريذنيكي[٧٣].

فأقول له: لِمَ لا تقول هذا بين يدي اختي؟ قال: إنها ليستا توازيانك[٧٤] ولا تعدلانك[٧٥]. ثم يقول: السلام عليكم! ويمضي. فانتبهت.

١١) ثم رأت مرة اخرى: كأنها في البيت الكبير الذي في دارنا. وفيه[٧٦] سرر منجدة بالابريسم[٧٧]. واحدى السرر الى جانب المسجد الذي في البيت. فانظر. فاذا شجرة تطلع بجنب السرير، في قبلة المسجد. فطلعت قامة رجل. فاذا هي كخشبة يابسة؛ وعليها اغصان كاغصان النخل. كالاوتاد، شبه البرادة[٧٨]. فبدت أغصان في أصلها[٧٩] قدر خمسة او نحوه، بخضرة رطبة.

٧٠) لفظة اصلها فارسي (تصغير: دَسْتَهْ) وتجمع على دساتيج وتطلق على طاقة الزهر او باقة البقل او حزمة العشب.

٧٠) الاصل: اليك.

٧١) « : له.

٧٢) « : يعطيكم.

٧٣) « : نيتذيذ ودوست ددار بذنبكي.

٧٤) « : توازيك.

٧٥) « : تعدلاك.

٧٦) « : وفيها.

٧٧) إبْرِيسَم او إبْرِيسُم اصلها الفارسي ابرشيم: ضرب من الحرير.

٧٨) البُرادة هي ما تساقط من الحديد عند مرور المبرد عليه. وهذا المعنى غير واضح في هذه الجملة.

٧٩) الاصل: اصله.

فلما بلغت وسط هذه الشجرة اليابسة ، إمتدت هـذه الشجرة طولًا في السماء قدر ثلاث قامات . وتبعتها[٨٠] الاغصان حتى بدت وسطها ، فبدت من هذه الاغصان عناقيد رطب .

فأقول في منامي : هذه الشجرة لي . وليس لاحد من هنا[٨١] الى اسفلها — أعني مكة — مثل هذه الشجرة . فأدنو[٨١] منها ، فيجيئني كلام من أصلها ، ولا أرى احدا . فانظر الى اصل الشجرة . فاذا هو قـد نبت في الصخرة . وهي صخرة كبيرة ، قد اخذت قدر نصف البيت . واذا الشجرة قد نبتت من وسط الصخرة ، والى جانبها صخرة كبيرة منفردة كحوض . واذا عين تنبع من اصل هذه الشجرة وتستنقع [٢١٤] في الصخرة المنقورة . وذلك الماء صافٍ[٨٢] يشبه ماء القضبان في صفائه[٨٢] .

فأسمع قائلًا من قرب الشجرة ، يقول لي : تضمنين ان تحفظي هذه الشجرة حتى لا تصل[٨٣] يد احد الى هذه ؟ — فان هذه الشجرة لك ؟ كان اصلها في الرمل والتراب ، فمن كثرة ما اصابتها[٨٤] الايدي تسفلت ثمرتها في الارض فذهبت ويبست . ولكن نحن القينا الصخرة حولها ، ووكلنا بها طيرًا لنجعل ثمر[٨٤] هذه الشجرة تحتها . فانظري ! فأرى طيرًا اخضر كالحمامة في القدر . فأبصره[٨٥] على غصن من اغصان الشجرة ، ليس من الاغصان التي بدت من اسفلها رطبة ، ولكن من الاغصان اليابسة ، حيث[٨٦] انتهى اليها رؤوس الاغصان الرطبة . فيطير من غصن الى غصن ، فيعلو . فكلما وقع على غصن يابس ، شبه الوتد ، اخضر ورطب وتدلّت منه عناقيد رطب .

---

٨٠) الاصل : وتبعته
٨١) « : هذا .
٨١) « : فادنوا .
٨٢) « : صافي .
٨٢) « : صفايه .
٨٣) « : يصل .
٨٤) « : اصابته .
٨٤) « : ثمره .
٨٥) « : فابصرها .
٨٦) الاصل : من حيث .

فيقال لي: ان كنت تقدرين ان تحفظي هذه الشجرة حتى يطير الى اعلاها[٨٧] فتصير خضرا. كلها[٨٨] والا أقام[٨٨أ] ههنا في الوسط. فاقول: بلى، احفظها — ولا أرى احدًا اكلمه — فيطير هذا الطائر الى اعلاها، غصناً غصناً، فيخضر كله. فلما بلغ رأس الشجرة، قلت متعجبة: لا إله الا الله! اين هؤلا.[٨٨ب] الخلق لا يزون هذه الشجرة ولا يصلون اليها؟ فينطق هذا الطائر من اعلاها فيقول: لا إله الا الله! فأردت ان اتناول منها رطبة، فيقول لي القائل: لا، حتى يبلغ نضجه. وانتبهت.

١٢) ثم رأت مرة أخرى كانها نائمة معي على السطح. قالت: فاسمع حديثاً من البستان. [٢١٤ب] قالت: فاسترجع كالمصاب. واقول: هؤلا. أضيافنا تركناهم! اذهب فاطعمهم. قالت: فأصير الى جانب السطح لانزل. فينحط جانب السطح فيلزق بالارض فاستوى على الارض. فاذا رجلان قاعدان في هيبة[٨٩]. فأدنو فاعتذر اليهما. فيتبسمان. فيقول احدهما: قولي لصاحبك، ما اشتغالك بهذا الفرزد[٨٩أ] — يعني الحشيش —؟ عليك بتقوية الضعفا. وان تكون ظهرًا لهم.

وقولي له: انت وتد من اوتاد الارض، تمسك طائفة من الارض. فأقول: من أنت؟ فيقول: محمد — احمد[٩٠] وهذا عيسى. — قال: وقولي له: انك تقول: يا ملك يا قدوس، ارحمنا! فتقدس انت. فان كل ارض تقدس عليها[٩١] تشتد وتقوى. وكل ارض لا تقدس عليها[٩١أ] تضعف وتهون. وقولي له: اعطيناك معموره، ﴿والبيت المعمور[٩٢]﴾ فاحسن اليهما[٩٣]. وانتبهت.

١٣) ثم رأت، ليلة اربع وعشرين من رمضان، كأنها تسمع صوتي من

---

٨٧) الاصل: اعلاه.
٨٨) « : اخضر كله.
٨٨أ) « : أقامت.
٨٨ب) « : هدا.
٨٩) « : هيه.
٨٩أ) الفُرُزْدُ والفَرْزَدَة بالفارسية: الخضرة.
٩٠) الاصل: محمد واحمد.
٩١) « : عليه.
٩١أ) « : عليه.
٩٢) سورة ٥٢: ٤.
٩٣) الاصل: اليها.

بعد ، على هيئة لم تسمع الآذان بمثلها[٩٤] فأتبع الصوت . فأدفع الى باب قصر ، فاراه ممتلئاً نوراً . فأدخل . فاذا المسجد مرتفع ، يعلو الخلق والبناء . واذا انت قائم ، مستقبل القبلة ، في شبه محراب تصلي[٩٥] ، والنور قد أحاط بك . فأقول : ان هذا الصوت يكفي الناس ويبلغ . وهو قد اخذ نفسه من الناس .

١٤) ثم رأى ابو داود الخياط ، كانه يرى ناساً قد اجتمعوا الى مدرجة ، شبه سلّم[٩٦] رفيع ، الى سور ذاهب في السماء طولاً . فأذهب . فارى زحاماً عند السلّم . [٢١٥ب] فأريد أن أرتقي ، فيقال لي : انك لا تصعد حتى تأتي بجواز . وهناك واقف يمنع .

فقلت في نفسي : وأنّى لي الجواز ؟ قال : فاجد في يدي رقعة فاناوله فيخلي عن الطريق . فارتقى الى سور كبير ، وأرى عليه ناساً قليلاً . ومن وراء السور بحر ، ومن وراء البحر فضاء واسع عظيم ، يحار فيه البصر[٩٧] .

فاقول لهؤلاء الذين على السور : من أنتم ؟ وما تصنعون[٩٨] هنا؟ فيقولون: ذاك محمد بن علي ، في ذاك الفضا(ء) ، من ورا(ء) البحر . فانظر ، كما ينظر الى الهلال ، حتى ابصرت من بعد[٩٩] بجهد . فأمسح[٩٩'] عيني وأنظر ، وامسح وانظر . واذا هؤلاء القوم يجنبون عن هذا البحر . قال : فارمي بنفسي من ذلك السور في ذلك البحر . فما كان باسرع من ان خرجت الى ذلك الجانب . فاسير حتى اصير اليك . فاذا انت قاعد في ذلك الفضا(ء) . قد لففت رأسك في طالسانك[١٠٠] . فتعجبت[١٠١] من مصيري اليك في ذلك الموضع . فانتبهت .

---

٩٤) الاصل : بمثله .

٩٥) « : يصلي .

٩٦) « : سلم .

٩٧) « : من .

٩٨) + « : وما يصنعون .

٩٩) « : البعد .

٩٩') « : أمسح .

١٠٠) طالسان وطيلسان ، يجمع على طيالسة ، من اصل فارسي : تالشان وهو قماش مصنوع من صوف الماعز او وبر الجمال ويستعمل لغطاء الرأس والكتفين . وتقول العرب : ابن (طيلسان ويعنون بذلك من هو غير عربي ! لان الطيلسان في الواقع كان يحمله الفرس والترك القضاة والعلماء منهم بصورة خاصة) .

١٠١) الاصل : فتعجب .

١٥) ثم رأى لي احمد بن جبريل البزاز[١٠٢] فيما حكى لي ، فقال : كأني اراك تطوف ببيت الله الحرام . وقد خرج من اعلا حيطان البيت شبه رف ، كالجناح ، دون السطح بقليل ، قدر ذراعين أو نحوه . فأنت تطوف على ذلك الرف . وقد علوت حائط البيت ، فقد جاوز وسطك ، فصار أعلا من البيت ، ذاهباً في الهوا،[١٠٣] تطوف بالبيت على تلك الحالة . فانتبهت متعجباً .

١٦) ثم رأى محمد بن نجيم الخشاب ، فقال : رايت كأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، واقف[١٠٤] [١٥ب] في نور يصلي ، ومحمد بن علي خلف قفاه يصلي بصلاته معه .

١٧ ثم اشتغلت ، في سنة من هذه السنين ، بتقدير شأن الزوال ، وتعلم تلك الحسابات ، من امر البروج والأصطرلاب[١٠٥] ، فأمعنت فيه . فرئي[١٠٦] لي في المنام ، كأن[١٠٧] قائلاً يقول له : قل لابن علي ، ليس هذا الذي أنت فيه ، من شرطك ولا مذهبك ، فاجتنبه ! قال : فامتلأت[١٠٨] خوفاً ورعباً مما رأيت من هيبة[١٠٩] ذلك القائل . وأراه في صورة شيخ ابيض الرأس واللحية ، طيب الريح ، حسن الوجه ، أتوهم انه ملك .

فقال : قل لابن علي ، ألق هذا ! فاني لا آمن ان يكون هذا حجاباً بينك وبين رب العزة . فالله ، الله في نفسك في هذا الخلق ! فانك لست باذنيد[١١٠] ، انما انت أمّة[١١٠ ١] . فاخبره بهذا ولا تدع نصيحة الله في خلقه .

---

١٠٢) الاصل : البذاذ .
١٠٣) « : الهوى .
١٠٤) « : واقفا .
١٠٥) الاصطرلاب ، او الاسترلاب ، من اصل يوناني ἀστρολάβος او ἀστρολάβον (ὄργανον) . وتطلق هذه اللفظة على مجموعة من الالات التي تستخدم في علم الفلك لغايات نظرية او عملية .
١٠٦) الاصل : فرى .
١٠٧) « : كان .
١٠٨) « : فامتلى .
١٠٩) « : هيه .
١١٠) « : باذيك ومعنى «باذنيده» بالفارسية : شيء حقير ، امر تافه لا يساوي شيئاً .
١١٠ ١) « : امه .

١٨) ثم رأت أهلي كأنّا نائمان[١١١] في فراش واحد. فجاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فدخل فراشنا معنا.

١٩) ثم رأت مرة اخرى، كأنه جا(ء) فدخل منزلنا. قالت: ففرحت[١١٢]. فأردت ان أقبل قدميه، فمنعني. وناولني يده فقبلتها. فلم أدرِ ما أسأله[١١٢ا]. وكان يعتريني في إحدى عينيّ هذه الحمرة. فقلت: يا رسول الله، ان احدى عيني يعتريها[١١٣] رياح الحمرة. فقال: اذا كان ذاك، فضعي يدك عليها وقولي: «لا اله الا الله، وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير». ثم انتبهت. فما اعتراني بعد ذلك فقلتها الا سكن.

٢٠) ثم رأت أهلي. كأنها عند «درب سكينا». قالت: فانظر الى الجبانة من بعيد. فيمتد بصري، حتى كاني انظر جوّ «داود آباد». فارى من الخلق [٢١٦ا] عددًا لا يحصى[١١٤]. كانه صار كله ممتلئاً[١١٤ا] خلقاً. وارى الاشجار والجدر ممتلئة كلها[١١٥] من بني آدم، كالطير على رؤوس الاشجار. فأقول: ما هذا؟ فيقال لي: ان الامير نزل بغتةً. ولم يعلم به احد. ومند اثنى[١١٦] عشر يوماً، كانت تمر[١١٧] جنوده ونحن لا نشعر، حتى امتلأت[١١٨] الدنيا.

قالت: وأنظر الى هذا الخلق قد اصفرّت الوانهم، وجفّت شفاههم، وييس ريقهم من الهول والفزع. قالت: فأرى كأنك[١١٨ا] تدخل عليّ وتخلع ثيابك، وتدعو بما(ء)، فتدنو الى شَبَه[١١٩]، ارى فيه ما(ء)، فتغتسل وتتزر بازار

---

١١١) الاصل: نائمين.
١١٢) « : ففر.
١١٢ا) « : أسله.
١١٣) « : يعزيني.
١١٤) « : لا يحصا.
١١٤ا) « : ممتليا.
١١٥) الاصل: كلهم.
١١٦) « : اثنا.
١١٧) « : يمر.
١١٨) « : امتلت.
١١٨ا) « : كانك.
١١٩) «الشَّبَه والشِّبْه، ضرب من النحاس الاحمر: يقال كُوز شَبَه وشِبْه.

وتأخذ رداءً، وعليك نعلان. قالت: فأقول لك. ما تصنع ؟ فتقول: ألا ترين[١١٩أ] الى هذا (الامر) العجب ؟ وما يريد هذا الامير ؟

قالت: وأرى الخلق كلهم سكوت[١١٩ب]، قد دهشوا من الفزع. كأنه لا يعرف بعضهم بعضاً، وكانهم غربا.[١١٩ج] من الفزع. وارانك ساكتاً مطمئناً، ليس بك فزع. فتقول لي: ألا ترين[١١٩د] الى هذا (الامر) العجب ؟ ان الامير يريد من جميع اهل الدنيا اربعين نفساً ليكلمهم. فأقول لك: الا تخرج انت. فتقول: سبحان الله. جهان همى ترا نگرند[١٢٠] — بالفارسية — ويقولون: ان أعاننا محمد ابن عليّ، والا هلكنا.

— وانه يجمع من اهل الدنيا كلهم هؤلاء الاربعين. وان لم اكن فيهم، لاتمم بهم الاربعين، فسد هذا الخلق. ولكن اي شيء يعرفني للامير ؟ ومتى يعرفني ؟ انا يراد ان اتمم الاربعين[١٢١] بنفسي، فانه لا يوجد تمام الاربعين وان الخبر[١٢١أ] ان الامير جاء بالترك على هؤلاء..

قالت: فالبس قميصاً ابيض وطالساناً[١٢٢] ابيض ونعلين وأمضي[١٢٣] قالت. [٢١٦ب] فيخيل اليّ في المنام، انك لما انتهيت الى الامير رأيت[١٢٤] الخلق راجعين زحفاً مع الترك، والترك لا يضربونهم[١٢٥] وقد انسلى[١٢٦] عنهم ما كنت ارى بهم من الفزع. فأقول. وانا واقفة عند رأس الدرب: هل فيكم احد من أولئك الاربعين؟ فيقول له واحد منهم: بأولئك الاربعين نجونا. فيقول آخر: نحن نجونا بمحمد بن عليّ. قالت: فأبكي. فيقال: مِمَّ تبكين ؟ فانا نجونا به. قالت، فاقول: انا لا ابكي من أجل انه يقع موقع سوء. ولكن ابكي من اجل قلبه الرحيم: كيف ينظر الى وجه السيف ؟ ويخيّل اليّ في ذلك الوقت ان هؤلاء الاربعين تضرب اعناقهم ؟ فلذلك أبكي.

١١٩أ) الاصل : ترى.
١١٩ب) « : سكوتا.
١١٩ج) « : عربا.
١١٩د) « : ترى.
١٢٠) اي: العالم (الناس) ينظرون اليك.
١٢١) الاصل : اربعين.
١٢١أ) الاصل : الخبر
١٢٢) انظر تعليق رقم ١٠٠ المتقدم
١٢٣) الاصل : ومضى.
١٢٤) « : ارى.
١٢٥) « : يضربهم.
١٢٦) انسلا.

قالت : فارجع الى البيت. فلما بلغت باب الدار ، التفتُّ فاراك قد جئت. ويخيل اليّ انه قد مضى ليلة — وهذا الغد — من يوم ذهبت . قالت ، فاقول : الحمد لله ! كيف نجوت ؟ فتقول لي انت ، بيدك هكذا بالفارسية : باش كاش[١٢٧] ! حتى أقول لك . — قالت : واراك في بياض ، وطولك قدر قامة رجليه طويلين ؛ وكأن[١٢٧أ] وجنتيك قد احمرتا وهما تبرقان بروقاً ؛ وعلى جبهتك وحاجبيك شبه الغبار . قالت : فانظر ، فاذا هو ليس بغبار ولكنه من الهول والفزع صار بذلك الحال .

قالت ، فاقول لك : كيف نجوت ؟ — قالت ، فتقول : الا ترين[١٢٧ب] كيف انا اول الاربعين ، واياي عرف ، واياي اخذ . واخذ مني هذا الموضع — وتشير الى صدرك — ، فزلزلني زلزلة ، ظننت ان جميع اعضائي تتناثر كلها . فقال لي — بالفارسية[١٢٨] : [٢١٧أ] .

قالت ، فأقول لك : رأيت الامير ؟ رأيت الامير ؟ فتقول : لا ، ولكن انتهيت الى باب قبة ، وعلى باب الامير حجلة مضروبة . فرأيت الامير كأنه[١٢٨أ] اخرج يدًا من تلك القبة . فاخذ مني هذا الموضع فزلزلني وقال لي هذا . ثم وجهنا الى حظيرة وكأني[١٢٨ب] ارى تلك الحظيرة شبه مقصورة العيد في الجبانة . فقال : اذهبوا بهؤلاء الاربعين الى تلك الحظيرة ، فاحبسوهم هناك قياماً . ولا تدعوهم يقعدون .

فبعث بي معهم الى تلك الحظيرة . واشار الى الذين معي في العدد : ان ابعثوا هذا الى الصلاة . — قالت : فدخلت الحظيرة معهم ثم بعثت الى الصلاة. وكأنه[١٢٨ج] اختير من اهل الدنيا هؤلاء . فمررت على جند الامير وعلى الترك ، فلم

---

١٢٧) اي : يا ليته كان !

١٢٧أ) الاصل : وكان .

١٢٧ب) « : ترى .

١٢٨) « هكذا : « ايرثوى (الصواب : امير توى = انت امير) كحدترا كامي لونه برارنه وافر مرجهان نوى (الصواب: توى = انت رئيس العالم) كهن شباه من اسلس تدرود » . والجملة على هذا النحو غير مفهومة .

١٢٨أ) الاصل : كانه.

١٢٨ب) « : وكاني . ١٢٨ج) الاصل : كأنه .

يضرّ بي احد . والآن علمت ان للامير فيّ رأيا[١٢٩]، وانه جمع هذا الجمع كله من اجلي، لاخرج انا وهؤلاء. التسعة والثلاثون واياي اراد بذلك . — قالت، فاقول لك : فخذ نفسك الآن . فتقول : قد نجوت انا من نفسي ! فتصعد الى المسجد . — قالت : فاراك قائما على ظهر الجميع . قالت[١٢٩ ا] . فانتبهت .

٢١) ثم رأت لسنتين[١٢٩ ب] او ثلاث ؛ وذلك يوم السبت ضحى[١٣٠] لعشر بقين من ذي القعدة سنة تسع وستين ومأتين[١٣٠ ا] .

٢٢) ثم رأت رؤيا أخرى وهي بالفارسية. وفي آخرها قالت: فانتبهت[١٣٠ ب].

٢٣ فوقع عليها حرص الاستماع الى الموعظة وطلب الحقوق (٢١٧ ب) من نفسها . فاول ما ابتدى لها من تحقيق رؤياها، انها كانت في البستان قاعدة، وذلك لثلاث بقين من ذي القعدة، بعد ما رأت هذه الرؤيا، بنحو من خمسة ايام او ستة اذ وقع على قلبها : «يا نور كل شي. وهداه ! انت الذي فلق الظلمات نوره» .

قالت : فوجدت كأن شيئا[١٣٠ ج] دخل صدري ، فدار حول قلبي فأحاط به وامتلأ الصدر الى الحلق، حتى صرت شبه المخنوق من امتلائه . وله حرارة وحرقات على القلب . فتزينت الاشيا.[١٣١] كلها لي . فما وقع بصري على ارض ولا سما(.) وخلق، من الخلق، الا رأيته بخلاف ما كنت اراه، من الزينة والبهجة والحلاوة .

٢٤) ثم وقع على قلبي كلمة بالفارسية : نگينى.[١٣١ ا] من ترا داذم[١٣٢] .

---

١٢٩) الاصل : راى .

١٢٩ ا) « : قال .

١٢٩ ب) « : بسنتين .

١٣٠) « : ضحوه .

١٣٠ ا) لا يذكر المخطوط هنا موضوع الرؤيا التي رأتها زوج الحكيم الترمذي ولا مضمونها .

١٣٠ ب) هكذا في اصل المخطوط من غير زيادة .

١٣٠ ج) الاصل : سيا .

١٣١) « : الاسيا .

١٣١ ا) « : بكيي . ١٣٢) اي : وهبتك خاتما .

فامتلأت فرحاً وطيب نفس ونشاط. فاخبرتني بذلك. فلما كان اليوم[١٣٣] الثاني، قالت: وقع على قلبي «أنا اعطيناك ثلاثة اشيا.»، ووقع الكلام بالفارسية: سه چيز[١٣٣أ] ترا دادم جلال من (و) عظمة من وبها. من»[١٣٤]. وأضا(.) لي من فوقي قدام هكذا فوق رأسي في الهوا.[١٣٤أ] كما كنت رأيته في المنام. فتراآى[١٣٤ب] في ذلك الضو. عَلَم الجلال وعلم العظمة وعلم البها.

فاما الجلال فاني رأيت كأن[١٣٤ج] البيت (الاصل: بيت) يتحرك (الاصل: يتحرك) ايذون (الاصل: ايـذور) چيزي همى ببود (الاصل: بتوز)، وجش خلق همه ازوى، وعظمه پرى (الاصل: مري) (و) همه چيزها ازوى، وبها (و) سرا (ى) همه چيزها (ازوى نخست فرا(آ) سمانها وبذم او كنده .... تافروذ[١٣٥].

٢٥) ثم وقع على قلبها، اليوم[١٣٥أ] الثالث: ترادادم علم أولين وآخرين[١٣٦] [٢١٨أ] قدام بها هذا حتى نطقت بعلم اسما. الله. فكان يفتح لها في كل يوم اسم (الاصل: اسما) ويبدو[١٣٦أ] ذلك الضو(.) على قلبها وينكشف لها باطن ذلك. حتى كان يوم الجمعة، في ايام العشرة، حضرت[١٣٧] المجلس. فذكرت انه وقع عليها اسم «اللطيف».

***

---

١٣٣) الاصل: يوم.

١٣٣أ) « : جبن.

١٣٤) اي: انا اعطيناك ثلاثة اشياء: جلالي، وعظمتي، وقدري.

١٣٤أ) الاصل: الهوى.

١٣٤ب) « : فتراايا.

١٣٤ج) « : كاني.

١٣٥) اي: كأن البيت يتحرك، ويوجد فيه شي. تحرك الخلق كلهم به؛ وعظمة الملك وكل شي. منه وبها. كل شي. وقيمته فيه. ولقد رأيت بديا تلك النار منتشرة في السموات... الى اسفل.

١٣٥أ) الاصل: يوم.

١٣٦) اي: وهبتك علم الاولين والآخرين.

١٣٦أ) الاصل: ويبدوا.

١٣٧) « : جهزت.

لدى الرجوع الى المصادر القديمة والحديثة الخاصة بشيوخ الحكيم الترمذي الذي تلقى عنهم رواية الحديث وعلوم الشريعة والطريقة، نستطيع ان نجرد الثبت الآتي باسماء مربيه ومرشديه . وهذا الثبت وان لم يكن شاملاً لجميع اساتذة الترمذي ومعلميه، الا انه من غير شك، يلقي اماماً كثيراً من الاضواء عن الحياة العلمية لشيخ خراسان ويعيننا الى امد بعيد على تقديره حق قدره بالنسبة الى عصره وبيئته :

١) الحسن بن علي الترمذي؛ والده حيث تلقى منه الحديث ورواه عنه[١٣٨] .
٢) الجارود بن معاذ السلمي الترمذي[١٣٩]
٣) صالح بن عبدالله الترمذي[١٤٠] .
٤) صالح بن محمد الترمذي[١٤١] .
٥) علي بن حجر السّعدي[١٤٢] .
٦) سفيان بن وكيع[١٤٣] .
٧) الحسن بن عمر بن شقيق البلخي[١٤٤]
٨) يحيى بن موسى[١٤٥] .
٩) عتبة بن عبدالله المروزي[١٤٦] .
١٠) عباد بن يعقوب الرواجني[١٤٧] .

---

١٣٨) روى الترمذي عن ابيه الحديث وذكر في كثير من كتبه ولا سيا في كتاب ختم الاولياء حيث نجد له اكثر من رواية عنه كما سيأتي فيما بعد .
١٣٩) انظر ترجمته في التعليق الآتي رقم ٢١٣ (نص) .
١٤٠) انظر الميزان ترجمة رقم ٣٧٦٩ وطبقات الشافعية ٢: ٢٠، وتاريخ بغداد ٩: ٣١٥ والخلاصة ١٤٥ .
١٤١) انظر الميزان ترجمة، رقم ٣٧٦٩ وتاريخ بغداد ٩: ٣٣٠ وطبقات الشافعية ٢: ٢٠ .
١٤٢) راجع طبقات الشافعية ٢ : ٢٠ .
١٤٣) « « « « ٢٢
١٤٤) راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٥٥ وتذكرة الحفاظ ٢: ١٩٧ .
١٤٥) راجع تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧ .
١٤٦) « « « «
١٤٧) « « « «

١١) قتيبة بن سعيد الثقفي البلخي[١٤٨] .

١٢) عيسى بن احمد العسقلاني[١٤٩] .

١٣) احمد بن خضرويه البلخي[١٥٠] .

١٤) ابو تراب النخشبي[١٥١] .

١٥) يحيى بن معاذ الرازي[١٥٢] .

١٦) يعقوب الدورقي[١٥٣] .

١٧) يعقوب بن ابي شيبه[١٥٤] .

١٨) يحيى الجلّا.[١٥٥] .

***

هذا ، واذا تتبعنا من ناحية اخرى ، سلسلة المحدثين الذين ذكرهم في كتاب « ختم الاوليا. » خاصة وروى عنهم الحديث ، نجدهم على النحو الآتي[١٥٥ا] .

١) فهو يروي عن الجارود[١٥٦]، عن النضر بن شميل[١٥٧]، عن هشام الدستوائي[١٥٨]، عن حماد[١٥٩] .

٢) « « « عن سفيان بن عيينة[١٦٠]، عن عمر بن دينار[١٦١]، عن ابي عباس[١٦٢] .

---

١٤٨) شذرات ٢ : ٩٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٦٤

١٤٩) « ٢ : ١٥٤

١٥٠) طبقات الصوفية ٢١٧

١٥١) « « « ؛ الرسالة القشيرة ٢٠ ؛ حلية الاولياء ١٠ : ٢٢٠

١٥٢) تذكرة الاولياء ٢ : ٩١ – ٩٩

١٥٣) طبقات الشافعية ٢ : ٢٠ – تاريخ بغداد ١٤ : ٢٢٧

١٥٤) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٨١

١٥٥) طبقات الصوفية ٢١٧

١٥٥ا) وسيعثر القارئ بلا شك في هذه السلسلة باسماء جديدة عن المحدثين روى عنهم الترمذي ولم يرد لهم ذكر في المصدر السابق .

١٥٦) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢١٣ (نص)

١٥٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢١٤ (نص) ١٦٠) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢٣٥ (نص)

١٥٨) « « « « ٢١٥ « ١٦١) « « « « ٢٣٦ «

١٥٩) « « « « ٢١٦ « ١٦٢) « « « « ٢٣٧ «

٣) وهو يروي عن الجارود ، عن الفضل بن موسى ، عن زكريا بن زائدة ، عن سعد بن ابراهيم ، عن ابي سلمة .

٤) عن عبد الجبار (بن العلا.) ، عن ابن عجلان[١٦٣] ، عن سعد بن ابراهيم ، عن ابي سلمة ، عن عائشة .

٥) عن ابن ابي بكر العمري ، عن ابي بكر بن ابي ادريس ، عن محمد بن عبد الرحمن عن نافع[١٦٤] ، عن ابن عمر .

٦) عن سليمان بن نصر ، عن المقري ، عن خيوبه[١٦٥] ، عن شريح[١٦٦] .

٧) عن حفص بن عمر ، عن محمد بن بشر العبدي[١٦٧] ، عن عمر بن اسد التيمي ، عن يحيي بن كثير[١٦٨] ، عن ابي سلمة ، عن ابي هريرة .

٨) عن علي بن الحسن (ابيه) ، عن الجاني ، عن صفوان بن ابي الصهبا.[١٦٩] ، عن بكر بن عتيق ، عن سالم بن[١٧٠] عبد الله ، عن ابيه (عبدالله بن عمر) عن عمر بن الخطاب .

٩) عن ابن ابي ميسرة ، عن اسماعيل بن عيسى بن سورة[١٧١] ، عن عبدالله ابن الحسين ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن ابي عثمان النهدي[١٧٢] ، عن عمر بن الخطاب .

١٠) عن بشر بن هلال الصواف ، عن جعفر بن سليمان[١٧٣] الضبعي الاشجعي ، عن هارون الاعور ، عن عبدالله بن شقيق ، عن عائشة .

١١) عن يعقوب بن ابي شيبة[١٧٤] ، عن بشر بن الحارث[١٧٥] ، عن سعيد بن عمر بن مرة ، عن عبدالله بن سلمة[١٧٦] .

---

١٦٣) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢٤٩ (نص)
١٦٤) « « « « ٢٥١ «
١٦٥) « « « « ٢٥٥ «
١٦٦) « « « « ٢٥٦ «
١٦٧) « « « « ٢٧٤ «
١٦٨) « « « « ٢٧٥ «
١٦٩) « « « « ٢٧٧ «

١٧٠) انظر تعليق ما يأتي رقم ٢٧٨ (نص)
١٧١) « « « « ٣١٨ «
١٧٢) « « « « ٣١٩ «
١٧٣) « « « « ٣٢١ «
١٧٤) « « « « ٣٣١ «
١٧٥) « « « « ٣٣٢ «
١٧٦) « « « « ٣٣٣ «

١٢) عن ابيه ، عن اسماعيل بن صبيح اليشكري ، عن صباح بن واقد الانصاري ، عن سعيد بن طريف ، عن عكرمة[١٧٧] ، عن ابن عباس .

١٣) عن ابيه ، عن يحيى بن ابراهيم ، عن عبد الواحد بن زيد[١٧٨] ، عن راشد (مولى عثمان)، عن عثمان بن عفان .

١٤) عن سفيان بن وكيع ، عن جميع بن عمر العجلي .

١٥) عن الحسن[١٧٩] بن عمر ، عن شقيق البلخي ، عن سليمان بن طريف ، عن مكحول[١٨٠] ، عن ابي الدرداء .

١٦) عن الفضل بن محمد ، عن ابراهيم بن الوليد ، عن عبد الملك[١٨١] بن عمر ، عن ابي يونس[١٨٢] (مولى ابن هريرة) ، عن عبد الرحمن بن سمرة[١٨٣] .

١٧) عن عمر بن عمر ، عن محمد السري[١٨٤] ، عن السويد[١٨٥] ، عن عيسى بن موسى الغسائي ، عن ابي حازم[١٨٦] ، عن سهل بن سعد[١٨٧] .

١٨) عن ابيه ، عن محمد بن الحسن[١٨٨] ، عن ابن المبارك[١٨٩] ، عن ابن ابي لهيعة[١٩٠] .

١٩) عن ابيه ، عن اسماعيل بن سلمة ، عن عبدالله بن وهب المصري[١٩١] ، عن ليث بن سعد[١٩٢] ، عن ابي عجلان .

٢٠) عن المؤمل بن هشام ، عن اسماعيل[١٩٣] بن ابراهيم ، عن غالب القطان[١٩٤] ، عن ابي بكر بن[١٩٥] عبدالله المزني .

٢١) عن الحسن بن سوار ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن[١٩٦] .

---

١٧٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٣٥٣ (نص) ١٨٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٤٠٩ (نص)
١٧٨) « « « « ٣٦٩ « ١٨٨) « « « « ٤١٢ «
١٧٩) « « « « ٣٩٧ « ١٨٩) « « « « ٤١٣ «
١٨٠) « « « « ٣٩٨ « ١٩٠) « « « « ٤١٤ «
١٨١) « « « « ٣٩٩ « ١٩١) « « « « ٤١٥ «
١٨٢) « « « « ٤٠٠ « ١٩٢) « « « « ٤١٦ «
١٨٣) « « « « ٤٠١ « ١٩٣) « « « « ٤٣٦ «
١٨٤) « « « « ٤٠٦ « ١٩٤) « « « « ٤٣٧ «
١٨٥) « « « « ٤٠٧ « ١٩٥) « « « « ٤٣٨ «
١٨٦) « « « « ٤٠٨ « ١٩٦) « « « « ٤٣٩ «

٢٢) عن رزق‌الله بن موسى البصري، عن معن بن عيسى[١٩٧] عن مالك[١٩٨] عن صفوان بن حكيم، عن عطاء بن يسار[١٩٩] عن ابن سعيد الخدري.

***

اما اتباع الشيخ الحكيم الترمذي ومريدوه، الذين اخذوا عنه واذاعوا تعاليمه، فقدرهم بحسب ما حفظ التاريخ اسماءهم لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة الا قليلًا!

وهم:

١) ابو محمد يحيى بن منصور القاضي، من محدثي نيسابور[٢٠٠]
٢) منصور بن عبدالله بن خالد الهروي[٢٠١]
٣) الحسن بن علي الجوزجاني[٢٠٢].
٤) احمد بن محمد بن عيسى[٢٠٣].
٥) ابو بكر بن الوراق[٢٠٤].
٦) ابو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم[٢٠٥]

***

ويبد واضحاً من هذا الثبت ان حظ شيخنا من الاتباع والمريدين كان ضئيلًا لا يتناسب تماماً وجلال قدره وعظيم خطره. والواقع اننا لا نستطيع

---

١٩٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٤٤٣ (نص)
١٩٨) « « « « ٤٤٤ «
١٩٩) « « « « ٤٤٥ «
٢٠٠) راجع ترجمته في شذرات الذهب ٣: ٩ – حلية ١٠: ٢٢٠
٢٠١) « « في تاريخ بغداد ١٣: ٨٤
٢٠٢) « « في طبقات الصوفية ٢٤٦–٢٤٨ والحلية ١٠: ٣٥٠ وطبقات الشعراني ١: ١٠٥
٢٠٣) « « « « « ٣٦٩ – ٢٥٣ وصفة الصفوة ٣: ٢٢٣ وتاريخ بغداد ٥: ٦٠ وطبقات الشعراني ١: ١١٥
٢٠٤) راجع ترجمته في طبقات الصوفية ٢٢١ – ٢٢٧ والحلية ١٠: ٢٣٥ – ٢٣٧ ونتائج الافكار القدسية ١: ١٦٦–١٦٧ وطبقات الشعراني ١: ١٠٦ وصفة الصفوة ٤: ١٣٩ والرسالة القشيرية ٢٩
٢٠٥) راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١: ١٥٠

تحديد اثره فيمن كان بعده من الصوفية وغيرهم عن طريق تلامذته ومريديه فحسب . وانما يتجلى تأثير حكيم ترمذ في البيئة العلمية الاسلامية بوساطة كتبه ورسائله العديدة، التي حفظ الزمن القسم الاعظم منها لحسن الحظ[٢٠٦] . وان بقاء اكثر مؤلفات الشيخ الترمذي في دور المكاتب، ان في الشرق او في الغرب، لدليل بارز على عناية العلماء البالغة بها وشيوعها في الاوساط الاسلامية المختلفة .

فابن عربي، شيخ الصوفية الاكبر، يردد كثيراً اسم حكيم ترمذ وافكاره في جملة من تآليفه . وقد عقد فصلاً طويلاً من فصول الفتوحات شارحاً فيها اسئلة الحكيم الروحانية التي اودعها في «ختم الاولياء» . وقد كان ابن عربي من قبل قد جرد كتاباً مستقلاً لنفس الموضوع وهو : «الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم» .

ومن قبل ابن عربي، الشيخ ضياء الدين عمار بن محمد بن عمار البدليسي، المتوفي سنة ٥٩٠ للهجرة، كان في كتابه «بهجة الطائفة بالله العارفة» قد استفاد كثيراً من «ختم الاولياء» للحكيم الترمذي، لا سيما في الفصول الاخيرة من تأليفه[٢٠٧] . وكذلك حجة الاسلام، الامام الغزالي، قد اقتبس من كتاب «الاكياس والمغترين» في آخر الربع الثالث من الاحياء عند كلامه على ذم الغرور[٢٠٨] . وابن القيم الجوزية ينقل فقراً من كتاب «الفروق» لشيخ ترمذ في كتابه : «الروح»[٢٠٩] .

ومؤلفات الحكيم الترمذي تصور الوان الثقافة الاسلامية السائدة في عصره خير تصوير ؛ فقد وقف صاحبها كل نشاطه العلمي والفكري على علمي الحديث والتفسير ومناهج السلوك وحكمة الشريعة والرد على بعض الفرق الضالة . وتمتاز آثاره كلها بالنضوج والوضوح وعمق التجربة الروحية والعلمية في آن معا . وان

٢٠٦) انظر L. Massignon, L. T. p. 264.

٢٠٧) «بهجة الطائفة بالله العارفة» مخطوط برلين رقم ٢٨٤٢ : ١ - ٤٦ ب والمواضع التي يكثر فيها النقل عن «ختم الاولياء» هي : ٤٢ب - ٤٣ ب ، ٤٤ ب ، ٤٥ ، ٤٦ا .

٢٠٨) راجع نيقولا هير، مقدمة كتاب الفرق بين الصدر والقلب، ١٢ ، ط . القاهرة (الحلبي) سنة ١٩٥٨

٢٠٩) كتاب الروح ص٣٢٦-٣٨٣ (ط . حيدر آباد سنة ١٣٥٧) (راجع نيقولا هير مقدمة كتاب الفرق بين الصدر والقلب ص ١٢) .

كثيراً من انتاج شيخ خراسان يبدو في صورة مسائل ورسائل سأله خلالها اصحابه واتباعه عن مشاكل نفسية واجتماعية عرضت لهم ويطلبون منه حلاً لها. وعلى هذا، تعتبر مؤلفات الترمذي، في هذا الميدان، وثيقة هامة لفهم بعض جوانب ذلك العصر من الناحية النفسية والاجتماعية والفكرية[٢١٠].

هذا، وقد كنا اقمنا فهرساً عاماً لمصنفات الحكيم الترمذي، الموجود منها والمفقود، منذ ثلاث سنين تقريباً[٢١١]. ولكن في خلال هذه الفترة، جدت لنا بعض الوثائق استطعنا بها ان نضيف الى الفهرس القديم اسماء جديدة عن مؤلفات شيخ ترمذ. وها هي نتائج بحثنا نضعها امام انظار المهتمين بالدراسات الصوفية عامة، وبالترمذي خاصة :

١) تحليل مجموعة ليبزيج رقم ٢١٢ (القسم العربي D. C. 339)

الرسالة الاولى : ورقة رقم ٢ب — ٣ب

عنوان : مسألة جهد النفس حجاب المنة .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي رحمة الله عليه . جهد النفس حجاب المنة وجهد القلب هتك حجاب المنة . . .

---

٢١٠) انظر مثلاً جوابه الى ابي عثمان النيسابوري (احد كبار شيوخ الملامتية في عصره) وهو ينصحه في الكف عن الاستغراق في تتبع عيوب النفس لان ذلك يحجبه عما هو اهم، وهو المقصود الاعظم للصوفي : معرفة الله سبحانه (جواب كتاب من الري، مخطوط الظاهرية رقم ١٠٦ تصوف ١٠٩) . — وكذلك اجابته في نفس الموضوع الى محمد بن الفضل (من مشايخ بلخ الصوفيين) (مخطوط ليبزيج رقم ٢١٢–٦٦ب) . راجع ايضاً جوابه المفصل على المسائل التي وردت اليه من سرخس وفيها عرض لمشاكل مختلفة من الناحية الفقهية والنفسية والروحية مخطوط ليبزيج ٢١٢ / ٦٩ب–٨٨ب) الخ . . .

٢١١) نشر هذا البحث في (*Mélanges L. Massignon* III, pp. 411-480) سنة ١٩٥٧ . وقد نشر المستشرق الفاضل الاستاذ نقولا هير سنة ١٩٥٨ في مقدمة تحقيقه لكتاب « بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » للحكيم الترمذي ثبتاً بمؤلفات الحكيم الترمذي يحسن الرجوع اليه .

نهاية : ... فاذا رجع من عنده رجع بعهد الولاية ، فهو امير الدين وله ملك الدين[٢١٢] .

الرسالة الثانية : ورقة رقم ٣ب — ٥ا

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : قال له قايل : نرى صنفين في هذا الدين ينتحلون الفقه وعلم الرأي وصنف ينتحلون الحديث ونلاحظها فيرى ...

نهاية : ... واهل الحديث كثر تردد هذه الاخبار على اسماعهم فخلصت الى النفوس ... فذلتها وقمعتها ، وان لم يقصدوا لها ، فرني (الاصل : فرى) اثر ذلك وبركته عليهم[٢١٣] .

الرسالة الثالثة : ورقة رقم ٥ا — ٥ب

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : قوله (تعالى) ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ فالدعاء بالحكمة ان يدعوهم بلا علاقة . والعلاقة ان يدعوهم مقتدرًا على ان يقبلوه ...

نهاية : ... فانما قيل وعظ ، أي اثار تلك الاشياء عن نومها حتى انتبهت

---

٢١٢) العنوان الذي ذكره الناسخ لمجموع هذه الرسائل والمسائل ، في ظهر الكتاب هو : «الدر المكنون في اسئلة ما كان وما يكون . جمع الشيخ الاستاذ العارف المرشد الفقيه الصوفي ابي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي ... » . اما في الورقة الاولى ب فيوجد على رأسها هذا العنوان : «كتاب المسايل المكنونة» بخط الناسخ الاصلي ايضاً . ولا ريب ان هذين العنوانين هما من وضع الناسخ نفسه ولا يدلان على شيء من حقيقة او مضمون محتويات المجموع . وفي هذه الرسالة او المسألة الاولى يبين الحكيم الترمذي الفرق بين مجهود النفس ومجهود القلب وحجب النفس وحجب القلب ايضاً .

٢١٣) يميز الشيخ في هذه المسألة بين رجال الحديث ورجال الفقه ويوجه النقد اللاذع لهؤلاء الاخيرين . فاصحاب ابي حنيفة قد جمعوا في زمانه علوم الاحكام في اكثر من الف جلد ... وليس فيها شيء من ذكر المعاد «وصفة الجنة والنار وصفة الموت والبرزخ وما فيه من الاهوال ... اي ان الفقهاء قد ابتعدوا عن القصد الاعظم لحكمة الدين . »

وقويت واشتدت. والنعظ هو ثوران الشهوة من النفس حتى تنتشر . . . والوعظ ثوران هذه الاشيا. التي وصفنا[٢١٤] .

الرسالة الرابعة : ورقة رقم ٥ ب — ٦ أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ ثم استثنى فقال : ﴿ الا اصحاب اليمين ﴾ فهذا كسب النفس . فتصير النفس رهينة عند الحق لانها خلقت للعبودة بالحق . . .

نهاية : . . . لان ولد آدم وضعت المعرفة عندهم امانة فصاروا كلهم رهين الامانة . فلا يفكهم الا جوده[٢١٥] .

الرسالة الخامسة : ورقة رقم ٦ أ — ٦ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) ﴿ سبح اسم ربك ﴾ أمره ان يسبح ذلك الاسم الذي للرب، وهو الاسم المكنون المخزون . . .

نهاية : . . . « واسألك بعزتك التي اشتقتها من اسمك المخزون الذي لم يطلع عليه حجابك فخلقت به خلقك » . وحجابه : ملك الرحمة وملك العظمة وملك الجلال وملك الجمال وملك البها. وملك البهجة وملك السلطان فهؤلاء الحجاب[٢١٦] .

الرسالة السادسة : ورقة ٦ ب — ٧ ب

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : الخشية من العلم بالله والخوف من المشاهدة. الخشية ممزوجة والمشاهدة منصوصة . . .

---

٢١٤) تفسير آية ١٢٥ من سورة النحل (١٦) وفيها تحليل لمعاني الحكمة والموعظة من الوجهة اللغوية والصوفية .

٢١٥) تفسير آية ٣٨ من سورة المدثر (٧٤) ويلاحظ ان الشيخ هنا يرى ان تحرير النفس هو بالمعرفة والشهادة (التوحيد) .

٢١٦) يفسر الشيخ هنا آية « سبح اسم ربك الاعلى » من سورة الاعلى (٨٧) وآية « اقرأ باسم ربك الذي خلق » من سورة العلق (٩٦) ويرى الشيخ ان اسم « الرب » هو الاسم

نهاية : ... فمثل صاحب الخشية كمن رأى اثر مخالب الاسد على الطريق . ومثل الخايف كمن شاهد الاسد ولقيه واقفاً على الطريق . وهو قوله تعالى :﴿ ان ربك لبالمرصاد ﴾ [٢١٧] .

الرسالة السابعة : ورقة رقم ٧ب — ٨أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : نظر يوماً الى المقابر . فقال : قدمتم على الله بلا اله الا الله ؟ طاب مقدمكم ! ...

نهاية : ... « كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم » [٢١٨] .

الرسالة الثامنة : ورقة رقم ٨أ — ٨ب

عنوان : مسألة اخرى :

بداية : قال وجدت الروح منكمناً في جميع الجسد من القرن الى القدم الى الظفر ...

نهاية : ... فأيد الله الانبياء والاولياء بهذا الحب حتى صفت لهم العبودة وجروا في ميدان المشيئة على الجود والسماحة وبذل النفس وهشاشة الروح وبشاشة القلب [٢١٩] .

الرسالة التاسعة : ورقة رقم ٨ب — ٩أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : جعل الله هذا الآدمي اميرًا على الدنيا بما فيها ليغذو بدنه بها وجعل قلبه اميرًا على جوارحه وجعل معرفته اميرًا على قلبه ...

المكنون المخزون . وهو يقابل « البادشاه » الملك وهو الذي به يتحقق الخلق والايجاد .

٢١٧) اصحاب الخشية هم أهل العلم بالله اما اصحاب الخوف فهم ارباب المشاهدة . فمثل الاوائل ، « كمثل رجل في نهر ... ومثل الآخرين كمثل رجل في بحر ... » فالمشاهدة تصهر النفس وتميت فيها الشهوات فيصبح « القلب اجرد ازهر يتلألأ بنور الله » .

٢١٨) تأملات في المقابر وبيان لاهل « لا اله الا الله » ولنير اهلها .

٢١٩) تحليل لطبيعة الروح وصلاتها مع النفس والقلب .

نهاية : ... وثمرة الولاية الملكة في دار ملكه لانه صالح لدار المملكة . ومن جار في امارته عزل عن الامارة وخاب عن دار المملكة. والجور يودي الى الخروج حتى يصير خارجياً من الخوارج[٢٢٠] .

الرسالة العاشرة : ورقة رقم ٩ أ — ١٣ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال رحمه الله : خلق الله هذا الادمي وخلق في جوفه بضعة من لحم سماه قلباً، لتقلبه، وجعله اميراً على الجوارح ووضع في القلب معرفته . . .

نهاية : . . . فانك اذا تركت مشيئتك في الامور فانما تترك الشهوات . فاذا فعلت ذلك جاءتك المكاره وضقت بها ذرعاً والتوت النفس وترددت. حتى اذا بلغت المنتهى وذابت عنك المشيئات وهانت عليك المكاره فعندها فابشر وتوقع اقبـال الله عليك بالكرامة فانه كريم رحيم ودود[٢٢١] .

الرسالة الحادية عشر : ورقة رقم ١٣ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : وجدنا الهوى مهيج للشهوات والعقل مهيج للعلوم والمعرفة . . .

نهاية : . . . فاذا سد مجاري الهوى كانت الشهوات هيجانها لاحقاً بالمعرفـة وحلاوتها بحلاوة الحب، مختلطة[٢٢٢] .

الرسالة الثانية عشر : ورقة رقم ١٣ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : الحمد لله الذي وضع فيك من الاشياء التي اختارهـا ووقعت خيرته عليها : مثل العقل والعلم والحفظ . . .

---

٢٢٠) مكانة الانسان في العالم ومنزلته عند الله . جذور فكرة «الانسان الكامل» في التصوف الاسلامي .

٢٢١) تحليل للبنية الانسانية ومنوناتها الطبيعية والنفسية: القلب، العقل ، الروح، النفس، وبيان لمكانة الانسان في العالم ومنزلته عند الله .

٢٢٢) وصف ، في بضعة سطور، لمظاهر الشهوة وعواملها في الانسان .

نهاية : ... ويثيبه غداً على تلك المحاسن « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً[٢٢٣] .

الرسالة الثالثة عشر ورقة رقم ١٣ب

عنوان : مسألة .

بداية : « المهيمن » ينفي المحدودية والكيفية عن قلوب الموحدين ويطرد وساوسها .

نهاية :[٢٢٤]

الرسالة الرابعة عشر : ورقة رقم ١٣ب — ١٤أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله تعالى: ﴿ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ ينبئك ان الساقط عن الله يحتاج الى من يشفع له...

نهاية : ... ألا ترى انه قال في الآية « جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » فعند ذلك يجد الله فاذا وجده وجده «توابا رحيماً»[٢٢٥] .

الرسالة الخامسة عشر : ورقة رقم ١٤أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : انما تعظم الامور عن اهلها بمعرفتهم باقدارها . وانما يعرف اقدارها من عرف جواهرها . وانما يعرف جواهرها من خلص الى اصولها ...

نهاية : ...وهذا شأن الصديقين في الامور والاصفياء اهل البناء واليقظة[٢٢٦] .

---

٢٢٣) يبدو ان هذه المسألة الصغيرة هي خطاب الى شخص ، غير معرف . وفيها يوضح الشيخ جنود المعرفة في القلب الانساني : العقل والعلم والحفظ والذهن والفهم والفطنة .

٢٢٤) سطر واحد يفسر فيه على نحو خاص اثر الاسم الالهي : « المهيمن » .

٢٢٥) تفسير آية ٦٤ من سورة المائدة (٤) وفيها يبين ان شفاعة الرسول انما هي للساقطين ، حتي يردهم الى مقامهم .

٢٢٦) الرجوع بكل شيء الى اصله ، الذي منه ابتدأ ، هو شأن الصديقين .

الرسالة السادسة عشر : ورقة رقم ١٤/أ .

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : الميراث ، على تقدير مفعال ، مأخوذ من الرثة وهي ما ضمتها البيت وجمعها بعد تفرقها . ولذلك سمى الوارث وارثاً . . .

نهاية : . . . وقوله (عليه السلام) : « لا نورث ما تركناه صدقة » اي لا نورث كما يرث الناس بعضهم بعضاً . لانا لا نملك الاشياء . كما يملكون : انما نملكه لله وليس للنفس فيه دعوى(٢٢٧) .

الرسالة السابعة عشر : ورقة رقم ١٤/ب — ١٥/أ

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : مظهر القلوب ومجمعها عند اسم « الله » . ثم صدروا من عند المجمع بشهوات النفس . فاما الموحدون فاغاثهم بنور المعرفة حتى وخدوه . . .

نهاية : . . . ثم حال بين قلوبهم وبين نفوسهم . لان القلوب في القبضة فلا تقدر النفس ان تعمل شيئاً . ثم لا يزال يؤدّبه ربه ويميت من نفسه . تلك الشهوات حتى تستقر وينقاد القلب(٢٢٨) .

الرسالة الثامنة عشر : ورقة رقم ١٥/أ

عنوان : مسألة :

بداية : قال : وجدت للصابر ست خصال ، في كل امر يجد عليه صبراً . اولها محبة الله . . .

نهاية : . . . والسادسة بشرى بانه من المهتدين . وذلك قوله : « اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون(٢٢٩) » .

---

٢٢٧) تفسير معنى الارث من الوجهة اللغوية والصوفية . وتفسير معنى الملك بالنسبة للعامة وبالنسبة للاولياء والانبياء . وتفسير معنى الحديث الشريف : « لا نملك ما تركناه صدقة » .

٢٢٨) بنور المعرفة الذي هو نور التوحيد زالت من قلوب الموحدين شهوة الشرك . — السائرون الى الله بقلوبهم حلوا عقد نفوسهم شهوةً شهوةً . — المجذوبون (اهل المشيئة) جذب الله قلوبهم اليه ثم اخذها من نفوسهم .

٢٢٩) جزاء الصابر على صبره : محبة الله ، حظوة الله ، كرامة الله ، صلوات الرب ، رحمة الرب ، البشرى .

الرسالة التاسعة عشر : ورقة رقم ١٥أ — ١٥ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال، رحمة الله عليه: العبد خرج من اسمه «الله» وانما اخرجه للعبودة واذا قال: «بسم الله» تفرغ من الاشياء ورجع الى الوهيته يتحصن بها . . .

نهاية : . . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان يوماً لا ازداد فيه علماً يقربني الى الله لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم[٢٣٠]» .

الرسالة العشرون ورقة : رقم ١٥ب — ١٧ب

عنوان : كتب الامام ابو عبد الله، رحمة الله عليه، الى محمد بن الفضل جواب كتابه .

بداية : فأما ما ذكرت، اكرمك الله، من المصايب : فمصايب النفس كائنة ولكنها تهون في جنب مصايب القلوب وان من اعظم مصايب القلوب حجبها عن الله . . .

نهاية : . . . فيخرجوا من الدنيا عطاشاً . . . لانهم عجزوا عن احتماله ايام الدنيا من اجل النفوس والهوى والعدو . جعلنا الله واياك من اهل ذكره والسعادة به . آمين ! (يا) رب العالمين[٢٣١] .

---

٢٣٠) اهل اليقظة بالنسبة الى عبوديتهم امام الله على صنفين ، ١ً : المؤدي للفرائض والحافظ للجوارح ؛ ٢ً : ومن جاوز هذا كله واحكمه ثم امعن في ازدياد العلم بالله .

٢٣١) « محمد بن الفضل البلخي، اصله من بلخ ولكنه اخرج منها فدخل سمرقند وتولها ومات فيها سنة ٣١٩ للهجرة . صحب احمد بن خضرويه وغيره من المشايخ وهو من اجلة مشايخ خراسان ولم يكن ابو عثمان (الحيري النيسابوري احد شيوخ الملامتية الكبار في وقته) يميل الى احد ميله اليه (طبقات الصوفية ٢١٢) . والترمذي في رسالته هذه يبين للشيخ ابن الفضل ان مصائب النفس تهون في جنب مصائب القلب . وان اعظم مصائب القلب الانحجاب عن الله سبحانه وان المحجوب عن الله لا تنتهي آلامه لا في الدنيا ولا في الآخرة . راجع ترجمة الفضل بن محمد البلخي في الحلية ١٠ : ٢٣٢ وصفة الصفوة ٤ : ١٣٨ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٦ والرسالة القشيرية ٢٧ ومعجم البلدان ١ : ٧١٣ ؛ ٢ : ٧٢١ ؛ ٣ : ٣١٠

الرسالة الحادية والعشرون : ورقة رقم ١٧ب — ١٨أ

عنوان : المسألة اخرى .

بداية : قال : وجدنا قوله عليه السلام : « انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا قالها العبد ضحك الرب » كذلك روى لنا عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . . .

نهاية : . . . والضحك هو انفتاح الشي.. فكأنه يؤدي ان ضحكه (= الله تعالى) انفتاح الرأفة حتى يدخل في متوسطها فتغمره الرأفة وتكتنفه. فعندها صار في كنف الله واذا صار في كنفه وقع في المأمن[٢٣٢] .

الرسالة الثانية والعشرون :ورقة رقم ١٨أ — ١٩أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : وجدنا « الحمد » كلمة جامعة شاملة يخرج العبد بها الى الله من اثقال عطاياه ومننه . . .

نهاية : فصار حمدك بين يدي عظمتك عش حمد اوليائك واحبابك. ثم جعلت لاعين افئدتهم طريقاً الى ذلك العش ليحمدوك فيه فيقر حمدهم وحمدك. فهذا منتهاه[٢٣٣] .

الرسالة الثالثة والعشرون:ورقة رقم ١٩أ — ١٩ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال رحمة الله عليه : أعطى الله الآدميين معرفته فقبلوها ثم اعترضهم فعرضوا عليه القبول فقبل قبول الموحدين ولم يقبل قبول من سواهم. . .

نهاية : . . . فالقاوين الذين قلوبهم خالية من تلك المحبة فلذلك اتبعوه بصوته ودعائه وقدر على استفزازهم[٢٣٤] .

وشذرات الذهب ٢:٢٨٢ ومرآة الجنان ٢:٢٧٨ والمنتظم ٦:٢٣٩ ونتائج الافكار القدسية ١:١٥٥-١٥٧ وسير اعلام النبلاء ٩:٢٧٦أ-٢٧٧أ وطبقات الصوفية ٢١٢-٢١٦

٢٣٣) الرأفة الالهية حجاب بين ذنوب العباد وعظمة رب الارباب ولولاها لاحرقتهم انوار العظمة تلو الذنوب .

٢٣٣) يشرح الشيخ في هذا الفصل معنى الحمد في مقابلة افضال الرب.

٢٣٤) ثبات الموحدين على التوحيد الاصلي، الذي هو دين الحنيفية الصرف، انما هو بفضيلة المحبة .

الرسالة الرابعة والعشرون : ورقة رقم ١٩ب — ٢٠ب

عنوان : واجاب عبدالله رحمة الله عليه بعض اخوانه في كتابه كتبه اليه.

بداية : أما ما ذكرت من منة الله علينا بهـذا العلم الذي وسعه علينا فان للعلم شرة وفترة ...

نهاية : ... وكذلك عادة المحبين: اوفرهم حظاً من الحب اظهرهم جوداً[٢٣٥].

الرسالة الخامسة والعشرون : ورقة رقم ٢٠ب — ٢١أ.

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : قوله (تعالى) : ﴿لا تدركه الابصار﴾ فانا ذكر الابصار ولم يذكر سائر الاعضاء، كقوله : لا تلمسه الايدي. . . لان البصر فيه حياة الروح ... فهو أحد وأقوى من سائر الاعضاء...

نهاية : ... و«الهاء» هو الهوية فانا ينظر العباد الى الصفات فامّا «هو» فلا يدرك في الدنيا ولا في الآخرة[٢٣٦].

الرسالة السادسة والعشرون : ورقة رقم ٢١أ —

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : قال رحمه الله: الوقوف بباب الجنة لعمال الله والوقوف بباب الله ل (اهل) قبول مشيئات الله ...

نهاية : ... ليقووا على قبول حكم الله منقادين مهتشين سروراً وطيب نفس به[٢٣٧].

---

٢٣٥) رسالة الى بعض اخوان الشيخ، لم يعرف صاحبها. يذكر فيها الحكيم الترمذي قدر العالم بالله ويبين فضيلة داود عليه السلام ويرد على بعض الاخبار المنسوبة اليه.

٢٣٦) تفسير آية ١٠٣ من سورة الانعام (٦). ويبين الشيخ هنا ان مسألة جواز رؤية الله في الآخرة وعدمها لا تعلق لها بهذه الآية الكريمة.

٢٣٧) باب الجنة تؤدي اليه العبادات والطاعات، وباب الله يؤدي اليه اخلاص العبودية لوجهه الكريم. الاولون ، على نحو ما ، ارقاء والآخرون ، احرار طلقاء.

الرسالة السابعة والعشرون : ورقة رقم ٣١ب

عنوان : —

بداية : قال ابو عبدالله، رحمة الله عليه : تسبيح نبينا، صلى الله عليه وسلم، سبحان الله فقط ...

نهاية : وتسبيح سائر الانبيا.، عليهم السلام، مداخل في الاشيا.[٢٣٨]

الرسالة الثامنة والعشرون : ورقة رقم ٣١ب

عنوان : —

بداية : قال: نظرت ما الذي وجد المؤمنون من ربهم حتى استقرت قلوبهم.

نهاية : ... ثم قيدها بالحب وقيد النفس بحلاوة الحب وبهـا(.) العقل حتى ثبتت[٢٣٩].

الرسالة التاسعة والعشرون : ورقة رقم ٣١ب

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : قوله (عليه السلام) : «من وافق من اخيه المسلم شهوة غفر له»...

نهاية : ... فالشأن في هذا الامر هل صيّر نفسه فارغاً حين انقضت الحاجة[٢٤٠].

الرسالة الثلاثون : ورقة رقم ٣١ب — ١١أ

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : «ولو انهم آمنوا واتقوا لتوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون»...

نهاية : ... لانهم شروا انفسهم بالتقوى فتجروا من نفوسهم ورفعوا البال منها فنالوا المنى (الاصل : المنا) واولئك السحرة شروا نفوسهم

---

٢٣٨) بضع كلمات فقط في التمييز بين تسبيح النبي محمد، عليه الصلاة والسلام، الذي هو تسبيح صاف، وتسبيح سائر الانبيا.، حيث هو مداخل في الاشيا. كما يقول شيخنا.

٢٣٩) «ان الله أحيا القلوب بنور الحياة ثم ابدا لهم من عظمته حتى امتلأت القلوب واستقرت» فذلك استقرار قلوبهم على الايمان به.

٢٤٠) بضع كلمات في شرح حديث شريف: «من وافق من اخيه المسلم شهوة غفر له».

بالسحر فنالوا المنى[٢٤١] (المنا) .

الرسالة الحادية والثلاثون : ورقة رقم ٣٢ ا — ٣٢ ب

عنوان : مسألة اخرى :

بداية : سورة البقرة في اولها نعت المؤمنين ثم نعت المنافقين ثم نعت الكافرين ...

نهاية : ... ومن ذهب الى ان « ام الكتاب » فهو كذلك ايضاً : هو في الذكر اولاً ثم ههنا[٢٤٢] (الاصل : ها هنا) .

الرسالة الثانية والثلاثون : ورقة رقم ٣٣ ا

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾ فلم يقل : من ذاك ...

نهاية : ... يعلمك ان صاحب الدعاء يحتاج الى ان يصل الى الباب فيقرعه ليدعو من قرب[٢٤٣] .

الرسالة الثالثة والثلاثون : ورقة رقم ٣٣ ا — ٣٣ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قوله (عليه السلام) « سبحان من تنفس كل حي بروحه » فالروح بدو الاشياء ...

نهاية : ... فالخلق خرجوا من عند « القدوس » مقدّسين فتدنّسوا بالآفات. فاذا قدّسوه بقيت الزينة، التي من القدس، بالوفا(.) منهم مع الادناس. ولولا ذلك لتهافتت الزينة عنهم وذهبت زينة الاشياء وحسنها[٢٤٤] .

---

٢٤١) تفسير آية ١٠٣ من سورة البقرة (٢). — تحليل نفساني لحالة السحر في الساحر والكفر في الكافر والايمان في المؤمن .

٢٤٢) عرض موجز لموضوعات سورة البقرة العامة . خصوصية هذه الامة بالنسبة لسائر الامم .

٢٤٣) تفسير موجز لبعض آية سورة الكرسي : « من ذا الذي يشفع » (آية ٢٥٥ سورة البقرة : ٢) .

٢٤٤) شرح موجز لبعض الاحاديث الشريفة الخاصة بالتسبيح : « سبحان من تنفس كل

الرسالة إلرابعة والثلاثون : ورقة رقم ٣٣ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قوله (تعالى) :﴿ انك كادح الى ربك كدحاً ﴾ . . .

نهاية : . . . وكذلك المعصية يقدح قلبه نفسه حتى يورى ظله المعصية[٢٤٥] .

الرسالة الخامسة والثلاثون : ورقة رقم ٣٣ ب — ٢٦ ا

عنوان : مسألة .

بداية : قوله (تعالى) :﴿ خلقنا الانسان في كبد ﴾ . . .

نهاية : . . . فالكبادة من الانسان ان يكابد الاشيـاء بفضل القوة حتى يغلب ويملك ويقهر[٢٤٦] .

الرسالة السادسة والثلاثون : ورقة رقم ٢٦ ا

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله تعالى :« افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه » . . .

نهاية : . . . ثم أتمّلهم فقال :« والله غفور رحيم »[٢٤٧] .

الرسالة السابعة والثلاثون : ورقة رقم ٢٦ ا — ٢٦ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) :« واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا . . . »

نهاية : . . . « ثم تاب من بعده واصلح » اي اصلح ما افسد « فانه غفور رحيم » اي فعول للمغفرة[٢٤٨] .

الرسالة الثامنة والثلاثون : ورقة رقم ٢٦ ب — ٣٥ ا

عنوان : مسألة اخرى .

حي بروحه » « سبحان من حياة كل شيء بتسبيحه » « سبحان من بقاء كل شيء بتقديسه» .

٢٤٥) تفسير معنى الكدح الوارد في آية ٦ سورة ٨٤ (الانشقاق) راجع الفهرس العام رقم ٦٦ (R. G. n° 66)

٢٤٦) تفسير معنى كَبَد الوارد في آية ٤٤ سورة ٩٠ (البَلَد) .

٢٤٧) تفسير آية ٧ من سورة المائده (٥) .

٢٤٨) تفسير آية ٥٤ من سورة الانعام (٦) .

بداية : قال : علامة حب الرجل لعبد من عبيده ان يولي كل واحد منهم عملاً من وراء ويقول لذلك العبد : تول (الاصل :تولى) خدمتي حتى تكون بين يدي . .

نهاية : . . . فكل حركات المؤمن (الاصل : المؤمنين) اذا كان لله فهو خدمة واذا كان لنفسه فقد صار خادم نفسه فاذا كانت حركاته معصية فقد صار خادم عدوه[٢٤٩].

الرسالة التاسعة والثلاثون : ورقة رقم ٢٥ أ

عنوان : مسألة أخرى.

بداية : ليس شيء في الدنيا أحلا ولا أشها من «الكام» – بالاعجمية – وهي تشبه النفس . . .

نهاية : . . . فان صفا(ء) المعرفة في ترك المشيئات والارادات . فهو الراضي عن الله « رضي الله عنهم ورضوا عنه » وأعد له رضوانه الاكبر في الفردوس الاعلى[٢٥٠] .

الرسالة الاربعون : ورقة رقم ٢٥ أ – ٢٥ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : نظرت في الفرق بين الهدية والهبة فوجدت ان الله ، تبارك اسمه ، ذكر في التنزيل هبة الاولاد . . .

---

٢٤٩) يرى شيخنا في هذا الفصل ان الله « اخرج سائر الخلق ، ما عدا الانسان ، من القدرة فولاهم عمل السخرة واخرج الآدميين من باب الحب فولاهم الخدمة ليكونوا بين يديه ووضع فيهم الشهوة ابتلاءاً لينظر : من يميل منهم عن حلاوة المحبة الى حلاوة الشهوة وعن الفرح بالحب الى الفرح بالهوى . . . » انظر الفهرس العام رقم ٦٠ (R. G. n° 60).

٢٥٠) اذا لم يذق الانسان حلاوة الحب الالهي فان شهوات النفس ومحبة الدنيا ستتولى عليه بلا ريب :

كانت لقلبي اهواء موزعة فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائي

هكذا يقول موله الحب الالهي ، الحلاج الكبير – وهذا الفصل القصير يدور حول هذه المسألة الهامة . – ويلاحظ ان كلمة «كام» الفارسية ، معناها الشهوات والملذات الجسدية . وقد استعملها الترمذي في مقابل «النفس» ؛ وهو يقصد بذلك ، مع سائر الصوفية ، « النفس الامارة بالسوء » و«النفس الشهوانية » .

نهاية : ... وما كان من لحم ودم وعرق فمن ما(ء) المرأة وهب تلك الخلقة للام . واما الهدية فهو مدك اليه بشيئته[٢٥١] .

الرسالة الحادية والاربعون : ورقة رقم ٢٥ب — ٢٦أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : المعرفة والعلم والعقل والفهم والذهن والحفظ هي (الاصل : هم) اشيا. وضعت في الآدمي ...

نهاية : ... فمن مال عن الشهوات والهوى والعدو الى الله رشد . ومن مال عن الله الى الشهوات والهوى والعدو غوى وشقى وخاب[٢٥٢] .

الرسالة الثانية والاربعون : ورقة رقم ٢٦أ — ٢٧أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : اصل خروج الآدمي من باب الفرح ، ولي خلقه بيده لانه خلقه على صورته ...

نهاية : ... واكرم الله محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، من الفرح الغالب بالعصمة والثبات . فهذا اقوى[٢٥٣] .

الرسالة الثالثة والاربعون : ورقة رقم : ٢٧أ — ٢٧ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿ قل : من يكلؤكم (الاصل: يكلاوكم) بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ ...

نهاية : ... فاكنس هذه الارض ونجاستها وقمامتها بالتسبيح حتى تطهر ارضي . فلذلك قيل : تسبيح تنزيه[٢٥٤] .

٢٥١) الفرق اللغوي بين الهبة والهدية واستمالها في القرآن الكريم .

٢٥٢) يشرح الشيخ في هذا الفصل القصير كيف يصعد العمل من العبد الى الله وكيف يقبله الله منه .

٢٥٣) تحليل نفساني لطبيعة الفرح واثرها في الانسان في حياته النفسية والروحية . يميز الشيخ هنا بين نوعين من الفرح الصوفي : الفرح بالله والفرح بفضله ورحمته .

٢٥٤) تفسير بعض مفردات آية ٤٢ من سورة الانبياء (٢١) ، وتفسير آية ٣٧ من نفس السورة الكريمة وتفسير آية ٩٧ من سورة الحجر (١٥) .

الرسالة الرابعة والاربعون : ورقة رقم ٣٧ ب

عنوان : مسالة اخرى .

بداية : روى في الحديث انه لا يبقى في الجنة من القرآن الا سورة طه ويس ...

نهاية : ... فاعطيت بنو اسرائيل الحرف الذي افتتح به سورة طه وهي الرحمة وافتتح السورة الاخرى (يس) بالياء. وهو الفرح .. فامة بني اسرائيل مرحومة وهذه الامة ، محبوبة[٢٥٥] .

الرسالة الخامسة والاربعون : ورقة رقم ٣٧ ب — ٣٩

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) :« وان الى ربك المنتهى » « فالرب » اسم الملك فالى ما هنا منتهى القلوب ، وهو الظاهر وليس وراءه مذهب ...

نهاية : ... فانما عظمت هذه العقوبة لانهم فرحوا وصرفوا ذلك الفرح الى حظ العدو الذي اعطى لبلوى الآدمين[٢٥٦] .

الرسالة السادسة والاربعون : ورقة رقم ٣٩ ا

عنوان : مسالة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) :« عالم الغيب والشهادة . » فالغيب ما بطن في الذات والشهادة ما ظهر من الملك ...

نهاية : ... فالقائمون بالتسبيح والتقديس ، من معدن طهارات القلوب ، هم

---

٢٥٥) يفسر الشيخ هنا هذا الحديث بان«عامة اهل الجنة هم من الامة المحمدية واليهودية» فسورة « طه » رمز لبني اسرائيل وسورة « يس » رمز لامة محمد عليه الصلاة والسلام !

٢٥٦) يفسر الشيخ هنا آية ٤٢ من سورة الطور(٥٣) وآية٥٤من سورة طه(٢٠)ويشرح معاني الرشد والغي وحديث :« ما احلّ الله شيئاً احب اليه من النكاح وما أحلّ شيئاً ابغض اليه من الطلاق » .

ائمة (الاصل : امام) الخلق في التسبيح والتقديس وبهم تقوم الارض وتدوم النعم على اهلها[٢٥٧] .

الرسالة السابعة والاربعون : ورقة رقم ٣٩ا — ٣٢ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : القوة في العروق لان القوة مع الدم وفي الدم . . .

نهاية : . . . أفضل الشهداء عند الله الذين يلقون في الصف الاول فلا يلفتون (الاصل : ملتفون) وجوههم حتى يقتلوا اولئك يتليطون في الغرف العلى من الجنة يضحك اليهم الرب ان ربك اذا ضحك الى قوم فلا حساب عليهم[٢٥٨] » .

الرسالة الثامنة والاربعون : ورقة رقم ٣٣ا

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : الرسل اعلام الخلق ؟ والخلق كالجند يؤمون العَلَم فمن شذ عن العَلَم اسره العدو . . .

نهاية : . . . فبذلك خرجا (سليمان وعيسى عليهما السلام) من الحالتين محمودين وأعين هذا بما فتح له وأعين الآخر بما فتح له[٢٥٩] .

---

٢٥٧) تفسير هذه الآية الكريمة التي تكرر ذكرها في سور القرآن الكريم : « عالم الغيب الشهادة » (١٣ : ١٠ — ٦ : ٣٢ — ٥٩ : ٢٢ ٠٠٠٠)

٢٥٨) الجملة الاولى من هذه المسألة لا علاقة لها بسائر موضوع الفصل . تفسير آخر آية من سورة الفتح (آية ٢٩ سورة رقم ٤٨) وتفسير آية ٢٠٧ من سورة البقرة (٢) وآية ١٧٠ من سورة آل عمران (٣) . — في هذا الفصل يذكر الترمذي اسم كتاب غير معروف له وهو كتاب الارادات . (ورقة ٣٣ا سطر ١٠) ولكن صورة الصيغة التي اورد فيها ذكر هذا الكتاب لا توضح اذا كان الكتاب له او لغيره : « قال له قائل : ارأيت ان تشرح لنا هذه الاصناف — قال : هذا مشروح في كتاب الارادات » .

٢٥٩) يذكر هنا الشيخ مثل سليمان ومثل عيسى عليهما السلام : الاول علَم للاغنياء وعنده يوجد الشكر والثاني عَلَم للفقراء ولديه الصبر . الاول فتح الله عليه باب الرأفة ، والثاني فتح الله عليه باب طهارة القدس .

الرسالة التاسعة والاربعون : ورقة رقم ٣٤ب — ٣٥أ

عنوان : قال : من هم الذين (الاصل: من الـذين هم الذين) اعطوا السراج والقسط ...

نهاية : .... » ... ما (الاصل: اما) من رجل يخلف ذرية من بعده يعبدون الله الا جعـل الله له مثل اجورهم ما عبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة »[٢٦٠].

الرسالة الخمسون : ورقة رقم ٣٥ب — ٣٦أ .

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : نظر الى طائر مثل الموضع على وتد لا ينشط ولا يطرب فدام على ذلك شهراً ...

نهاية : ... فاذا دعوت بعد ذلك فابطأت (الاصل : فابطت) فانت معذور كما عذر الله نبيه[٢٦١].

الرسالة الحادية والخمسون : ورقة رقم ٣٦أ — ٣٦ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : امر الله ، تبارك اسمه ، بالجهاد فصار الجهاد على ضربين مجاهدة العدو بالسيف ومجاهدة الهوى والنفس بسيف ترك المشيئة ...

نهاية : ... وقال في جهاد النفس: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[٢٦٢] ».

الرسالة الثانية والخمسون : ورقة رقم ٣٦ب — ٣٧أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : جملة العبودة ان الله تعالى خلق اجسادنا قوالب (الاصل: قوالبا)

---

٢٦٠) في هذا الفصل يشرح الشيخ امراء الدين وملوك العالم: «الذين علموا العلوم الباطنة فلم يملكهم العالم بل هم ملكوا العلم» . ويشرح الفاظ التشهد : التحيات الطيبات » . ويفسر قوله تعالى: « يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور» (سورة الشورى ٤٢: ٤٩).

٢٦١) مقارنة جميلة ومؤثرة بين فرح صاحب الطير بتغريد طيره وفرح الرب بتلاوة عبده القرآن ! وتفسير آية: « ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً » (٥ سورة المائدة ٣٥)

٢٦٢) بيان وجيز لنوعي الجهاد : الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر.

ليضع فيها ما يعززه العبد بحركاته بتلك الحياة التي في روحه ونفسه...

نهاية : ... فلم يزل يحشو (الاصل : يحشوا) قلبه وصدره وجوارحه بما اعطى في قلبه وصدره، حتى صار زكياً مرضياً. فالزكاوة من الحشوة (الاصل : الحشية) التي احتشا(ها)(٢٦٣).

الرسالة الثالثة والخمسون : ورقة رقم ٣٧ب – ٣٨أ

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : قال : خلق الله على فؤاد الآدمي عينين واذنين ثم منّ على من شا منهم بنور الحياة...

نهاية : ... قال : ومن ربائب الانبيا؟ قال : قوم اختصهم الله واصطفاهم وغذاهم بما غذى (الاصل : غذا) به الانبيا. فهم الربائب. فكأنهم تربوا في حجور الانبيا. فعندهم علم القالب. فمن رأى (الاصل : را) نفسه في القالب فانما يرى ذلك بنور الله الاعظم الذي في الباطنية، فبذلك النور رأى نقش اسمه يوم المقادير(٢٦٤).

الرسالة الرابعة والخمسون : ورقة رقم ٣٨أ

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : ان الله، تبارك (الاصل : تبرك) اسمه، ابرز للعباد محبة ورأفة ورحمة ووضعها عنده ليجريها الى العباد...

---

٢٦٣) وصف لتركيب الانسان جسياً ونفسياً وتردد عواطفه بين الخير والشر. ولنستمع اليه : «الروح سماوي وفيه الحياة. والنفس ارضية وفيها الحياة. ووضع الله في القلب المعرفة وفي الصدر علم المعرفة، وفي الراس عقل المعرفة، وفي الناصية المقدور. وجعل الذهن والفهم والفطنة من جنود العقل. ووضع في النفس الشهوة وجعل قايدها وسائقها الهوى... فمن عرف هذا (وعمل به) فقد اصاب رأس الحبل الذي يؤديه الى الله وانكشف له الغطاء عند الداء... »

٢٦٤) هذه المسألة تتناول موضوعين منفصلين : ١ً الكلام على عيني القلب الباطنتين ؛ ٢ً وتفسير هذه الآية الواردة كثيراً في القرآن الكريم : «يا ايها الذين آمنوا آمنوا...» وهنا يتكلم الشيخ على نوعين من الشرح : «شرحنا في الجليل وشرحنا في الدقيق اللطيف» (الشرح الظاهر والشرح الباطن).

نهاية : فمن ها هنا قال علماؤنا : ان الماء الجاري اذا وقعت فيه نجاسة فهو على يقين ان تلك النجاسة ممتزجة بالماء وهي (الاصل: وهو) جزء من اجزائه . ولكن الاجزاء الطاهرة قد غلبت على الجزء النجس[٢٦٥] .

الرسالة الخامسة والخمسون : ورقة رقم ٣٨ أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : اذا كانت اشغال الدنيا يأخذك بعضها من بعض ، وقد عاينت ، فما ظنك بمن يأخذه اشغال الدنيا عن آخرة لم يعانيها ...

نهاية : فاذا كان هذا هكذا ، فما ظنك بمن يأخذه اشغال الدنيا عن رب لا لا يراه ولا يدرك ولا كيفية له . اللهم ارحمنا[٢٦٦] .

الرسالة السادسة والخمسون . ورقة رقم ٣٨ أ — ٣٩ ب

عنوان . مسألة اخرى .

بداية : قال : اول عبادة الرب العلم . فاذا علمت عرفت . فاذا عرفت عبدت . وجميع العلم في الحروف ولا يظهر الا بالحروف ...

نهاية : ... فهذه كلمة تسدد له الى ربه حتى يقبل الحسنة ويستر السيئة فذلك قوله : « يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم[٢٦٧] » .

---

٢٦٥) يشرح الشيخ في الجزء الاول من هذه المسألة التعارض بين مطالب القلب والنفس وكيف يتدخل الفعل الالهي برحمته ورأفته ومحبته ليحقق الوئام بينهما وفي النهاية السلام للكائن الانساني . وفي الجزء الاخير يقارن بين قوله تعالى : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (آية ١٨ سورة الانبياء — ٢١) وبين قول فقهاء الحنفية ان الماء لا ينجس بالنجاسة التي تخالطه ما دام جارياً .

٢٦٦) تأملات في بضع سطور عن اشغال الدنيا واعاقتها عما هو اهم من اشغال الآخرة ومرضاة الرب سبحانه !

٢٦٧) الشطر الاول من المسألة يبين فيه الشيخ ان العلم كله في الحروف وان علم الحروف هو علم الاولياء . وفي الشطر الثاني والاخير يفسر آية : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ... (آية ٧٠ سورة الاحزاب = رقم ٣٣) .

الرسالة السابعة والخمسون : ورقة رقم ٣٩ب — ٤٣ب

عنوان : —

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانا وجدنا مكر النفس في الكليتين وكياسة المعرفة في الفؤاد . فبكياسة المعرفة يعرف مكر النفس وكياسة المعرفة من اسمه (تعالى) « الحي » ومكر النفس من حدة الهوى . . .

نهاية : . . . فان اردت ان اشير لك الى من كان من السلف بهذه المنزلة، اشرت لك الى ابي بكر وعمر وعلي وعثمان ثم في التابعين نفر منهم ثم لا يزال يخلفهم من بعدهم طبقة على اثر أخرى في هذه الامة كلهم صديقون حكما. علماء الله وامناؤه وخلفاء الارض بهم تقوم الارض[٢٦٨].

الرسالة الثانية والخمسون : ورقه رقم ٤٣ب — ٤٤أ

عنوان : مسألة في تربية المعرفة .

بداية : حدثنا الجارود بن معاذ قال : حدثنا علي بن الوليد العبسي قال : حدثنا بقية بن الوليد عن الحكم بن عبد الله عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه : « ان يوماً لا ازداد فيه علماً يقربني الى الله لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » . . .

نهاية : . . . وروى لنا عن وهب بن منبه انه وجد في التوراة انه لما فرغ الله من خلقه اثنى على نفسه ثم قال : ما خلقت الخلق لحاجة كانت بي اليه ولكن لابين قدرتي ولاعرف به الناظرين نفسي ولينظر الناظرون في مملكتي (الاصل : ملكتي) وتدبير حكمتي ولتدين الخلائق كلها لعزتي وليسبح الخلق كله بمجدي ولتعنو (الاصل : ولتعنا) الوجوه كلها لوجهي[٢٦٩] .

٢٦٨) رسالة مختصرة يبين فيها الشيخ الصراع النفسي بين النفس والفؤاد اي بين الهوى والمعرفة . ولعل هذه الرسالة النفـل من العنوان هي كتاب مكر النفس انظر فهرست العام (R. G.) رقم ٣٩

٢٦٩) أهمية المعرفة في الطريق الروحي والحياة مع الله سبحانه !

الرسالة التاسعة والخمسون : ورقة رقم ٤٤ أ — ٤٥ ب

عنوان : مسألة في درجات العرش .

بداية : قال حدثنا عبدالله بن ابي زياد القطراني قال حدثنا سيار عن جعفر ابن سليمان قال سمعت مالك (الاصل : ملك) بن دينار يقول : « تزينوا للعرش على الرحمن ، رحمكم الله » . . .

نهاية : . . . « فاذا اشرف احدهم على اهل الجنان أضاء حسنه اهل الجنان كما تضيء الشمس اهل الدنيا » فانما تضيء الجنان من نور ما تزينوا به في الدنيا(٢٧٠) .

الرسالة الستون : ورقة رقم ٤٥ ب — ٤٦ أ

عنوان : مسألة في حظ النفس من العلوم .

بداية : قال ، رحمة الله عليه : وجدنا ان النظر في الاحاديث فيما تقبله النفس المريدة للخير . . .

نهاية : . . . حتى يتأدب ويتخلق باخلاق الملك حتى يصلح لخدمته فاذا صلح لخدمته (بياض بالاصل) هذه الاصناف من العلوم التي ذكرنا(٢٧١) .

الرسالة الحادية والستون : ورقة رقم ٤٦ أ — ٤٦ ب

عنوان : مسألة في تفسير السفلة .

بداية : قال : السفلة الذي رأى ما له من المعرفة يقال بالاعجمية فرومانه . فاعطى الله الموحدين معرفة التوحيد فذلك رأس مال الموحدين . . .

نهاية : . . . وليس في قلبه صداقة ولا ودادة لانه رأى (الاصل : را) منه الوفا والصدق فامنه وتهاون في الباطن وفي قلبه غش ودغل فلا

---

٢٧٠) اعمال العبد في الدنيا وخواطره ومعارفه هي كسوة وزينة في الآخرة : فهناك زينة الشهوات ، وزينة الطاعات ، ولباس المعرفة الذي هو زينة الحق وحده . وصاحبها هو صاحب الحظ الاوفر من الله . . .

٢٧١) ينقد هنا شيخنا ، عرضاً ، احوال المتفقهة في زمانه : « لانه نتوسم ابداً في ذلك القيل والقال وتخاليط النفوس . . . »

تصدقه. وكذلك فيما بينه وبين ربه : قل خوفه وقل حياؤه[٢٧٢].

الرسالة الثانية والستون : ورقة رقم ٤٦ب — ٥٠أ

عنوان : مسألة في الذكر ودرجاته.

بداية : قال : الذكر غذا(ء) المعرفة والمعرفة حلوة نزهة والقلب وعا(ؤ)هـا فخزانتها والصدر ساحة والمعرفة ذات شعب ...

نهاية : ... ثم اخبرك ما ثوابه العاجل، فقال : «هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور» فصلاته ان يدعو لكم اي يسأل (الاصل : يسل) لكم بنفسه من نفسه ليخرجكم من ظلمات النفس الى نوره[٢٧٣].

الرسالة الثالثة والستون : ورقة رقم ٥٠ب — ٥٣ب

عنوان : مسألة في شأن العقل والهوى.

بداية : قال: (ا)لقلب مالك للجوارح وامير عليها فاذا ملكته المعرفة والعقل استقام واذا ملكه الهوى والنفس مال عن الله ...

نهاية : ... المحبوب والمكروه كله واحد عنده كما استوت هذه السفينة في حدور النهر وصعوده . الا انه في حال حدوره تجري بريح وبغير ريح وفي حال صعوده لا تجري الا بريح[٢٧٤].

الرسالة الرابعة والستون: ورقة رقم ٥٣ب — ٥٤أ

عنوان : مسألة اخرى.

---

٢٧٢) «السَّفِلَة السقاط من الناس . يقال هو من السفلة ولا يقال هو سفلة لان هذه اللفظة جمع وبعض العرب يقول : «هو من سفلة الناس» والترمذي يبين هنا موقف هذا النمط من البشر تجاه المعرفة وتجاه التوحيد .

٢٧٣) تحليل عميق من الوجهة النفسية والروحية لحقيقة الذكر واصناف الذاكرين وفيه كثير من الاحاديث الشريفة المتعلقة بهذه المسألة الهامة .

٢٧٤) وصف بسيكلوجي لمقومات الانسان النفسية في حياته المعنوية: النفس، العقل، القلب، المعرفة، الهوى ...

بداية : قال : حدثنا يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا ابن ابي فديك عن معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الاسلمي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » ...

نهاية : ... وقال في تنزيله : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » وقال : « مثل الذي ينفقون اموالهم في سبيل الله » . انتهى بحمد الله والصلاة (الاصل : والصلوة) على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الى يوم الدين[٢٧٥] .

الرسالة الخامسة والستون : ورقة رقم ٥٤ب — ٥٥أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : وجدت المشيئة أمير على الصفات (في الاصل : — والملك) البيعة فالامير يأذن للاشياء في المملكة . واخرج الله المملكة من باب القدرة ...

نهاية : ... فمن اجل ذلك ، وقعت المجاهدة على المنيبين المهتدين وسقطت المجاهدة عن المجتبين . فوجدناه قد جمع جميع اموره في المشيئة ووضع في العباد مشيئة احوال النفس لينظر من يراقب مشيئته ولا يلتفت الى مشيئة نفسه فيؤثر مشيئاته على مشيئة نفسه . فهو العبد الصادق في قوله : عرفت ربي . وهذا منتهى العبودة عندنا[٢٧٦] .

الرسالة السادسة والستون : ورقة رقم ٥٥أ — ٥٧أ

عنوان : مسألة

بداية : شيء محتجب لا يدرك تناوله مساً ولا رؤية ولا ذوقاً (الاصل: ذوقة)

---

٢٧٥) بحث مختصر عن فضائل الصوم . اخر هذه المسألة يوافق اخر مجموعة من المسائل للحكيم الترمذي محفوظة في معهد المخطوطات العربية للجامعة العربية بعنوان المسائل المكنونة . انظر الفهرس العام R. G. رقم ٥٤

٢٧٦) بحث في معنى المشيئة الالهية وهيمنتها على سائر الصفات والاشياء . تقسيم اهل الله الى المجتبين = اهل المشيئة ؛ ومهتدين منيبين = اهل الهداية .

ولا شماً (الاصل: شمة) ولا حساً (الاصل: حسة) فما حيلة علمك به حتى تعلمه ...

نهاية : ... فالحق قد اخذ بجامع نفسه وألوهة الرب قد اخذت جميع قلبه. فهذا عبد يؤدي العبودة صدقاً. وذلك قوله: «أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه»[٢٧٧].

الرسالة السابعة والستون : ورقة رقم ٥٧ب — ٥٨أ

عنوان : مسألة لاهل مراتب القيامة.

بداية : قال ابو عبدالله، رحمة الله عليه: الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله اهل مراتب الدين لهم ألوية واهل التخليط لا مراتب ولا ألوية لانهم لم يقيموا على خصلة من خصال الدين فهم اهل اشتغال بالنفس والدنيا واهل اقتراف ...

نهاية : ... ثم صاروا على مراتبهم في الكفر، ولهم ألوية لانهم سبعة اجزاء. الكل باب منهم جزء (الاصل: جزو) مقسوم جزء للكفر وهو الغفلة وجزء للشرك وجزء للشك وجزء للرغبة وجزء للرهبة وجزء للشهوة وجزء للغضب. فلكل جزء لواء. انتهت بحمد الله ومنه[٢٧٨].

الرسالة الثامنة والستون : ورقة رقم ٥٨ب — ٦٠أ

عنوان : مسألة في بيان خدعة النفس في شأن العطاء.

بداية : قال ابو عبدالله: رحمة الله عليه: ان النفس دعيت الى الله، تبارك (الاصل: تبرك) اسمه فلم تجد حلاوة ولا لذة لتلك الدعوة فامتنعت من الاجابة من اجل حاضر شهواتها ولذاتها في الدنيا ...

نهاية : ... فهذا المسكين نال هذه الحلاوة من نور العطاء. فاخذ ينبسط

---

٢٧٧) الحق معلوم من حيث الصفات مجهول من حيث الذات. - عينا القلب. —الولي حقاً.

٢٧٨) لعل العنوان الصحيح: مراتب الناس يوم القيامة. في نظر شيخنا سيكون الناس تحت لوائين عامين ورئيسين: لواء التوحيد وحامله خاتم المرسلين وكل الموحدين منضوون تحته؛ ولواء الشرك وحامله ابليس وكل المشركين والكافرين مقنعو رؤوسهم دونه. يتكلم هنا باختصار عن ختم الاولياء. — راجع الفهرس العام .G. R رقم ٤٧

ويتسع في مجالسة الخلق وفتح له من الكلام مفتحاً وترآى (الاصل : ترايا) له بذلك النور اشيا. لم يكن يبصرها قبل ذلك . فهو في هذا ، والنفس في ناحيتها ... ختلا ومخادعة في دنياها من النساء والتبع والرياسة . فلم يلتفت الا وقد سلب العطاء . وافتقد النور وبقي مع حظ النفس . انتهت بحمد الله ومنته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم[٢٧٩] .

الرسالة التاسعة والستون : ورقة رقم ٦٠ب — ٦٣أ

عنوان : تفسير قوله عز وجل : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » .

بداية : قوله : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » ؛ فاما قوله : « الاول والآخر » فانه تبارك اسمه ، كان ولا شيء ، لم يزل كذلك ...

نهاية : ... ومعنى قول زهير : انت اذا تهيأت الأمر مضيت له[٢٨٠] .

الرسالة السبعون : ورقة رقم ٦٣أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : من كان معرضاً عن الله تعالى فخدمه العبيد ...

نهاية : ... وعلم اليقين مشاهدة الامور ومتابعتها (الاصل : ومتابعة) وعين اليقين مطالعة الحق ومشاهدته . تمت[٢٨١] .

الرسالة الحادية والسبعون : ورقة رقم ٦٣أ — ٦٥ب

عنوان : مسألة في قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله .

بداية : قال الامام ابو عبدالله محمد بن علي الترمذي ، رحمة الله عليه : حدثنا الجارود بن معاذ في قوله « نية المؤمن خير من عمله » يعني ان المؤمن ينوي الخير وان لم يقدر له العمل فقد نوى خيراً ...

---

٢٧٩) تحليل لخداع النفس في استجابتها لارادة وفي تلقيها لعطائه وفي غوصها على القلب .
٢٨٠) تفسير الآية الثالثة من سورة الحديد (٥٧) .
٢٨١) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٨٦

نهاية : ... والنية بلا عمل يكتب حسنة واحدة والعمل بلا نية لا يكتب شي. تمت المسألة .

الرسالة الثانية والسبعون : ورقة رقم ٦٥ب

عنوان : مسألة في الجهاد .

بداية : قال : الجهاد على انواع اربعة : جهاد في سبيل الله ، عز وجل ، بمقاتلة اعدائه ، وجهاد فيما بينه وبين نفسه ...

نهاية : ...وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذ منها زاداً لمعاده ومرمة لمعاشه ولا يأخذ منها ما يضره في عقباه .

الرسالة الثالثة والسبعون : ورقة رقم ٦٥ب — ٦٦أ

عنوان : مسألة في الفرق بين العلم والفقه .

بداية : الفقه هو معرفة الشي. بمعناه الدال على غيره والعلم هو تجلي الاشيا. له بنفسها ...

نهاية : ... لان الله تعالى عالم بتجلي الاشيا. له لا بالاستدلال . ويجوز وصفه ، تعالى ، بالحكمة .

الرسالة الرابعة والسبعون : ورقة رقم ٦٦أ — ٦٦ب

عنوان : رسالة ابي عبدالله محمد بن علي الترمذي ، رحمه الله ، الى محمد بن الفضل ، رحمه الله

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلم . سلام عليك ورحمة الله وبركاته وادام الله لك العافية والسلامة وزاد في نعمه عندك ... وصل كتابك ابقاك الله تعالى وفهمته . فاما ما ذكرت من معرفة النفس وقلة امانتها .

نهاية : ... فاحب ان تتنبه فقد جاءت الحقايق وذهبت الشكوك من الانتباه والناس في غفلة والهلاك لمن استقبل امر الله بالمناصبة . فانا حذر لهذا الباب فاحذرك لشفقتي عليك ونصحي لك . واسأل الله تعالى توفيقك

ورشدك . والسلام عليك ورحمة الله تعالى وعلى اخواننا من قبلك .
تم الكتاب والرسالة بحمد الله وصلى الله على محمد وآله[٢٨٢]

الرسالة الخامسة والسبعون : ورقة رقم ٦٩ا — ٨٨ا

عنوان : المسائل التي سأله اهل سرخس عنها . .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله، اما بعد فقد فهمت مسايلك وما سألت من شأن المريد وما الذي ينفع ويضره في سيره . . .

نهاية : . . . واذا التجأ الى قوته والى ما اعطى من العالم كان قد ترك الطريق فخذل. قال الله تعالى: «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم» . تمت اجوبة المسائل بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما[٢٨٣] .

الرسالة السادسة والسبعون : ورقة رقم ٨٨ب — ٩٩ب

عنوان : مسألة في الايمان والاسلام والاحسان .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن على ابن الحسن الترمذي رحمة الله عليه، مسألة في الايمان والإسلام والاحسان الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله سألتني عما وقع فيه الناس من الاختلاف في الايمان ومحله من ابن آدم وانما اتوا ذلك من قلة افهامهم . . .

---

٢٨٢) يبين الشيخ في رسالته هذه نوعين من معرفة النفس احدهما صحيح والاخر سقيم. فمن رام معرفتها من قبل الصدق فذهب يقابل الصدق بالكذب لم يكن ينجو من سقم معرفة النفس . . .

راجع التعليق المتقدم الخاص بمحمد بن الفضل البلخي، رقم ٢٣١ .

٢٨٣) راجع الفهرس العام .R. G رقم ٥ و٤٣ و٤٤ وقسم الاستدراكات رقم ٦ . في هذه الرسالة يذكر الشيخ من اسماء كتبه : كتاب رياضة النفس (٧٥ ب) وكتاب سيرة الاولياء (٧٥ ب) وكتاب الاصول (هل هو نوادر الاصول ؟) (١٨١)

نهاية : ... واقبل على ربه فعاين من سلطانه وعظمته ما تلاشت نفسه عنده واقبل على ربه فقرت عينه وطاب عيشه وضاق صدره وبرم بالحياة شوقاً الى الله تعالى ... فهذا تفسير الايمان والاسلام والاحسان الذي سأل عنهن جبريل ، صلى الله عليه وسلم . تمت المسألة بمن الله وعونه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين[٢٨٤] .

الرسالة السابعة والسبعون : ورقة رقم ٩٩ب — ١٠٠أ

عنوان : —

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية ...

نهاية : ... ثم يطمع بعد هذا ان ينال منازل الوسايل فيكون بين يديه ولا يدري بين يدي من هو الا الاسم والحروف التي ينطق بها ؟ هيهات ! هيهات ![٢٨٥] ..

الرسالة الثامنة والسبعون : ورقة رقم ١٠٠ب — ١٠٣أ

عنوان : مسائل التعبير .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : هل رأيت القادح يقدح زنده فيوري ناراً يستوقد منها ...

نهاية : ... فأفاض عليك مجرى الماء لزرع الدنيا كما فعل بالاعداء الكفار

---

٢٨٤) في الفهرس العام .R. G رقم ٩٧ رسالة بعنوان : شرح قوله ما الايمان والاسلام والاحسان وهي جزء من هذه المسألة ولكن نهايتها تختلف عن نهاية الرسالة الحاضرة .

٢٨٥) بحث عن الصبر واطواره المختلفة وصلته بشهوات النفس واهوائها . يتكلم الشيخ هنا عن درجات الوسايل ومشيئة الوصول الى الحق . — راجع الفهرس العام .R. G رقم ٤٨ . ويلاحظ هنا ان الرسالة التي في الفهرس العام عنوانها : شرح قوله ما الايمان والاسلام والاحسان (رقم ٩٧) تنتهي بنفس النهاية التي لهذه المسألة . والظاهر ان هذه المسألة (مسألة الصبر) قد ادرجت في ضمن الرسالة ولم يشر اليها الناسخ .

وصرف عنك مجرى ماء زرع الآخرة حتى تبقى حيراناً تعمه في الضلالات والصنيان . انتهت مسائل التعبير بمنة الله ورحمته[٢٨٦]

الرسالة التاسعة والسبعون : ورقة رقم ١٠٣ أ — ١٠٤ أ

عنوان : مسألة في النية .

بداية : قال ابو عبدالله محمد بن علي ، الحكيم الترمذي ، رحمة الله عليه : حدثنا صالح بن محمد حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن انس بن مالك ، رضي الله عنه ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال يوماً : هل تدرون ما المؤمن ؟ . . .

نهاية : . . . وهذا عبده محال بعد ان استقام قلبه عبودة وكان بين يديه في درجة القربة . فهذا دائم له في كل حال[٢٨٧] .

الرسالة الثمانون : ورقة رقم ١٠٤ أ — ١٠٧ ب

عنوان : مسألة في ذكر المنفردين .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدنا الذكر على ضربين (الاصل : ذكر) ان تذكر هويته بلا كيف فتغرق فيه الدنيا والآخرة . . .

نهاية : . . . وقال تعالى : « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم »[٢٨٨] .

الرسالة الحادية والثمانون : ورقة رقم ١٠٧ ب — ١١٣ أ

عنوان : مسألة في وصف المنفردين .

بداية : سألت عن رجل يعبد الله تعالى على طلب الثواب والفرار من العقاب . . .

---

٢٨٦) مجموعة من المواعظ والعبر . انظر الفهرس العام R. G. رقم ٤٦
وهذه الرسالة قد نشرها A. J. Arberry بعنوان : « Notes on a Tirmidhi Manuscript » in Rivistà degli Studi Orientali, XVIII (1940), 315-327

٢٨٧) انظر الفهرس العام R. G. رقم ١٩ ورقم ٥١ .

٢٨٨) « « « « « « ٤٩ ؛ قارن هذه الرسالة ايضاً بالرسالة المتقدمة رقم (٦٢) : مسألة في الذكر ودرجاته تعليق رقم ٢٧٣

نهاية : ... فلم يكن للاشيا. دونه سلطان على شغلي عنه لانه قد اخذه ربه فبسلطانه نفذ(؟) في الاشيا. ويمتنع (؟) من الاشيا. ان تشغله[٢٨٩].

الرسالة الثانية والثمانون : ورقة رقم ١١٣ — ١١٩

عنوان : مسألة في الشكر والصبر .

بداية : قال الامام عبدالله، رحمة الله عليه : سألت، رحمك الله، عن منزلة الشكر والصبر ...

نهاية : ... فدلّ ان هذا الامر الجليل انما هو في النار. والزناد والحجر ليس لها ذلك الشأن . فهذا شأن الشكر والصبر وصورتيها[٢٩٠] .

الرسالة الثالثة والثمانون : ورقة رقم ١١٩ — ١٢٠

عنوان : مسألة اخرى سئل عن عبدين .

بداية : سئل عن عبدين احدهما في نعمة والآخر في الشدة ...

نهاية : ... وهل يضنّ به الا وهناك في الباطن، شي. ليس لغيره من الحظ والأثرة[٢٩١] .

الرسالة الرابعة والثمانون : ورقة رقم ١٢٠ — ١٢١

عنوان : مسألة قال الله :« والله يعلم منقلبكم » .

بداية : قال الله :« والله يعلم متقلبكم ومثواكم » ...

نهاية : ... فاذا خرجوا منه فتح على قلوبهم روح المفاوضة في مجالسه[٢٩٢].

---

٢٨٩) انظر الفهرس العام (R. G.) رقم ٥٦

٢٩٠) « « « « « « ٥٥ ولكن نسخة اسعد افندي لها نهاية تختلف عن نهاية هذه النسخة .

٢٩١) انظر الفهرس العام .R. G رقم٥٦ في هذه المسألة يذكر الشيخ اسم كتاب : العلل من كتبه .

٢٩٢) تفسير جزء من آية ١٩ من سورة محمد، صلى الله عليه وسلم(٤٧)وانظر الفهرس العام .R. G رقم ٥٨

الرسالة الخامسة والثمانون: ورقة رقم ١٢٤ أ — ١٢٥ ب

عنوان : مسالة في التقوى .

بداية : قال، رحمة الله عليه : التقوى على خمسة انواع : تقوى الله عز وجل وتقوى الرب وتقوى اليوم وتقوى النار وتقوى الارحام . . .

نهاية : . . . فمن بلغ هذه المرتبة فقد صحت معاملته وصحت معرفته . وقد روى عن ابي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم : « احب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً » . هذا ما وجدت من هذه المسألة .

الرسالة السادسة والثمانون : ورقة رقم ١٢٥ ب — ١٢٦ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : اسست الدنيا على العبودية والآخرة على الحرية . . .

نهاية : . . . وبالتجلي تحولت الشهوة منية والهوى ميلاً . فالمنية الشوق والميل السقوط بين يديه عبداً[٢٩٣] .

الرسالة السابعة والثمانون : ورقة رقم ١٢٦ ب — ١٢٧ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمة الله عليه : وجدنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال : فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم . . . »

نهاية : . . . فعندهـا خلص لك « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » لانك تكلمت بها على الصدق والوفا[٢٩٤] .

الرسالة الثامنة والثمانون : ورقة رقلا ١٢٧ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال له قايل : ما علامة حب الرجل لعبد من عبيده ? . . .

نهاية : . . . واذا كانت لنفسه فقد صار خادماً لنفسه[٢٩٥]

---

٢٩٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٥٩

٢٩٤) « « « « « ٦١

٢٩٥) هذه المسألة اختصار للرسالة الثامنة والثلاثين المتقدمة . راجع ايضاً الفهرس العام .R. G رقم ٦٠

الرسالة التاسعة والثمانون : ورقة رقم ١٣٧ا — ١٣٧ب

عنوان : فايدة عزيزة وجيزة :

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : مررت بباب رجل كان صنع اليّ معروفاً . . .

نهاية : . . . سبحان الله ! ما اربح معاملة هذا الرب الكريم ! (٢٩٦) .

الرسالة التسعون : ورقة رقم ١٣٧ب — ١٣٩ا

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : فاقرب الناس من الرسل واوفرهم حظاً من القرآن من احتظى من نور الالوهية ومن نور الكسوة . . .

نهاية : . . . فانهم لما فعلوا ذلك ، تحببوا وكرموا على مولاهم وتبجحوا في ساحته بين يديه . . . فبهم تقوم الارض وعين الله ترعاهم (٢٩٧) .

الرسالة الحادية والتسعون : ورقة رقم ١٣٩ا — ١٣٠ب

عنوان : كتاب من الري .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمه الله : سلام عليك ورحمة الله ! وصل كتابك . وذكرت « اني مشتاق الى رؤيتك العزيزة » . . .

نهاية : . . . وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « البسوا نعالكم فانها جمالكم » (٢٩٨) .

الرسالة الثانية والتسعون: ورقة رقم ١٣٠ب — ١٣١ب

عنوان : مسألة اخرى في الادب .

---

٢٩٦) انظر الفهرس العام .R. G رقم ١١

٢٩٧) « « « « « ٦٣

٢٩٨) « « « « « ٣٣ — ويبدو ان هذه الرسالة موجهة الى ابي عثمان سعيد بن اسماعيل الحيري النيسابوري ، احد كبار الملامتية في وقته راجع L. T. 288 . في هذه الرسالة يذكر الشيخ كتاباً من كتبه : « كتاب سيرة الاولياء ورقة ١٣٠ا سطر ٨

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمه الله : سألت عن الادب في الدين ما هو؟ وكيف يكون ؟ ...

نهاية : ... فاذا كنت كذلك ، فانت اديب . فهذا ادب الدين(٢٩٩) .

الرسالة الثالثة والتسعون : ورقة رقم ١٣١ب — ١٣٢أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : اما ما ذكرت من قولك اذا قوي لم يحتج الى اذن في الامور وان الاربعين الذين يسمون البدلا. لا يعملون الا باذن ...

نهاية ... لا يصعد عمله الى الله تعالى مع حظوظ النفس ؛ فهذه خيانة في مقامه . فهو محجوب عن ذلك المقام لخيانته . والاقوياء قد جاوزوا هذه الحظوظ وخرجوا من رق النفوس(٣٠٠) .

الرسالة الرابعة والتسعون : ورقة رقم ١٣٢أ

عنوان : مسألة نبيلة شريفة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : جاءتني امرأة مستفتية فقالت ان امرأة مات ولدها فامتنعت من فراش زوجها لحال المصيبة ...

نهاية : ... فكلما مانعت الحق من نفسك فكانك اخترت الباطل فتحصي (الاصل : فتعطى) على اختيارك(٣٠١) .

الرسالة الخامسة والتسعون : ورقة رقم ١٣٢ب

عنوان : مسألة .

بداية : قيل له : ان ابا سليمان ذكر عنه انه قال : من اخبرك انه صار الى الله تعالى بغير ترك الشهوات فوصل فلا تصدقه ...

---

٢٩٩) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٥٧

٣٠٠) « « « « « ٦٦

٣٠١) « « « « « ٥٥

نهاية : ... فكيف يصل الى الله تعالى من كان خادماً للهوى والنفس الامارة بالسوء[٣٠٢] ...

الرسالة السادسة والتسعون : ورقة رقم ١٣٢ب — ١٣٣أ

عنوان : —

بداية : وعــد الله الصابرين على المصايب ما وعدهم من الصلاة والهدى والرحمة ...

نهاية : ... فالعارف خازن من خزان الله تعالى والصادق خازن من خزان النفس يخزن لها كي لا تفتقر . والعارف يتناول عن الله ويمسك لله ويعطى لله[٣٠٣] .

الرسالة السابعة والتسعون : ورقة رقم ١٣٣أ — ١٣٤أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : ان اردت ان تكون لله ولياً موافقاً له في امور فانزل الاشيا. منازلها ...

نهاية : ... ومن لم يصفح ولم يتخلق بخلق الله تعالى فهو من اللئام[٣٠٤] .

الرسالة الثامنة والتسعون : ورقة رقم ١٤٣أ — ١٣٤ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : ان قوله لا اله الا الله مبنية على اربعة اركان فمن جاء بها يوم القيامة على هذه الاركان الاربعة جاء بها قائمة ...

---

٣٠٢) ابو سليمان هذا ، الوارد ذكره في صدر المسألة ، لعله ابو سليمان الداراني = عبدالله ابن عطية احد كبار صوفية الشام في وقتــه ، والمتوفي عام ٢١٥ للهجرة . انظر ترجمته في طبقات الصوفية ٧٥–٨٢ . — ما يخص هذه الرسالة انظر الفهرس العام فانها مذكورة فيــه R. G. رقم ٦٢

٣٠٣) موضوع هذه المسألة غير منسق : فالافكار بتداخل بعضها في بعض من غير ارتباط . وآخرها يشبه خاتمة الرسالة التي رقمها في الفهرس العام R. G. رقم ٦٦

٣٠٤) هذه المسألــة مذكورة في الفهرس العام « « ٦٥

نهاية : ... رمى الله به في اسرع من الطرفة والبرقة ، على حسب بطائه (الاصل : بطايه) في الوثبا بهذه الخصال في دار الدنيا وتقصيره فيها ببطائه وتزل قدمه[٣٠٥] .

الرسالة التاسعة والتسعون : ورقة رقم ١٣٤ب — ١٣٥أ

عنوان : مسألة في شأن الرزق .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدنا من سكنت قلوبهم على الرزق من اجل يقظتهم ...

نهاية : ... فاتصاله (= العارف) بخالقه اكثر من اتصال هذا الولد (بابويه) واين يقع اتصال الولد (بابويه) من اتصال العبد بمولاه اذا مكّن له بين يديه[٣٠٦] .

الرسالة المائة : ورقة رقم ١٣٥أ — ١٣٥ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا العبد ذا صورة وجثة ...

نهاية : ... « قال الا ادلكم على من هو اشد منه ؟ رجل غلب اربعة انفس عند الصراع فصرعهم . فقالوا من هم يا رسول الله ؟ قال : رجل سفه عليه فحلم فغلب نفسه وشيطانه ونفس صاحبه وشيطانه » او كما قال[٣٠٧] .

الرسالة الحادية ومائة : ورقة رقم ١٣٥ب — ١٣٧ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وغاية التواضع ان يترك الاختيار في كل وقت وامر وحال...

نهاية : ... وعند الموت حباهم وبشرهم ورفع عنهم جهد الموت وكربه ويدخلون الجنة بغير حساب[٣٠٨] .

---

٣٠٥) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام R. G. رقم ٦٧

٣٠٦) « « « « « « « « ٥٣

٣٠٧) « « « « « « « « ٦٨

٣٠٨) « « « « « « « « ٦٩

الرسالة الثانية ومائة : ورقة رقم ١٣٧ب — ١٣٨أ

عنوان : مسألة في الدنيا .

بداية : قال : من طلب الدنيا فاته الآخرة ومن طلب الآخرة فاته الدنيا ومن طلب الله تعالى وجدهما (الاصل : ووجدهما) . . .

نهاية : . . . كالطير الحذر لا يأمن ولا يستقر يخاف ان يؤخذ . فهذا لا يأمن ولا يستقر قلبه مخافة ان يأخذه[٣٠٩] .

الرسالة الثالثة ومائة : ورقة رقم

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا العبد المسيء لا يطلقه مولاه ما دام مطلعاً على قلبه انه يريد الرجوع الى وطنه الاصلي الذي سبي منه . . .

نهاية : . . . وقلوبهم بين يدي خالقهم قد فارقوا الهوى وهربوا حتى استقروا هناك عنده[٣١٠] .

الرسالة الرابعة ومائة : ورقة رقم ١٣٨ب

عنوان : مسألة .

بداية : رأينا المتقي اذا دخل بيتاً فرأى هناك سوء مذهب وقلة رعة وفضولاً وتخليطاً نفر من ذلك البيت . . .

نهاية : . . . فكيف يطمع الذي يرى في قلبه التخليط والادناس ان يقر فيه الخوف والحكمة والهدى[٣١١] .

الرسالة الخامسة ومائة : ورقة رقم ١٣٩أ — ١٤٠أ

عنوان : مسألة .

بداية : سئل ما علامة قبول التوبة ؟ قال : ان يفتح عليك باباً من الطاعة لم يكن لك قبل ذلك . . .

---

٣٠٩) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام .R. G رقم ٥٠

٣١٠) « « « « « « « « ٧٠

٣١١) « « « « « « « « ٧١

نهاية : ... قول الله : « فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات »[٢١٢].

الرسالة السادسة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ أ

عنوان : مسألة .

بداية : ما وجدنا ذكر التقوى في التنزيل الا في اربعة مواضع...

نهاية : ... وتقوى الارحام هو ان تتقى القطيعة فيقطعك الله عز وجل[٢١٣].

الرسالة السابعة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ أ — ١٤٠ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وتلوت هذه الآية يوماً في شأن النساء. حيث قال الله تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع »...

نهاية : ... فلا تطلب انت منها ذلك اذا اطاعتك في نفسها بذلاً وانقياداً لامرك . وصلى الله على محمد وآله[٢١٤].

الرسالة الثامنة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ ب — ١٤١

عنوان : مسألة .

بداية : قال ، وكتب الى ابي عثمان سعيد النيسابوري ، رحمه الله ، جواب كتابه : سلام عليك ورحمة الله وبركاته ! اما بعد : فان هذه النفوس مبناها على سبع (الاصل : السبع) : على الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والشك والشرك والغفلة...

نهاية : ... « فاعلم انه لا اله الا الله ! » فاقتضاه علم هذا كله (الاصل : الكله) وقد كان علم قبل ذلك منه ما علم . ولم يزل صلى الله عليه وسلم يزداد علماً الى ان فارق الدنيا[٢١٥].

---

٢١٢) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام .R. G رقم ٦٥

٢١٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٧٣

٢١٤) « « « « « « ٧٤

٢١٥) « « « « « « ٧٥. — وابو عثمان النيسابوري الذي وجه اليه الحكيم الترمذي رسالته هذه هو سعيد بن اسماعيل الحيري النيسابوري ، احد كبار الملامتية

الرسالة التاسعة ومائة : ورقة رقم ١٢١ب — ١٢٢ا

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا شأن القلب انه ملك والجوارح جنوده واعوانه . . .

نهاية : . . . الى ان لا يبقى منه شيء من جنس التراب فيصفو ويصلح لضرب الدراهم. ثم يدنى القلب من الوعظ فينجح فيه الذكر ويتعظ[٣١٦].

الرسالة العاشرة ومائة : ورقة رقم ١٢٢ا — ١٢٢ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : لو ان رجلا له ديوان له مال فيه على ناس . . .

نهاية : . . . ام بموافقته ورفع الضرب عنه . فكذلك عندنا ونحن عبيده[٣١٧].

الرسالة الحادية عشر ومائة : ورقة رقم ١٢٢ب — ١٢٣ا

عنوان : مسألة .

بداية : قال : نظرنا في تأويل حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم : «من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة» . . .

نهاية : . . . دخل في ذلك السلام والبركة وناله من خيرهما وسعتها[٣١٨].

الرسالة الثانية عشر ومائة : ورقة رقم ١٢٣ا — ١٢٣ب

عنوان : مسألة .

في وقته « صحب يحيى بن معاذ الرازي وشاه بن شجاع الكرماني وابا حفص ، الـذي عنه اخذ الطريقة » توفي سنة ٢٩٨ للهجرة انظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٧٠ — ١٧٥ والحلية ١٠ : ٢٤٤—٢٤٦ وصفة الصفوة ٤ : ٨٥—٨٨ وطبقات الشعراني ٢ : ١٠٢ والرسالة ٢٥ ومرآة الجنان ٢ : ٢٣٦ والمنتظم ٦ : ١٠٦ ووفيات الاعيان ١ : ٢٥٥ وتاريخ بغداد ٩ : ٩٩—١٠٢ والانساب ١٨٦ والبداية والنهاية ١١ : ١١٥

٣١٦) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٧٦

٣١٧) « « « « « « ٧٧

٣١٨) « « « « « « ٧٨

بداية : قال : يعطي عبدة العطار ويفتح له من قربه ما لو داوم على ذلك لم يحتمله . . .

نهاية : . . . فاذهب الآن فانتشر في طاعتي حتى تستوى هذه الوليمة وانا اعلم بما يصلحك[٣١٩] .

الرسالة الثالثة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٣ب — ١٤٤أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : اول داء في النفس الجهل ثم حب الاشياء . . .

نهاية : . . . والغانم محصوله ربه ، تبارك وتعالى[٣٢٠] !

الرسالة الرابعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٤

عنوان : مسألة .

بداية : ان النفس اذا استقامت دعت الخلق الى الصدق . . .

نهاية : . . . نسأل الله ان يعيننا واياكم من دواهيها[٣٢١] .

الرسالة الخامسة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٤أ — ١٤٦

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمه الله : ان الله تبارك وتعالى ، خلق العرش فما دونه الى الثرى ، وحشاه (الاصل : وحشاها) خلقاً ودعاهم اجمعين الى قول : « لا اله الا الله ؟ » . . .

نهاية : . . . حتى جبريل ، عليه السلام ، رأس الامناء . والمقربين ، ومحدثهم ويوم الزيارة قائدهم مع لواء الحمد الى الله تبارك وتعالى . وسائر الخلق بادوا وذهبوا لانهم خلقوا لبني آدم سخرة ومنفعة[٣٢٢] .

---

(٣١٩) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٧٩
(٣٢٠) « « « « « ٨٠
(٣٢١) « « « « « ٨١
(٣٢٢) « « « « « ٨٢

الرسالة السادسة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٦ ا — ١٤٦ ب

عنوان : مسألة في المجذوبين .

بداية : قول الله سبحانه وتعالى :« الله يجتبي اليه من يشا. ويهدي اليه من ينيب » ...

نهاية : ...واهل الجباية مَنّ عليهم والمِنّة على قدر المنّان. والانبيا. والرسل ، عليهم السلام ، اجتباهم وجذبهم[٣٢٣] .

الرسالة السابعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٦ ب — ١٤٧ ا

عنوان : مسألة .

بداية : سئل عن قول الله سبحانه وتعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ...» ...

نهاية : ... ايطمع ان يقف قلبه بين يدي الله تعالى وهو جنب ؟ هذا لا يكون[٣٢٤] !

الرسالة الثامنة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٧ ا

عنوان : مسألة .

بداية : قيل له : لا تزال تكرر في دعائك :« استرنا واجبرنا » .

نهاية : ... من هناك نصرخ اليه :« ان استرنا واجبرنا »[٣٢٥] .

الرسالة التاسعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٧ ا — ١٤٨ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدت الناظر الى خلقه على ثلاثة اصناف ...

نهاية : ... كان فعله اذا خرج من اختياره ومشيئته أحلا عنده من فعل

---

٣٢٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٨٤

٣٢٤) « « « « « « ٨٥

٣٢٥) « « « « « « ٨٦

العبد لنفسه . آخر المسائل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[٣٢٦] .

الرسالة العشرون ومائة : ورقة رقم ١٤٨ب – ١٦١أ

عنوان : المسائل العَفَّة .

بداية : قال ابو عبدالله محمد بن علي ، رحمة الله عليه : واما المسائل العفة فمن ذلك قوله : ان الوالد مطلق اليه في مال الولد اذا احتاج اليه . . .

نهاية : . . . وشغله انفاقه في نباته عن التهني بشكره وشغله مصايبها بفوتها عن مصايب ذنوبه وعيوبه . همته نفسه . وامامه هواه . وهو في سهو عنه لا يتفكر فيما خلق له ولا لماذا خلق والى ما صار امره وعاقبته . تمت المسايل العفة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين وسلم اجمعين. آمين آمين ، رب العالمين[٣٢٧] .

الرسالة الحادية والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٦١ب – ١٦٣ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : سَبى (الاصل : سبا) الله قلوب الموحدين بنور الهداية ثم الزمهم العبودة بالامر والنهي بعد ذلك . . .

نهاية : . . . فيترك ما وجب له من العبودة ويبيها لهم ويتقيهم ويرحمهم

٣٢٦) انظر الفهرس العام K. G. رقم ٨٧

٣٢٧) عرض لمجموعة من المسائل الفقهية، من ابواب متفرقة، حيث لا يراعي فيها مجرد النظر الفقهي الى الحل والحرمة من الناحية الظاهرية بل النظر الصوفي من الناحية الباطنية اي من حيث النية وقصد وجه الله الكريم في كل مسألة . – في هذه الرسالة يذكر الترمذي اسم كتاب من كتبه وهو كتاب الفروق (ورقة ١٥٦أ سطر ١٣) . هذا ، وقد كنا ذكرنا عنوان هذه المسائل في الفهرس العام R. G. رقم ٤٣ « المسائل النَفْضَة » اتباعاً لما ذكره علي حسن عبد القادر في مقدمته لكتاب الرياضة وادب النفس (ص ١٤) ولكن العنوان الحقيقي هو ما اثبتناه هنا بعد الرجوع الى النص نفسه . كما ان هذه التسمية « العَفَّة » تتمشى مع سياق المسائل فهي في الواقع ، كما ذكرنا ، عرض لبعض الامور الفقهية التي يجب ان يتعفف عنها المرء .

بصدق الباطن (حيث) كانوا لا يلتفتون الى إله كغيره فيشركون به .
تمت المسألة بمنة الله وعونه[٣٢٨]

الرسالة الثانية والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٦٣ب — ١٩٤ب

عنوان : —

بداية : وسألتم عن الاسم والمسمى . فالاسم للمسمى منه بدا واليه يعود . وسألتم من فعل الخالق وفعل المخلوق . فما خفي على الخلق فهو فعل الخالق . . .

نهاية : . . . فقال :« انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » الآية[٣٢٩] .

الرسالة الثالثة والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٩٠أ — ٢٠٧ب

عنوان : —

بداية : في قوله تعالى : « ما لها من فَوَاق » قال : تلك نفخة الفزع بأمر الله تعالى ان يطولها ويمدها . . .

نهاية : . . . ثم اقبل على اهل الجنان بذلك الفرح الذي كان في الجد. ودعاهم الى زيارته وذكره ، الى آخره . اختصرنا ذلك[٣٣٠]

---

٣٢٨) بحث عن التوحيد ودرجات الموحدين . — في هذا البحث يذكر المصنف اسم كتاب من كتبه :« كتاب الرياضة » ، ورقة ١٦٣أ (اخر سطر) .

٣٢٩) مجموعة من الاجوبة على اسئلة ذات موضوعات مختلفة ، وكلها بغير عنوان . — في بعض هذه الاجوبة يذكر الشيخ شيئاً عن حياته الشخصية ، فيقول :« وقد بلغ سني خمساً وستين سنة وما احتلمت قط لا على حلال ولا على حرام . وقد ولد لي ستة اولاد » (ورقة ١٦٨أ سطر ٦ و ٧) .

٣٣٠) تفسير مجموعة متفرقة من الآيات القرآنية الكريمة . — يذكر المصنف في ورقة ٢٠٥ب سطر ٦ كتاباً له بعنوان : كتاب الاولياء. فيقول : « وقد شرحنا هذا في كتاب الاولياء . . . » فهل هو سيرة الاولياء او ختم الاولياء او علم الاولياء ؟

الرسالة الرابعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٧ب — ٢٠٨أ

عنوان : مسألة في الانسان .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : ان الانسان مطبوع على سبعة اخلاق ...

نهاية : ... « ... وذلك جزاء من تزكى » أي تطهر من الاسباب وهي هذه الاخلاق السبعة ، ان شاء الله[٢٣١] .

الرسالة الخامسة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٨أ

عنوان : صفة الهوى ..

بداية : سئل ، رحمه الله ، عن الهوى ما هو ؟ قال : جوهره النفس . فان ابن آدم خلق من التراب . فكان الهوى هو عنصره ...

نهاية : ... ومنه قيل : الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي .

الرسالة السادسة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٨ب — ٢١٠أ

عنوان : في الولاية والتقوى .

بداية : قال ابو عبدالله رحمة الله عليه : الولاية على وجهين . ولاية يخرج بها من العداوة وهي ولاية التوحيد ...

نهاية : ... فمن أعرض عن الدنيا اقام الزهد . ومن اعرض عن النفس اقام العبودة والولاية .

الرسالة السابعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢١٠ب — ٢١٢ب

عنوان : في قصة عزير عليه السلام .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه ، في قوله عز وجل : « فلما تبين له » اي تبين له كيف يحيي الموتى ...

نهاية : ... فلما كان من النفوس ما كان دخل النقص في الطمأنينة والنقص في الوفا بتسليم النفس ووقع الحساب والوزن والحس الطويل في العرصة .

٢٣١) وصف نفساني لنزعات الانسان السافلة وكيف يمكن التبري عنها .

الرسالة الثامنة والعشرون ومائة . ورقة رقم ٢٢٢ب — ٢٢٣

عنوان : ما ذكر في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير .

بداية : قال رحمه الله : الفرق بين التسبيح والتقديس ان التقديس لآلائه والتسبيح لأسمائه ...

نهاية : ... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس بين اهل الجنة وبين ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن » .

الرسالة التاسعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٢٣ب — ٢٢٥

عنوان : مسألة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم !

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : حدثنا صالح بن محمد وسفيان بن وكيع قالا حدثنا جرير عن زيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت « ان الله وملائكته يصلون على النبي .. »

نهاية : ... لا يقال « صلى الله عليه » لاحد الا النبي صلى الله عليه وسلم فسكت جعفر[٣٣٣] .

الرسالة الثلاثون ومائة : ورقة رقم ٢٢٦ا — ٢٢٧ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه . كان الله تبارك وتعالى ولا شيء ثم أبدا من ملكه ما أبدا ثم أبدا خلقه ...

---

٣٣٣) يقول ناسخ هذا المجموع ، وهو كله بخط واحد ، ما نصه : « وهذا اخر ما حصل عندي من مسايل الشيخ الامام الحكيم . وكتبه الفقير الى رحمة ربه محمد بن هبة الله ابن محمد بن ابي جراد في سادس ربيع الاول من سنة احدى عشر وستماية وهو يسأل الله المغفرة له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله » . — هذا ، وقد جاء في معجم الادباء لياقوت ما يلي : « ان عم كمال الدين بن العديم ، وهو جمال الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله ، كان احد الاولياء العباد وارباب الرياضة والاجتهاد وقد شغف بتصانيف ابي عبدالله محمد بن علي بن الحكيم (؟) الترمذي فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخط يده (انظر معجم الادباء ٦ : ٣٢-٣٤ ط . مرجليوث) .

نهاية : ... فحصل من كلامنا ان الله خلق العرش فما دونه الى الثرى لهذا المؤمن واصطفاه لنفسه . والله الموفق . تمت .

الرسالة الحادية والثلاثون ومائة : ورقة رقم ٢٢٧ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وسألتم عن لذة العبادة من أيّ شيء تتشعب ...

نهاية : ... « قال : ما الاحسان ؟ قال : ان تعبد الله كأنك تراه . قال : صدقت » .

٢) تحليل مجموعة ولي الدين (اسطنبول) رقم ٧٧٠

الرسالة الاولى : ورقة رقم ١ب — ٧ب

عنوان : شفاء العلل .

بداية : بسم الله .. وبه نستعين قال ابو عبد الله محمد بن علي ، رحمه الله : ان كلمة « لا اله الا الله » لازمة للخلق الاعتقاد لها قلباً والاعتراف بها نطقاً والوفاء بها فعلاً ...

نهاية : ... وهم كلهم اهل صدق واخلاص . فانظر اين موقع هؤلاء في صدقهم واخلاصهم من هؤلاء الادعياء (الاصل : الاطباء) عبيد (الاصل : عند) المال (الاصل : الملك)[٢٣٣] .

الرسالة الثانية : رقم ورقة ٨ب — ٢٧أ

عنوان : منازل القربة .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . قال : اول منازل القربة (الاصل : القمر) الايمان بالله فهذه قربة العامة ...

نهاية : ... لأنا لا نملك الاشياء كما يملكون : انما نملكه لله وليس للنفس فيه دعوى[٢٣٤] .

---

٢٣٣) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٩٩

٢٣٤) يذكر الشيخ في هذه الرسالة جملة من المسائل التي مرت سابقاً مفردة وهي : الميراث

• الرسالة الثالثة : ورقة رقم ٢٧أ — ٣٣أ

عنوان : انواع العلوم .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانك سألتني ، رحمك الله ! ان ابين لك انواع العلوم وكم نوع هي وما عواقبهـا . فالعلم عندنا ثلاثة انواع . نوع منها الحلال والحرام ونوع ثان الحكمة ونوع ثالث المعرفة ...

نهاية : ... وكل شيء يوجد بنفسه . والله تعالى انما يعرف ويوجد بآياته وخلقه وتدبيره . وآيات القرآن كلها دالة على ما وصفنـا . والحمد لله رب العالمين(٢٣٥) .

الرسالة الرابعة : ورقة رقم ٢٧أ — ٣٣ب

عنوان : اثبات العلل .

بداية : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانك سألتني عما (الاصل : عن ما) اختلف الناس فيه من اثبات العلل في الامر والنهي . . .

نهاية : ... توقى (الاصل : توقا) ان يزيل شيئاً من جسده عن شعره حتى لا يحرم الفداء والكرامة من الله تعالى . ثم كتاب العلـل بحمد الله ومنه(٢٣٦) .

الرسالة الخامسة : ورقة رقم ٨٣ب — ٨٧أ

عنوان : الرد على الرافضة .

(الرسالة السادسة عشر مجموع ليبزيج) ، الخشية والعلم (الرسالة السادسة من المجموعة) ، الروح (الرسالة الثامنة) ، القلب (الرسالة العاشرة) ، البر (الرسالة السابعـة والسبعون) ، الشكر (الرسالة الثانية والثانون) ، التقوى (الرسالة الخامسة والثانون) .

٢٣٥) في هذه الرسالة يذكر الشيخ مسألتين ذكرنا سابقاً في مجموع ليبزيج مفردتين : ١ : حديث « لا يغفر الذنوب الا انت » (الرسالة الحادية والعشرون) ؛ ٢ : الله وظن القلوب (الرسالة السابعة عشر) .

٢٣٦) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٣١ . ويلاحظ ان الجملة الاخيرة من الكتاب : تم كتاب العلل ... هي بخط مخالف للاصل . في هذا الكتاب يذكر المصنف اسماء كتبه

بداية : بسم الله .. اعوذ بوجه الكريم وبكلماته التامات من شر الشيطان الرجيم ... من كلام محمد بن علي الترمذي ، رحمه الله ، في كتاب الرد على الرافضة. قال: بعد ذكر خلافة الائمة الاربعة على الترتيب...

نهاية : ... وماذا اجازهم ابو بكر ، رضي الله عنه . وما دعاهم الى ما صنعوا واي غرض كان لهم في ذلك[٣٣٧] .

الرسالة السادسة : ورقة رقم ٨٧أ — ٩٠أ

عنوان : مسألة في الايمان والاحسان والاسلام.

بداية : بسم الله .. مسألة في الايمان .. قال ابو عبدالله محمد بن علي الترمذي الحكيم ، رحمه الله : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . سألتني عما وقع فيه الناس من الاختلاف في الايمان ومحله من الآدمي...

نهاية : ... لا اله الا أنت . اغثني يا مغيث . يا مغيث اغثني. يا مغيث[٣٣٨] .

الرسالة السابعة : ورقة رقم ٩٠أ — ١٣٧ب

عنوان : ختم الاولياء .

بداية : بسم الله .. الحمد لله هو اهله والصلاة على محمد رسوله وآله وصحبه وسلم . قال ابو عبدالله بن علي الترمذي ، رحمه الله ، اما بعد : فانك ذكرت البحث فيما خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية ...

نهاية : ... فقال : « وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » وسماها في التنزيل « صديقة » . والحمد لله من رب العالمين[٣٣٩] ...

الآتية : كتاب صفة القلوب ومنازلها (ورقة ٣٦أ ، ٧٢أ وانظر الفهرس العام R. G. رقم ١٩) وكتاب الحج (ورقة ٤٣أ ، وانظر الفهرس العام R. G. رقم ٢٥) وكتاب علم الاولياء (ورقة ٤٣أ ، ٤٦ب ، ٤٧أ ، ٤٨أ وانظر الفهرس العام R. G. رقم ٣٢) .

٣٣٧) الكتاب هنا غير تام :

٣٣٨) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٩٧

٣٣٩) « « « « « ٣٦

الرسالة الثامنة : ورقة رقم ١٢٨ب — ١٧٧أ

عنوان : علل العبادات .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي رفع السماء بلا عمد مأسوس وسطح الارض على وجه ماء محبوس. واوتدها بالجبل المرسوس نحمده ونستعينه ونستغفره ونستشهده ونؤمن به ونتوكل عليه ونشهد ان لا اله الا الله . . . باب لاي علة امر العباد بالسواك ولاي علة صار سنة عليهم . . . قال ابو عبدالله محمد الترمذي ، رحمه الله : اعلم ان العبد إذا قام في الصلاة يقرأ لا يزال الملك يدنو منه . . .

نهاية : . . . فهذا بمنزلة ملك قد هيّأ لعبيده عرساً وفي ذلك العرس ألوان الاطعمة وألوان الاشربة حتى يصدرهم من عنده وقد تملوا من الطعام شبعاً : أشبعهم وارواهم . فقد كان العبيد نالهم القحط والجوع والظمأ فأصدرهم من عنده وقد تملوا من الطعام شبعاً وتضلعوا من الاشربة ريا الى ان يأتي قحط آخر فينالهم من الجوع والظمأ . فهذا دأبهم ايام الحياة(٢٤٠) .

الرسالة التاسعة : ورقة رقم ١٧٧ب — ١٨٣أ

عنوان : (مسألة في كيفية خلق الانسان) .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : ان الله تبارك اسمه خلق ابن آدم من هذه الارض . . .

---

٢٤٠) بحث مفصل عن حكمة مشروعية الصلاة والوضوء وما يتعلق بها . يعتمد الشيخ في ابحاثه على السنة واثار السلف . — العنوان الذي وضعناه لهذا الكتاب لا يوجد في الاصل . ويوجد لهذا الكتاب نسخة اخرى في دار الكتب المصرية برقم ١٢٥ مجاميع ٢٤٨أ—٢١٢ب . والعنوان هناك : « كتاب كيفية الصلاة والسواك والاغتسال والوضوء واصل ذلك وسببه على التمام والكمال » وهذا العنوان مذكور على غلاف الكتاب بخط الناسخ الاصلي . ولكن يوجد على الغلاف ايضاً عنوان آخر ، بخط جديد : « العلل للحكيم الترمذي » . والواقع ان موضوع الكتاب ، كما ذكرنا ، هو بيان علة اركان الوضوء والصلاة وسننها وآدابها وما يتعلق بها . هذا والمعروف ان للمؤلف كتابين : كتاب اثبات العلل ، وكتاب علل

نهاية : ... فلما لم يتقدمه في التواضع احد، لم يتقدمه في الامن احد: لحظه (الاصل: بخطه) الوافر وعقله الكامل ونفسه الكريمة وطبعه المستوى.

الرسالة العاشرة : ورقة رقم ١٨٢ب — ١٨٣

عنوان : باب في شأن النية.

بداية : حدثنا صالح بن عبدالله حدثنا يوسف بن عطيـة عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال يوماً هل تدرون من المؤمن ؟ ...

نهاية : ...وهذا عنده محال بعد ان استقام قلبه لله عبودة وقام بين يديه[٣٤١].

الرسالة الحادية عشر : ورقة رقم ١٨٣ب — ١٨٤أ

عنوان : : باب في الرزق.

بداية : قال ابو عبدالله. رحمه الله : ووجـدنا ان المتنبهين سـكنت قلوبهم على الرزق ...

نهاية : ... فاتصاله بخالقه اكثر من اتصال العبـد بمولاه اذا مكن له بين يديه[٣٤٢]

الرسالة الثانية عشر : ورقة رقم ١٨٤أ — ١٨٨ب

عنوان : باب في بيان المفردين.

بداية : قال ابو عبدالله. رحمه الله : سألت عن رجل يعبد طلب الثواب والفرار من العقاب ...

نهاية : ... لانه قد اخذه ربه فسلطانه يغلب الاشيا. ويمنع الاشيا. ان تشغله[٣٤٣].

العبادة او العبادات، او الشريعة. وموضوع كل الكتابين مختلف عن الآخر تماماً. ويجب ان يلاحظ هنا ان نسخة دار الكتب يختلف آخرها عن اخر هذه النسخة. انظر الفهرس العام R. G. رقم ٣١

٣٤١) انظر ما تقدم الرسالة التاسعة والسبعين من مجموع ليزيج والفهرس العام R. G. رقم ٥١

٣٤٢) « « « السادسة والثمين « « « « « « « « ٥٣

٣٤٣) « « « الحادية والثمانين « « « « « « « « ٥٤

الرسالة الثالثة عشر : ورقة رقم ١٨٨ب — ١٩٠أ

عنوان : باب في تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » .

بداية : قال ابو عبدالله . رحمه الله : وسألتم عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فهذا حديث الكوفيين ...

نهاية : ... وكيف قام بذلك في زمان معاوية وتركه في زمان ابي بكر وعمر ، رضي الله عنهم وعن جميع اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! [٣٤٤] ...

الرسالة الرابعة عشر : ورقة رقم ١٩٠ب — ١٩١أ

عنوان : باب في تفاوت المعرفة والايمان والتوحيد .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : فالمعرفة اذا عرف الله بقلبه واطمأنّ اليه ...

نهاية : .. يقبضهم على فراشه (فراشهم ؟) ويقسم لهم اجور الشهدا....

الرسالة الخامسة عشر : ورقة رقم ١٩١أ — ١٩١ب

عنوان : باب آخر في الصفات .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن قوله : « العظمة ازاري والكبرياء ردائي والرحمة قميصي » ...

نهاية : ... ويعضون على ايديهم ندماً وحسرة ، والمفتونون المشبهون الزائغون عن الله تعالى اولئك العجم (الاصل : العم) البهم »[٣٤٥] .

---

٣٤٤) مذهب الشيخ في هذا الحديث انه غير مقبول لانه جاء عن طريق المتعصبين لاهل البيت . ولكنه يرى مزيد فضل لاهل البيت ، رضي الله عنهم ، « انهم غير واقعين في الاهواء وهم حيث كانوا من بلدان المسلمين تراهم المتقدمين خلقاً وادباً وسماحة وتديناً وكل مكرمة وخلق من معاني الاخلاق موجودة فيهم ... ففضلهم بيّن وحفظ رعايتهم على المسلمين واجبة اما التفقه في الدين والدخول في نوازل الناس وفتياهم فانهم بمعزل ؛ يرى امر الامة في هذا » .

٣٤٥) مذهب الشيخ في الصفات المنسوبة الى الله تعالى ، في بعض الآيات القرآنية والاحاديث الثابتة والتي يوهم ظاهرها تشبيه الحق المنزه بالخلق المقيد هو وسط بين غلو التشبيه والتعطيل:

الرسالة السادسة عشر : ورقة رقم ١٩١ب — ١٩٢

عنوان : باب في قول الله ، تبارك وتعالى : « من رجا غير فضلي وخاف غير عدلي فليطلب ربًا سواي » .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن قوله ، عزّ وجل ، من رجا .. والموحدون كلهم لا يرجون الا فضله ولا يخافون الا عدله . . .

نهاية : . . . انه اتاه سائل فاعطاه درهماً ثم أتاه مرة أخرى فمنعه . فقال : « الله اعطاك والله منعك » !

الرسالة السابعة عشر : ورقة رقم ١٩٢ب — ١٩٣أ

عنوان : باب في لذة الطاعة من اي شيء تتشعّب .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن لذة العبادة من اي شيء تتشعّب . . .

نهاية : . . . « قال : ما الاحسان ؟ قال : ان تعبد الله كأنك تراه . قال : صدقت ! »[٣٤٦]

الرسالة الثامنة عشر : ورقة رقم ١٩٣أ — ١٩٣ب

عنوان : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألت عن قول عيسى ، صلوات الله وسلامه عليه : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » فان الله تعالى خلق الدنيا مرفقاً للعباد ليقووا بها على العبودية . . .

نهاية : . . . فالمودة اذا رسخت وامتلت النفس منها زهدت (الاصل : وهدت) عن كل شيء سواه وغرقت (الاصل : وعرفت) هذه اللذات في تلك اللذات .

وأدوا المرفق حقها . فان حقها قبولها . فليس بالله حاجة الى النزول ولا الى الضحك . انما هذا كرمه وجوده جاء به على الاحباب . فبهذا يعيشون في سجن الدنيا حتى اليه يوم القيامة . فتصير هذه الاشياء كلها معاينة . وهناك يخسر المبطلون ! »

٣٤٦) انظر ما تقدم ، مجموع ليزيج ، الرسالة الحادية والثلاثين ومائة .

الرسالة التاسعة عشر : ورقة رقم ١٩٣ب

عنوان : باب في حقيقة بسم الله .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن حقيقة بسم الله . فان الدنيا لها سم لانها شهوات ملهية عن الله . فبسم الله يؤخذ السم حتى لا يضر وهو ترياق الدنيا . . .

نهاية : . . . فحقيقة بسم الله لمن وصل الى الالوهة وحقيقة الحمد لله لمن وصل الى عشّ (الاصل : عشر) الحمد بين يديه : الى حمده الذي حمد به نفسه من قبل ان يحمده احد من خلقه .

الرسالة العشرون : ورقة رقم ١٩٣ب — ١٩٤ا

عنوان : باب في الحمد .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : قوله : « الحمد لله » كلمة وافرة اذا قالها منتبهاً متيقظاً وذلك ان هذه كلمة خرجت مخرج المعرفة . . .

نهاية : . . . فانها يملأ الميزان من كلمة اذا قالها ، على ما وصفت . يشير بقلبه الى ذلك .

الرسالة الحادية والعشرون : ورقة رقم ١٩٤ب

عنوان : باب في السواد الاعظم .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألت عن قوله : « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » . . .

نهاية : . . . واعلموا ، رحمكم الله ! ان لكل فعل درجات : فادناها ان توحده بقلبك أعلاها أن لا تركن لاحد سواه .

الرسالة الثانية والعشرون : ورقة رقم ١٩٤ب

عنوان : باب في صفة المؤمن .

بداية : قال ابو عبدالله، رحمه الله : وان ابن آدم مطبوع على سبع وهي : الغفلة والشك والشرك والرغبة والرهبة والشهوة والغضب . . .

نهاية : . . . ولا يغضب الا في ذات الله ولله ولا يستعمل شهوته الا بذكر الله . تم بحمد الله وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين واصحابه رضي الله عنهم (٣٤٧) .

الرسالة الثالثة والعشرون : ورقة رقم ١٩٦ب — ٢٠٠أ

عنوان : —

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . عونك وتوفيقك في عونك ، يا ذا الجلال والاكرام ! الحمد لله الاول القديم والآخر الدائم العظيم . . . اما بعد : فان الله ، تبارك اسمه ! خلق هذا الآدمي من تراب ثم من نطفة ثم صوّره في بطن امه . . .

نهاية : . . . الا تسمع الى قوله ، عز وجل : « يا داود ان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها محجوبة عني » (٣٤٨)

(يتبع)

---

٣٤٧) هذا الباب هو جزء من الفصل الاخير من كتاب الرياضة للمصنف وانظر ما تقدم ايضاً بمجموع ليزيج الرسالة الثامنة ومائة والرسالة الرابعة والعشرون ومائة .

٣٤٨) هذه الرسالة لا عنوان لها ولا ذكر للمؤلف بها . وموضوعها شرح معاني الاسماء الدالة على الوحي الالهي : القرآن ، الكتاب ، المبين ، الهدى الرحمة الخ . . .

الرازي ومحنة الطبيب

تحقيق الدكتور ا. ز. اسكندر

الباب الاول

اولاً : التعريف بالرازي

أجمع المؤرخون على الإشادة بالرازي الطبيب، فقال ابن النديم : إن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي كان « أوحد دهره، وفريد عصره »[١]، وذكر ابن القفطي أنه « طبيب المسلمين غير مدافع »[٢]، وسمّاه ابن أبي أصيبعة « جالينوس العرب »[٣]. وقد ترك لنا هذا الطبيب الفيلسوف كتاباً في سيرته[٤]، وآخر عن مؤلفاته[٥]، ولكن لم يُعثر حتى الآن على مخطوطات لهذين الكتابين، وهما في حكم المفقودين.

ويبدو أن الكثير مما كتبه مؤرخو الرازي غير موثوق به، فتاريخ ميلاده ووفاته غير محققين[٦]، وأما مصادر تاريخ حياته فإنها تعتمد على روايات متأخرين، لا على مصدر معاصر، كما فعل ابن النديم نقلاً عن فلان عن فلان، وهذا نص عبارته :

« قال لي محمد بن الحسن الوراق : قال لي رجل من اهل الري — شيخ

---

١) الفهرست ص ٢٩٩ س ٣

٢) ابن القفطي ص ٢٧١ س ١٤

٣) ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ٣١

٤) نفس المصدر ج ١ ص ٣٢١ س ١٣

٥) الفهرست ص ٢٩٩ س ٣٠–٣١، ص ٣٠٢ س ١٩ ؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ٩

٦) ابن القفطي ص ٢٧٢ س ١–٣ ؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣١٤ س ١٠–١٣ ؛ ياقوت بلدان ج ٢ ص ٨٩٨ س ١٨ — ٣٠ ؛ ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٥ ؛ حاجي خليفة ج ١ ص ٥٧٧، ٦٢٨ ؛ ج ٢ ص ١٨٦٢ ؛ الصفدي ج ٣ ص ٧٦

كبير – سألته عن الرازي، فقال: كان شيخاً كبير الرأس مسفطاً، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذ، ودونهم تلاميذهم، ودونهم تلاميذ أخر. وكان يجيئ الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه – فإن كان عندهم علم؛ وإلّا تعداهم إلى غيرهم – فإن أصابوا، وإلّا تكلم الرازي في ذلك»[1].

وقد قيل إنّ مولد الرازي كان في الريّ[2]، ومنهـا اشتق اسمه. والريّ مدينة قديمة[3] تقع بالقرب من طهران[4]، عاصمة إيران في الوقت الحاضر. وكان الرازي منذ صباه مولعاً بالغناء، ماهراً في الموسيقى وكان يعزف العود بمهارة، ولكنه لما التحى وجهه قال:

«كل غناء يخرج بين شارب ولحية لا يستظرف»[5].

وكان الرازي في شبابه مكباً على دراسة الادب[6]، وكتابة الشعر[7]، ودراسة الفلسفة، ومن المحتمل أنّ معلمه فيها هو البلخي[8]. أما اسم أستاذه في الطب فغير معلوم على وجه التحقيق[9]، وقد بيّنا في مقال سابق لنا أنّ الرازي

١) الفهرست ص ٢٩٩ س ٤–٧

٢) البيروني ص ٤؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ١٦

٣) راجع دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ١١٠٥–١١٠٨.

٤) كانت مدينة الريّ واقعة في الركن الشمالي الايسر من مديرية الجبال، وقد كانت أم العواصم الاربعة في هذه المديرية. أنظر G. Le Strange, *The Lands of Eastern Caliphate*, Cambridge, 1905, p. 214.

٥) ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٤ س ٥

٦) ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣١٩ س ١٨

٧) نفس المرجع ج ١ ص ٣١٥ س ١٩–٢٠

٨) جدير بالذكر ان احد كتب الرازي الطبية موسوم بانه: «في العلة التي من اجلها يعرض الزكام لابي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد». انظر نفس المرجع ص ٣١٩ س ١٩–٢٠

٩) يذكر المؤرخون اسم الطبري. انظر نفس المرجع ج ١ ص ٣٠٩ س ١٠؛ الصفدي ج ٣ ص ٧٦ س ١٠–١١؛ ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٥ س ٩؛ راجع مقالات:
J. Rusk, « Über den gegenwärtigen stand der Râzi Forschung, » *Archeon* formerly Archivo di storia della Scienza, v (1924) 345; M.Meyerhof, «'Alī aṭ-Ṭabari's «Paradise of Wisdom», one of the oldest Arabic compendiums of medicine», *Isis*, XVI (1931) 10.

درس الطب في حداثتـه ببغداد – وفي ذلك ما يخالف آراء مؤرخي الرازي القدامى والمحدثين[1] .

ومن الواضح ان الرازي وقف كذلك جزءاً كبيراً من وقته على دراسة الكيمياء[2] ، فقد ذكر البيروني واحداً وعشرين من مؤلفاته في صنعة[3] ، قد طرق فيها باباً جديداً فكان اول من استخدم المستحضرات الكيميائيـة في العلاجات الطبية[4] — وربما كانت الكيمياء ايضاً احد موارد رزقه ، فمن قوله : « انا لا اسمي فيلسوفاً الا من كان قد ... الكيمياء ، لانه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس ، وتنزه عما في أيديهم ولم يحتج إليهم »[5] .

وربما قصد من ... هذا أن الفيلسوف الذي لا يملك مورداً الرزق[6] له أن يحترف صنعة[7] حتى يعتمد في كسب عيشه على نفسه ، فيحتفظ بحرية الرأي .

١) راجع مقالنا في مجلة المشرق ج ٣ سنة ١٩٦٠ ص ١٦٨–١٧٧

٢) كان الرازي من المتحمسين لدراسة الكيمياء ، فمن كتبه : شرف الصناعة (البيروني ص ١٩ (رقم ٧) ؛ الفهرست ص ٥٨ س ١٠ ؛ في أن صناعة الكيمياء إلى الوجوب أقرب منها إلى الامتناع (الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٨–٣٠٠ س ١ ؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ١٨–٢٧٤ س ١ .

وقد كتب كتاب الرد على الكندي في إدخاله صناعة الكيمياء في الممتنع » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٦ س ١٢–١٣ . وقد يكون هذا الكتاب رداً على رسالة الكندي في خدع الكيميائيين » (الفهرست ص ٢٦١ س ٨ ؛ ابن القفطي ص ٣٧٥ س ... و... بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم » (الفهرست ص ٢٦١ س ١٦–١٧ ؛ ابن القفطي ص ٣٧٦ س ... ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢١٣ س ٣٣ – ... س ١) .

٣) البيروني ص ١٩–٢٠ وراجع مقالي روسكا «Al-Biruni als Quelle für das Leben und die Schriften ar-Rāzī's», *Isis*, V (1923) 47 ; « Die Alchemie ar-Rāzī's», *Der Islam*, XII (1935) 281-319.

٤) J. Freind: *The History of Physick from the time of Galen to the beginning of the sixteenth century,* London, 1726, II, 59.

٥) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٣ س ٢٥–٢٧

٦) في أحد كتبه يذكر الرازي « المتفلسف من أولاد الملوك » . انظر رسائل فلسفية ص ١٠٦ س ١٧

٧) المقصود بالصنعة الكيمياء ، وهي استحالـة المادة ... الى معدني الذهب والفضة . فهل كان الرازي يؤمن بالكيمياء على هذا النحو ... ينبغي الشك في الرواية المذكورة .

وقد كان حكم فلاسفة العصر الوسيط على كتبه الفلسفية قاسياً[١] ؛ اما علماء العصر الحديث فقد أفاضوا في مدحها[٢] : واتهمه الأقدمون بالكفر والزندقة[٣] ، لأنه قد انتقد الأنبياء[٤] ، وتشكك في معجزاتهم[٥] ، ولم يحاول التوفيق بين ما قد يظهر من اختلاف بين الدين والفلسفة[٦] .

ويقول البيروني عن الرازي إنه « كان دائم الدرس شديداً لاتباعه ، يضع سراجه في مشكاة على حائط يواجهه، مسنداً كتابه إليه كما إذا غلبه النعاس

---

١) طبقات الامم ص ٥٢-٥٣ ؛ ابن ابي اصيبعة ج١ ص ٣١٠ ، س ٢٥-٢٧ ؛ وراجع :
E.G. Browne, *Arabian Medicine*. Cambridge, 1921, p. 44.

٢) راجع مقال : M. Meyerhof, «The Philosophy of the Physician Ar-Rāzī», *Islamic Culture*. XV (1941) 45.

٣) رسائل فلسفية ص ٢٩٢-٢٩٥

٤) نفس المصدر ص ٥٤ ، س ١-٤ . راجع الترجمة الانجليزية :
A.J. Arberry. *The Spiritual Physick of Rhazes*, translated from the Arabic, London, 1950, pp. 47-48.

٥) يشير المؤرخون إلى الكتب الآتية وينسبونها للرازي :

« فيما يرد به إظهار ما يدعى من عيوب الانبياء » (الفهرست ص ٣٠١ س ١٩) ؛ « كتاب ما يدعى من عيوب الاولياء » (ابن القفطي ص ٢٧٦ س ٢-٣) ؛

« فيما يرومه من إظهار ما يدعى من عيوب الاولياء » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٠ س ١٦-١٧) . ويضيف ابن أبي أصيبعة (س ١٧-٢١) أنّ « هذا الكتاب إنْ كان قد أُلِّف والله أعلم ، فربما أن بعض الاشرار المعادين للرازي قد ألّفه ونسبه إليه ليسيء من يرى ذلك الكتاب أو يسمع به الظن بالرازي ؛ وإلّا فالرازي أجلّ من أن يحاول هذا الامر وأن يصنّف في هذا المعنى . وحتى أن بعض من يذم الرازي بل يكفره كعلي بن رضوان المصري وغيره يسمون ذلك الكتاب كتاب الرازي في « مخاريق الانبياء » .

ويعطي البيروني (ص ٢٠ رقم ١٧٣-١٧٤) اسم الكتابين الآتيين تحت عنوان كفريات : « في النبوات ، ويدعى نقض الاديان » ؛ « في حيل المتنبيين ، ويدعى مخاريق الانبياء » .

٦) راجع مقال : M. Meyerhof, « The Philosophy of the Physician, Ar-Rāzī», *Islamic Culture*, op. cit., p. 49.

سقط الكتاب من يده ، فأيقظه ليعود إلى ما هو عليه »[١] . ومات الرازي في سن الستين تاركاً ثروة علمية طائلة، فبلغت مؤلفاته ما يقرب من المائتي كتاب في شتى الفنون كالطب ، والطبيعيات ، والمنطق ، والرياضيات ، والفلسفة ، والكيميا. وغيرها[٢] . ونكتفي بذكر كلمة عابرة عن مؤلفاته الطبية التي تربو في عددها على المائة كتاب .

تبين لنا من دراسة كتب الرازي أنه ألف موسوعة طبية أطلق عليها اسم « الجامع » . وقد استغرق تأليف ذلك الكتاب — كما يقول الرازي — خمس عشرة سنة ، واصل فيها المؤلف العمل الليل بالنهار ، مما أدى إلى ضعف بصره وإصابته بمرض عضال في يده اليمنى ، فمنعه ذلك من القراءة والكتابة، ولكنه استمر في الدرس والتحصيل بمساعدة تلاميذه المخلصين الذين تطوعوا للقراءة عليه ، والكتابة له[٣] .

وكتاب الجامع يخالف كل الاختلاف شبيهه في الإسم : كتاب «الحاوي». وكان يُظن أن « الجامع » و« الحاوي » اسمان مترادفان لكتاب واحد[٤] . والواقع يتكون كتاب « الجامع » من اثنى عشر جزءاً . ولم نعثر — إلى الآن — إلا على جزءين فقط من أجزاء هذا الكتاب ، محفوظين في مخطوط بمكتبة بودليانا[٥] . اما « الحاوي » فهو مذكرات الرازي الخاصة التي جمعها تلامذته بعد وفاته وتم إصدارها في خمسة وعشرين جزءاً[٦] . وهذه المذكرات

١) البيروني ص ٥ س ٤–٦

٢) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٠ – ص ٣٠١ س ٢٤ ثم ص ٣٥٨ س ٦ – ١٣ ؛ البيروني ص ٦–٢١ ؛ ابن القفطي ص ٢٧٢ س ٨ – ١٦ ثم ص ٢٧٣ س ٩ – ص ٢٧٧ س ٧ ؛ ابن أبي أصيبعة ص ٣١٥ س ١٤ – ص ٣٢١ س ٢٠

٣) رسائل فلسفية ص ١١٠ س ٧–١٥

٤) مثلًا انظر الفهرست ص ٣٠٠ س ٤ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٥) ، ابن القفطي ص ٢٧٤ س ٢–٣

٥) مخطوط Bod Or. 561

« كتاب صيدنة الطب » (ورق ١ وجه إلى ورق ١٩ وجه س ٢) .

« كتاب المكاييل والموازين » (ورق ١٩ وجه س ٣ – ورق ١٢٥ وجه س ١٣) .

٦) اعتمدنا في حصر عدد اجزاء « الحاوي » على الطبعات اللاتينية (بركيا سنة

حافلة بالنقد العلمي لكتب الاطباء الذين سبقوه . وإن مؤرخي الطب يحيون هذه الشجاعة العلمية في الرازي، ويقدرون اعتداده برأيه . ففي القرن الرابع الهجري، كانت كتب بقراط وجالينوس دستوراً يؤمن به الاطباء، فكانت كلمة « قال بقراط » أو « قال جالينوس » كافية لقبول القول دون البحث فيه، أو التشكك في صحته. ولما اكتشف علماء الغرب ما جاء في مذكرات « الحاوي » من علوم مفيدة، أقبلوا على ترجمتها إلى اللغة اللاتينية، فأتم ترجمتها الطبيب فرج بن سالم في جزيرة صقلية سنة ١٢٧٩ م بناء على طلب الملك شارل من سلالة أنجو Charles of Anjou واستغرقت الترجمة جل حياة المترجم[١] . وطبع هذا الكتاب أكثر من مرة، فمنها طبعة « بركسيا سنة ١٤٨٦ » وطبعتا « البندقية سنة ١٥٠٦ » وسنة ١٥٤٢ »[٢] .

اما كتاب « الجدري والحصبة » فيعتبره العلماء أنفس الكتب الطبية التي صنفها العرب[٣] ، وترجم هذا الكتاب إلى لغات عديدة وظهرت له طبعات كثيرة : فهناك ترجمة يونانية طبعت سنة ١٥٤٨، وطبعات عديدة لاتينية في سنة ١٤٩٨، ١٥٢٩، ١٥٤٤، ١٥٤٩، ١٥٥٥، ١٧٤٧، ١٧٨١، وظهرت ترجمة فرنسية سنة ١٧٦٢ وأخرى انجليزية سنة ١٨٤٨ وظهرت طبعة عربية في لندن سنة ١٧٦٦[٤] .

وكان لكتابه « المنصوري في الطب » شهرة فائقة، وترجم ايضاً إلى اللغة

١٤٨٦ ؛ البندقية سنة ١٥٠٦) . هذا ولم يعمل حصر شامل حتى الآن لاجزاء الحاوي المبعثرة في شتى مكاتب العالم ؛ وقد بدأت دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن في نشر أجزاء هذا الكتاب لاول مرة باللغة العربية في سنة ١٩٥٥ ، وظهر حتى الآن ثمانية اجزاء فقط .

(١ انظر : A. Castiglioni, *A History of Mediciene*, Translated by E. B. Krumbhaar, 2 nd. ed., London, 1947, p. 268.

(٢ انظر : D. Campbell, *Arabian Medicine*, London, 1926, I, 69.

(٣ انظر : M. Neuburger, *History of Medicine*, Translated by E. Playfair, London, 1910, I, 362.

(٤ انظر : D. Campbell, op. cit., I, 70.

اللاتينية (١٤٨١، ١٤٩٧، ١٥١٠، ١٥٤٤)[١]. والجزء التاسع من هذا الكتاب Nonus Almansoris — وهو عن الحميات — كان يدخل في صلب المنهاج في في جامعات أوربا ؛ فمثلا كان عميد كلية الطب بجامعة مونبلييه يحاضر في سنة ١٥٥٨ من هذا الكتاب[٢]. وللرازي كتاب ذو قيمة عالية هو كتاب « تقسيم العلل » ، وهو لازم لكل من اشتغل بترجمة الاصطلاحات الطبية القديمة ، فهو بمثابة قاموس طبي ، وتوجد منه ثلاثة مخطوطات[٣]. وإليكم أسماء بعض كتبه التي تدل على خبرته الواسعة بشؤون الطب :

كتاب : الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس[٤] ؛ كتاب : في الأسباب المميلة لقلوب الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم[٥] ؛ كتاب في التلطف في إيصال المريض إلى بعض شهواته[٦] ؛ كتاب في العلة التي ينـم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وإن كان حاذقاً[٧] ؛ كتاب في أن الطبيب الحاذق

---

١) نفس المرجع ص ٦٨

٢) انظر : C. Elgood, *A Medical History of Persia and Eastern Caliphate*, Cambridge, 1951, p. 208.

٣) مخطوط المتحف البريطاني رقم Add. 5932 ؛ مخطوط الازهر رقم ٧٣ طب ؛ مخطوط البندقية — انظر :

Assemani, Catal. dei Codd. Mss. Orient. della Bibliot. Naniana, II, 238.

وجاء ذكر ذلك الكتاب في مراجع :

الفهرست ص ٣٠٠ س ٢٣ ؛ البيروني ص ٧ (رقم ٩) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ١٧ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٦ س ٢٣

٤) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٧ ؛ البيروني ص ١٣ (رقم ٨٨) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ١٧ ؛ ابن ابي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٦ س ١

٥) الفهرست ص ٣٠٠ س ١٤—١٥ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٤) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ٥—٦ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٧ س ٤

٦) الفهرست ص ٣٠١ س ٧ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٣) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٥ س ٨ — ٩

٧) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٠—١١ ؛ ابن أبي أصيبعة ص ٣١٩ س ٨—٩

ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل فانّ ذلك ليس في الوسع[١] ، رسالة في العلة التي من أجلها صار ينجح جُهّال الأطبا. والعوام والنسا. في المدن في علاج بعض الامراض أكثر من العلما. ، وعذر الطبيب في ذلك[٢] .

ثانياً : أهمية كتاب محنة الطبيب

يظهر أنّ الطب في أيام بقراط كان مقصورًا على عائلة أسقليبيوس[٣] وكان بقراط أول من أوصى بتعليم الطب للغربا.[٤] .

ونعلم أنّه نشأت مع بنا. مدينة الإسكندرية (٣٣٢ — ٣٣١ ق . م) مدرسة للطب ، وتمتعت هذه المدرسة بسمعة طيّبة ، فكان يؤمها طلاب العلم من كل صوب ، فتخرّج منها جالينوس ، واشتهر فيهـا علما. مثل هيروفيلوس Herophilus الذي يعتبر أعظم علما. التشريح في العصور القديمة، وإراسطراطس Erasistratus مؤسس علم وظائف الاعضا.[٥] . وإن كنا لا نعرف إلّا القليل عن المنهاج الدراسي في مدرسة الاسكندرية[٦] ، إلّا أننا لا نعلم اي شي. عن طريقة تأهيل الاطبا. فيها .

ولما نشطت حركة الترجمة في مدينة جنديسابور عـلى أيدي النساطرة مثل سرجيوس الرأس عيني ثم حنين بن إسحق ، وابنه إسحق ، وابن أخيه حبيش

---

١) الفهرست ص ٣٠٢ س ١١—١٢ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٢) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٣ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٩ س ١١—١٦

٢) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٥—١٦ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٦) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٤ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٩ س ١٥—١٦

٣) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٥ س ١

٤) نفس المرجع ص ٢٤ س ٢٦—٢٩

٥) انظر : A. J. Brook, *Greek Medicine*, London and Torento, 1929, pp. 22, 14; G. Sarton, *Introduction to the History of Science*, Baltimore, 1953, I, 159.

٦) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٠٦ س ١ — ص ١٠٨ س ١٧

ابن الحسن ، وعيسى بن يحيى ، واصطفن بن باسيل ، وثابت بن قرة ، ويوسف ابن خوري وغيرهم — لما نشطت حركة الترجمة صار التراث اليوناني في متناول الاطباء السريانيين والعرب ، فأقبلوا على جمع نسخ من تراجم الكتب الطبية المشهورة لبقراط ، وجالينوس ، وروفس ، وأركيغانس ، واريباسيوس ، وأطيس الأمدي ، واسكندر الترالي وأهرن القس ، وبولس الأغنيطي ، وغيرهم[1].

وراجت صناعة النسخ حتى أن بعض الكتبة كانوا ينسبون الكتب التي ينسخونها إلى أطباء مشهورين أملًا في رواجها وبيعها بأثمان غالية . وكان لأطباء جنديسابور فضل على النهضة الطبية في الوطن العربي ؛ إلا أنهم كانوا أطباء متغطرسين ، يميلون إلى قصر مهنة الطب على أبناء مدينتهم ، ومثالنا في ذلك كبرياء يوحنا بن ماسويه الذي رفض أن يعلم حنين بن إسحق لأنه من أبناء الصيارفة ومن أهل مدينة الحيرة ، وليس من جنديسابور[2] ، مما اضطر حنينا إلى الهجرة إلى بلاد اليونان فتعلم اللغة ، وأتقنها كأحد أبنائها ، ثم درس المخطوطات اليونانية ، فصار طبيباً ماهرًا وعميدًا للمترجمين في عصره .

وبالرغم من أن نفرًا من أساطين الطب في القرون الأولى بعد الميلاد وفي العصر الوسيط قد اهتموا بكيفية امتحان الطبيب ؛ فمثلًا قد ألف في هذا المعنى كل من جالينوس[3] ، ويوحنا بن ماسويه[4] ، وحنين بن إسحق العبادي[5] ، وأبو بكر الرازي[6] ؛ إلا أن الصورة التي وصلتنا عن كيفية أداء ذلك الامتحان

---

١) تظهر جميع هذه الاسماء ، مع أسماء كثيرة لاطباء آخرين ، في مذكرات الرازي الخاصة المعروفة بـ « الحاوي » .

٢) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٨٥ س٦-١٣

٣) الفهرست ص ٢٩١ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٣ ؛ ابن أبي أصيبعه جـ ١ ص ١٠٠ س ٩

٤) الفهرست ص ٢٩٦ س ٣ ؛ ابن القفطي ص ٣٨١ س ٨ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٨٣ س ١٢-١٣

٥) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٩٩ س ٢٨

٦) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٧ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٦) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٥ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٩ س ٢٠-٢١

غير جادة ومشوهة . فابن القفطي يروي في ذلك أنه « في سنة تسع عشرة وثلاثمائة اتصل بالمقتدر أنّ رجلاً من الأطباء غلط على رجل فمات . فأمر أبا بطيحة[1] محتسبة بمنع جميع الأطباء ، إلّا من امتحنه « سنان » ، وكتب له رقعة بما يطلق له التصرّف فيه من الصناعة. وأمر سنانا[2] بامتحانهم وأنْ يطلق لكل واحد منهم ما يصلح أنْ يتصرف فيه من الصناعة ، وبلغ عددهم في الجانبين من بغداد ثمانمائة ونيفا وستين رجلاً ، سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة ، وسوى من كان في خدمة السلطان. ومن طريف ما جرى في امتحان الأطباء. أنه أحضر إلى سنان رجل مليح البزّة والهيئة ذو هيبة ووقار ، فأكرمه سنان على موجب منظره ، ورفعه ، وصار إذا جرى أمر التفت إليه ، ولم يزل كذلك حتى انقضى شغله في ذلك اليوم ، ثم التفت إليه « سنان » فقال : قد اشتهيت أنْ أسمع من الشيخ شيئاً أحفظ عنه ، وأنْ يذكر شيخه في الصناعة . فأخرج الشيخ من كمه قرطاساً فيه دنانير صالحة ، ووضعها بين يدي سنان وقال : ما أحسن أنْ أكتب ولا أقرأ ، ولا قرأت شيئاً جملة ، ولي عيال ، ومعاشي دار دائرة ، وأسألك أنْ لا تقطعه عني. فضحك سنان وقال : على شريطة أنك لا تهجم على مريض بما لم تعلم ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل إلّا لما قرب من الأمراض . قال الشيخ : هذا مذهبي مذ كنت ؟ ما تعديت السكنجبين والجلاب ، وانصرف . فلما كان من غد أحضر إليه غلام شاب حسن البزّة مليح الوجه ذكيّ فنظر إليه سنان وقال له :

على من قرأت ؟

قال : على أبي ،

قال : ومن أبوك ؟

قال : الشيخ الذي كان عندك بالأمس .

قال : نِعْم الشيخ — وأنت على مذهبه ؟

١) يذكر ابن أبي أصيبعة اسم « ابراهيم بن احمد بن بطحا » (جـ ١ ص ٢٢٢ س ١٩)

٢) هو « سنان بن ثابت » (توفي في غرة ذي القعدة سنة ٣٣١) . انظر الفهرست ص ٣٠٢ س ٢٠–٢٣ ؛ ابن القفطي ص ١٩٠ س ١٧–١٩١ س ١ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٢١ س ٢–٣

قال : نعم .

قال : لا تتجاوزه ، وانصرف مصاحباً»[١].

وقد ترجم بعض علماء الغرب هذا القول على أنه صورة لطريقة تأهيل الاطباء في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)»[٢]. لذلك كان واجباً علينا أنْ نلم بالقيم الطبيّة التي كان يراها اطباء ذلك العصر لازمة لكل من أراد أنْ يمارس الطب . ويسرنا أنْ نذكر أننا عثرنا بين ثنايا المخطوطات على نص ذي قيمة علمية نادرة لكتاب « محنة الطبيب » للرازي ، ونبادر بنشره لأول مرة في هذا الكتاب، لا سيا وأنّ مكتباتنا تفتقر إلى هذا النوع من التأليف. فلم نر واحداً من العلماء قد قام بتحقيق ونشر أي كتاب من كتب أسلافنا في المحنة . ومما يرفع من شأن كتاب الرازي في « محنة الطبيب » أنه يشتمل على مقتطفات من كتب جالينوس ، ويوحنا بن ماسويه في هذا الفن .

إنّ المستوى الذي كان يتطلبه الرازي لرفع شأن مهنة الطب يلقي ضوءا ساطعاً على كفايته العلمية الخاصة ، وعلى مقدرة الاطباء في عصره بوجه عام ، وينفي أيضاً تلك الصورة المشوهة التي كتبها ابن القفطي عن كيفية إجراء الامتحان .

ثالثاً : المخطوطات وطريقة تحقيق النص

تنقسم المخطوطات التي اخترنا منها النصوص لمادة هذا الكتاب إلى قسمين: مخطوطات كتاب « المنصوري في الطب » للرازي ، ومخطوطات كتاب « محنة الطبيب » . اما مخطوطات كتاب « المنصوري » فكثيرة متعددة ، ومبعثرة في دور الكتب بأنحاء العالم ، فمنها مثلاً المخطوطان رقم or. 1512 ; or. 1701 بمكتبة الجامعة بكيمبردج ، والمخطوطان رقم Marsh 248; Hunt. Donat. 31. بمكتبة بوردليانا بأكسفورد ، والمخطوط ١٢٠٥ ب بمكتبة البلدية بالاسكندرية ،

١) ابن القفطي ص ١٩١ س ٣-١٢٩ س ٣

٢) نكتفي بالاشارة إلى ترجمة E. G. Browne, *Arabian Medicine*, op. cit., pp. 40-41.

والمخطوط ١٢٩ طب تيمورية بدار الكتب المصرية ، والمخطوطات الموصلية رقم ١٥٩ بالمكتبة الاحمدية ، ورقم ١٢١ بالمكتبة الحسينية ، ورقم ١٧٧ بمكتبة يحيى باشا. وقد انتخبنا من هذا الكتاب نصين لهما اتصال وثيق بمحنة الطبيب ؛ فالنص الاول « في مخاريق المشائين » — أي أدعياء الطب ، يظهر في نهاية المقال السابع من الكتاب « المنصوري » ، والثاني مقال موجز « في محنة الطبيب » — يختتم به الرازي الجزء الرابع من الكتاب نفسه . واعتمدنا في تحقيق هذين النصين على اربعة مخطوطات or. 1512 ، or. 1701 ، ١٢٩ طب تيمورية ، و ١٢٠٥ ب الاسكندرية ، وذلك بعد ان قررنا استبعاد المخطوط رقم Marsh 248 لرداءته ، ولعدم احتوائه إلا على جزء من الكتاب — من المقال السابع إلى العاشر — والمخطوط Hunt. Donat. 31 لانه لا يحوي إلا أجزاء من المقال السابع .

والمخطوط رقم or. 1512 هو أقدم المخطوطات التي اعتمدنا عليها ، فتاريخه يصعد الى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، ومما يزيد في قيمة المخطوط ١٢٠٥ ب الاسكندرية أنّ ناسخه طبيب ، ولكنا لم نتخذ اي مخطوط اساساً لتحقيق النصين ، بل آثرنا في نشرنا هذا طريقة النص المختار ، فقارنا بين القراءات المختلفة واخترنا الكلمات التي تؤدي الى استقامة المعنى ، واثبتنا الكلمات المختلفة عن النص المختار في الهامش .

اما نص كتاب « محنة الطبيب » للرازي فقد حققناه من مخطوطين اثنين : احدهما في مكتبة بودليانا بأكسفورد رقم Bod. or. 561 ، وقد عثرنا على هذا النص ضمن المذكرات الخاصة للرازي المشهورة باسم « الحاوي في الطب ». ويظهر أنّ ذلك النص كان بمثابة مسودات لكتاب « محنة الطبيب » — ذلك الكتاب الذي لم نجد واحداً من فهارس المخطوطات بمكتبات العالم قد أشار إلى أية مخطوطات له .

والذي حدا بنا إلى هذا الاقتراح أنّ الرازي يبدأ في كتابه عن « محنة الطبيب » — على ما يظهر في ذلك النص — بجمع مقتطفات من كتب الاطباء الاقدمين والمعاصرين له — ثم يثبت بعد ذلك رأيه الخاص في المحنة ، ويختتم الكتاب بمقتطفات من كتب لبقراط . وليس في سياق النص أي نظام

رتيب يدل على أنّ الكتاب كامل ومعد للنشر ؛ بل إنّ فيه جملا تفيد بأن الكتاب لم يكتمل التأليف ، ولم يصل به كاتبه إلى المستوى الذي يرتضيه . فمثلا يقول في وصف المقالة الاولى لكتاب « أيام البحران » لجالينوس :

« واستمن بهذه المقالة ، فانّ فيها اشيا. يجب أن يُستعان بها »[١]. وكذلك نراه يعدد في صورة مذكرات خاصة عناوين لما تبقى من كتاب «محنة الطبيب» لجالينوس ؛ يعدد نقطاً لم ير كتابتها في هذه المذكرات الخاصة ، واكتفى بالتنويه عنها ، فيقول: باقي « محنة الطبيب » : خلقه ، وزيه ، وسائر ما يحتاج إليه الطبيب وان يكون عليه ، وسيرته في معاملته للناس[٢] .

كما أنه لا توجد مقدمة تفيد بالغرض من تأليف الكتاب ، ولا خاتمة توضح أنّ المؤلف قد انتهى من إثبات ما قصد ذكره ؛ وذلك يخالف ما نعرفه عن طريقة الرازي في تواليفه العديدة ، وما يتضح من قراءة مخطوطات كتبه التي وصلتنا . اما المخطوط الثاني رقم Add. 3516 بمكتبة الجامعة بكيمبردج ، فلم نعثر فيه سوى على رأي الرازي في المحنة ، دون أى ثبت لآراء الاطباء الآخرين. وهذا المخطوط يحوي عددًا من الكتب الطبية للرازي ، فمنها كتاب « القولنج » ، وكتاب « الباه » ، وكتاب « اوجاع المفاصل » ، وينتهي المخطوط بكتاب « محنة الطبيب » .

ولما كان كتاب جالينوس « في المحنة التي يُعرف بها أفاضل الاطباء » — وهو المخطوط المحفوظ بمكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ٣٨١٣ ج — مرجعاً اقتبس منه الرازى مقتطفات في كتابه « في محنة الطبيب وتعيينه » ، رأينا ان نرد النصوص التي اقتبسها الرازى الى اصولها في كتاب جالينوس ، واثبتنا ذلك في ذيل الكتاب ، ص (٥١٤—٥١٧).

وفي تحقيق نص « محنة الطبيب » اتبعنا ايضاً طريقة النص المختار ، وذلك في تحقيق جزء النص الذى يشتمل على كلام الرازى .

والنسخ التي كانت تحت أيدينا وقت تحقيق النصوص هي النسخ التالية ، وقد رمزنا إليها بحروف : ،

١) ص ٥٠٤ فيما يلي .

٢) ص ٥٠٦ فيما يلي .

كتاب « المنصوري في الطب » :

أ – Or. 1512 ، مكتبة الجامعة بكيمبردج ،
ب – Or. 1701 ، مكتبة الجامعة بكيمبردج ،
ج – تيمورية ١٢٩ طب ، دار الكتب المصرية ،
د – ١٢٠٥ ب ، مكتبة البلدية بالاسكندرية .

كتاب « محنة الطبيب » :

هـ – Bod. Or. 561 ، مكتبة بودليانا بأكسفورد ،
و – Add. 3516 ، مكتبة الجامعة بكيمبردج .

وصف المخطوطات

أ – Or. 1512 :

٢٠٠ ورقة ؛ ٢٧ × ١٩ سم (٢١ ١/٢ × ١٥) ، (٢١ × ١٤ ١/٢) ؛ ٢٥–٢٧ سطرًا ثم ١٥–١٩ سطرًا ؛ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ (في ورق ٢٠٠ وجه) ؛ عشر مقالات ؛ ناسخان : الاول ورق ١–٣٩ ثم ورق ١٩٦ وجه – ٢٠٠ ظهر ، والثاني ورق ٤٠ وجه – ١٦٨ ظهر ؛ بين ورقتي ١٨، ١٩ توجد الاوراق ٤١–٤٨ مقلوبة الوضع .

ب – Or. 1701 :

٢٧٥ ورقة ؛ ٢٢ × ١٢ ١/٢ (١٥ × ٧) ؛ ١٥ سطرًا ؛ محرم سنة ١١٥٩ (في ورق ٢٧٥ ظهر) ؛ عشر مقالات ، نسخي جميل ؛ مستورد من حضرموت (في ورق ١ وجه) ؛ ١٣٦٧ هـ تاريخ تمليك (في ورق ٢٧٥ ظهر) .

ج – ١٢٩ طب تيمورية :

١٦٨ ورقة ؛ ١٩ ١/٢ × ١٥ (١٥ ١/٢ × ١٠) ؛ ٢٣ سطرًا ؛ اواخر شعبان سنة ١١٤٧ (في ص ٣٣٦) ؛ عشر مقالات ؛ نسخي ؛ الترقيم صفحات وليس أوراقًا .

د – ١٢٠٥ ب الاسكندرية :

١٦٧ ورقة؛ ٢٩ × ٢٢ ١/٢ (٢٠ ١/٢ × ١٤) ؛ ١٨ سطرًا ؛ الثلاثاء ٢٣ من رجب سنة ٨٩١ ؛ عشر مقالات ؛ نسخة المتطب المازندراني حسام بن أشمس الدين الخطيبي الحسيني المعروف باسم سيد خطابي المنجم في بلدة الازرنة من بلاد اليونان .

هـ – Bod. Or. 561 :

فيه جزءان من كتاب الجامع للرازي وهما : كتاب حل الرموز ، وكتاب المكاييل والموازين ، ثم كتاب محنة الطبيب للرازي ، ثم أجزاء من مذكرات الرازي الخاصة المسماة « الحاوي » . ٢٧٢ ورقة ؛ ٣٥ ½ × ١٨ (١٩ × ١٣) ؛ ١٩ سطراً ؛ غير مؤرخ . وعلى الارجح يصعد تاريخه الى القرن الثامن الهجري ، تاريخ تمليك ١٠٧٧ هـ (يظهر في ورق ١ وجه) ؛ غير منقوط والخط واضح ؛ تاريخ التمليك بقلم سليمان بن يوسف الحسين .

و – Add. 3516 :

مجموعة من كتب الرازي ضمن مجموعة طبية . يقع كتاب « محنة الطبيب » في ورق ٢٢٦ وجه – ورق ٢٢٥ ظهر . ٣٤ × ١٩ (٢١ ½ + ١٥) ؛ ٢٥ سطراً ؛ غير مؤرخ ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري .

مخطوط رقم ٣٨١٣ ج – مكتبة البلدية بالاسكندرية :

فيه كتاب جالينوس « في المحنة التي يُعرف بها افاضل الاطباء » ؛ ترقيم انجليزي من ١ الى ١٦ ، ثم ترقيم عربي من ١ الى ٤٤ ؛ الترقيم صفحات وليس ورق ؛ ٢٢ + ١٦ (١٥ ½ + ٩ ½) ؛ ١٨ سطراً (ما عدا ص ٣ ترقيم انجليزي ، ففيها ١٩ سطراً) ؛ ٢٦ آيار سنة ١٧٥١ م ؛ الخط نسخي واضح ؛ المخطوط مصحح بخط الناسخ نفسه ، وفيها شطب .

الباب الثاني

أدعياء الطب في وقت الرازي

قبل أن نقدم للقارئ نصّ كتاب « محنة الطبيب » ، نمهد له بنبذة ونقدم نصاً من أحد كتب الرازي يبيّن العقبات التي كان يلقاها كلّ مَنْ مارس صناعة الطب عن جدارة واستحقاق في ذلك الوقت. ننشر هذا النص عن أدعياء الطب باللغة العربية لاول مرة ، ولو أنه قد سبق نشر ترجمة له باللغة الانجليزية ، منقولة عن التراجم اللاتينية[1]. ويحوي ذلك النص معلومات طريفة عن الدخلاء.

١) انظر : J. Freind, *The History of Physick*, op. cit., II, 65-69 ; W. A. Greenhill, *A Treatise on the Small-Pox and Measles*, The Sydenham Society, London, 1848, pp. 80-82.

على مهنة الطب، ويظهر من قراءتها أنّ الطبيب الحاذق قد عانى الأمرّين من أدعياء الطب في العصر الوسيط، وقت انعدام أية رقابة تنظم وترعى أحوال الطبيب والمريض على السواء. وقد كانت ظروف التطبيب قاسية، فكان من العسير على الطبيب أن يسلك دائماً الطريق الذي يراه صواباً في العلاج. ولا بدّ أنّ انتشار أدعياء الطب – الذين كانوا يوهمون المرضى بمقدرتهم على شفائهم في الحال بانتزاع أسباب المرض من ابدانهم – كان مما يعقد المهنة ويعرقل أعمال الطبيب ويزيدها صعوبة. وقد استغل هؤلاء الافاقون جهل المرضى وأوهموهم بمقدرتهم في العلاج بما كانوا يقومون به من اساليب الدجل، مظهرين بذلك مواهب خداعة. وقد كان العامة – والحال كذلك – يؤمنون بامكان البرء العاجل، وربما رأى الرازي تأليف كتابه: «برء الساعة»[1]، ليظهر مواهبه في هذا الميدان، وليبيّن للعامة أنّ عدداً من الامراض – وليست كلها – يمكن برؤها في ساعات. هذا وكان جهل العامة عاملاً – إلى حد ما – في تحديد طريق العلاج الذي يسلكه الطبيب؛ ففي قصة من قصص المرضى اعترف الرازي بأنه امتنع عن فصد مريض كان على شفا الموت لعدم وجود طبيب آخر وقت العلاج ليؤيده في ضرورة الفصد[2]، في حضور جمهور من أقارب ذلك المريض وأصدقائه. ويقول الرازي في هذه القصة إنه في اليوم الثالث من أيام المرض تردد عن فصد المريض، ثم إنه خدش أنفه من الداخل، ليسيل قليل من الدم، وذلك خوفاً من بطش ذلك الجمع الكبير الذي كان ملتفاً حول المريض.[3] ويكرر الرازي انه حينما تدهورت صحة المريض لم يجرؤ على خدش الانف

١) نشر هذا الكتاب ب. جيج في مجلة المشرق عدد ٩ سنة ١٩٠٣ ص ٣٩٥–٤٠٢. انظر أيضاً:

P. Guiges, «La guérison en une heure de Rhazès», *Janus Archives Internationales pour l'Hisioire de la Médecine et la Géographie Médicale*, 1903, pp. 363-70 ; 411-18 ; id., «La guérison en une heure de Rhazès», texte arabe avec notes, Beyrouth. 1903.

٢) انظر مخطوط Marsh 156 مكتبة بودليانا بأكسفورد ورق ٢٤٠ ظهر س ١٢

٣) نفس المصدر ورق ٢٤٠ ظهر س ٥

خوفاً من « العامة والرعاع »[١] . ويصرّح بأن العلاج الوحيد السليم العاقبة الذي كان ممكناً أن يطرقه ، لم يكن إلّا سقي العليل ماء الشعير[٢] . ولولا أقارب المريض وأصدقاؤه المجتمعون حوله ، لتمكن الرازي من علاج المريض بالطريق الذي يراه صواباً ، وربّما نجّاه من الهلاك . ولكن الرازي في اختياره طريق العلاج كان دون شك يحاول جهده تفادي العواقب الوخيمة التي قد تنجم عن موت المريض بين يديه .

وفي النص التالي ، وهو مأخوذ من كتاب « المنصوري في الطب »[٣] ، يبرز لنا المؤلف صورة حيّة لانواع من حيل أدعياء الطب في زمانه ، فنراه يحذر العامة من هؤلاء المحتالين الذين يضرون المرضى بعلاجاتهم الخاطئة ، ولا يأتون إلّا الحيل والألاعيب . ويكشف عن عدد غير قليل من حيلهم الكثيرة ، مؤملاً أن يضيء الطريق ، ومحذِّرًا من الوقوع في حبائل هؤلاء الدجالين ، والى القارئ مقال الرازي في حيل أدعياء الطب .

« في مخاريق المشاتين »[٤]

« إن مخاريق[٥] هؤلاء[٦] كثيرة ، يضيق عن ذكرها كتابنا هذا[٧] بأسره ،

١) نفس المصدر ورق ٢٦٠ ظهر س ١١–١٢

٢) يمكن الاطلاع على هذه القصة ، وعلى ترجمة انجليزية في مقال :
M. Meyerhof, «Thirty-Three Clinical Observations by Rhazes (circa 900 A.D.)», *Isis*, XIII (1935) 321 foll.

٣) جاء ذكر هذا الكتاب في كل من : الفهرست ص ٣٠٠ س ٣–٤ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٨) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ١–٢ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٧ س ١٧

٤) مخاريق المشاتين : محاريق البابين أ ؛ مخاريق المائين ب ؛ مخاريق المايبين ج ؛ مخاريق المشانين في هذا د .

تعليق : المشاتين ، أي أدعياء الطب .

انظر : R. Dozy, Supplément aux Dictionnaires Arabes, deuxième éd., Leide et Paris, 1927, II, 594.

وراجع أيضاً : Zeitschrift für die kunde des Morgenlandes, XX,506 - 7.

٥) مخاريق : تخاريق ج .

٦) هؤلاء : هاولى أ ؛ هاولاء د .   ٧) هذا : ساقطة من ج .

وجرأتهم[١] واستحلالهم[٢] تعذيب[٣] الناس[٤] باطلاً في الغاية التي لا وراءها غاية[٥]. فان منهم من يزعم[٦] أنه يبرئ[٧] من الصرع ، بأنْ يشق وسط[٨] الرأس شقاً صليبياً[٩] ، ثم[١٠] يخرج[١١] أشياء قد أعدها معه ، يوهم بخفته وتمويهه[١٢] أنه[١٣] أخرجها من ذلك الشق . ومنهم من يوهم أنه يخرج من الانف سام أبرص ، فيدخل في أنف[١٤] المعالج الشقي خلالة[١٥] أو حديدة ، ويحكه[١٦] حتى يدميه ، ثم يشيل من هناك أشياء قد أعدها[١٧] معه على شكل هذه الدابة ، متخذة[١٨] من عروق[١٩] الكبد[٢٠] . ومنهم من يوهم أنه يرفع البياض من العين رفعاً[٢١] ،

---

١) جرأتهم : جرءتهم جـ ؛ كونهم د .
٢) استحلالهم : استحلاهم د .
٣) تعذيب : تعذيباً د .
٤) الناس : ساقطة من ب ؛ لناس د .
٥) لا وراءها غاية : لا وراء لها ب ، جـ ؛ لا وراء لها ولا منتهى د .
٦) يزعم : زعم جـ .
٧) يبرئ : يبرأ د .
٨) وسط : وصط يافوخ د .
٩) صليبياً : اصليباً جـ ؛ ثم صليبياً د .
١٠) ثم : ثم انه أ .
١١) يخرج : ساقطة من د .
١٢) تمويهه : تنويره ب ؛ تنوره جـ ، ساقطة من د .
١٣) أنه : أنه إنما أ ، د ؛ ساقطة من جـ .
١٤) أنف : الانف أ .
١٥) خلالة : ذلك أو يدخل خلالة ب .
١٦) ويحكه : يحكه أ .
١٧) أشياء قد أعدها : شيئاً قد أعده د .
١٨) متخذة : متخذ جـ ، متخذاً د .
١٩) عروق : عرق جـ .
٢٠) الكبد : الكبد أو الرية ب .
٢١) رفعاً : رفعاً سريعاً وفعل ب ؛ رفعاً شديداً د .

فيدخل في العين حديدة ينكأها[١] ، ثم يدس[٢] فيها غشاء رقيقاً ، ويخرجه من هناك . ومنهم من يوهم أنه يمص الماء من الاذن[٣] ، فيضع عليها أنبوبة[٤] ، ويرسل من فمه[٥] شيئاً فيها[٦] ، ثم يمصه[٧] . ومنهم من يدس الدود المتولد[٨] في الجبن في الاذن ، وفي[٩] أصول الاضراس ، ثم يخرجه[١٠] من هناك . ومنهم من يوهم أنه يخرج الضفدع من تحت اللسان ، فيجرح ويشق[١١] هناك شقاً ثم يدس فيه غدة و[١٢] يخرجها منه[١٣] . وأما[١٤] دسهم العظام في القروح[١٥] وتركهم لها فيها أياماً[١٦] ، فما أكثر ما يفعلونه[١٧] وربما أخرجوا من المثانة حصاة ويدبرون هناك أخرى ، ويوهمون أنهم يخرجونها من هناك[١٨] . وربما لم يستيقنوا[١٩] عند

---

١) ينكأها : سكاها ب ؛ وينكأها ج .

٢) يدس : يدخل ويدس ج .

٣) يمص الماء من الاذن : يمتص من الاذن الماء ج ، د .

٤) أنبوبة : أنبوبا أ .

٥) من فمه : من فيه ج ؛ ساقطة من د .

٦) شيئاً فيها : فيها شيئا ب ؛ شيئا ج ، د .

٧) يمصه : يمتصه د .

٨) المتولد : المتوالد ج .

٩) في : ساقطة من د .

١٠) يخرجه : يخرجها ج .

١١) فيجرح ويشق : فيشق أ ، د .

١٢) غدة و : عددة و ج ، غدة ثم د

١٣) منه : منها ب .

١٤) أما : فأما ب ، د .

١٥) القروح : الجرحات والقروح د

١٦) فيها اياما : فيه ج .

١٧) ما يفعلونه : ما يفعلون ذلك أ .

١٨) وربما . . . هناك : وربما أخرجوا حصاة ونورد (كذا) بأخرى يوهمون انهم اخرجوها من هناك ب ؛ وربما اخرجوا حصاة يوهمون انهم اخرجوها من هناك ج ؛ وربما اخرجوا حصاة بوزن واحدة واخرى يوهمون انهم اخرجوها من هناك د .

١٩) لم يستيقنوا : لم يستحقوا ب ، ج .

جس[١] المثانة ، أنّ فيها حصاة ، فأقدموا[٢] على شقها جرأة[٣] واستحلالاً وقلة مبالاة[٤] ، ثم يدخلون الاصبع من[٥] الشق ، فان أصابوا[٦] حصاة أخرجوها[٧] ، وإنْ لم يكن هناك حصاة دسوا فيها حصاة[٨] ثم أخرجوها . وأما قطعهم لحم المقعدة على أنّ فيها بواسير[٩] ، فشيء لا يزالون يفعلونه ، ويولدون على الناس بذلك[١٠] قروحاً ونواصير[١١] بالحقيقة . ومنهم من يزعم[١٢] أنه يخرج الخام[١٣] من الذكر أو من مواضع أخر[١٤] من الجسد فيشرط الموضع[١٥] أو يضع على رأس الذكر أنبوبة[١٦] ، أو على ذلك الموضع[١٧] ثم يمصها مرات[١٨] ويرسل[١٩] من

١) جس : جسهم ج .

٢) فأقدموا : فيقدمون أ .

٣) جرأة : جرة أ ؛ جراءة ب ؛ جرءة ج .

٤) مبالاة : مبالات ج ؛ أمانة د .

٥) من : في ج ، د .

٦) أصابوا : أصابوا هناك أ .

٧) أخرجوها : وأخرجوها منه د .

٨) دسوا فيها حصاة : دسوا حصاة أ ؛ دفنوا حصاة ج ؛ سووا فيها حصاة د .

٩) بواسير : بواسيرا أ .

١٠) ويولدون على الناس بذلك : ويولدون بذلك على الناس ب ؛ ويولدون على الناس ج ؛ ويتولدون على الناس بذلك د .

١١) نواصير : بواسير ب .

١٢) يزعم : يوهم ب .

١٣) الخام : الخامة : أ.

١٤) من الذكر أو من مواضع أخر : من الورك والذكر ومن مواضع أخر أ ؛ من الذكر ومن مواضع أخر ج ؛ من الذكر ومن موضع آخر د .

١٥) فيشرط الموضع : مشرط الورك أ ؛ فيشرط ب .

١٦) أو يضع ... أنبوبة : أو يضع عليه أو على رأس الذكر أنبوبة أ .

١٧) أو على ذلك الموضع : ساقطة من أ .

١٨) مرات : ساقطة من ب .

١٩) ويرسل : ثم يرسل ب ، ج.

فم[1] فيها[2] شيئاً ، ويصبه[3] من هناك في الطست . ومنهم من يزعم[4] أنه يجمع الداء[5] إلى[6] موضع واحد[7] من الجسد ثم يخرجه[8] من هناك ، فيدلك ذلك الموضع بالكبيكج[9] ، فيهيج فيه[10] حكة شديدة ، ثم يسأل[11] أجره على إخراجه[12] ذلك الداء من ذلك الموضع[13] ، وإذا أعطاه[14] مسحه[15] بالدهن سكنت الحكة[16] . ومنهم من يوهم[17] ان الانسان قد سقي الشعر والزجاج فيأخذ ريشة ويقيئه بها[18] ويدس[19] ذلك في حلقه ثم يخرجه منه ، إلى أشياء كثيرة[20] من هذا الجنس يعملونها[21] ، يعظم ضرورها على الناس[22] وربما اتلفوهم

١) فم : فيه ج .
٢) فيها : ساقطة من أ .
٣) يصبه : يصب ج .
٤) يزعم : يوهم د .
٥) الداء : الدواء د .
٦) الى : في ب .
٧) واحد : ساقطة من ب .
٨) ثم يخرجه : ثم يخرج ب .
٩) ذلك الموضع بالكبيكج : به الموضع بالكبيكج ج .
١٠) فيه : به ج .
١١) يسأل : يسئل أ ، ج .
١٢) اخراجه : اخراجه زعم ج .
١٣) ذلك ... الموضع : زعم من ذلك الموضع د .
١٤) واذا أعطاه : واذا أعطا أ ؛ فاذا أعطيه ب ؛ واذا أخذ أجرته ج .
١٥) مسحه : مسح عليه ج .
١٦) سكنت الحكة : فسكنت حركته أ ؛ فسكن الحكة ب ؛ فتكن الحكة ج .
١٧) من يوهم : ساقطة من ب .
١٨) ويقيئه بها : ويقيئه أ ، ب ، ج
١٩) يدس : يدخل أ .
٢٠) يخرجه ... كثيرة : يخرج منه اشياء كثيرة أ ، ج .
٢١) يعملونها : يفعلونها .
٢٢) يعظم ... الناس : وربما عظم ضررها على الناس ب .

بها[١]، وانا تخفى[٢] على العقلاء اذا استرسلوا في ايديهم[٣]، وتهاونوا، ولم يظنوا بهم سوءا[٤] ولم يتهموهم[٥]، فأما إذا استقصى تفقدهم بأعين كثيرة[٦] متهمة لهم، ظهر كذبهم وبأن باطلهم[٧] وليس ينبغي أن يوخذ[٨] من الادوية التي يعطونها[٩]، فانها[١٠] قد أتلفت خلقاً كثيراً»[١١] .

الباب الثالث

صفات الطبيب الفاضل ، ومحنة الطبيب

لم يكتف الرازي بكشف حيل المخادعين، بل كتب مقالات ليبني الاسس التي بها يميز بين أفاضل الاطباء وأخسائهم. واراد ايضاً ان يضع القواعد الثابتة ويحدد المستوى العلمي الذي يتعين على الطبيب بلوغه قبل ممارسته الطب، كما انه لم يغفل ذكر صفات الطبيب الفاضل الذي يليق بأعلى المناصب الطبية، كادارة المستشفيات الكبيرة، ورسم السياسة الطبية .

---

١) وربما أتلفوهم بها : فأتلفوهم ب ؛ وربما أتلفوهم بهذا ج ؛ أتلفوا أتلفوا بها د .

٢) تخفى : بخفا أ .

٣) في أيديهم : ساقطة من ب ، ج ، د .

٤) سوءا : شرا أ ، د ؛ سواء ب .

٥) يتهموهم : يتوهموهم ج ؛ يتهموا آراءهم د .

٦) كثيرة : كثير ب .

٧) متهمة ... باطلهم : متهمة لهم ظهر على كذبهم وتمويههم ب ؛ راكنين اليهم وحدهم متهمين وظهر لهم كذبهم وتمويههم ج ؛ متهمة لهم ظهر على كذبهم د .

٨) أن يوخذ : أن يسترسل في أيديهم ولا يوخذ أ .

٩) يعطونها : ينطسونها ج .

١٠) فانها : لانها د .

١١) مخطوط أ : ٩٦ ظهر س ٦-٩٧ ظهر س ١٠ ؛
مخطوط ب : ١٥٧ وجه س ٨-١٥٨ وجه س ١١ ؛
مخطوط ج : ص ١٩٣ س ١-١٩٤ س ٥ ؛
مخطوط د : ص ١٩٥ س ١٥-١٩٧ س ٥ .

أولاً : مقال مختصر في محنة الطبيب

في كتاب « المنصوري » يعالج الرازي موضوع محنة الطبيب بشيء من الإيجاز ، فنجده يمدح الطبيب المستغرق في مهنته الذي يقرأ الكتب ويداوم على الاطلاع ، ويمتدح الطبيب الذي يقرأ في وقت الفراغ ايضاً. ثم يحدد مستوى عقلياً لاختيار من يليق بدراسة الطب فيجب أنْ يتوفر لطالب الطب ان يقرأ الكتب ويفهم مكنوناتها ، واما الذين لا يفهمون ما يطالعونه فلم يبلغوا المستوى الذي يؤهلهم لدراسة الطب .

ويجب أنْ يكون الطبيب قادراً على البحث في الكتب ، دائم الاتصال بالفلاسفة والمفكرين. وكل هذه الصفات لازمة حتى يتمكن الطبيب من الجزء النظري في الطب — والجزء النظري هو الاساس ، لا في مهنة الطب وحدها بل في جميع المهن على حد سواء . والطبيب الفاضل هو الذي يكون مبرّزاً في كلا الجزئين النظري والعملي. وقد يمكن التسامح مع الطبيب اذا كان مقصراً في الجزء العملي ، ولكنه يقول: ان من عدم تعاليم الاطباء الأولين ولم يعرف ما جاء في كتبهم ما استحق ان يمارس الطب — لان في دراسة كتب الاقدمين تحصيل لمجهودات ألوف من الاطباء اجتهدوا ألوفاً من السنين ، فيصبح الطبيب كأنه قد عمّر كل تلك السنين وسعى كل تلك السمايات. ويعود الرازي فيؤكد ان ممارسة الصنعة هي خير معين لاكتساب الخبرة والمهارة ويثق في خبرة الطبيب الذي يعالج المرضى في المدن الكبيرة المزدحمة بالسكان والموبوءة بالامراض .

ولا يغفل في مقاله الجانب الانساني من الطب ، فيمتدح الطبيب الذي يسعد بتخفيف آلام المرضى .

والآتي نص مقال الرازي في محنة الطبيب ، كما وصفها في كتابه المنصوري ، ننشره باللغة العربية لاول مرّة ، ونشير الى انه سبق ترجمته الى الانجليزية عن اللغة اللاتينية[1].

(١) انظر : J. Friend, *The History of Physick*, op. cit., II, 60-64 ; W. A. Greenhill, *A Treatise on the Small-pox and Measles'*, op. cit., pp. 78-80.

« في محنة الطبيب »

«ينبغي أن يُنظر فياذا[١] أفنى[٢] الطبيب[٣] ما مضى من زمانه[٤]، وما همته اذا انفرد[٥] وخلا[٦]. فان كان أفنى[٧] دهره بتصفح كتب الأطباء والطبيعيين، وكانت[٨] همته اذا خلا[٩] النظر فيها، فليحسن الظن به[١٠]؛ وان[١١] كان انما أفنى ما مضى من عمره[١٢] في شيء غير ما ذكرنا[١٣]، وكانت همته اذا خلا[١٤] الاشتغال باللهو والشراب ونحو ذلك[١٥]، فليسئ الظن به[١٦]. ومَنْ كان يدمن النظر في الكتب[١٧]، فينبغي ايضاً أن يُنظر في[١٨] مقدار عقله وفطنته، وهل[١٩]

---

١) فياذا : في ماذا ب د ؛ فيما اذا جـ .
٢) أفنى : أفنا ب ، د .
٣) الطبيب : المتطبب د .
٤) ما مضى من زمانه : ماضي زمانه ب ، د ؛ أيامه جـ .
٥) انفرد : تفرد جـ .
٦) وخلا : وحده د .
٧) فان كان أفنى : فان أفنا د .
٨) كانت : كان أ .
٩) خلا : خل ب .
١٠) الظن به : به الظن جـ .
١١) وان : فان جـ .
١٢) ما مضى من عمره : عمره أ ؛ ما مضى عمره ب .
١٣) في شيء غير ما ذكرنا : في غير ذلك أ .
١٤) خلا : الا أن اذا خلى ب ؛ اذا أخلا النظر فيها و جـ ؛ الآن اذا خلا د .
١٥) نحو ذلك : نحوها ب ؛ نحوها جـ ، د .
١٦) فليسئ الظن به : فليساء الظن به أ ؛ فليساء الظن ب ؛ فليسوء به الظن جـ ، د .
١٧) يدمن ... الكتب : منهم ينظر في الكتب أ .
١٨) في : الى أ .
١٩) وهل : هل ب .

جالس المتكلمين والمتناظرين[١] ، وهل له قوة في البحث والنظر أم لا[٢] . فان كان قد أطال صحبة هؤلاء القوم[٣] ، واكتسب[٤] منهم حظًا من القوة على البحث والنظر[٥] ، فينبغي ان يُنظر أهو ممن يفهم ما يقرأ أو بالضد[٦] ؛ واذا كان ممن يقرأ الكتب ويفهمها[٧] ، فينبغي أن يُنظر هل شاهد المرضى[٨] وقلّبهم ، وهل كان ذلك[٩] منه في المواضع المشهورة بكثرة الأطباء.[١٠] (١٠٠ وجه) والمرضى ، أم لا ؟ فمن اجتمعت له هاتان الخلتان[١١] ، فهو فاضل[١٢] ؛ فأما من نقصته[١٣] احداهما[١٤] ، فلأن يكون النقصان في المشاهدة خير[١٥] بعد ان لا[١٦]

١) المتناظرين : الناظرين ب ؛ المناظرين ج .

٢) وهل له . . . أم لا : وهل له نظر في كتب المتفلسفين وهل له قوة في البحث والنظر أم لا ب ؛ وهل قوله في البحث والنظر أم لا ج .

٣) فان كان . . . القوم : فان كان قد أطال صحبتهم أ ؛ فان كان قد أطال صحبته هؤلاء القوم ب ؛ وان كان قد طالت صحبته هؤلاء القوم ج ؛ فان كان أطال صحبة هؤلاء القوم د .

٤) واكتسب : فأكتسب أ ؛ واكتسبه د .

٥) والنظر : ساقطة من ج .

٦) أهو ممن . . . أو بالضد : ساقطة من أ ؛
أهو ممن يفهم مما يقرو أو بالضد ب ؛
هل هو من يفهم ما يقرأ أو بالضد ج ؛
هل هو ممن يفهم ما يقرأ أو بالضد د .

٧) واذا كان . . . ويفهمها : ساقطة من أ ؛ فاذا كان مما يقرأ الكتب ويفهمها ج .

٨) و : أو أ .

٩) ذلك : ذاك ب ، د .

١٠) بكثرة الاطباء : بكثرة من الاطباء ب .

١١) الخلتان : الخصلتان ب .

١٢) فهو فاضل : فهو عالم فاضل أ .

١٣) نقصته : يقصد ج .

١٤) احداهما : احدهن أ ؛ احدهما ب ، د .

١٥) فلأن . . . خير : فلأن يكون النقصان في المشاهدة أ ؛ فلا يكون النقصان في المشاهدة د .

١٦) ان لا : الا ج .

يكون لها عديما البتة[١] بل يكون معه صدر منها أصلح من أن يكون عادما لما في كتب الاوائل من العلم[٢] . الا ان بقليل[٣] المشاهدة والنظر يبلغ من[٤] قد عرف ما في الكتب[٥] وتصورها ما لا يبلغ كثير[٦] ممن[٧] لم يعرف ما في[٨] الكتب ولم يتصورها[٩] . فأما[١٠] من تعاطى[١١] هذه الصناعة ، وكان[١٢] أميا أو عاميا ، لا يفهم الكلام ولم يجالس أهله ، فلا[١٣] ينبغي أن يوثق[١٤] بمعرفته ، بل لا ينبغي[١٥] أن يظن أن[١٦] عنده خيرا[١٧] ، لان هذه صناعة لا يكن الانسان

---

١) لها عديما البتة : عديمها البتة ب ؛ عديما لها البتة د .

٢) بل يكون . . . العلم : بل معه منها صدر صالح من ان يكون في تعلم ما في كتب الاوائل ب ؛ يكون عديما لما في كتب الاوائل من العلم ج ، بل معه منها صدر أصلح من ان يكون ممن يعلم مما في كتب الاوائل د .

٣) الا ان بقليل : لان قليل أ ، ج ، لان بقليل د .

٤) مَن : بِن أ ، لمن د .

٥) الكتب : كتب الاوائل ج .

٦) كثير : بكثيرها من العلم ب ، بكثيرة د .

٧) ممن : من ب ، ج ، د .

٨) ما في : ساقطة من أ .

٩) (ولم يكن حاله في نفسه هذه حال لكنه قد يستحب ممن حالته هذه صحبة طويلة وان كان تعليمه في المواضع المشهورة بكثرة الاطباء والامراض) : زائدة في د .

١٠) فأما : وأما أ .

١١) تعاطى : كان متعاطى ب ، ج ؛ كان من تعاطى د .

١٢) وكان : ساقطة من ب ، ج ، د .

١٣) فلا : ولا د .

١٤) يوثق : يوفق ج .

١٥) لا ينبغي : ساقطة من أ .

١٦) ان : ساقطة من ب .

١٧) خيرا : خير ب ، خير البتة د .

الواحد[١] اذا لم يحتذ[٢] فيها على مثال من[٣] تقدّمه ان يلحق فيها[٤] كثير شيء، ولو أفنى جميع عمره فيها[٥]، لان مقدارهـا أطول من مقدار عمر[٦] الانسان بكثير[٧]. وليست[٨] هذه الصناعة فقط، بل جل[٩] الصناعات كذلك، وانما[١٠] أدرك من أدرك[١١] من هذه الصناعة[١٢] الى هذه الغاية، في ألوف من السنين[١٣]، ألوف[١٤] من الرجال، فاذا اقتدى المقتدي أثرهم[١٥]، صار دركهم كلهم له[١٦] في زمان قصير[١٧]، وصار كمن قد عمّر تلك السنين[١٨] وعنى بتلك[١٩] العنايات.

١) الانسان الواحد : الواحد من الناس أ .

٢) يحتذ : يتحد يحتذ ب ؛ يحتذي جـ ؛ يمكن يجد فيها د .

٣) على مثال من : أثرا ممن ب، أثر من جـ، د .

٤) فيها : منها ب، جـ .

٥) أفنى . . . فيها : أفنى فيها جميع عمره جـ .

٦) عمر : عمره جـ .

٧) بكثير : كثيرا جـ، د .

٨) وليست : وليس أ، ب، د.

٩) جل : كل د .

١٠) انما : أنا جـ .

١١) أدرك من أدرك : أدرك جـ .

١٢) الصناعة : الصناعات جـ .

١٣) في . . السنين : في ألوف الوف سنين ب ؛ في الوف السنين جـ ؛ في ألوف من سنين د .

١٤) ألوف : الوفا د .

١٥) فاذا . . . أثرهم : ساقطة من ب ؛ فاذا اقتفى المقتفي أثرهم جـ ؛ فاذا اقتفا المقتفي أثرهم د .

١٦) صار . . . له : صار قد أدركهم كلهم أ ؛ ساقطة من ب ؛ فصار دركهم كلهم له د .

١٧) في زمان قصير : ساقطة من ب .

١٨) وصار . . السنين : ساقطة من ب ؛ وصار كمن عمر تلك السنين من ألوف الرجال جـ .

١٩) بتلك : تلك أ، جـ، د .

وان هو لم ينظر في ذكورهم[1] ، فكم عساه[2] يمكنه[3] ان يشاهد[4] في عمره ؟ وكم مقدار ما تبلغ تجربته واستخراجه ، ولو كان أذكى الناس وأشدهم عناية بهذا الباب[5] . على ان من لم ينظر في الكتب ، ولم يفهم[6] صورة العلل في نفسه قبل مشاهدتها ، فهو وان شاهدها[7] (١٠٠ ظهر) مرات كثيرة ، أغفلها ومر بها صفحاً ولم يعرفها البتة[8] »[9] .

ثانياً : نص كتاب « محنة الطبيب وتعيينه » : أحد كتب الرازي التي كانت في حكم المفقودة .

يسهب الرازي في وصف محنة الطبيب ، فيبتدئ بجمع مقتطفات من بعض كتب جالينوس ، ككتاب « محنة الطبيب »[10] ، وكتاب « أن الطبيب الفاضل

١) وان .. ذكورهم : وان لم يكن ينظر في ذكر كتبهم ب ؛ وان لم ينظر في ذكرهم ج ؛ وان لم ينظر في ذكورهم د .

٢) عساه : عسى ج ؛ عسى تراه د .

٣) يمكنه : تراه يمكن ب ؛ ج ؛ يمكن د .

٤) يشاهد : يشاهده د .

٥) ولو ... الباب : ولو كان من أعقل الناس وأذكاهم ب ؛ ولو كان من أغنا الناس وأذكاهم ج ، د .

٦) يفهم : تفهم ج ؛ تفع د .

٧) فهو ... شاهدها : وهو ان يشاهدها د .

٨) أغفلها ... البتة : كمن لم يعرفها البتة أ ؛ أغفلها ومرت بها صفحاً ولم يعرفها البتة ب .

٩) مخطوط أ : ٣٩ وجه س ٢٥–٣٩ ظهر س ٢٦ ؛
مخطوط ب : ٩٩ ظهر س ٥–١٠٠ ظهر س ١ ؛
مخطوط ج : ص ١٢١ س ٤ – ص ١٢٢ س ٥ ؛
مخطوط د : ص ١٢٠ س ١٥ – ص ١٢٢ س ٤ .

١٠) هذا الكتاب محفوظ في مخطوط بمكتبة البلدية بالاسكندرية (رقم ٣٨١٣ ج) . وجاء ذكر هذا الكتاب في : الفهرست ص ٢٩١ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٠ س ٩؛

يجب ان يكون فيلسوفاً »[1] ، وكتاب « أجزاء الطب »[2] ، وكتاب « أيام البحران »[3] ، ثم ينقل فقرات من كتاب بقراط « في الطب القديم »[4] ، ومن كتب اليهودي (أي ماسرجويه) ، ويوحنا بن ماسويه ويختم هذه المقتطفات مبدياً رأيه الخاص حيث يتفق مع جالينوس في تحديد خطوات الامتحان، مبتدئاً بالجزء النظري ، ومتبوعاً بامتحان في الجزء العملي ، اذا نجح الطالب في الجزء النظري، أما من يرسب في هذا الجزء فلا داعي لاكمال امتحانه العملي. ويكتب الرازي مقتبساً من جالينوس أسماء بعض المواد التي يمتحن فيها الطالب ، فيذكر علوم الفلك ، والتشريح ، وتشريح الاحياء ، والصيدلة ، ولكنه حيناً يسجل رأيه الخاص يرى أن الصيدلة من المواد التي يجمل بالطبيب الالمام بها وقراءتها وقت الفراغ ، ولا يمكن اعتبارها جزءاً من اجزاء الطب . ويشير الى ان الطبيب يمكنه ان يمارس مهنته، حتى ولو جهل صفات الادوية وخواص الاعشاب، واما معرفته بأفعال هذه في الجسم ، فأمر لازم لا بد منه ، وجزء لا يتجزأ من المنهاج الطبي. ويقدم بعد ذلك طائفة من الاسئلة التي يرى أن ينهج الممتحنون على منوالها ، ويهاجم أسئلة تافهة مؤكداً أن الممتحنين أنفسهم لن يقدروا على اجابتها، ولو أنهم أسهبوا في كتبهم في ذكر أمثال هذه الأمور التي لا نفع ولا طائل وراءها ؛ فمثلاً يقول : لماذا يُسأل الطالب في التمييز بالنبض بين الذكور والاناث ، او بين الصبيان والرجال والنساء والخصيان ؟ ولماذا يُسأل الطالب في التمييز بين أبوال الحيوانات والمياه المشابهة لها لوناً ؟ ان التمييز بين هذه يكون بحاسة الذوق أو الشم، وعادة لا يشم الطبيب البول ولا يتذوقه. فكيف

---

١) الفهرست ص ٢٩١ س ٣ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٠ ؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٩٩ س ٢٩

٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٩٧ س ٥

٣) الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٨ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٢ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٩٣ س ١٧

٤) حقق النص اليوناني مع ترجمة انجليزية لهذا الكتاب :
W.H.S. Jones, *Hippocrates, with an English translation*, The Loeb Classical Library. London and New York, 1923, I, 12-63.

نلومه ان هو أخطأ في الحكم بينها ، معتمداً على حاسة البصر ؟ ان مهنة الطبيب ترمي الى ما هو أشرف من هذه الامور الرخيصة . والاسئلة الهامة عن البول تتلخص في الحكم على انواع الملل من مظاهر الابوال المختلفة كانواع الرسوب ، وأصناف قوام البول ، وألوان البول ، وشفوفته أو عكارته ، وما تدل عليه كل واحدة من هذه من الاستدلال على الاعضاء المصابة . ومن المهم ان يكون الطبيب عارفاً بالبول : ما هو ؟ ومن أين يأتي ؟ وكيف يتلون ؟ وأما في النبض فيجب أن يكون الطبيب ملماً تمام الالمام بخصائص النبض الطبيعي، فيميز بين النبض الضعيف والقوي ، ويعرف الصلب من اللين . ويعتبر الرازي أمثال هذه الاسئلة في البول والنبض عاملاً محدداً في منح الاجازة العلمية — ثم ان هناك أسئلة اخرى في النبض من الاجابة عليها يظهر فضل الطبيب وامتيازه، ومدى خبرته العملية . ويوصي الرازي بضرورة الامتحان في علامات الامراض المتشابهة التي كثيراً ما يختلط على الطبيب تشخيصها ، كمرض القولنج وأوجاع الكلي ، ثم ذات الجنب وذات الرئة ، ثم الاسهال الناتج عن مرض الكبد والاسهال الذي سببه قروح الامعاء ، واصناف نفث الدم ، وهلم جرا. ويوصي بالامتحان في نظريات الامزجة والاخلاط . وكطبيب اكلينيكي محنك لا يغفل امتحان الطبيب في انواع الحميات البسيطة والمركبة ، وفي اصناف الحميات، وفي علامات الامراض ، وفي هيئة الاعضاء في حالات الصحة والتغيرات التي تطرأ عليها في الامراض، وفي أزمان الامراض ، وفي البحران وأيامه ، وفي تدبير المريض وطريقة تغذيته. ويصرح بأن علاج المريض بالادوية والعقاقير مع تجنب اجراء الجراحات ، اذا أمكن ، لدليل على فضل الطبيب وعلمه .

ويميز الرازي في كتابه طريقة امتحان أصحاب القياس من طريقة امتحان أصحاب التجربة ؛ فيقرر أن امتحان اصحاب القياس يجب أن يكون بتدقيق أكثر من الناحية النظرية ، وليشتمل على اسئلة في الجدل والكلام والحجاج ، وعلى أسئلة في المنطق وفي العلوم الطبيعية . وعلى ذلك فالرازي يرى تشييد صرح الطب على اساس متين من الفلسفة الاستقرائية ، فيسبق علماء الغرب في هذا المضمار بقرون عديدة[1] .

١) قد عزا علماء الغرب شرف استخدام الفلسفة الاستقرائية (Inductive philosophy)

واما اذا لم تجتمع المؤهلات الممتازة لشخص واحد ، فيقترح الرازي بأن يُعيّن لرسم سياسة الطب في المارستان طبيبان ، أحدهما طبيب قياس ، والآخر طبيب تجربـة . ثم يضيف أن القرارات التي تتخذ في شئون الطب يجب ان تكون نتيجة لاتفاق توصياتهما ؛ واما اذا اختلفا في موضوع ما ، فتعرض نقط الخلاف على لجنة من الاطباء اصحاب التجربة ، وتقبل قرارات هذه اللجنة اذا اتُخذت بالاجماع . ويعتقد أن أصحاب القياس والنظريات قد يكونون معرضين للخطأ اكثر من اصحاب التجربة . ويؤازر الرازي أصحاب التجارب حينما يقرر تعيين أحدهم اذا اضطر الى تعيين طبيب واحد ، ولم تتوفر الصفات المطلوبة في طبيب القياس .

ويعدد الرازي صفات الطبيب الذي يراه نموذجياً ، وفي قوله ما يشعر بأنه كان — عن غير وعي — يتكلم عن صفاته الخاصة كطبيب . يقول الرازي: « وهذا الرجل هو الطبيب الفاضل ، ولا يكاد يخفى أمره ، لانه يرى دائماً نصباً تعباً في النظر والبحث تارة ، وفي مزاولة العمل أخرى ، ولا يهمه شيء غيره ، ولا يلتذ الا به ، ولا يقوم من أغراض الدنيا عنده مقام ما آثره ومال اليه[1] » .

والى القارئ نص كتاب محنة الطبيب للرازي ننشره لاول مرة ، ورأي الرازي في المحنة محقق من مخطوطين .

في دراسة العلوم الى العالم الانجليزي فرانسيس باكون (القرن السابع عشر الميلادي) ، وفي الحقيقة يرجع هذا الشرف الى جالينوس الذي سبقه بما يقرب من ألفين من السنين .

انظر : F. Adams, *The Seven Books of Paulus Aegineta, Translated from the Greek; with a commentary*, The Sydenham Society, London, 1844. I, p. XI.

١) ص ٥١٠–٥١١ فيما يلي .

« في محنة الطبيب وتعيينه »

من « محنة الطبيب » .

« قال: الاعمال التي يُمتحن بها ، متى رأيت الطبيب يبرئ بالادوية الادواء التي تُعالج بعلاج الحديد ، مثل الخُراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير ، (٢١١ وجه) واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد ، والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تَعرى[1] من اللحم . فتى أجاد[2] الطبيب جميع هذه ، ولا يحتاج في شيء منها الى البط والقطع ، إلّا أن يدعو[3] الى ذلك ضرورة شديدة ، احمد معرفته . واحمد ايضاً من يعالج بالادوية الظفرة ، والجرب ، والبَرَدة ، والماء ، والبَرَد ، والنواصير ، والشعر ، وزيادة لحم الاماق ونقصانه . واحمد من يحلل البِدَّة ، ويسكن النتوء في العين حتى يرجع . ومن يبرئ داء الفيل ، ويفتت الحجارة ، ويحلل الحجارة التي في المفاصل ويمنع تولدها ، ومن يبرئ الوجع الصلب الجاسي في المفاصل ، والقروح السرطانية ، والوسواس ، والنواصير ، والقروح الردية ، والنِقرس ، وعرق النسا ، والصرع ، والفالج ، والاسترخاء ، والصداع المسمى بيضة ، والشقيقة ، والسُدد ، والمِدّة المحتبسة في فضاء الصدر ، والربو ، ونفث الدم عن الرئة ، وزلق الامعاء وقروحها ، والدُبيلات ، والاورام الكائنة في الاحشاء . فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ جميع هذه بالادوية والتدبير .

قال :

والطبيب الحاذق يقدر أن يعالج بدواء واحد عللًا كثيرة ، فانه يمكنه ان يبرئ بالمرداسنج القروح ، وان ينبت به اللحم ، وان يُدمل به ، بأن يخلط شيئاً بعد شيء ، في حال بعد حال . ويمكنه اذا لم يجد أدوية في القرى والدساكر ،

---

١) تعرى : يتمدى .
٢) أجاد : حان .
٣) يدعو : يدعوا .

أن يستبدل بها أشياء هينة موجودة ، فلا ينبغي ان يحمد اذا برئ على يديه أمراض ردية (فقط) .

الرابعة من السابعة — « أبيديميا » .

قال :

ينبغي أن يكون الطبيب نظيفاً في بدنه ، ووجهه ، وشعره ، وسائر أعضائه ، وتكون ثيابه نظيفة .

اليهودي — المقالة . (٢١١ ظهر) .

قال :

ينبغي ان يكون الطبيب باشاً ، حسن المنطق ، طلقا ، ولا يكون عبوساً ، ولا عجولا متهورا ، ولا شرها إلى المال ، ويكون له البيان ، وهيئته[1] حسنة في خلقته[2] وزينته . ويكون كهلا في السن ، رحيما بالمرضى ، متحننا عليهم ، حافظا لسر يطلع عليه ، فان قصد انسانا أو سقاه دواء حضره .

المقالة الاولى من « أيام البحران » — في آخرها قال :

من قرأ كتب بقراط ولم يخدم أفضل ممن خدم ولم يقرأ[3] كتب بقراط .

وقال :

انه لما عالج الحيالة ، وهو ابن ثمانية عشر ، لام مولاه على ذلك الملك ؟ فقال مولاه :

رأيت ما أفناه هذا الشاب من عمره في الإكباب على صنعته ، اكثر مما أفناه أولئك المشايخ ، وانه لما عالجهم ، برئ على يديه من لم يبرأ[4] على يدي أولئك[5] .

١) هيئته : هبه .
٢) خلقته : حلقه .
٣) يقرأ : يقر .
٤) يبرأ : يبر .
٥) رأيت . . . أولئك :
« اني رأيت الايام التي أفناها هذا الرجل في التعلم أكثر من الايام التي أفناها غيره من المشايخ الاطباء في تعلم هذا العلم » .
ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٨٠ س ١٩-٢٠

وقال في الرابعة من السادسة :

ينبغي ان لا يكون الطبيب فظا غليظا حتى يبغضه المريض ، ولا يكون ملقا خدوما حتى يتهاون به ؛ لكن يكون له من الجلالة في عين المريض ما لا ينقصه[1] ، ويساعده في بعض الاحوال طلبا لمساعدته والتقرب من قلبه ، حتى يصير بين الحالتين .

واستعن بهذه المقالة ، فان فيها اشياء يجب أن يستعان بها .

من « محنة الاطباء »

قال :

قد يمكن ان يتعلم الانسان هذه[2] الصناعة ، ثم لا يرتاض فيها على ما ينبغي ؛ أعني تعاهد[3] خدمة المرضى ، فيقتصر عمّا يبلغه المرتاض ؛ واما من لم يتعلمها[4] ، أعني من الكتب[5] ، فليس يمكنه ان يرتاض في تعرّف ذلك في المرضى ، وأما من قرأ ذلك فخليق ان يصيب الاوقات التي ينبغي ان يستعمل فيها كل واحد من هذه .

قال : (٢١٢ وجه)

واسأله[6] أين ذكر بقراط وغيره الاشياء التي تدل على تقدمة المعرفة وصواب العلاج ، فان ذكرها فاسأله[7] عن مخالفة القدماء بعضهم لبعض ، وموافقتهم .

قال :

فأول ما تسأله[8] عنه التشريح ، ومنافع الاعضاء ، وهل عنده علم بالقياس ، وحسن فهم ، ودراية في معرفة كتب القدماء ؟ فان لم يكن عنده ذلك ، فليس بك حاجة الى امتحانه في المرضى ؛ وان كان عالما بهذه الاشياء ، فأكمل

---

١) ينقصه : يمصه .
٢) هذه : لهذه .
٣) تعاهد : بتعاهد .
٤) يتعلمها : يستعملها .
٥) الكتب : الكتب فيه .
٦) اسأله : اسله .
٧) فاسأله : فاسله .
٨) ما تسأله : متى يسله .

امتحانه[١] حينئذ في المرضى ، فمتى رأيته يدري ، ففي الادوية[٢] .

لي :

قد حقق جالينوس ها هنا ، وقدم الجزء النظري ، وزعم أنه لا يكون طبيباً إلّا به .

من كتابه « في أن الطبيب الفاضل فيلسوف » .

قال :

ويحتاج الطبيب أن يعرف الهندسة ، والنجوم ، وإلّا لم يعرف تقسيم[٣] الأزمنة ، وحال البلدان . ويحتاج ان يعرف المنطق ، وإلّا لم يُحسن أن يُتَمِّمَ أجناس الامراض الى انواعها ، ولا يعرف صواب من أصاب ، وخطأ من أخطأ مما[٤] قد يُريد به من مختلفين . ويحتاج ان يعرف تَقْدِمَة المعرفة ، ويحتاج ان يكون متكلماً حسن العبارة ، وينبغي أن يكون دَرِبـاً بكتب بقراط ، فهِمًا بها .

قال :

وليس يمنع من عُني في اي زمان كان ان يصير أفضل من بقراط ، ولا يمكن (ذلك إلّا بـ) ان يتدرب ، بهذه الصناعة المرَّضة[٥] بالسهرات .

وقال : ان بقراط ...[٦]

من « اجزاء الطب » .

قال :

لا يمكن ان تعالج علاج صواب حتى تعرف تركيب البدن ، وذلك يُعرف من التشريح ، ويُعرف من البحران وايامه ، والمزاج ، والاسطقسات ، ومنافع

---

١) فاكمل امتحانه : فامتحن اكماله.
٢) ففي الادوية : بالادوية.
٣) تقسيم : بسم .
٤) مما : مم .
٥) المرضة : المرض .
٦) غير واضح وشكله : طلبه اردشير بن مابكان .

الاعضاء ، وتشريح الاحياء[1] ، (٢١٢ ظهر) والقوى الطبيعية ، وهذه كلها مقدمة للشفاء .

بقراط من كتابه « في الطب القديم » .

قال :

يحتاج الطبيب الى تعلّم طويل ، وطلب حثيث ، حتى لا يكون خطوه[2] الّا يسيرا ، وانّا لنمدح الطبيب القليل الخطأ ، لان الصواب في هذا العلم عسر اصابته .

من « محنة الطبيب »

قال :

انظر أولا بماذا أفنى عمره ، إما بقراءة كتب[3] الطب والتجربة ، أو بالاشتغال بغير ذلك ، وما حاله فيما الآن ، وهل يشتغل[4] اذا خلا بالقراءة ، او التجارب ، وكيف همته وحبه لذلك . (فان كان) انما يميل[5] اذا خلا الى اللهو والشرب ، فلا تعبأ بامتحانه .

قال :

ومحنته بالكلام ، يحتاج ان يكون المُمْتَحِنُ له دَرِباً ، عالما بالكلام والحجاج ، فأما امتحانه بالعمل فيُهيّأ لمن لم يكن كذلك .

باقي « محنة الطبيب » : خلقه[6] ، وزيه ، وسائر ما يحتاج اليه الطبيب وان[7] يكون عليه ، وسيرته في معاملته للناس .

مخطوط (ﻫ) ورق ٢١٢ ظهر س ١٣ ؛

(و) ورق ٢٢٤ وجه س ٥ .

---

١) الاحياء : الاحياء والمزاج

٢) خطوه : خطاوه .

٣) بقراءة كتب : لقراءة لكتب .

٤) يشتغل : يستعمل .

٥) من يميل : يميل .

٦) خلقه : وخلقه .

٧) وان : ان .

قال محمد بن زكريا[1] :

لست أرى أن الإغراق في وصف محنة الطبيب، كما وصفه قوم كثير، نافع للمتحن ولا الممتحن . وذلك ان الذي يروم من الطبيب ان يُبيّن له بالنبض بين[2] الرجال والنساء ، والخصيان ، والصبيان ، قد طلب امرا غير ممكن في الاكثر ، وجاوز الحد الذي يحتاج الى معرفتـه الطبيب في امر النبض . وانا اعلم يقينا انه لو[3] امتُحِن ابن ماسويه ، الكاتب هذا في كتابه لهذه[4] المحنة لكان[5] حيرته فيها اشد واكثر من حيرة الاعمى في التفرقة[6] بين الاشياء التي تُدرَك بآلة البصر . وجملة (ما) اقول[7] : ان هذا شيء لا يصغي اليه عاقل بتة ، وليس في صناعة الطب[8] — ولو استُغرِقَت كلّها بمقدار طاقة الانسان — ذلك على تحقيق البتة ، اللهم الّا بحدس (٢١٣ وجـه) ضعيف لا يجوز لمتقف[9] ان يطلق به لسانا او يعقد عليه ضميرا . فانك قد تجد نساء كثيرات[10] نبضهن[11] اعظم من نبض رجال كثيرين ، وكذلك تجد خصيانا في مثل هذه الحال . واما[12] نبض الصبيان ، فانه لا يحتاج ان يُعرَف ، اذ[13] كان جس ابدانهم ليس[14] يخفى على ذي حاسة ، فذكره فضول من[15] هذا القول ، وهَذَر لا يحتاج اليه ، ولا ينفع[16] بجسه . وكذلك[17] ارى ان الممتحن للطبيب بالتفرقة بين[18] ماء الانسان وبعض المياه التي[19] شبهت به ، جاهل : وذلك ان الطبيب

١) قال محمد بن زكريا : محنة الطبيب لابن زكريا و .
٢) بين : الفرق بين و .
٣) لو : ان و .
٤) لهذه : بهذه و .
٥) لكان : كانت و .
٦) التفرقة : التفريق و .
٧) اقول : قول و .
٨) وجملة (ما) اقول . . . الطب ـ ساقط من هـ .
٩) لمتقف : لمتوقي و .
١٠) كثيرات : كثير هـ ، كثيرين و .
١١) نبضهن : نبضهم هـ ، و .
١٢) واما : فاما و .
١٣) اذ : اذا هـ .
١٤) ليس : لا و .
١٥) فضول من : فضل من فضول و .
١٦) ينفع : نفع هـ ، و .
١٧) وكذلك : فلذلك هـ ، ولذلك و .
١٨) بالتفرقة بين : بين التفرقة بين و .
١٩) التي : الذي قد و .

ينظر في[١] الماء — في الاكثر — الى اللون ، والقوام[٢] ، وما ينحل منه[٣] ، بحس البصر . ولا يذوقه ولا يشمه في الاكثر ، فاذا شبه عليه في الباب الذي منه ينظر فقد[٤] برئ من اللائمة[٥] . وليس في غاية هذا العلم ايضاً[٦] التفرقة بين البول من جميع الاشياء المشبهة له[٧] نظرًا ، وأرى[٨] الذين كتبوا في التفرقة بين هذه[٩] ، وراموا ان يثبتوا[١٠] ذلك ويحددوه ، جهال بهذه الصناعة . والذي يحتاج ان يمتحن به الطبيب من النبض ، ان يفرق بين القوى والصلب ، وبين الصغير والعظيم[١١] ، وبين الضعيف والقوي[١٢] ، وبين المستوى والمختلف ، وان يحس بالتغايير العظام التي تحدث[١٣] . ويمكنه ان يحفظ صورة النبض الطبيعي مما[١٤] قد اكثر (٢٢٤ ظهر) جسه في نفسه[١٥] ، ويخبر عن تغييره ، اذا حدث فيه تغيير عظيم .

فهذا قدر لا بد منه ، ولا يكون طبيبا البتة الّا به[١٦] ، وله[١٧] بعد من الفضل فيه ابواب كثيرة ، وينبغي ان يَمْتَحِنَ فيه[١٨] رجل عالم بالنبض . واما في الماء ، فان[١٩] يكون عارفا بالرسوب وانواعه[٢٠] ، والقوام والالوان ، وعلى ماذا تدل في الاكثر — مما قد علم بالتجربة والقياس ، (٢١٣ ظهر) نحو العلم[٢١] بأن[٢٢] مياه الفاسدي المزاج على الاكثر وسخة غليظة ، مشبهة لمياه[٢٣]

---

١) في : من و .
٢) في الاكثر . . . القوام : في اكثر الامر الى لونه وقوامه و .
٣) ينحل منه : يتخيل به و .
٤) فقد : قد و .
٥) اللائمة : الملامة و .
٦) ايضاً : ساقطة من و .
٧) له : ساقطة من ه .
٨) ارى : ان ه .
٩) هذه : هذا ه .
١٠) يثبتوا : يبينوا و .
١١) العظيم : الصغير ، ولعلها الضعيف .
١٢) وبين الضعيف والقوي : ساقطة من ه .
١٣) تحدث : تحس وتحدث و .
١٤) مما : مم ه .
١٥) جسه في نفسه : جس نبضه في نفسه و .
١٦) ولا يكون . . . الا به : ولا طبيب فيه الا به و .
١٧) وله : ولا و .
١٨) فيه : منه ه ، و .
١٩) فان : فانه ه .
٢٠) بالرسوب وانواعه : بانواع الرسوب و .
٢١) نحو العلم : ساقطة من و .
٢٢) بأن : ان و .
٢٣) لمياه : بأمواه و .

الحبالى . وان الماء الابيض الرقيق دال على عدم النضج في الاكثر ، وقد يكون له اسباب غير هذه. وان الرسوب منه ما يدل على الكلي، كالرمل الاحمر وقطع اللحم ، ومنه ما يدل على المثانة ، كالحراز في الماء[١] ، ومنه ما يدل على حركة[٢] كالمدة ، ومنه ما يدل على خلط نيّ كالرسوب الخامي[٣] : وفي التفرقة بين المدة والخام ، والرسوب[٤] المنذر بطول المرض وسلامته ، والمنذر بالخير والشر . وكذلك[٥] تسل في القوام ، واللون ، والطعم ، والريح. وعن البول : ما هو ؟ ومما ينفصل ؟[٦] ومن اين يأخذ الصبغ ؟[٧] ونحو ذلك مما يبقى[٨] في هذا الامر من المسألة ، فان هذا مقدار لا يكون طبيبا البتة[٩] الا به ، وله بعد فضل علم كثير ، على مقداره يكون فضله في صناعته ؛ اللهم الا ان ينتحل صناعة التجربة فقط. فان هذا ينبغي ان يُسأل عمّا[١٠] يدل عليه وينتفع[١١] به — دون سائر الاسباب .

واما[١٢] من انتحل القياس ، فأول ما ينبغي ان يمتحن به — هل له معرفة بالكلام والحجاج ، وما له وعليه ، واين مبلغه من ذلك ، فانه على قدر ذلك تكون قوته في التعلّق[١٣] بالطب[١٤] القياسي .

١) الماء : المثانة و .
٢) حركة : شكله غير واضح في و ، وقد يكون جودة .
٣) اي الرسوب الخامي .
٤) الرسوب : الموصوف (كذا) و .
٥) وكذلك : ساقطة من و .
٦) مما : من ماذا و .
٧) الصبغ : ذلك الصبغ و .
٨) يبقى : بقى و .
٩) البتة : ساقطة من و .
١٠) يسأل عمّا : يسئل عمّا ه ؛ يسأل عنه على ماذا و .
١١) ينتفع : يتبع و .
١٢) واما : فأما و .
١٣) التعلق : التلق ه .
١٤) بالطب : في الطب و .

واكثر ما ارى ان يُمتحَنَ به الطبيب في الحميات، والامراض الحادة، والبحارين[١] وايامها، ويسأل كيف يفرّق[٢] بين انواع الحمى من اول دورها، وكيف يميز المركبة، فانه على[٣] قدر عنايته بذلك يكون فضله ومعرفته.

وجملة كافية، اقول: انه ينبغي ان يوثق في الاكثر؛ اما من يعمل على طريق التجارب، فأكثرهم[٤] تجربة واطولهم خدمة وزمانا في الصناعة. ولا يقتصر (٢١٤ وجه) على طول الزمان فقط، لانه يمكن ان يبلغ في الزمان القليل الفتى المجرب[٥]، او ببعض السعايات[٦]، ما لا يتهيأ بلوغه في الزمان الطويل، المعروف[٧] بكثرة معاناة العلاج[٨] والمرضى، المؤثر بؤوهم على الاكتساب.

واما من يزعم انه طبيب قياس، فاعلاهم رتبة[٩] في الكلام، والجدل، والمنطق، والطبيعيات، والتعلم[١٠]. ولا[١١] يقتصر منه على ذلك وحده، بل يكون له مع هذا[١٢] دربة، واحتيال كثير، ومراعاة للمرضى[١٣]، وخدمة كثيرة[١٤]، حتى لا يقصر عن احد من المجربين فيما ظهر[١٥] بالتجربة، ويفضلهم بالقياس. (٢٢٥ وجه).

وهذا الرجل هو الطبيب الفاضل، ولا يكاد يخفى امره لانه يرى دائما نصبا تعبا في النظر والبحث تارة، وفي مزاولة العمل اخرى[١٦]. ولا يهمه[١٧] شيء.

١) البحارين: البراهين و.
٢) يفرق: يميز و.
٣) فانه على: فانه يدل على ه.
٤) فاكثرهم: فعلى اكثرهم و.
٥) المجرب: المحدث و.
٦) السعايات: السعادت و.
٧) المعروف: ساقطة من و.
٨) العلاج: ساقطة من و.
٩) رتبة: مرتبة و.
١٠) التعلم: التعاليم و.
١١) ولا: لا و.
١٢) هذا: ذلك و.
١٣) مراعاة للمرضى: مزاولة المرضى و.
١٤) كثيرة: كثير و.
١٥) فيما ظهر: بما استظهر و.
١٦) في النظر ... العمل اخرى: في المداواة ومزاولة المرض تارة وتارة في البحث والنظر و.
١٧) يهمه: يهمه و.

غيره ، ولا يلتذ الا به ، ولا يقوم شي. من اغراض الدنيا عنده[1] مقام ما قد آثره ومال اليه . فان لم يجتمع هذا لرجل واحد بعينه[2] فينبغي للمعنى بأمر الطب ان يجمع رجلين: احدهما فاضل في الفن العلمي من الطب ، والآخر كثير الدربة والتجربة ، ويصدر عن اجتماعهما في اكثر الامر . فان اختلفا في شي. ، فليعرض ما اختلفا فيه على كثير من اصحاب التجارب . فان اجمعوا جميعاً على مخالفة صاحب[3] النظر – قُبِلَ منهم ، فان الشكوك المغالطة تقع على الاكثر في الفن العلمي النظري[4] ، اكثر منه في التجربة[5] . فان لم يتهيأ له الا احد هذين الرجلين ، فليختر[6] المجرب ، فانه اكثر نفعا في صناعة الطب من العاري عن الخدمة والتجربة البتة[7] .

وليمتحن بمعرفة صور العلل ، والتفريق بين بعضها وبعض[8] . مثال ذلك ان يفرق بين وجع الكلي و[9] (٢١٤ ظهر) وجع القولون[10] ، وذات الجنب من[11] ذات الرئة ، والاختلاف الذي من الكبد من[11] قروح الامعاء ، وبول الدم والمدة[12] ، ومنها[13] الذي من الاعالي من[14] الذي من الاسافل ، والفرق بين ضروب الدم الخارج من الفم بعضها من بعض ، ونحو ذلك[15] .

والتمييز بين الخراجات بعضها من بعض ، والردية[16] المزمنة والسريعة البرء[17] ، وما قد حصل منها فيها[18] شي. ، وما[19] لم يحصل ، ولاي نوع هو

---

١) عنده : بحمده و .
٢) بعينه : ساقطة من و .
٣) صاحب : ساقطة من و .
٤) النظري : ساقطة من و .
٥) اكثر منه في التجربة : دون التجربة و .
٦) فليختر : فليختار و .
٧) البتة : بتة و .
٨) بين بعضها وبعض : بعضها من بعض ه .
٩) و : من ه .
١٠) القولون : القولنج و .
١١) من : و في و .
١٢) الدم والمدّة : المدّة والدم و .
١٣) منها : مشبهها و .
١٤) من : و في و .
١٥) ونحو ذلك : ونحو ذلك من التمييز و .
١٦) الردية : ساقطة من و .
١٧) البرء : البرو ه
١٨) منها فيها : فيها منها و .
١٩) ما : من و .

الحاصل فيها ، والتفرقة بين أشكال[١] الاعضاء الطبيعية ، والاشكال الذابلة والوهنة ؛ فانه لا يكون طبيبا البتة[٢] ، حتى يكون صوابه في هذه اكثر من خطئه[٢] كثيرا[٣] . وعلى قلة خطئه[٤] ، كذلك يكون فضله . ثم ليسأل[٥] عن دلائل الامزاج[٦] امزاج الناس وامزاج الاعضاء ، وعن طبائع الادوية والاغذية[٧] ، فان التوسع في ذلك دال على فضله ؛ وبالضد . وكذلك فليمتحن في المعرفة بازمان[٨] الامراض ، وتغيير العلاج في زمان زمان ، وبحسب نوع نوع ، فإن[٩] هذا مما لا يسعه ان يكون طبيبا الّا بمعرفته .

فأما امتحانه بمعرفة العقاقير ، فأرى[١٠] انها[١١] محنة ضعيفة ، وذلك ان هذه الصناعة هي بالصيدناني اولى منها بالطبيب ، الّا ان تقصر معرفته بالكثير الاستعمال منها فيدل على قلة علمه ، ومزاولته ، ودربته[١٢] . فأما المطالبة بمعرفة الغريب والنادر منها ، والفرق بين الجيد والرديء منها[١٣] ، فليس ذلك خاصا[١٤] بصناعته . ويمكن ان يكون طبيبا فاضلا مقصرا عن كثير من خلال[١٥] العقاقير في هذا الباب . وعليه ان يعرف حمى يوم من اولها في اكثر الامر ، وينذر بأنها لا تعود ، ويدخل اصحابها[١٦] الحمام ، ويأذن لهم في الغذاء ، والتصرف . ويعرف ويصيب في اكثر زمان الامراض والبحارين (٢١٥ وجه) ليمكنه ان يجمل الغذاء[١٧] بحسبه .

وان يبرئ الطبيب[١٨] بالادوية ما يعالج (٢٢٥ ظهر) بالحديد ، دليل على

---

١) بين اشكال : بأشكال ﻫ .
٢) البتة : بتة و .
٢) خطئه : خطائه ﻫ ، و .
٣) كثيرا : ساقطة من و .
٤) ليسأل : ليسئل ﻫ ؛ يسأل و .
٥) دلائل الامزاج : الدلائل على الامزاج و .
٦) الادوية والاغذية : الاغذية والادوية و .
٧) بأزمان : في الازمان و .
٨) فان : في و .
٩) فأرى : فاني ارى و .
١٠) انها : انه و .
١١) الا أن . . . ومزاولته : ساقطة من و .
١٢) منها : ساقطة من و .
١٣) خاصا : خاص ﻫ ، و .
١٤) خلال : غير واضح في ﻫ وشكله خلاوي .
١٥) اصحابها : اصحابها الى و .
١٦) والتصرف . . . يجمل الغذاء : ساقطة من و .
١٧) الطبيب . . . : ساقطة من و .

فضله[1] ، وكذلك اذا ابرأ[2] الادواء الغليظة ، مثل داء[3] الفيل ، والحجارة في الكلي والمثانة[4] ، والاورام الصلبة في المفاصل[5] ، والدوالي ، والنواصير[6] — من غير كي[7] — فذلك دليل على نفاذ معرفته بالادوية ، وفضله في العلاج[8].

مخطوط (هـ) ورق ٢١٥ وجه س ٥ ؛

(و) ورق ٢٢٥ ظهر س ٢ .

من « ايمان بقراط » .

الشكل الذي يحتاج ان يكون عليه الطبيب :

ينبغي ان تكون الفرج بين اصابعه واسعة ، وابهامه تقابل السبابة .

« أبيديميا » — قال .

اذا كان طبيب يطعم العليل ، ولا يشعر حتى تبتدئ بـه النوبة — فهو جاهل .

كذلك اذا ابتدأت بعده بزمان قليل ، او زمان لم يقدره .

« أبيديميا » — قال :

العلل التي ظاهرها مهول ، وباطنها هين ، تتضمنوا برءها[9] ؛ وبالضد .

قال :

واياكم وافشاء اسرار الاعلاء اذا وقفتم عليها ، فقد هلك لها جماعة من الاطباء . »[10]

---

١) دليل على فضله : ساقطة من و .

٢) أبرأ : برأ و .

٣) داء : ساقطة من و .

٤) في الكلي والمثانة : ساقطة من و .

٥) في المفاصل : ساقطة من و .

٦) والنواصير : ساقطة من و .

٧) كي : لي هـ .

٨) في العلاج : بالعلاج و .

٩) برءها : بروءها هـ .

١٠) هـ ورق ٢١٠ ظهر س ١٧ — ورق ٢١٥ وجه س ١١ ؛ و ورق ٢٢٤ وجه س ٥ — ورق ٢٢٥ ظهر س ٢ .

مقارنة بعض النصوص التي جاءت في كتاب الرازي بنصوص وردت في كتاب جالينوس

محنة الطبيب للرازي	كتاب جالينوس في المحنة التي يُعرف بها أفاضل الأطباء . مخطوط ٣٨١٣ج – مكتبة البلدية بالاسكندرية
قال : الاعمال التي يُمتحن بها، متى رأيت الطبيب يبرئ بالادوية الادواء التي تُعالج بعلاج الحديد؛ مثل الخراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير ، واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تعرى من اللحم. فمتى أجاد الطبيب جميع هذه ، ولا يحتاج في شيء منها الى البط والقطع ، إلا ان يدعو الى ذلك ضرورة شديدة ، فاحمد معرفته. واحمد ايضاً من يعالج بالادوية الظفرة ، والجرب ، والبردة ، والماء ، والبَرَد ، والنواصير ، والشعر ، وزيادة لحم الاماق ونقصانه . واحمد من يحلّل المدة ، ويسكن النتوء في العين حتى يرجع . ص ٥٠٢ فيما سبق .	فأقول : انك ان رأيت طبيباً يبرئ بالادوية الادواء التي يبرؤها المعالجون بالحديد بالقطع ، فعدّ ذلك منه على ان له علماً ، ودربة ، ودربة ، وحذقاً . والذي يعالجه المعالجون بالحديد هي الخراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير ، واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد ، والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تعرى من اللحم وتنتخ ، فلا ينبت عليها اللحم. فمتى رأيت طبيباً يبرئ جميع هذه الادواء بالادوية ، ولا يحتاج الى القطع الا ان تدعوه الى ذلك ضرورة شديدة ، فاحمد منه معرفته بالادوية . واحمد ايضاً من رأيته يبرئ بالادوية وحدها من ادواء العين ما يعالجه غيره بالقطع : مثل الظفرة ، والجرب ، والسبل ، والبَرَد ، والماء ، والنرب ، والنواصير ، والشعر ، وزيادة لحم الماقين ونقصانه . واحمد ايضاً من رأيته قد حلل من العين مدة محتقنة فيها بسرعة . صفحة ٢٩ س ٦ – ١٨

ومن يبرئ داء النيل، ويفتت الحجارة، ويحلل الحجارة التي في المفاصل ويمنع تولدها، ومن يبرئ الوجع الصلب الجاسي في المفاصل.

ص ٥٠٢ فيما سبق.

واحمد ايضاً في معرفة الادوية، من رأيته يبرئ بها داء النيل، أو رأيته يفتت بالادوية الحجارة التي تتولد في المثانة، او في الكلي، أو يمنع من تولد الحجارة في المفاصل أو يحللها اذا تولدت، واحمد أيضاً من رأيته يقدر أن يبرئ الورم الصلب الجاسي في المفاصل كان، أو في الاحشاء، أو في العضل.

ص ٣٠ س٣-٧

... والقروح السرطانية، والوسواس، والنواصير، والقروح الردية، والنقرس، وعرق النسا، والصرع، والفالج، والاسترخاء، والصداع المسمى بيضة، والشقيقة، والسدد، والمدة المحتبسة في فضاء الصدر، والربو، ونفث الدم عن الرئة، وزلق الامعاء وقروحها، والدُبيلات، والاورام الكائنة في الاحشاء. فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ جميع هذه بالادوية والتدبير.

ص ٥٠٢ فيما سبق.

ويجب عليه أيضاً أن يبرئ بالادوية مع التدبير النقرس، ووجع النسا، ووجع المفاصل، ما دام لم يتولد فيها حجارة، والصرع، والفالج، والاسترخاء، والجنون العارض من السوداء والصفراء المحترقة، والصداع الدائم المشتمل على الرأس كله، والشقيقة، والسدد، والمدة المحتبسة فيما بين الصدر والرئة، والربو، ونفث الدم، وزلق الامعاء، والقرحة التي تكون في الامعاء، أو في غير الامعاء من الجوف، والدُبيلات، والاورام التي تكون في الاحشاء، والتي تكون في الثديين، فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ هذه الادواء كلها بالادوية مع التدبير.

ص ٣٠ س ١٧-٣١ س ٨

والطبيب الحاذق يقدر ان يعالج بدواء واحد عللاً كثيرة، فانه يمكنه ان يبرئ بالمرداسنج القروح، وان ينبت به اللحم، وان يُدمل به، بأن يخلط شيئاً بعد شيء، في حال بعد حال.

ص ٥٠٢ فيما سبق.

يقدر المستعمل الدواء الواحد المفرد كالمرداسنج، والاسفيداج، ان يلزق به الجراحات، ويدمل به ما يحتاج الى الاندمال، ويشفي به القروح العظيمة الغور، والنواصير، ويسكن به عادية القروح التي معها أورام أو صلابة.

ص ٣٦ س ٩-١٣

قال :

قد يمكن ان يتعلم الانسان هذه الصناعة ، ثم لا يرتاض فيها على ما ينبغي؛ اعني تعاهد خدمة المرضى ، فيقصّر عما يبلغه المرتاض ؛ واما من لم يتعلمها ، اعني من الكتب ، فليس يمكنه ان يرتاض في تعرّف ذلك في المرضى ، واما من قرأ ذلك فخليق ان يصيب الاوقات التي ينبغي ان يستعمل فيها كل واحد من هذه .

ص٥٠٤ فيما سبق .

وقد يكون ان يتعلم المتعلم هذا العلم ، ثم يتكاسل ، ويتهاون بالارتياض فيه ، والاستعمال له ، فيقصّر عما يبلغه من قد ارتاض فيه ؛ فاما من لم يتعلمه البتة ، فليس يمكن ان يرتاض فيه . فان من لم يتعلم في المثل ما قال أبقراط من ان اوجاع العين يسكنها شرب الشراب الصرف ، او الحمام ، أو التكميد ، أو الفصد ، أو الدواء المسهل ، فكيف يمكنه أن يرتاض عند نفس العمل ، في الوقت الذي يحتاج فيه الى كل واحد من هذه الاشياء ؟

فاما من قد علم هذا من أبقراط ، فهو خليق بأن يجد الوقت الذي يصلح فيه كل واحد منها .

ص١٠ (ترقيم انجليزي) س ٣-٩

وقال :

انه لما عالج الخيّالة ، وهو ابن ثمانية عشر ، لام مولاه على ذلك الملك ؛ فقال مولاه :

رأيت ما أفناه هذا الشاب من عمره في الاكباب على صنعته ، اكثر مما أفناه أولئك المشايخ ، وانه لما عالجهم ، برئ على يديه من لم يبرأ على يدي أولئك .

ص٥٠٣ فيما سبق .

قال :

اني رأيت الايام التي[1] أفناها هذا الرجل في التعلم اكثر من الايام التي[1] أفناها غيره من المشايخ الاطباء في تعليم هذا العلم .

ص ٢١ س ٧-٩

قال :

انظر اولاً بماذا أفنى عمره ، اما بقراءة كتب الطب والتجربة ، او بالاشتغال بغير ذلك ، وما حاله فيها الآن ، وهل يشتغل اذا خلا بالقراءة ، أو التجارب ، وكيف همته وحبه

فأقول : ان من أراد أن يميّز بين الطبيب الفاضل والاخس ، فينبغي ان ينظر اولا - من أمر ذلك الذي يريد ان يمتحنه - في اي شيء أفنى أكثر عمره .

أفي قراءة الكتب ومداواة المرضى ؟ أم

---

١) التي : الذي .

لذلك . فان كان انما يميل اذا خلا الى اللهو والشرب ، فلا تعبأ بامتحانه .

ص ٥٠٦ فيما سبق .

في لزوم أبواب الاغنياء ، والتطواف عليهم ، والاسفار معهم ؟ فان وجده يفعل جميع هذه الاشياء ، فليست به حاجة الى ان يمتحنه ، لانه لا يجد عنده شيئاً اكثر مما عند الشعوذي ، والبواب ، أو النديم .

ص ٢٨ س ٥–١١

قال :

فأول ما تسأله عنه التشريح ، ومنافع الاعضاء ، وهل عنده علم بالقياس ، وحسن فهم ، ودراية في معرفة كتب القدماء ؟ فان لم يكن عنده ذلك ، فليس بك حاجة الى امتحانه في المرضى ، وان كان عالماً بهذه الاشياء ، فأكمل امتحانه حينئذ في المرضى ، فمن رأيته يدري ، فقي الادوية .

ص ٥٠٤–٥٠٥ فيما سبق .

ويكون اول ما تمتحنه به ان تنظر هل عنده معرفة ودربة ثابتة بأمر التشريح ؟ ثم من بعد ذلك بأن تنظر هل يعلم ما فعل كل واحد من الاعضاء ، ومنافعه ؟ ثم انظر هل عنده طريق علم قياسي من أمر الاغذية ، وسائر التدبير ، والادوية[1] ؟

وقد ينبغي ايضاً ان يظهر لك منه فهم كتب القدماء من الاطباء ، وانه قد عني بحفظها ، فان هو لم يُعن بحفظها ، ولم يظهر لك من دربة وحذق بجميع ما وصفت ، فليس حاجة الى ان تمتحن قوله وفعله في المرضى .

فان ظهرت لك منه قوة صالحة في هذه الاشياء التي وصفت ، فعند ذلك ينبغي ان تمتحن قوله وفعله في المرضى .

ص ٢٨ س ١٣–٢٩ س ٣

---

[1] الادية .

فهرس الاصطلاحات *

Diarrhoea, stools	اختلاف
Drugs, medicines:	أدوية :
Nature of	طبائع
Periods of diseases	أزمان الأمراض
Asthenia, lack or loss of strength and energy	الاسترخاء
Elements	الاسطقسات
Inner canthus, inner corner of the eye	الأماق (م مأق)
Acute dieseases	الأمراض الحادة
Critical days	أيام البحران
Crisis (p. Crises).	بحران (ج بحارين)
Chalazion, hail stone in the lid, a small tumour of the eyelid formed by the distension of a gland with secretion.	البَرَد ، البَرَدة
Incision	بط
Haemorrhoids, piles	بواسير
Urine:	بول ، ماء :
Colurless	أبيض
Furfuracious	الخراز
Haematuria	الدم
Sedimentation	رسوب
Thin	رقيق
Consistency of	قوام
Pyoid	المدة
Leucoma of the cornea	البياض في العين
Headacke	البيضة
Empiricism	التجربة (علم)
Treatment, regimen	التدبير
Anatomy	التشريح
Vivisection	تشريح الأحياء
Necrosis of bones	تمرّي (عظام)
Mortification	تعفن (مواضع من البدن)
Prognosis	تقدمة المعرفة
Scab of the lid, trachoma	جرب (العين)

Disputations	الحجاج والكلام
Stones	الحجارة ، حصى
Itching	الحكّة
Fever:	الحمى :
Composite attack	مركبة
Ephemeral	يوم .
Abscess	الخراج
	الخراز (أنظر بول)
Humour (unconcocted)	خلط نيّ
Scrofula	الخنزيرة
Elephantiasis	داء الفيل
Cystic tumour	الدُبيلة
Oil	الدهن
Varicose veins	الدوالي
Pleurisy	ذات الجنب
Pneumonia	ذات الرئة
Penis, male organ	الذكر
Asthma	الربو
	الرسوب (أنظر بول)
Lientery	زلق الأمعاء
Venomous snake, large lizard	سام أبرص
Obstruction	السدد
Soft tumour	السلع ، سِلْعَة
Trichiasis, ingrowing eyelashes	الشعر
Migraine, hemicrania	الشقيقة
Epilepsy	الصرع
Ranula (below the tongue)	الضفدع تحت اللسان
Naturalists	الطبيعيون
Pterygium	الظفرة
Sciatica	عرق النسا
Drugs	العقاقير (م . عقار)
Therapeutics	علاج
Surgery, operative treatment	علاج الحديد ، عمل اليد
Gland	غدة
Hemiplegia	الفالج

Ulcer:	القرحة (ج قروح) :
Malignant	ردية
Cancerous	سرطانية
	القوام (انظر ماء)
Reasoning:	القياس :
Dogmatist	طبيب ، من انتحل القياس
Crowfoot	الكيكج
	الكلام (أنظر حجاج)
Cautery	كيّ
Flesh:	لحم :
Formation of cicatrix	إدمال
Proliferation of	إنبات
Uvula	اللهاة
Tonsil	اللوزة
Cataract	الماء
	ماء (أنظر بول)
Bladder	المثانة
	المدّة :
Pus: Empyema	المدّة محتبسة في فضاء الصدر
Litharge	المرداسنج
Temperament:	المزاج :
Corrupt	فاسد
Chronic	مزمن
Joint	مفصل (ج مفاصل)
Seat	مقعدة
Uses of organs, physiology	منافع الأعضاء
Fistula	ناصور (ج نواصير)
Pulse:	النبض :
Small	صغير
Hard	صلب
Weak	ضعيف
Large	عظيم
Strong	قوي
Irregular	مختلف
Regular	مستوي

Proptosis of the eyeball	نتوء العين
Astrology	النجوم (علم)
Coction	النضج
Blood expectorations from the lungs	نفث الدم عن الرئة
Gout	النقرس
Paroxysm	نوبة المرض
Pains of the Kidneys, nephritis	وجع الكلي
Colitis	وجع القولون
Inflammation:	ورم :
Bowels (swelling of)	في الأحشاء
Fontanel	وسط الرأس
Melancholy, mental depression due to black bile	وسواس

صفحة

أسماء الكتب التي وردت في الكتاب

صفحة

ج

المراجع العربية

ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء طبعة بولاق ١٨٨٢–١٨٨٤

ابن خلكان ، وفيات الاعيان طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩

ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ، ليبسك سنة ١٩٠٣

ابن النديم ، الفهرست ، ليبسك سنة ١٨٧١

البيروني ، رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي – كراوس باريس سنة ١٩٣٦

حاجي خليفة ، كشف الظنون طبعة اسطنبول سنة ١٣٦٠ – ١٣٦٣ ﻫ / ١٩٤١ – ١٩٤٣ م

رسائل فلسفية ، كراوس القاهرة سنة ١٩٣٩

المغدي ، ديدرنغ ، دمشق سنة ١٩٥٣

طبقات الامم ، الاب شيخو ، بيروت سنة ١٩١٢

ياقوت فستنفلد ، ليبسك سنة ١٨٦٦–١٨٧٠

الآثار المطويَّة

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

نشرنا في مجلة « المشرق » السنة الماضية ، ضمَّةً من كتابات قديمة ثمينة تحت عنوان « الآثار المطوية » كانت مخبوءة في الزوايا والكهوف ، مغلغلة بين الستائر والسجوف ، فقيَّض الله لنا حظاً فظفرنا بالكثير منها ، وقد :

برزت مبرقعةً فقلتُ لها أسفري حتى تكوني فتنةً للناظر

فنضونا عنها الحجاب ونفضنا عن ثيابها غبار السنين الخالية واطلقناها من الخفا. الى الضيا. فتهادت بابهى مطارفها كالحسنا. الجالية ، ولم ينل من نضرتها الشحوب والأكداد ، ولا دنا منها الهزال في هذه الابعاد ، وقد كشف عنها النور ما خبَّأته الظلمة من محاسن ومنافع . وحسبها فخرًا انها لستْ اقبالًا عليها وارتياحاً اليها ، فجمعنا الجزء الاول منها في كتابٍ منفرد تسهيلًا لمطالعتها متسلسلةً متساوقةً ، فما صدف عنها السامع ولا ضاق دونها صدرُ المطالع ممَّا حمل جلَّةً من اصدقائنا الى طلب المزيد من نشر مثل هذه الآثار المطوية القيِّمة فنزلنا عند رغبتهم وعدنا الى دفاترنا واوراقنا نتصفحها ونقلّبها وننتقي منها ما هو جديرٌ بالاعتبار خليقٌ بالانتشار، مواصلين اصدار الجزء الثاني من هذه الآثار . وعلى الله تعالى الاتكال في كل حال .

مخطوطة اثريَّة للشيخ جهجاه الدحداح

في سنة ١٩٤٥ ألقيتُ رياضةً روحيَّةً على تلامذة مدرسة مار عبدا هرهريا . وفي ذات يوم رأيتُ رجلًا جالساً عند احد مداخل المدرسة وامامه صفٌ من

الكتب معروضة للبيع ، فتقدمتُ فاذا الرجل من عرامون كسروان ، وقلّبتُ الكتب وانتقيت منها مخطوطة اثريّةً ابتعتها منه، وقد سمّاها كاتبها «السفينة» لانها مستطيلة وجامعة أشياء وأشياء ، وان انشاءها على طريقة السجع .

طول هذه المخطوطة ١٥ سنتمترًا بعرض ١٠ سنتمترات ، في ١٥٩ صفحة مجلّدة بجلد اسود ، منسوخة على ورق جيد بخط عربي ، بحبر اسود ، واما العناوين فبالحبر الاحمر جاء في اواخر هذه المخطوطة صفحة ١٤١ ما هو بحرفه :

« علقه بيده الحقيرة جهجاه الدحداح وهو مختفي اي مهزوم من حاكم الوقت . تحريرًا في ١٢ كانون اول سنة ١٨٢٨ الثمانية وعشرين وثمانماية والف بغاية العجلة صح صح . واما كتابة الاحمر بعد الرجوع للبيت كتبتاها » .

اما كيف حصل الشيخ جهجاه على هذه المراسلات والمراسيم التي جمعها في مخطوطته « السفينة » وهي تنبئ بانها مأخوذة من دار حكم الامير بشير شهاب الكبير . ويقول الشيخ فريد الدحداح حفيد خطار بن جهجاه : ان جهجاه كان خصمًا للامير بشير وانه لم يدخل في خدمته . لذلك يرجّح عندنا امّا انه نقلها عن مخطوطة كانت بيد احد أصدقائه او اقاربه ، واما انه استقاها من احد كتبة ديوان الامير بشير فنسخها وهو فارٌّ من وجهه حتى اذا عاد الى بيته عنون مواضيعها بالحبر الاحمر الذي لم يكن ينقله معه وهو شريدٌ مهزوم .

ان الشيخ جهجاه هو من قرية — عرامون كسروان — ابن الشيخ حنا الدحداح على ما ذكر الخوري منصور الحتّوني[1] . وافادنا حضرة الشيخ رشيد ميشال الدحداح — كفور كسروان — عن لسان الشيخ فريد الدحداح ابن سليم المؤرخ المعروف ابن خطار ابن الشيخ جهجاه الدحداح ان لجهجاه ثلاثة اخوة كبيرهم : منصور ولويس وعرب. وان فاعور وحنا اللذين يخاطبها جهجاه في هذه المخطوطة ، هما ابناء شقيقه لويس ، اعتبرهما كابناء له . ولم يكن لجهجاه سوى ولدٍ واحد اسمه خطار .. مات جهجاه في قبّ الياس وليس له من املاكٍ هناك انما كان قائد حملة حربية مؤلفة من ثلاثمئة شخص هاجم بها عسكر ابراهيم باشا المصري الذي والاهُ وعاونه، الامير بشير الشهابي الكبير في الحرب.

---

١) كتاب المقاطعة الكسروانية ، الطبعة الاولى ، صفحة ٢٧٨

وكان جهجاه مع الكسروانيين الذين نازلوا الامير بشير وابراهيم باشا في القتال.

وقد ركب الشيخ جهجاه على رأس ثلاثمئة فارس الى دار الشيخ بشير جنبلاط في المختارة لاسعافه في مقاتلة عسكر الامير بشير. وعندما انتصر رجال الامير على رجال الشيخ بشير ، فرّ عندئذ الشيخ بشير جنبلاط والشيخ مرعي واخوه الشيخ بشير الدحداح وابن عمها الشيخ جهجاه قاصدين حوران ، ففاجأهم عسكر الشام في ايام ذلك الشتاء القاسية ، فسلّم الشيخ بشير جنبلاط نفسه للعسكر فشنقه عبدالله باشا بناء على امر محمد علي والي مصر . واما الشيخان مرعي وجهجاه فاخترقا العسكر ومزّقا صفوفه وتاها في البراري والكهوف، ثم توجها الى حلب الشهباء. وانتهيا الى حمص وقد طاردهما الامير بشير شهاب الكبير وضيّق عليهما حتى انهزما من شرّ سطوته ونقمته .

قال مؤرخ حياة الشيخ مرعي الدحداح : « ان الشيخ جهجاه وُلد ١٧٩٠ وتوفي سنة ١٨٤٠ في تبّ الياس ودُفن في كنيستها . وكان قويًا جبارًا وفارسًا مغوارًا له وقائع عديدة مشهورة ، وهو والد الشيخ خطار الذي لم يزل حيًا والذي قد تقلّب في مناصب حكومة متصرفية لبنان نحو ثلاثين سنة[1] » .

ويظهر ان الشيخ جهجاه سافر الى مرسيليا . ويقول الشيخ رشيد الدحداح نقلًا عن الشيخ فريد المذكور : ان سفره كان بصحبة ابنة عمّ الشيخ مرعي واولادها .

وهاك ما سطّر الشيخ جهجاه في مخطوطته صفحة ١٤٢ عن سفره الى مرسيليا :

« انه في تاريخ سنة الف وثمانماية واربعه وثلاثين كان سفرنا الى محروسة مرسيليا صحبة اختنا . وكان قيامنا من البيت نهار الثلاثة (الثلاثاء) في شهر نوار . وكان وصولنا الى محروسة مرسيليا نهار الاربعه (الاربعاء) الواقع في تسعة تموز سنة ١٨٣٤ م الموافقة للهجره سنة ١٢٥٠ » .

---

(١) عليك بترجمة مرعي الدحداح لواضعها نسيبه اسحق الدحداح وقد طبعها على حدة، ونحن اثبتناها في كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » صفحة ٢٥٣ وفي صفحة ٢٦٧ تجد كلمة عن الشيخ جهجاه . وطالع « نبذة خطية قديمة في تاريخ المشايخ آل الدحداح » مجلة الورود شباط ١٩٥٠ وكتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » صفحة ٢٨٩ وحاشية صفحة ٢٩٥

• وكتب عن رجوعه الى الوطن في صفحة ١٤٣ من مخطوطته ما يلي :

« وكان رجوعنا من محروسة مرسيليا نهار الخميس الواقع بعشرين شهر آب يكون جملة اقامتنا بمرسيليا شهرين والباقي على الطريق . استقمنا من بيروت الى مرسيليا ثمانية واربعين يوم . ومن مرسيليا الى قبرص عدد ٣٧ يوم ومن قبرص الى بيروت عدد ٣ يوم . هذا كان كل السفر من الشرق للغرب ومن الغرب للشرق في نهاية سنة الاربعه وثلاثين وثمانماية والف سنة ١٨٣٤ . وكان طلوعنا الى مينا قبرص نهار الاثنين الواقع في اربعة عشر ايلول ضهرية النهار سنة ١٨٣٤ » .

وصرّح الشيخ جهجاه كما رأيت، انه كتب هذه المخطوطة المسماة «السفينة» وهو شريد طريد مختفٍ من وجه الحاكم الامير بشير الشهابي الكبير حتى اذا زالت الفتنة واستقرت السكينة، عاد الى بيته فعنون وتتذ مواضيع «سفينته» بالحبر الاحمر ويردد بلسان حاله مع الشاعر :

وانّي لأغضي مقلتيَّ على الاذى وألبسُ ثوب الصبر ابيض ابلجا
وانّي لأدعو الله والامرُ ضيّقٌ عليَّ فما ينفكُ ان يتفرّجا
وكم من فتًى ضاقت عليه وجوههُ اصاب لها في دعوة الله مخرجا

وكتب الشيخ جهجاه في موضعٍ آخر من هذه « السفينة » ما يلي بالحرف الواحد :

« خدمة توناتك يا خطّار برضا الله اريح واكسب من متاعب النفس والجسم . اياك تبتلي بخدمة الحكّام صح .

وكتابتي هذه السفينة لكي تتقوى بالعربي يا خطّار وتتعلم قواعد الخط من بعض اوجه لان معرفة الشيء احسن من عدم معرفته . خذ من هذه السفينة قواعد الخط ولا تتغيّر وانما انظر للاجود بخطها وامتلكه و لا يلذ لك بعض ترخرفات الخطوط هذه القاعدة ما لها وجود » .

هذا ما اوصى به الشيخ جهجاه ابنه خطار ولا ينبئك او يحذرك مثل خبير، فانه رأى خدمة الارض مع طمأنينة نفس أدر ربحاً واكثر استدراراً لصفاء البال وهناء العيش من خدمة الحكام التي من وراءها متاعب النفس والجسم . وقوله لابنه : « اياك ان تبتلي بخدمة الحكام » لما فيها من المشقة

والنصب، وتحذيراً له لئلا يغويه الطمع فيهمل ادارة بيته وارزاقه وينضم الى حواشي الحكام طمعاً بالجاه او بالمال. ويرغبه في اخذ قواعد الخط عن هذه « السفينة » التي كتبها له للاقتباس منها لانه على يقين من جودة خطها، ولا يدهش للخط المزخرف لان حسن قاعدة خط والده لا وجود لها . وبالحقيقة ان خط الشيخ جهجاه هو جميل متناسق الحروف صحيح التركيب .

ليقتنع المرء بما قسمه الله له من الرزق واختار له من المهن كسباً لمعاشه ومعاش اسرته، واسعد الناس من قنع بماله، واشقاهم مع طمع بما لغيره، والقناعة كنزٌ لا يفنى، فانه لا يحتاج عندئذ الى طلب المزيد من الثروة. وعدم الاحتياج هو الغنى، واكتفاء المرء بما عنده هو اعظم حالات الرفاهية. قال ابو النواس :

ان الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ ولو انهُ عاري المناكب حافِ
ما كل ما فوق البسيطة كافياً فاذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافِ

وهناك ما اوصى به الشيخ جهجاه ابنه في آخر هذه المخطوطة، ووصيته ان يتمسك بالايمان والتقوى والعبادة ويبتعد عن الكذب المشين بالرجال . قال :

« . . . ودائماً يكون عندك الافتكار ان هذه الدنيا زائلة وفي كل مساعيك يكون (ليكن) الله امامك لكي تترقّى من فخاخ عدوّ الخير خزاه الله . واياك والكذب لانه مشين بالرجال . . . »

يستشف من هذا الكلام ان الشيخ جهجاه « رجلٌ سليمٌ مستقيم يتقي الله ويجانب الشرَّ » (ايوب ١ : ٨) وذو نفس ابيّة تعدُّ الكذب منقصةً وعيباً، ومن الصلحاء المتمسكين بدينهم، العزوفين عن الدنيا العاملين للآخرة، لم يبطرهُ مجدُ اسرته ولا شجاعة قلبه ولا وفرة ماله، او تصرفهُ ايامُ محنته عن عبادة ربه وتنسيه الآخرة . انه لم يلتفت الى كل ذلك . وتراه يسهر على تربية ابنائه على خشية الرب، باذلاً لهم النصائح منبّهاً الى المخاطر والمزالق موصياً بخوف الله اولاً لئلا يقعوا في فخاخ ابليس، لان السقي بعد الغرس والتربية قبل الدرس. وقد نهاهم عن الكذب الذي يبين انه آكد شيء اليه حتى خصّه بالذكر

والاجتناب وهو من صفات النفوس الخسيسة المتعيشة من وراء اللؤم والدناءة ، وغير لائق بابناء كرام الاصل . قال الشاعر :

ما احسن الصدق في الدنيا لقائلهِ وأقبح الكذب عند الله والناسِ

وقال ايضاً :

الصدقُ في اقوالنا أقوى لنا والكذبُ في افعالنا أفعى لنا

سُئل ارسطاطاليس : ماذا يستفيد الكاذبون من الكذب ؟ فقال عدم تصديق الناس لهم اذا صدقوا . وكأن الشيخ جهجاه بلسان حاله يقول لابنه ما قاله الشاعر :

كن مع الله ترَ الله معك واترك الهمَّ وحاذر طمعك
لا ترجي من سواهُ املاً انما يسقيك من قد زرعك

***

وكتب في محلّ آخر :

« كتاب مجموع يفيد من ابتلى بداء التعتير بخدمة الحكّام »

وجاء ايضاً :

« خدمة الحكّام ما جا خير يا فاعور وان خدمت لا سمح الله اياك تأمن لان زوال الحكم قريب . والحاكم الموجود وانت خادمه خاف منه » .

وكتب ايضاً في محلّ آخر :

« اياك يا فاعور من خدمة الحكّام ولا تبدي بشيء يكون ضدّ الحاكم حتى تبقى مرتاح انت واخوتك حنا وخطار » .

وكتب ايضاً :

« خدمة الحكام لها ثلاث خصال . اولاً يندم صاحبها الراحة بهذه الدنيا . ثانياً يعادي جميع الخلق . ثالثاً دائماً تحت المخاوف والآخرة جهنم لا محال . وهذا كافي » .

وكتب ايضاً :

« افهم يا خطار كيف يشبّهون (الحكام) المدبّر (الخادم) الى الكلب يشبّهوه » .

من تكرار هذه التنبيهات تارةً لفاعور وحنا ولدي اخيه لويس وتارةً لولده خطار لئلا يغتروا فيخدموا الحكام وقد ذاق منهم الامرّين ، فاذا بُلي احدهم او احد اقاربه بخدمة الحكام كتب لهم هذا المجموع للاستفادة منه مبنًى ومعنًى ودربةً في الكتابة تحاشياً للسقوط في زلل الكلام وهناك السخط والملام .

***

اذا غرق الحاكم في لجّة من اللذائذ والمناعم وتكاثرت في صناديقه الخيور وأطربت أذنه رنة الدنانير ودانت له رقاب العباد وكثر حوله الخدم والحشم لبست العطرسة في رأسه ونشأت فيه الجوارح الطوامع والجوانح الجوامح وعتا وقسى وتكبّر وظن انه ظلُّ الله على الارض والناس عنده كلا شيء ، وما خدمه سوى كلاب تقتات من فتات موائده كأنها محرومةٌ من كل احساس وشعور ، ولا غرابة اذا عوملت معاملة السوائم ، لذلك يجب ان تُحتقر ولا يُلتفت اليها كأن هؤلاء الناس ليسوا بشراً وليس لهم ادنى حق باحدى الكرامات لانهم خدمٌ والخادم عندهم شبيهٌ بالكلب وقد خبر الشيخ جهجاه الامور بنفسه فما رأى خدمةً اكثر ذلّاً ومضاضةً من خدمة الحكام انصاف الالهة .

ما اكثر سخف الذين يرون الالتصاق بالحكام طمعاً بالمجد اوبالدرهم . فانهم يظنون انهم باقترابهم منهم قد طاولوا الجوزاء وسجدت لهم الابهة وأكرمهم الناس وخافوهم ، وسرّوا لو صدقوا من استاذتهم الاحتقار بدل الاعتبار والدرهم عوض الاهانة ، ولكنّ ذوي النفوس الكريمة تأبى السكوت على الذل والاستنامة في احضان المكاسب عند بذل ماء الوجه .

ان الانسان مهما عانى من ضنك العيش ومذلّة الفقر وعنت الدهر ، فكل ذلك اخفُّ عليه من حمل اعباء خدمة الحكّام والسلطين ، لان الهمّ والقلق يلازمانه ويعيش مضعضع الفكر فريسة الاضطراب والارتباك ورهين الهواجس والبلابل ، فاقد الراحة والسكون ، يضطر ان يفعل ما يخالف ضميره ويلحق الاذى بالناس فضلًا عن الخوف الذي لا يبرح قلبه ، لانه لا يعرف في اي وقتٍ يتبدل الرضى بالغضب وتنقلب نعمة الحاكم الى نقمة ، فلأقل كلمة ينقلها واشٍ

او حسود زورًا وبهتانًا ، يستشيط هذا المتسلط غضبًا وبدون فحص او تروٍ ينزل بخادمه اشد عقاب غير ذاكرٍ له شيئًا من الخدمات والحسنات، لذلك ينهى الشيخ جهجاه ولده ولدي اخيه فاعور وحنا عن خدمة الحكام ليظلوا آمني السرب متمتعين بطمأنينة البال في هذه الحياة وبالسعادة في دار الخلود . قال الكتاب المقدس : « تباعد عمَّن له سلطان على القتل فلا تجري في خاطرك مخافة الموت ، وان دنوت منه فلا تُجرم لئلا يذهب بحياتك . اعلم انك تتخطى بين الفخاخ وتتمشى على متارس المدن » (سيراخ ٩ — ٢٠) ويذكر الشيخ جهجاه ابنه بسرعة زوال الحياة لئلا تنشب رجله في المصايد والمكائد ، وان زوال الحكم قريب عملًا بقول الكتاب : « ان العزَّ ليس بدائم ولا التاج الى جيلٍ فجيل » (امثال ٢٧ : ٢٤) .

ولو انصف الحكام والمسلَّطون لمّا قسوا وطغوا وتجبَّروا وعبثوا بالعدل وبالرعية ولمّا سيطرت عليهم الانانية وامعنوا في القسوة والظلم ، وقد قال الشاعر :

لا تظلمنَّ اذا ما كنت مقتدرًا فالظلمُ آخرهُ يأتيك بالندمِ
نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

ولو فكروا لادركوا ان العرش الذي يعتلونه ستتزعزع قوائمه، وان السيطرة والقطعة ستنقلب الى سخريةٍ وهوان وسيمرّ عليها الزمان ويمسحها بكف النسيان وتمفي آثارها الايام ، وسيأتي زمنٌ يقول الناس عنها انها : « اضمحلت وصارت كنفى البيدر في الصيف فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان » (دانيال ٢ : ٣١ — ٤٥) وسيعودون الى الاندماج في عامة الشعب الذي يستهزئ بهم لانهم هزأوا به ويتمّ فيهم قول القائل :

كانوا ملوك وصاروا ناس آه من غدرات الزمان

ولو فطنوا وتأملوا لما رحموا وجمحوا ، ولا بطروا وشمخوا . ليصبر المتألمون، انه عمّا قليل سيتلاشى حكم هؤلاء الخارجين على العدل وتحلّ بهم المحن والآفات فتنسيهم تلك الغضبات والغطرسات . قال الشاعر .

تحكموا واستطالوا في تحكمهم ... وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو انصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى ... عليهم الدهرُ بالآفات والمحن
فأصبحوا ولسانُ الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولا عتبٌ على الزمن

***

وكتب الشيخ جهجاه في « سفينته » ما يلي :

« اسمع يا فاعور فاذا تعلّمت الخط يا فاعور الناس تعوزك ما انت تعوز الناس واقلّه يتضمن مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق . وتعلّم حسابات الهندي وعلّم اخوتك حنا وخطار ولا تتركهم بلا علم لان الانسان بلا علم حمار ناطق . اياك تهمل معرفة الخط » .

ان الشيخ جهجاه يحث الشباب على الاخذ بالعلم لاكتساب التثقيف والتنوير لان الجهل فقر والعلم غنى ، ويكفي ان يُرفع قدر العلم الصحيح لانه يهذب النفس ويكملها ويحملها على التقوى . قال ابن سينا :

هذّب النفس بالعلوم لترقى ... فترى الكلّ وهيَ للكلّ بيتُ
انما كالزجاج والعقلُ فيها ... كسراجٍ وحكمةُ الله زيتُ
فاذا اشرقت فانك حيٌّ ... واذا اظلمت فانك ميتُ

ويرغب اليهم ان يتعلموا الخطّ : قال الشاعر :

تعلّم قوام الخطّ يا ذا التأدبِ ... فما الخطّ الّا زينة المتأدبِ

وللخط رفعة ومكانة في ذلك العصر لان الكتّاب والقرّاء كانوا قلائل ، يستخدمهم الحكام والامراء للكتابة في دواوينهم ، وقدر الكاتب مرموق بلاحظة الرضى والارتياح ولا سيما اذا كان بارعاً بالخط . والخط البديع متعة للعين وفرحةٌ للقلب . وكان الخطُّ مهنةً يعتاش صاحبها منها ولم تكن اجرة الكاتب بقليلة ، لذلك نرى الشيخ جهجاه يقول : « اسمع يا فاعور فاذا تعلّمت الخط يا فاعور الناس تعوزك ما انت تعوز الناس واقلّه يتضمن مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق ... »

وها ان الشيخ مرعي الدحداح تعيّن اولاً كاتباً عند الامراء ابناء الامير يوسف شهاب وكان ينسخ الكتب ويبيعها حتى في ذهابه الى مرسيليا نسخ

كتاب « بحث المطالب » وهو على ظهر الباخرة. وقد اهدى كنيسة عرامون — كسروان — كتاب شحيم وكتاب سنكسار بخطه السرياني[١]

وهذا الشيخ فارس الشدياق صاحب جريدة « الجوائب » في الاستانة، باشر اولاً بنسخ الكتب الكنسية والعلمية وكان خطه جميلاً في القلمين العربي والسرياني. ولما شاعت براعته في النسخ تعيّن كاتباً عند الامير حيدر شهاب صاحب كتاب « الغرر الحسان » في تاريخ لبنان. وقد قال : « كان اهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تجنح اليه . فعندهم ان من يكتب خطاً حسناً هو الذي أفق بين اقرانه بالفضل[٢] ».

---

١) قد عثرنا في تنورين (بلاد البترون) عند المرحوم الخوري نعمة الله كرم الحصروني على كتاب انجيل ضخم خطي منسوخ بالحرف السرياني – الكرشوني – بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر . وفيه عدة نوافير : لمار بطرس، والاحد، وتقديس البيعة، والملائكة، والسيدة والرسل، والشهداء، والموتى والمعترفين والابرار والصديقين. . . الخ خط الشيخ رعي نادر الدحداح انتهى من كتابته في ١ شباط سنة ١٨٠٤ مسيحية . راجع كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » حاشية صفحة ٢٥٦

وذكرت مجلّة « الرابطة الكهنوتية » في خلال مقال لحضرة الخوري افرام الشالي في « النوافير المارونية » السنة الحادية عشرة، العدد ٥، ايار سنة ١٩٦٠ صفحة ١٢٠ : نسخة خطية لهذا الانجيل جاء في آخرها ما هو بحرفه : « تم تحريره على يد العبد الخاطي رعي بن نادر الدحداح في ١٣ من شهر شباط سنة ١٨٠٢ مسيحية . . . وكان ذلك في ايام رئاسة مار يوسف التيان بطريرك الانطاكي وسائر المشرق» ترى ترجمة حياة الشيخ رعي الدحداح في كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزّار » صفحة ٢٥٣–٢٨٧

٢) كتاب « الساق على الساق في ما هو الفارياق » صفحة ١٧ و ٢٤، طبعة باريس ١٨٥٥

لدى حضرة الصديق الاستاذ يوسف ابرهيم يزبك نسخة خطية من كتاب « الخطب البيعية » التي تتلى في مساء الاحاد والاعياد وصباحها نقلها من اللسان السرياني الى اللسان العربي القس جبرايل فرحات الحلبي الراهب اللبناني (المطران جرمانوس) بخط فارس بن يوسف الشدياق، بالحرف السرياني – الكرشوني – الملفوظ بالعربي . وكان تمام تحريره ومقابلته في كانون الثاني في قرية الحدث في ساحل بيروت سنة ١٨٢٥ مسيحية (راجع كتابنا « الشدياق واليازجي » صفحة ١٤٠ و ٣٢٠ و ٣٢١ .

وفي مكتبتنا نسخة خطية من كتاب « الخطب البيعية » هذا بالحرف السرياني الكرشوني

وكانت المطابع قديماً نادرة، فقامت مقامها أيدي النسّاخ بنسخ كتب التعليم للدارس ، وكتب الطقوس للكنائس وهي التي صانت لنا الكتب الغالية من التلف والاندثار . وقد وضع كمال الدين الحلبي كتاباً خاصاً في الخط العربي .

وجاء : « ان الاتراك يتقنون الخطوط كالثُلث والنسخ والرقعة والتوقيع لدرجة ما بعدها اتقان حتى انه ليمكن اعتبار هذه الخطوط من الفنون الجميلة كالرسم والتصوير لما فيها من الحسن والابداع . وكان السلطان محمود الثاني خطاطاً كبيراً ، ومعظم الالواح الجميلة الموجودة في جامع السليمانية بخطه، ومنها ما هو بخط معلمه ولكن المطّلع على الخطين لا يسعه الّا ان يقول :

يخطّطُ مولانا خطوط ابن مقلةٍ وينظمها نظمَ اللآلي في السلكْ

فهذا عليه رونقُ الخطّ وحدهُ وهذا عليهِ رونقُ الخطّ والملكْ [1]

***

وتهافت اللبنانيون على اتقان الخط، ومن كان خطه جميلاً تباهى به مفتخراً وكان حديث بني قومه . وممن برعوا في الخط حنا ابي صعب ، وابراهيم يزبك —

بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر على ورق حجج سميك، خط منصور بن يوسف الشدياق وقد كتب فيه بضع ورقات شقيقه فارس (احمد فارس فيما بعد) جاء في آخره بالحرف العربي ما هو بحرفه :

« تم هذا الكتاب المبارك على يد العبد الفقير الى ربه تعالى الذي ليس يستحق ان يذكر اسمه لكن لاجل الذكر الصالح منصور ابن يوسف الشدياق وقد اسعفه اخيه فارس ببعض اوراق . وكان ذلك في ايام سيدنا وفخر ملّتنا المارونية ماري يوحنا الحلو البطريرك في ١٤ نيسان سنة ١٨٢١ والمجد لله سرمدياً امين » وخط منصور بالسرياني بديع لا يقلّ جمالاً عن خط اخيه فارس الشدياق ولا يتخرق القطّان .

وعلى ظهر هذه الورقة المدوّن في آخرها اسم الناسخ هذه الكتابة بالسريانية وتفسيرها بالعربية بخط ثلث وهي :

« كما يفرح النوتي يوصل سفينته الى المينا ، هكذا يفرح ويسرّ الكاتب في السطر الاخير » .

١) القسم الثالث من مقال « القسطنطينية » لامين الغريّب ، جريدة « الحارس » بيروت ، في ٢٧ شباط سنة ١٩١٤

والد الاديب الكبير يوسف ابراهيم يزبك حدث بيروت – وابراهيم خليل الجرّ والد الدكتور خليل الجرّ – يحشوش – امّا الذي بزّهم ونال شهرة متأنقة بالخط فهو علّام حنا علّام – كفور كسروان – مفخرة الاوائل والاواخر ، وقد فاق بجودة الخطّ على استاذه حنا بك ابي صعب الشاعر والخطّاط الشهير . وكانت تتسابق المدارس الكبرى على طلب علّام لتعليم الخط فيها . ودفاتره الخطية المطبوعة اشهر من نار على عَلَم. وقد اكتسحت جميع الدول العربية ، وتفرّد علّام باشراق خطه ونعومته فاصبح متعةً للعين وبهجةً القلب . وكان يتقاضى اجرة السطر الواحد – نسخة تعليم لغير تلامذته – ليرة فرنسية ، وكان الاقبال عليه عظيماً ، والذي يحصل على نسخة من خط علّام يحتفظ بها كاثمن الذخائر. وُلد علّام سنة ١٨٤٥ وتوفي سنة ١٩١٠ وقد رثاه الادباء والشعراء مستكبرين الخطب فيه . ونكتفي باثبات تاريخين لوفاته الاول للشيخ عبدالله البستاني والثاني للاستاذ بولس زين :

تاريخ الشيخ عبدالله البستاني

تبكي ابنَ مقلةَ مقلةٌ سفّاحةٌ دمعاً يروّي تربهُ بسجامِهِ
وعليهِ تلتاعُ الطروسُ لانها فقدت بديعَ الوشي من اقلامِهِ
يا آل علّامٍ اصاب مصابكم كلَّ القلوب بنافذات سهامِهِ
قد ساء خطبُ فقيدكم طلابهُ وتوارثوا الحسرات بعد حِمامِهِ
عهدي بكلِّ هاتفاً بحريفهِ اسبلْ دموعك حافظاً لذمامِهِ
ذرْ كل ذي لَسِنٍ على تاريخهِ يرثي فريد الخطّ مع علّامِهِ

سنة ١٩١٠

تاريخ بولس زين

كلّ حيٍّ مصيرهُ الموت لكن ليس كلٌّ ذكراهُ يطوي الحِمامُ
ان في الرمس كابن مقلة خطّاً فاق حتى دانت لـهُ الاقلامُ
ايّ نادرٍ ومعهدٍ لم يزنهُ فلتخلد آثارهُ الايامُ

مات والخطبُ ارخوهُ جليلا علَمُ الخطّ شيخهُ علامُ

سنة ١٩١٠

ولعلّام روايات ونوادر ولطائف بشأن الخط وانما ننشر على الزنكغراف مثالًا من خطه[1] .

وبعد ما ذُكِرَ لا نستغرب اذا كان الشيخ جهجاه الدحداح يحضُّ ابنه وابني اخيه على تعلُّم الخط . وقد حان لنا ان نبدأ بنشر مقتطفات من المراسلات من مخطوطته ونبذات تاريخية ، نستدلُّ منها على كيفية المراسلة في تلك الايام وكيف يُكتب لاصحاب المقامات مما يكشف عما كان للحكّام من الفخفخة والمجد في ذاك الزمان. وقد تركنا هذه المكاتيب على سجيتها وصبغتها الاصلية بدون تغير كلمة او عبارة فيها وقد وضعنا لها ارقاماً معلّقين مــا حضرنا من الحواشي . وها اننا نبدأ بالرسالة الاولى من المخطوطة[2] :

١

تعزّي (تعزية) من الحاكم الى المشايخ الحمادية

الى جناب حضرة الاخوان العزاز المشايخ بيت فلان المكرمــين حفظهم الله تعالى .

اولًا مزيد الاشواق الى مشاهدة خوتكم في كل خير وعافية والثاني بلغنا توفي المرحوم والدكم الى رحمة الله تعالى فقد حصل لنا غلت (كذا) كلّي من كون الذي ينكّدكم لم نخلو من كدره بما ان صداقتكم عندنا اكيده ولكن

١) عليك بمقالنا « علّام حنا علّام في مجلة « الورود » البيروتية ، الجزء الثامن ، شهر نيسان سنة ١٩٠٢

٢) عند الاستاذ يوسف عماد كتاب انشاء مكاتيب بالخط السرياني الكرشوني الملفوظ بالعربي عنوانهُ : « مكفي ارباب الانشاء ومطفي التهاب الاحباء » « كنوز الافادة في الترجمات المتادة » « الترجمات الجارية ما بين الكتّاب من خطاب وجواب واعتذار وعتاب » .

وجاء في آخره : « التمه بيده الفانية الشدياق اسعد الكفوري الحوري سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) » .

امر الله لا يُرَد وله بخلقه تصاريف تجل عن التعريف . ان شاء الله يكون خاتمة احزانكم .

محب مخلص

٢

مكتوب تهني (تهنئة) كما ترى

غب لثم الانامل الطاهره والتماس الادعية البارة وعرض حال الاشواق بلسان الفراق وتعداد تلوة المحبة من فؤاد مكلوم الوحشة ومخلص الدعا بدوام بقاكم وسمو شان ارتقايكم في كل خير وسرور . وحظر بالتهاني موفور ، هذا وان جاز بروض الخاطر الابر بنسيم سوالاً عن حال ولدكم فاننا من كرم الله ذي الجود وبركة دعاكم الخيرية حايزين عميم الصحة والعافية متوسلين لله تعالى بدوامها على قدسكم وليس بنا سوى الاشواق بلهيب الفراق للثم اناملكم . وبينما انا اكابد صبابة الوجد وتعلل الفؤاد بما يرد من بشاير السرور السارة باليوم والغد ، واذ بابرك طالع ، حميد المطالع وردة (وردت) الينا بشاير السرور ، تهادي احاديث الطرب الموفور ، فانجلت الصدور من مفرحات بشرها الفاخر ، وتعطرت الحواس من نفحات طيبها الزاهي الزاهر ، وذلك فيما جادت العناية الصمدانية والمواهب الربانية ، بارتقاكم الى الدرجة الاسقفية ، والتقليدات الرسولية ، فيا لله من مكارم هذه الاجابة ، وحسن هذه الاصابة ، التي ابدت لنا موانح المسرة بتسليم القوس باريه ، والسهم راميه ، فلا ريب ان بذلك بهجة الارواح ، ومعدن الفلاح والصلاح ، كيف لا وسيادتكم عَلَم الوقار ، بل والانا (والاناء) المختار ، ولقد يقتضي لنا بان نهني ذواتنا بهذه المنية الاسما ، (الاسمى) والبهجة الكبرا ، (الكبرى) فلا برحتم سيادتكم مقلدين عصا الرياسة ، مكللين بتاج السيادة ، وموردكم من الفضل والندا (والندى) وفية زاهية ، وحظوظكم من الرياسة وافية ، رافلين في حلل الصحة والسلامة والاعتدال ، على ممر الايام والليال .

والآن لايضاح ما حلَّ بنا من السرور ، باشراق هذه البشرة (البشرى) السامية ، بادرنا بترقيم عريضة الخلوص موشحة بالتهاني ، ونيل الاماني ، وبها

نفتقد الخاطر الانور ، راجين بها دوام امدادنا ببشاير صحتكم المأثورة، بعدالة ذاتكم المبرورة ، فيما يلزم من الخدم ، والمهام ، فهو رهين الاعلام ، وفي كل وقت نومل من رأفتكم الابوية، دوام مواردنا بالادعية الخيرية . واقبل اياديكم وادام الله بقاكم .

٣
اقران

غب وفرت (وفرة) اشواق وافيه ، خارجه من خالص الفواد والطويه ، بمشاهدة نور طلعتكم البهيه ، على كل خير ، وفيما نحن مترقبون وفود الاعلام ، ومتشوقون لاستنشاق نسمات الاخبار التي بها يشفى عليل الوجد والهيام . اذا في ابهج اوان ، وطالع سعيد الاقتران ، قد تشنفت الاسماع ، وترنمت الالسن بما يروي حرّ صدا الوجد والتياع (والالتياع) وذلك بان كوكب اقبال سعادته لمع وشرّف هذه النواحي وبيت الدين بجده ضاء[1] وسطع فلهج القلب واللسان بازدياد ادا (اداء) الدعا للملك المنان ، لفوز سعادته العليه بالسرور والانشراح ، وبلوغ الحظ المأثور بالتوفيق والنجاح ، فنسال الباري الكريم جلّ جلاله، وعم نواله، بدوام بقا (بقاء) سعادته مدا (مدى) الايام والاعصار ، ويجعل اقمار سعد دولته مضيه بها الازمان والادهار ، ويسبغ على معالم مجده اثواب الرفاهيه وهداوة البال ، مدا الاعوام ما لاحت الاصباح وتوالت الليال .

وكذلك قد بزغت نجوم البشاير والحبور ، وامتلت القلوب من الافراح والسرور ، باشراق الكوكب السعيد ، والابدر الاغر الحميد ، الذي بضيايه ازهرت ربوع المجد والثنا ، وازدادت الارض بحلوله عليها عزاً وبهجةً وهنا ، فهو الامير الجديد ، ونجل السعادة والسيد المجيد ، من جُعِلَتْ لهُ العلا مهدًا ، وتلالت به المكارم فرحاً وحمدًا ، فاسدينا لله العلم الدعوات الصافيه ، بدوام بقا (بقاء) سعادة افندينا جده[2] لبره جداً ، وان يزداد به ولوالده والاعمام

١) يريد به الامير بشير الشهابي الكبير الذي كان غائباً وعاد الى عرينه بتدين .

٢) يستفاد من كلام كاتب هذه الرسالة، انه وُلد لاحد اولاد الامير بشير الكبير ولد وهو يرحب بمولده ويتخلص الى الدعاء لله تعالى باطالة عمر جدّه .

والاخوان اسيادنا عزاً وسعداً ، فنساله تعالى ان يمد باعمار تلك الاقمار الزواهر ، ونرى لجميع افنديانتا امراء كراماً ، ويا حبذا اوليك الاكابر ، ودايماً صلة الاعلام .

٤

في ما جاء من باب التهاني

ثمَّ انه قد بلغنا خبر تاهلكم فحصلنا من قبل ذلك على محظوظية، ودعونا لكم بالتوفيق والبركات الوفيه ، فان شا الله تعالى يكون اقتران مبارك حميد البداية ، سعيد النهاية ، ولنقل مع الشاعر :

فتهنَّ (فتهنأ) في عرس وعرس انها بالخصب ليًّا والبها راحيل

بل تجدونها مجمَّلة باوصاف الخضوع واصناف التكريم ، كساره المباركة مع ابراهيم ، ويكون تزيينها ليس فقط بالحلل الفاخره ، بل بالتواضع وباقي الاداب العاطره ، ويكون دخولها الى منزلكم للبركات واجزل الخيرات ، ومنذ الآن ، وفي كل الاحيان ، تكونون موفقين الاحوال ، مبلغي الامال ، بما يرضي عزة ذي الجلال المتعال ، دمتم بحراسته مدى الاجيال .

٥

في الاستفقاده

انه لقد بلغنا عنكم خبرٌ كدَّر منا الفكر ، واعمى البصر ، وهو انه حاصل لكم تشويش مزاج ، وانكم من قِبَله بغاية الضيم والانزعاج . فيا ايها الحبيب النجيب ان اكل ما يروّق البال ، هو المطابقة لمشيئة المولى المتعال، واقتبال كلما يفتقدنا به في السرّآء والضرّآء، وفي كل حال فنساله بجبيه الذي اشفى حماة بطرس من الحمّى ، ان يوليكم منحة الشفاء والصحة العظمى ، وان يحولكم الآن صبراً ، ثم عافية واجراً ، نومل تعرفونا عن كيفية حالكم لعل بعد ذلك اصبتم حالًا احسن، ورزقتم من لدنه تعالى اوفى المنن ، بالسلامة من هذه المحن ، ومهما كان لازماً لكم في هذا الجانب من الاشغال ، عرفونا

عنه وان شاء الله نبادر اليه بلا اهمال ولا امهال ، اولاكم مولاكم غاية الشفاء ، واصبتم من لدنه رحمة واطفاً .

٦

في ما جاء من باب التهاني بمولود اتى

ثم نهنئ جنابكم بما حزتموه من لدن نعم المولى المنان ، بايجاد هذا النجل السعيد المنصان ، ونسأله تعالى كما منّ بمولوده ، يجود عليكم بحفظ وجوده ، ويبقيه لكم محروساً من كافة الاخطار ، وموقياً من كافة الاضرار ، ويكون لكم من خير الانجال النجباء ، واظرف الاولاد الادباء ، وتفرحون منه ومن انجال الانجال ، وجنابكم بكل رياضة واعتدال ، والآن تهنئة لجنابكم بهذه النعمة الوافره ، والموهبة الفاخره ، ثم ايضاحاً لما حصل لنا من السرور وكال المحظوظية والحبور ، بادرنا برقم هذه السطور ، فنرجوا ان تعرفونا عن صحتكم وصحته كما هو المأثور ، فيما بدا من المصالح بهذه الجهات ، رهين الاشارة والتحريرات ، ودام بقاكم بدوام الخيرات والمسرات .

٧

الجواب

وذكرتم تهنونا بالولد الذي اتحد لنا من كرمه تعالى فنسأله تعالى ان يهنيكم بالامور الصالحه ، والاعمال الناجحه ، ويوليكم من لدنه غاية التوفيق والنجاح ، لنفرح منكم عن قريب وانتم بنهاية السعود والانشراح ، ومما ذكرتموه عما حصل لجنابكم من السرور والحبور ، فلا برحتم بها مدى الادهار ، فموكد عند اخيكم وفور مودتكم الصادقه ، وعطوفة غيرتكم الفايقه ، والآن اشعاراً بوصول كتابكم الكريم ، بادرنا بتحرير هذا الترقيم .

٨

ترجمة من مشايخ البلاد والامراء للاغوات المعلومين

الجناب الاكرم الاجل الماجد المحترم ، كريم الخلال والشيم ، عميم الافضال

والكرم ، الهام العالي الهمم ، والريبال المصور الاشهم ، الحاج فلان اغا الافخم ، دام بسوابغ النعم .

غب اتحاف اضاف التحيات النبيه الفاخره ، واسداء اشذى التسليمات الزكية العاطره ، واهداء الطف سلام يروق عن الزلال صفاء ، ويفوق على النسيم بلطفه خفاء ، ويفاوح نفحات الرند والخزام زكاء وعبوقاً ، ويضارع مطلع البدر التام بهاء وشروقاً ، واشواق يكاد ان يفني المداد ، ويداهم القرطاس والقصب النفاد ، ولا يحصى لها تعداد ، ولا توصف كما يراد ، وقال بعضهم واجاد :

ولو ان امياه البحار محابرٌ وكل نباتٍ في البسيطة اقلامُ
ولو ان ما بين الثريا الى الثرى قراطيس والكتّاب عربٌ واعجامُ
وراموا بان يحصوا اشتياقي اليكمُ لما وصفوا معشار عُشر الذي راموا

ووجد حل في الفؤاد ، فاضرم بالجفون نيران السهاد ، الى مشاهدة بهي ، ذلك المطلع الشهي ، لا برح من لدن رب العالمين الكريم ، مرموقاً بعين الرضى والتكريم ، مجملاً بالبشر والافراح ، ما لاح بدرٌ وضاء مصباح .

اما بعد فالداعي الى ترقيم نبذة الوداد ، وتاليف حروف ورسالة الالفة والاتحاد ، فهو السؤال عن الخاطر الكريم العاطر ، ولطف المزاج الفاخر ، ان شاء الله تكونوا حايزين غاية المسرات ، معمومين بجزيل السرور والخيرات ، نرجو في كل حين ان تجودوا علينا بمشرفات التطمين مع ما جدّ من المهات ، رهين الاشارات ، وادام لله تعالى لوجودكم دوام البقا ، ولسعد سعودكم سمو الارتقا . .

٩

غيره جواب

الجناب العالي ، كوكب المجد المتلالي ، الريبال المصور اللوذعي ، والندب الهمام الالمعي ، الاديب الكامل ، والنجيب الفاضل ، غرّة جبهة الزمان ، وعين

انس الاوان ، فخر الاعيان الفضلا . وذخر الاقران النبلا . ، الاجل المحترم ، اغا عالي شان المحتشم ، دام بقاه .

غب تبليغ بليغ الغرام ، الذي تنبو عن رقه مواضي الاقلام ، واهداء ازكى هيام ، يفاوح نفحات الخزام ، ووجد لا يرام ، وشوق مقرون بواجب الاكرام والاحترام ، مع تأده (تأدية) فروض الاحتشام ، اللايق بسامي المقام ، صانه الملك السلام ، محفوفاً بسوابغ الانعام ، مدة كرور الاعوام .

ثم انه في اسعد الاحيان واظرفها ، واحمد الازمان والطفها ، ورد الكتاب اللذيذ الخطاب ، وفهمنا فحواه العزيز المستطاب ، وما ابديتموه من العتاب ، الذي هو دأب الاحباب ، ونسيمة الاصحاب ، قد صار قرين الافكار ، ولم نبرح نتردد به الليل والنهار ، والآن تقريراً للنية الرايقة ، والفكرة الحاذقة (الحاذقة) عما كان سبب هذه الامور ، اقتضى ترقيم هذه السطور ، وهو انه كذا كذا ، فالمامول نشر طي هذا الكتاب بطوية صالحه ، وان تجروا على ما يخال لكم من القصور ذيل المسامحه ، ولا برحتم جنابكم بدوام الحبور والانشراح ، رافلين باسنى حلل السرور والافراح ، ونرجو في كافة الفرص والاحيان ، ان تواصلونا بكرايم الاطمئنان ، مع ما بدا من المهام ، رهين الاشارة والاعلام ، ودام بقاكم .

المحب المخلص بمعلوم

١٠

جواب من حاكم جبل لمتسلم طرابلوس

هذا وفيما نحن نلهج بمحاسن مآثر الجناب الحميده . ونعطر المجالس بترديد تذكار السجايا الفريده . واذ بابرك اوان . وابهج طالع سعيد الاقتران . قد ورد علينا طرس جنابكم الكريم . وفهمنا فحواه الوسيم . وحمدنا من يجب لعزته الحمد اذ خولنا الاطمئنان على صحة المزاج الفاخر . وعدالة الطبع الباهر . وبه من خلوص الحب ولطافة الاخلاق تفضلتم بالسؤال عن الحال فنسأله تعالى ان لا يغرب عنا انوار وداد الجناب . ويحفظ لنا وجودكم الكريم مصاناً من كافة الاوصاب . فمن نحونا لله عظيم المنة حين ترقيم تتمة الثناء راقين مراتب الصحة فلا زلتم بدوامها مع مزيد الرفاه والاقبال .

ثم وما قد بزغ من انوار القريحه على وجه العتاب بمحجب الرسايل . فلمخلصتكم من مخاص باعظم دلايل . وذلك بما ان صورتكم المأنوسة مطبوعة في صحيفة الفؤاد نستكفي بها عن تواتر الرسايل وان طال البعاد . وما ابديتموه تلطفاً من الاعتذار بعدم تمام المرام بتضاعف ارسال الاساير لسعادة اخيكم سلطانم الوالد الافخم[1]. فلا ريب ان هذا من مجر الحب الوافر من حيث لا يخفى كريم علومكم ان سعادته دائماً يثني الثنا. الجميل . وحاصل لديه محظوظيه قديه وحديثاً (وحديثة) من خلوص الوداد الجزيل . والآن قد زدتونا منة فوق منة بما تفضلتم بارساله اي جرى[2] (كذا) الاسير التي خصصتونا بها . اجزل الله على جنابكم الخيرات . ولا زالت كافة اوقاتكم محفوفة بكمل الانشراح والمسرات . والآن تشكراً من الافضال وافتقاداً للخاطر الكريم اقتضى ترقيم الوكة الموده وغاية المأثور دوام اتحافنا بورود الرسايل المسرّه مع كل ما يلزم ويبدو من المهام . فهو رهين الاعلام .

١١

مرسوم شريف من سعادة صاحب السعادة الصدر الاعظم صالح باشا الى جناب الشيخ بشير (جنبلاط) في سنة ١٢٣٧ (٢٨ ايلول سنة ١٨٢١)

فهذا كتابنا الى قدوة العشاير والقبايل شيخ المشايخ شيخ بشير زيد قدره. سورنا مؤتقاً من عواطف بابنا العالي فهو ان المعلوم من جميع الناس ان المبغوض المغضوب عبدالله باشا الوالي في ايالة الصيدا سابق قد نال قبل هذا من محض عواطف الدولة العليه السلطانية بالرتبة العاليه الوزارة في ريعان شبابه وحصل الامتياز بين امثاله (امثاله) واترابه ولكنه لا يعلم قدر ما أعطي من تلك النعم الجليله والمنح الجزيله حيث خرج بكفران جبلته عن دايرة الانقياد وتجاسر بالبغي والفساد وان حدرناه (حذرناه) عمّا فيه من الافعال الشنيعة نفرّ وصرّ في حركاته الرديه حتى اطال قدمين كلمه وتجاوز الى ارجاء الشام الشريف وبسط يديّ غضبه وتعديه بمرتبات الحاج المنيف وتصدّا (وتصدى الى). كذا وكذا بانواع الفعل السخيف والطور العنيف فلزم ازالة وجوده لاراحة العباد

١) نظن ان هذا الجواب هو من الامير امين نجل الامير بشير الشهابي الكبير .
٢) ربما كانت جرابات ، ضرب من الخبز يعيّن للعسكر وللامراء .

وازاحة الفساد عن البلاد فسوف يشاهده سوءا جزا عمله ان شاء الله تعالى بلا امتداد لكن المقصود من كتابنا هذا انه قد كان قبل هذا معلوماً عند الدولة العلية ولا سيما الآن بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الوالي بايالة الشهبا سابق والوالي بايالة صيدا حالاً ان المغضوب المرقوم عبدالله باشا قد اغتلك (كذا) من قبل بصورة الحق كاشاعة الحوادث بتوجيه الشام وامارات الحاج لمدته . ولكن حقيقة الامر ظهرة (ظهرت) عندك بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الوالي بايالة الشهبا سابق والوالي بايالة صيدا حالاً ان المغضوب المرقوم قد بغى وطغى بان حضرة سلطاننا سلطان الاعظم مالك رقاب الامم . مد الله ظلال مراحمه واحسانه على العالم . لقد اراد ازالة خبث وجوده عن ي فاعرضتو (فاعرضتُ) ونويت عنه واطلعت واعتصمت بكلام الوزير المشار اليه حتى ارسلت ولدك وتقاً (وتقاً) الى جناب الوالي بايالة الشام الشريف الصدر الاسبق درويش محمد باشا دام اجلاله وهو ابقاك في مشيختك فانك لقد اظهرة (اظهرت) بذلك الوجد في هذا الخصوص ما يجب عليك وعلى قومك واستجلب الخير والسلامة في حقك لان الظاهر عند الدولة العليه انت عمدة قومك وقدوة عشيرتك تعلم وتتقن ما يقتضي لك ولاتباعك من اطاعة اوامر السلطانيه بحيث منذ كنت شيخاً على قومك ولم يسمع منك الى هذا الان الا خدامة المرضيه فلذلك عفى (عفت) عنك الدولة العليه ما وقع منك بالخطا في بعض الاحوال الذي يتضمن الاتباع الى المغضوب المرقوم قبل الوقوف بكيفية ارادة حضرة السلطانية .

فالآن ارسلنا اليك هذه الورقه المخصوصة لتزل على قلبك سكناً ويحصل امناً حسناً فاذا عرفت الكيفية بوصول هذه الرقيمة فعليك الاستقامة والثبات (والثبات) في مقام الانقياد والاطاعات والامتثال لكلما ورد اليك من طرف الوزير المشار اليه الوالي بايالة صيدا . وابرز الخدمه والصداقه في مصلحة عكا فان الخير والسلامه والاخرة والاولى انما يكون باطاعة السلطان والخليفة الدوران الذي افاض على العالمين البر والاحسان وملا (وملأ) بانوار جلالة شانه الكون والمكان. فطوبى لمن استظل بظلال شوكته العلية واتبع برضاه الاعلى فيما امر ونهى . والسلام على من استمع القول واهتدى .

١٢

في عوايد الكتابة الى السيد البطريرك

ايها الاب الاقدس

غب لثم ثرى اقدام قدسكم الاطهار والتماس صالح ادعيتكم في مقاطع الليل والنهار مع رفع الدعا بدوام بقا قدسكم وتأييد ايام رياستكم . نعرض انه في اشرف زمان والطف اوان تشرفنا بورود المرسوم الشريف وفهمنا فحوا السامي المنيف وجميع ما رسمتموه بـه صار معلوم ولدكم وان شا الله حسب امركم العالي نبادر بقضا المصلحة الفلانية حسب المطلوب . والآن اقتضى اعراض اشعاراً بوفود مرسومكم الشريف وابتغآ عدم هجرنا من فيوضات الخاطر المنيف وان لا تُنسى من الدعوات الخيريه ونكرر لثم الانامل المقدسه الشريفه .

ولد غبطتكم فلان

النيشان

يتشرف بلثم انامل قدس الاب الاقدس ماري يوسف بطرس البطريرك الانطاكي وساير المشرق الكلي الطوبى دام برّه .

١٣

صورة كتابه من جناب ولد حاكم الدير الى بطرك الروم

ثم الكتابه على طرحية ورق سفول (مصقول)

جناب حضرة المحب الاعز الاكرم والصديق المحتشم البطرك ميتوديوس المكرم دام محفوظاً .

غب اهدا زواهر الموده العاطره وجواهر المحبـة الفاخره ومزيد الاشواق الوافره لمشاهدتكم بكل خير وعافيه انه بابرك ساعه ورد لنا تحريركم وسرنا علم صحتكم وما ذكرتموه بقي بمعلومنـا وعرض دعاكم المرسل لسعادة سلطانم الوالد الماجد الافخم وصل وقدمناه لديه الكرام . وواصل من لدنه جواب بفحواه السامي كفايه . ونرغب دوام ورود اخبار صحتكم بما يلزم .

محبكم امين ش

---

١) الكتابة هي من الامير امين ابن الامير بشير شهاب الكبير حاكم دير القمر .

١٤

ترجمة الى القاضي والمفتي

الى جناب قدوة العلماء المحققين . وعمدة البلغا المدققين . اقضى قضاة المسلمين . المحفوف بوقاية رب العالمين . سعادة مولانا فلان افندي المحترم. دام بمزيد الفخر والنعم .

غب لثم ايادي (ايدي) سعادتكم الكرام. وتأدية الدعا لله تعالى بدوام بقاكم للدوام . كلما وجب ولاق لسامي المقام من الاهابة والتوقير والاحتشام. نعرض بين ايديكم ان الداعي الى تدبيج صحيفة الدعا فهو افتحاص انشراح الخاطر العاطر . ولطف المزاج السليم الفاخر . ان شاء الله تكونون بدوام الرفاهية والرياضة . مع سبوغ الانعام المفاضة . رافلين بوشاح العز والفخر والافراح. ثم ان جار من حاز ارق الخصال . بالسوال عن الاحوال . فانا من كرم وجود . واجب الوجود . حين رقم هذه السطور . بغاية الاعتدال المأثور . مقيمون على وظيفة الدعا والتوسل للمهيمن الاخذ بحجز الشفعا بدوام بقاكم بالسرور . وغاية الجذل والحبور . مع صفا البال . وزوال البلبال . وتمام الاقبال . نرجو تشرفونا بكلما توفق من الاحيان . بمواصلة مراسيم الاطمينان . معها بدا من الخدم والمهام . قسعياً على الرأس قبل الاقدام . وادام الله بالاقبال سعد سعودكم . واشرق في ابراج الجلال شمس وجودكم .

١٥

من وزير للمشايخ

افتخار المشايخ الكرام حاوي المحامد الفخام محسوبنا الشيخ فلان زيد قدره. غب التحية والتسليم براسم الاعزاز والتكريم . المبدي اليكم انه كذا كذا فبوصوله واطلاعكم على مضمونه بادروا حالاً بالمطلوب من دون تاخير ولا تقصير اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد . السيد عبدالله والي صيدا

١٦

اعراض

نعرض ليس خافي سامعكم الشريفه احوال هذه السنه والضعف الحاصلين به والحال الشديد الذي يرثى (يرثى) له. ومعلوم عند الجميع قد حصلنا باحتياج

لا يوصف ومن كوننا عبيد رق لسعادتـه وجنابكم حاشا الشيم الملوكيه ان تسمحو جنابكم اننا بايام دولتكم السعيده نحصل على هذه الحال . فزيادة رجانا بمراحمكم الاصفيه ومكارمكم الحاتميه تهجمنا بهذا الاعراض لدى المسامع الشريفه املاً بوفور شهامتكم الملوكيه تفيض هممكم العليه وتترجو مراحم سعادته ايده الله في عبيدكم باصدار الجلو بما تفيض مراحمه العليه لنعيش به ونستمر بما هو واجب علينا تقديم وضيفة (وظيفة) الدعا الخيري للملك الجبار بدوام دولته الزاهره مدا الادهار ويخلد لنا وجود جنابكم سالماً من ساير الاضرار.

١٧

انشاء لبعضهم

ابهى وافضل واشرف ما سجعت وانشت اطيار منابر الاغصان على قدود افنان الاشجار بالحان نشايد فِقَر الاوزان الشجيّة. واشهى واكمل واظرف ما نسجت ووشت ابكار خداير الاذهان من برود معاني النثار ببنان خرايد غرر البيان السنيّه . وازهى واجمل والطف ما نظمت ورقشت افكار ضماير الانسان من عقود جمان الاشعار بلسان فرايد دُرر التبيان الوضيّة .

شعر

سلامٌ يفوق المسك والند نفحةً تضمَّن شوقاً ليس يحصرهُ الحدُّ
يبلّغ ممن ذاب شوقاً وحرقةً لمن ليس يحصي فضله الحـدّ والعدُّ

وورد على هوامش هذه الصفحة ٣٣ ما يلي بالحرف الواحد :

« هذه السفينه الى قاعور الدحداح ما لاحد بها تعلّق اصلاً » .

« خدمة تونانك يا خطار برضا الله اربح واكسب من متاعب النفس والجسم . اياك تبتلي بخدمة الحكّام[1] » صح » .

« وكتابتي هذه السفينه لكي تتقوى بالعربي يا خطار وتتعلم قواعد الخط من بعض اوجه كان لان معرفة الشيء احسن من عدم معرفته . خذ من هذه السفينة قواعد الخط ولا تنبّر وانما انظر للاجود بخطها وامتلكه ولا يلذ لك بعض ترخرفات من الخطوط وهذه القاعده ما لها وجود » .

« كتاب مجموع يفيد من ابتلا (ابتلى) بكار التنعير بخدمة الحكّام » . (يتبع)

---

١) من الغريب ان الشيخ خطار لم يعمل بحسب وصايا ابيه المتكررة ، فقد تقلّب بعدة وظائف في متصرفية جبل لبنان مدة ثلاثين سنة على ما مرّ بك .

كتاب تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

اعتنى مؤلف هذا الكتاب بالدروس اللغوية وصار من كبار اهل اللغة. لم يجدّد ولكنه أخذ عن التبريزي. فألّف كتاباً تروق القارئ لما فيها من معلومات دقيقة ومن تحليل ينم عن عقل ثاقب متين. عاش في القرن الخامس للهجرة وأهدى للقارئ كتباً ثلاثة هي شرح ادب الكاتب والمعرّب والتكملة التي ننشرها اليوم. مات في بغداد في اواسط القرن السادس للهجرة.

كان المستشرقون المهتمون بامور اللغة السابقون لنشر كتب الجواليقي مؤلّف هذه التكملة. فنشر ساخو في ليبسك المعرّب من الكلام الاعجمي سنة ١٨٦٧ ونشر دارنبرج كتاب التكملة هذه في مجلة المانية Morgenlandforschung في ليبسك ايضاً سنة ١٨٧٥.

ولما كانت لهذه التكملة قيمة عظيمة في درس بعض الكلمات العربية واستعمالها المخطئ لدى الناطقين بالضاد، ولما كانت النشرة الاولى لم تعد بين الايدي للتداول والمنفعة، فقد قررنا أن نُعيد طبعها. وفي ذلك فائدة.

لقد توافرت المعلومات عن الجواليقي في الانباري ١٧٣ وفي ابن خلكان ٢ – ١٨٧ وفي روضات الجنّات ١–١١٣ وفي بغية الدعاء ٤٠١ فقد قيل فيه كل ما يُستطاع (راجع معجم مركيس ص ٧١٩).

تأليف الشيخ الاجلّ الامام ابي منصور موهوب بن احمد محمد بن الخضر الجواليقي رحمه الله. رواية الشيخ الامام مهذب الدين ابي الحسن عليّ بن عبد الرحمن السلمي عن رواية الشيخ الامام العلّامة ابي محمد عبدالله بن بري.

قال الشيخ الامام ابو منصور الجواليقي: هذه حروف الفيت العامة تخطئ فيها فاحببت التنبيه عليها لاني لم ارها او اكثرها في الكتب المؤلّفة فيما تلحن فيه العامة. فمنها ما يضعه الناس غير موضعه. أو يقصرونه على مخصوص وهو شائع. ومنها ما يقلبونه ويزيلونه عن جهته ومنها ما يُنقص ويزاد فيه وتبدل بعض حركاته او بعض حروفه بغيرها واعتمدت الفصيح من اللغات دون غيره. فان ورد شي مما منعته في بعض النوادر فمطّرح لقلته ورداءته. فقد أخبرت عن الفرآء انه قال: واعلم ان كثيراً ما نهيتك عن الكلام به منه شاذ اللغات ومستكره الكلام لو تسعت باجازته لرخصت لك ان تقول رأيت رجلان ولقلت

اردت عن تقول ذاك . ولكن وضعنا ما يتكلم به اهل الحجاز وما يختاره فصحآء اهل الامصار فلا يلتفت الى من قال يجوز فانا قد سمعناه . الا انا نجيز للاعرابي الذي لا يتخير ولا نجيز لاهل الحضر والفصاحة ان يقولوا السلام عليكم ولا جئت من عَندِكِ واشباهه مما لا نحصيه من القبيح المرفوض وما توفيقي الا بالله .

فما تضعه العامة غير موضعه قولهم فيما بين صلاة الفجر الى الظهر . فعلت البارحة كذا وكذا . وذلك غلط والصواب ان تقول فعلت الليلة كذا الى الظهر . وتقول بعد ذلك فعلته البارحة الى آخر اليوم، والصباح عند العرب من نصف الليل الآخر الى الزوال، ثم المساء الى آخر نصف الليل الاول . كذلك روي لي عن ثعلب رحمه الله . ومما يشهد بصحة ذلك ما روي عن النبيّ انه قال : من فاته شيء من ورده او قال جزأيه من الليل فقرأه ما بين صلاة الفجر الى الظهر فكأنه قرأه من ليلته . وقال صلعم ذات ليلة في دعآئه فحمّى اذًا او طاعون . فلما اصبح قال له انسان من اهله يا رسول الله لقد سمعتك الليلة تدعو بدعاء . وعنه (صلعم) انه كان اذا قعد بعد صلاة الغداة يقول هل رأى احد منكم الليلة رؤيا . وقال لبلال عنــد صلاة الفجر يا بلال خبّرني بارجى عمل عملته منفعة في الاسلام فانّي سمعت الليلة خشف نعليك بين يديّ في الجنة .

ومن ذلك قولهم بعد الغروب فعلت اليوم كذا وكذا وذلك غلط، والصواب ان تقول فعلته امس الاحدث لان مقدار اليوم من طلوع الشمس الى غروبها . فاذا غربت الشمس فقد ذهب اليوم ومضى . قال الشيخ ابو محمد بن مبرّي قول العامة هو الصحيح عندي وذلك ان امس في الايام بمنزلة البارحة في الليالي وكذلك غد في الايام نظير القابلة في الليالي . فامس لليوم الذي قبل يومك والبارحة لليلة التي قبل ليلتك . وغد لليوم الذي بعد يومك . والقابلة لليلة التي بعد ليلتك . واذا ثبت انه لا يقال في اول اليوم عند انقضاء الليلة رأيته البارحة بل يقال رأيته الليلة لكون الليلة الثانية لم تأتِ بعد . فكذلك لا يجوز ان تقول في اول الليلة عند انقضاء اليوم رأيته امس بل تقول رأيته اليوم لكون اليوم الثاني لم يأتِ بعد . وانما جاز ان تقول بعد نصف النهار رأيته البارحة لكون ذلك الوقت قد دخل في حد مسآء الليلة الثانيــة كما يجوز لك ان تقول بعد

مُضي النصف من الليل رأيته امس لكون ذلك الوقت دخل في حدّ الصبح لليوم الثاني .

ومن ذلك قولهم الايام البيض وصفاً للايام والايام كلها بيض وهو غلط والصواب ان يقال ايام البيض اي ايام الليالي البيض لان البيض وصف لها دون الايام فتحذف الموصوف وهو الليالي وتقيم الصفة مقامها وهو البيض وتضيف الايام اليها والليالي البيض الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة. وسمّت بيضاً لطلوع القمر من اولها الى آخرها . والعرب تسمّي كلّ ثلث من ليالي الشهر باسم فتقول ثلاث غرر وغرّة كلّ شي. اوّله وثلث نفل لانها زيادة على الغرر. وثلث تُسع لان آخر ايامها التاسع. وثلاث عُشَر لان اول ايامها العاشر . وثلاث بيض لانها تبيض بطلوع القمر من اولها الى آخرها . وثلاث دُرع لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها . وثلاث ظُلَم لاظلامها . وثلاث حنادس لسوادها . وثلاث دآدي لانها بقايا . وثلاث محاق لانمحاق القمر او الشهر .

ومن ذلك قولهم في الدعاء نعوذ بالله من طوارق الليل وطوارق النهار وهو غلط لان الطروق الاتيان بالليل خاصة ولهذا سمّي النجم طارقاً . قال الله تعالى والسماء والطارق. والصواب ان يقال نعوذ بالله من طوارق الليل وجوارح النهار. لان ابا زيد حكى عن العرب : جرحته نهاراً وطرقته ليلًا . قال الله تعالى : وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار .

قال ابن بري . الذي تقوله العامة نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار وهذا جائز ان تقدر الثاني على خلاف تقدير الاول كقول الشاعر انشده ثعلب .

تراه كأنّ الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه امسى له وفر

وقال آخر :

يا ليت زوجك قد غدا متقلّداً سيفاً ورمحاً

فالثاني من هذه الاشيا. يحمل على ما يوافق معناه . وقال الراعي :

« يزججن الحواجب والعيونا »

والتزجيج لا يكون في العين ومن ذلك العام والسنة لا تفرق عوام الناس

بينهما ويضعون احدهما موضع الآخر. فيقولون لمن سافر في وقت من السنة الى مثله اي وقت كان سافر عاماً وذلك غلط والصوابُ ما أُخبرت به عن محمد بن يحيى رحمه الله انه قال السنة من اي يوم عددتها فهي سنة. والعام لا يكون الّا شتاء وصيفاً. وليس السنة والعام مشتقين من شيء. فاذا عددتا من اليوم الى مثله فهو سنة يدخل فيه نصف الشتاء. ونصف الصيف. والعام لا يكون الّا صيفاً وشتاء ومن الاول يقع الربع والربع والنصف والنصف اذا حلف لا يكلمه عاماً لا يدخل بعضه في بعض انما هو الشتاء. والصيف والعام اخصّ من السنة. فعلى هذا تقول كل عام سنة وليس كل سنة عاماً.

قال ابن بري: العام والسنة والحول والحجة عند العرب بمعنى. قال الله سبحانه بل ثبت مئة عام. وقال الربيع: اذا عاش الفتى مئتين عاماً.

وقال الآخر:

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين حولًا ثم قوم فانصاتا

وقالت اخت طَرفة:

عددنا له ستاً وعشرين حجّة فلما توفاها استوى سيّداً ضخماً

ومن ذلك قولهم: تواترت كتبي اليك يعنون اتصلت من غير انقطاع فيضعون التواتر في موضع الاتصال وذلك غلط. انما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه وهو تفاعل من الوتر وهو الفرد. يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين هنيهة. قال الله تعالى: ثم ارسلنا رسلنا تترى اصلها وترى من المواترة فابدلت التاء من الواو ومعناه منقطعة متفاوته لان بين كل نبيين دهراً طويلاً. وقال ابو هريرة: لا بأس بقضاء رمضان تترى اي منقطعاً. فاذا قيل واتر فلان كتبه فالمعنى تبعها وبين كل كتابين فترة.

قال ابن بري: التواتر مجيء الشيء بعضه في اثر بعض وتراً وتراً. ومواترة الصوم ان يصوم يوماً واحداً ويفطر بعده يوماً او يومين فيأتي به وتراً وتراً. وكذلك قوله سبحانه ثم ارسلنا رسلنا تترى اي ارسلنا بعضها في اثر بعض وتراً وتراً. وكذلك قول ابي هريرة لا بأس بقضاء رمضان تترى اي لا بأس عليك

ان تصومه وترًا وترًا فالوتر يعني الافراد .

ومن ذلك قولهم : هذه قدور برام يعنون بالبرام الحجارة وذلك خطأ انما البرام جمع برمة وهي القدر من الحجارة كما نقول حُلة وحِلال وعلبة وعلاب . والصواب ان تقول برام الحجارة او تقول برام فيعلم انها من حجارة لان البرمة لا تكون من غير الحجر وتجمع البرمة على البرام والبُرَم والبُرْم . قال طرفة :

القت اليك بكلّ ارملة شعثا. تحمل منقع البُرَم

وقال آخر قال ابن بري هو النابغة : والبائعات بشطي نخلته البُرَما

قال ابن بري صدرة : ليست من السود اعقاباً اذا انصرفت. وقال ايضاً على هذه الكلمة لا تمتنع اضافة القدور الى البرام لكون البرام مختصة بالحجارة والقدور عامة تكون من الحجارة والحديد والنحاس . واذا كان للشي اسمان جاز اضافة الاعمّ الى الاخصّ نحو حبل الوريد وحبّ الحصيد وعرق النسا وعرقا الابيض وصلاة الاولى ومسجد الجامع . ولا تلتفتنّ الى من قال انه اراد صلاة الساعة الاولى ومسجد اليوم الجامع .

ومن ذلك قولهم : فلان ظريف يعنون انه حسن اللباس لبقه ويخصونه به وليس كذلك انما الظرف في اللسان والجسم . أخبرت عن الحسن بن علي عن الخزار عن ابي عمر عن ثعلب قال : الظريف يكون حسن الوجْه وحسن اللسان . الظرف في المنطق والجسم ولا يكون في اللباس قال ابن الاعرابي : فلان عفيف الطرف نقيّ الظرف . قوله نقيّ الظرف يعني البدن. وقال عمر : اذا كان اللص ظريفاً لم يقطع معناه، اذا كان بليغاً جيد الكلام احتجّ على نفسه بما يسقط عنه الحدّ والفعل من هذه الكلمة ظَرُف يظرُف ظرفاً فهو ظريف والجمع الظرفا. ولا يوصف بذلك السيد ولا الشيخ . وانما يوصف به الفتيان الازوال والفتيات الزولات . قال ابن الاعرابي : الظرف في اللسان والحلاوة في العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف . وقال محمد بن يزيد : الظريف مشتقّ من الظرف وهو الوعا. ؟ كأنه جعل الظريف وعاء للادب ومكارم الاخلاق . ومن ذلك قولهم للتبحير عُصارة وانما العُصارة ما تحلّب من الشي. المعصور وكل شي. عُصر ماؤه فهو عصير والماء عُصارة . قال امرؤ القيس :

كأنّ دماء الهاديات ‹بنحره عُصارة حنّاء بشيب مُرَجّل

وقال آخر :

انّ العذارى قد خلطن بلّمتي عصارة حنّاء معاً وصبيب

وقال آخر انشدنيه ابن بندار عن ابن رزمة عن ابي سعيد عن ابن دُريد. قال ابن بري البيت لابي قيس الاسلت .

والعود يُعصر ماؤه ولكلّ عيدانٍ عُصارة

وقال جرير :

انت ابن برزة منسوباً الى لجاء عند العصارة والعيدان تُعتصر

وقال ايضاً يهجو الفرزدق :

لحى الله ماء من عروق خبيثة سائباً جاء منها مختمرا

فما كان من فحلين شرُّ عصارة وألأم من حوض الحمار وكيسرا

قال ابن بريّ الصحيح في انشاد هذا البيت :

فما كان من فحلين شرّ عصارة وألأم من حوق الحمار وكيسرا

اراد بالفحلين اباه وجدّه . وحوق الحمار وكيسرا لقبان لهما . ووجد بخط السكري حوض الحمار . حوض الحمار لقب كان لغالب وكيسرا اشتقّــه من الكسرة . وقال ايضاً يهجو التيم :

يا تيم خالط خبث ماء ابيكم يا تيم خبثَ عصارة الارحام

ولا يلتفت الى ما سواه .

قال ابن بري قوله ولا يلتفت الى ما سواه يريــد قول من جعل العصارة تنطلق على الماء وعلى الثفل كما ذكره الجوهري وغيره . ولا تكون الحجّة في ذلك ان باب الفعالة ان يكون لما يبقى ويفضل مثل الحثالة والنفاية والجرامة والكرادة .

ومن ذلك السوقة يذهب عوام الناس الى انهم اهل السوق وذلك خطأ.

انما السوقة عند العرب من ليس بملك تاجرًا كان أو غير تاجر بمنزلة الرعيـة التي يسوسها الملوك وسمّوا سوقة لان الملك يسوقهم فينساقون له ويصرّفهم على مراده . يُقال للواحد سوقة وللاثنين سوقة وربما جُمع سُوَقًا . قال زهير :

يطلب شأو امرأين قدما حسنا نالا الملوك وبذّا هذه السُّوَقا

وقال ايضًا :

يا جار لا أرمين منكم بداهية لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وقالت حرقة بنت النعمان :

بينا نسوس الناس والامر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصّف

فاما اهل السوق فالواحد منهم سوقي والجماعة سوقيّون. ومن ذلك اليقطين يذهب العامة الى انه القرع خاصة وليس كذلك انما اليقطين كلّ شجر انبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساق مثل القرع والقثاء والبطيخ ونحو ذلك . وقال سعيد بن جبير كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فهو يقطين. ابن بري : قال المعري يقال فيه قَرْع وقَرَع والتحريك افصح . وأنشد :

بئس ادام الرجل المقلّ ثريـدة بقرَع وخلّ

ومن ذلك قول المتكلمين في صفة الله تعالى الذات. قال ابن برهان وذلك جهل منهم ولا يصحّ اطلاق هذا في اسم الله تعالى لان اسماءه جلّت عظمته لا يصحّ فيها الحاق تاء التأنيث ولهذا امتنع ان يقال فيه علامة وان كان اعلم العالمين . فذات بمعنى صاحبـة تانيث قولك ذو الذي بمعنى صاحب . وقولهم الصفات الذاتية جهل منهم ايضًا لان النسب الى ذات ذوي كما ان النسب الى ذو ذوَويّ. اخبرنا بذلك ابو زكريا. وكذلك قولهم المحسوسات اي المعلومات خطأ ايضًا والصواب ان يُقال المحسات لانه يقال احسست الشيء. وحسست به . فاما المحسوسات فمعناها في اللغة المقتولات يقال حسّه اذا قتله . وكذلك قول العامة حسّ في معنى سمع ووجد غلط . العرب تقول احسّ اذا وجد. فاما حسّ فقتل وحسّ الدابّة بالمحسّة وحسّ النار اذا ردّها بالعصا علـى خبز الملّة وحسّ اللحم اذا وضعه على الحجر . ابن بري : كثيرًا ما يستعمل هذه اللفظة

ابو عليّ الفارسي وابو عمران الصقلي على جلالتها في العلم . فيقولون كل محسوس معلوم وليس كل معلوم محسوساً وتجويزهم ذلك اما ان يحملوه على باب احمّهُ الله فهو محموم واسعده فهو مسعود واما ان يكون على جهة الاتباع لملوم كما جاء في الحديث ارجعن مأزورات غير مأجورات.

ومن ذلك الخِرْوَع تذهب العامة الى انه نبت بعينـه ويفتحون خاءه فيخطئون في لفظه ومعناه . وانما الخروع كل نبت يثنى اي نبت كان ولهذا قيل للمرأة الليّنة الجسد خِرْوَع . ومنه حديث ابي سعيد الخدري : لو سمع احدكم خفطة القير لخرع اي انكسر وضعُف وليس في كلام العرب شيء على فِعْوَل بكسر الفاء الّا حرفـان خِرْوع وعِتْوَد وهو اسم واد أو موضع ابن بري : قال ابو سعيد هو اسم دويبة .

ومن ذلك البقل تذهب العامة الى انه ما يأكله الناس خاصة دون البهائم من النبات الناجم الذي لا تحتاج في اكله الى طبخ وليس كذلك انمـا البقل العشب وما ينبت الربيع مما تأكله البهائم والناس . قال الشاعر . ابن بري : هو للخارث بن دوس الديادي :

قوم اذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل

وقال آخر ابن بري : هو عامر بن جوين الطائي .

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرضَ البقل ابقالهـا

وقال زهير :

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى اذا انبت البقل

وقال ابو دؤاد :

مثلُ عير الفلاة صلكه البقل مشيح باربع عـراتِ

ابن برى : مثلِ عيرِ الفـلاة بالخفض وكذلك مشيحٍ بالخفض . ويروى بالنصب على انه حال من العير ومن خفض ابدله منه وقبلهُ :

يأمون كالبرج صادقة المدو لا تشتكي من البخات

يقال منه بقلت الارض وابقلت لغتان فصيحتان اذا انبتت البقل. وابتقلت الابل وتبقلت اذا رعته . قال ابو النجم يصف الابل :

تبقلت في اوّل التبقّل بين رماحَيْ مالك ونهشل

والفرق بين البقل ودق الشجر انّ البقل اذا رُعي لم يبقَ له ساق والشجر تبقى له سوق وان دقت .

وكذلك يجعلون الحشيش ضرباً من رطب العشب وانما الحشيش يابس العشب كله ولا يقع على شيء من الرطب . ورُطب العشب يُدعى الرُّطب بضم الراء والخلا جميعاً والكلأ يجمعها .

ومن ذلك الصلَف فذهب العامة الى انه التيه والذي حكاه اهل اللغة في الصلَف انه قلّة الخير . يقال امرأة قليلة الخير لا تحظى عند زوجها وقد صلفت صلَفاً اذا لم تحظَ عنده . ورجل صَلِف اي قليل الخير . ومن امثالهم ربّ صلَف تحت الراعدة .

ومن ذلك البهتانة تذهب العامة الى انها ذمّ ويعنون بها المرأة البلهاء . وليس كذلك انما البهتانة صفة تمدح بها المرأة . يقال امرأة بهتانة اذا كانت ضاحكة مهللة وقيل هي الطيّبة الرائحة الحسنة الخُلق السمحة لزوجها . وقال ابن الاعرابي في قول الشاعر . ابن بري : هوغامان بن كعب بن عمرو . وقال ابو العباس هوعامان بعين غير معجمة وذكر غيره انها معجمة .

ألا قالت بهانِ ولم تأبَق نعِمتَ ولا يليق بك النعيم

اراد بهنانة . وتأبَق تأثم بن بري : وقيل تأبق تبعد مأخوذ من إباق العبد اي لم تفِرّ . وقال ابو الحسن عليّ بن سليمان ليس بهنان محذوفاً من بهنانة لانه ليس كل ما يحذف منه شيء يجب ان يبنى وكل ما بُني من هذا على فعال فهو معدول عن فاعلة فبهان معدولة عن باهنة وهي ان تصير بهنانة فهذا الوجه الذي لا يكون غيره وان لم يخصه ابن الاعرابي وبعده .

بذون وهجمة كاشاء بُسّ صفايا كثّةُ الأوبار كومُ

اذا اصطكت بضيق حجرتاها تلاقي العسجديّة واللطيمُ

ومن ذلك المُتفتية تذهب العامة الى انها الفاجرة وليس الامر كذلك. انما المتفتية الفتاة المراهقة يقال تفتّت الجارية اذا راهقت فخدّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان . وقد فتيت تفتية . يقال لفلانة بنت قد تفتّت امي تشبهت بالفتيات وهي اصغرهنّ . ويقال للجارية الحدثة فتاة وللغلام فتى . قال القتبيّ ليس الفتى بمعنى الشابّ والحدث وانما هو بمعنى الكامل الجزل من الرّجال. ابن بري : المشهور في قولهم تفتت المرأة تشبّهت بالفتيات وتفتى الشيخ تشبّه بالفتيان فليست المتفتية التي بمعنى خدرت. انما يقال في ذلك فُتيت على ما لم يسمّ فاعله.

ومن ذلك قولهم للكثير الاشغال مربوب وذلك قلب للكلام والوجه ان يقال راب فاما المربوب فهو المُصلح المربّى . قال الشاعر ابن بري : هو سلامة بن جندل :

يعطي دواء قفيّ السَّكن مربوب

ويقال سقاء مربوب اذا متّن بالرُبّ . يقال ربّ فلان ولده يَرُبّه ربًّا وربّ ضيعته يربّها ربًّا اذا اتمّها واصلحها فهو ربّ وراب . قال الشاعر

يُرب الذي يأتي من العرف انه اذا سئل المعروف زاد وتمّما

والرب ينقسم ثلثة اقسام ربّ مالك يُقال هو رب الدابّة ورب الدار وكل من ملك شيئاً فهو ربه . ورب سيّد مطاع . قال الله تعالى فيسقي ربه خمرًا اي سيّده. ورب مصلح يقال ربّ الشي. اذا اصلحه ولا يكاد يقال الرب بالألف واللام لغير الله. وكذلك قولهم لساقي الماء شارب هو قلب للكلام انما المستقي الشارب وصاحب الماء الساقي. ومثله قولهم لضرب من المشموم الشمّام والشمّامة فيجعلونه للمفعول . وانما الشمّام والشمّامة بناء للفاعل للمبالغة ولا يكون للمفعول. ابن بري : لو ورد سماع بالشمّامة لكان مقبولًا لان فعّالة ومفعالًا قد جاء بمعنى المفعول كقولهم زرّاعة للارض التي يزرع فيها . وزمّارة للقصبة التي يزمر بها. وقالوا دار محلال ومظمان للتي يُحلّ فيها كثيرًا ويظعن عنها كثيرًا. وقالوا ناقة محلاء للتي خليت وولدها .

ومن ذلك الغلام والجارية يذهب عوام الناس الى انها العبد والأمة خاصة.

وليس كذلك . انما الغلام والجارية الصغيران وقبل الغلام الطارّ الشارب. ويقال للجارية غلامة ايضاً . قال الشاعر هو اوس بن غلفاء الهجيمي: تهان لها الغلامة والغلام. صدره . مركّضة صريحيّ ابوها . وقبله :

اعان على مراس الحرب زغف مضاعفة لها خلق تُؤامُ
ومطّرد الكعوب ومشرفيّ من الأولى مضاربه حسامُ

وقد يقال ايضاً للكهل غلام . قالت الاخيلية تمدح الحجاج : غلام اذا هزّ القناةَ سقاها. صدره : شفاها من الداء العقام الذي بها. وكان قولهم للطفل غلام على معنى التفاؤل اي سيصير غلاماً وهو فعال من الغلمة وهي شدّة النكاح. وقالت امرأة ترقص بنتاً لها :

وما عليّ ان تكوني جارية حتى اذا ما بلغت ثمانيه
زوجتها عتبة او معاوية اختان صدق ومهور غاليه

وقال آخر :

جارية اعظمها اجمّها قد سمّنتها بالسويق امها

وقال الشاعر :

جوارٍ تحلين اللطاط يزينها ببرايح احوافٍ من الأدم الصرف

اللطاط جمع لطّ وهو قلادة من حنظل . والاحواف جمع حوف وهو شبيه بالمئزر يتخذ للصبيان من ادم يشق من اسافله ليمكن المشي فيه .

ومن ذلك الدُبُر تذهب العامة الى انه الاست خاصة وليس كذلك. دُبُر كل شي. خلاف قُبُله بضم الدال ما خلا قولهم جعل فلان قولك دَبرَ اذنه اي خاف اذنه فانه بفتح الدال . قال الله تعالى سيهزم الجميع ويولون الدُبُر. وقال عزّ اسمه :وادبار السجود. قال: والليل اذا دَبر . وكذلك يجعلون الحجر اسماً لها خاصة وانما الجُحْر كل ما تحتفره في الارض من الدوابّ ما لم يكن من عظام الخلق نحو جحر اليربوع والثعلب والارنب وشبه ذلك .

ومن ذلك الذميم بالذال المعجمة يضعه الناس في موضع الدميم بالدال غير

المعجمة فيقولون فلان ذميم اي قمِيٌّ حقير والصواب ان يقال دميم فان كان سيِّئ الخُلق قيل ذميم . يقال من الاول رجل دميم وامرأة دميمة من نساء دمائم ودِمام وما كنت يا رجل دميماً . ولقد دممت بعدي تدمّ دمامة واشتقاقه من الدِمّة وهي النملة والقملة الصغيرة والدمامة بالدال مهملة في الخَلْق والذمامة بالذال معجمة في الخُلُق . يقال منه ذم الرجل يذُم ذمًّا وهو اللوم في الاساءة .

ومن ذلك الانتفاخ بالخا . يضعه الناس موضع الانتفاج بالجيم ولكل واحدة منها موضع يوضع فيه . فاما الانتفاخ بالخا . فعِظم الجنبين الحادث عنه علة . او أكل أو شرب . والانتفاج بالجيم عِظَم الجنبين خِلقة من غير علة . يقال رجل منتفج بجنبين وفرس منتفج بجنبين قال الشاعر (هو لابي النجم) .

منتفج الجوف عظيم كلكله

فمدحه بذلك ولو قال بالخا . لكان ذمًّا . ويقال انتفجت الارنب اذا اقشعرت وكل شيء اجفألّ فقد تنفج . ومن ذلك التحليق تذهب العامة الى انه رمي الشيء من عُلو الى سفل فيقولون حلقت الشيء . اذا القيته . وذلك غلط انما التحليق عند العرب الارتفاع في الهواء . يقال حلق الطائر في كبد السماء اذا استدار وارتفع في طيرانه وحلق النجم اذا ارتفع . قال ابن الزبير الاسدي :

رُبَّ فهل طام وردت وقد خوى نجم وحلّق في السماء نجوم

وفي الحديث فحلق ببصره الى السماء اي رفع البصر الى السماء كما يحلق الطائر اذا ارتفع في الهواء . ومنه الحالق بجبل المشرف . وقال النابغة في حلق الطائر :

اذا ما التقى الجمعان حلّق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

وانما سمي تحليقاً لان الطائر يطلع فيدور في طلوعه كما تستدير الحلقة . ومن ذلك اليتيم تذهب العامة الى انه الصبي الذي مات ابوه او امه وليس كذلك انما اليتيم من الناس الذي مات ابوه خاصة ومن البهائم الذي ماتت امه . فاليتم من الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام . فاذا بلغ الصبي زال عنه اسم اليتيم . يقال من يتم ييتم يُتْماً ويَتْماً وايتمه الله وجمع اليتيم يتامى وايتام وكل

منفرد عند العرب يتيم ويتيمة وقيل اصل اليُتم الغفلة وبه سمّي اليتيم يتيماً لانه يُتغافل عن برّه. والمرأة تدعى يتيمة ما لم تزوج فاذا تزوجت زال عنها اسم اليتم. وقيل: المرأة لا يزول عنها اسم اليتم ابدًا. وقال ابو عمرو اليتم الابطا. ومنه اخذ اليتيم لان البرّ يبطيءُ عنه. اليتيم الذي يموت ابوه والعجيّ الذي تموت امه واللطيم الذي يموت ابواه وذكر ابن خالويه ان اليتم في الطير من قبل الاب والام لان كل واحد منهما يزقّ فرخه. ومن ذلك المثقال يظنه الناس وزن دينار لا غير ولا كما يظنون. مثقال كل شيء وزنه وكل وزن يسمّى مثقالًا وان كان وزن الف. قال عزّ وجلّ: وان كان مثقال حبّة من خردل. قال ابو حاتم وسألت الاصمعي عن صنجة الميزان فقال فارسي ولا ادري كيف اقول ولكني اقول مثقال فاذا قلت للرجل ناولني مثقالًا فاعطاك صنجة الف او صنجة حبّة كان ممتثلًا. ومن ذلك تنهّس النصارى اذا اكلوا اللحم قبل صومهم وذلك غلط في اللفظ وقلب للمعنى الى ضدّه. اما اللفظ فانه يقال تنحّس النصارى بالحا. واما المعنى فانه يقال لهم ذلك اذ تركوا اكل اللحم. ولا يقال لهم ذلك اذا اكلوه. قال ابن دريد هو عربيّ معروف لتركهم اكل الحيوان. قال ولا ادري ما اصله. ويقال تنحّس تجوّع كما يقال توحّش وكأنه مأخوذ منه كأنهم تجوّعوا من اللحم.

ومن ذلك قولهم: فلان حسن الشمائل اذا كان حسن التثنّي والتعطّف في المشي. وانما الشمائل الخلائق عند العرب واحدها شمال والنحويون يذهبون الى ان شمالًا يكون واحدًا وجمعاً. قال الشاعر هو عبد يغوث بن وقاص:

ألم تعلما انّ الملامة نفعها قليل وما لومي اخي من شماليا

يريد من خُلُقي. ومن ذلك قولهم للشيء اذا كرهوا ريحه وما اذفره وانما الكلام ان يقال ما اذفره بالذال المعجمة والذفر حدّة ريح الشيء الطيب والشيء الخبيث الريح. قال الشاعر في خبث الريح: هو لنافع بن لقيط الاسدي:

ومؤلق انضجت كيّة راسه وتركته ذفرًا كريح الجورب

وقال الراعي وذكر ابلًا قد رعت العشب وزهره فلما صدرت عن الماء.

نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة . فقال تلك فارة الابل :

لها فارة ذفراء كل عشيّة كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

فاما الزَفْر فهو الحَمْل والزِفر الحِمْل وليس من هذا في شيء. والزفر والزفير ان يملأ الرجل صدره غمًّا ثم يزفر به وهو من شديد الانين وقبيحه . . .

ومن ذلك الحليل تضعه العامة موضع الاحليل ويعنون به الذكر وهو غلط انما الحليل الزوج والحليلة المرأة وسمّيا بذلك لانهما يحلّان في موضع واحد او لان كل واحد يحالّ صاحبه اي ينازله او لان كل واحد منهما يحلّ ازار صاحبه. واما الاحليل فهو ثقب الذكر الذي يخرج منه البول وجمعه الاحاليل. والاحاليل ايضاً مخرج اللبن من طُبي الناقة وغيرها . ومن ذلك قول الناس فلان يتأثم ويتحنّث يذهبون الى ان معناه يقع في الحنث والاثم وليس كما ذهبوا اليه وانما معنى يتحنّث اي يفعل فعلًا يخرج به من الحِنث وهو الاثم. يقال هو يتحنّث اي يتعبد . قال ابن الاعرابيّ وللعرب الفاظ تخالف معانيها الفاظها . يقولون فلان يتنجّس اذا فعل فعلًا يخرج به من النجاسة . وكذلك يتأثم ويتحرّج اذا فعل فعلًا يخرج به من الاثم والحرج . ومن ذلك الخُنان يضعه الناس موضع الحنك فيقولون ختنه اذا خرب حنكه. كما يقولون حنّكهُ وانما الخنان داء يأخذ الابل في مناخرها تموت منه وهو في الابل مثل الزكام في الناس . والخنان ايضاً داء يأخذ الناس . قال الشاعر وهو جرير :

واشفي من تخلّج كلّ جنّ واكوى الناظرَين من الخُنان

والخنان ايضاً داء يأخذ الطير في رؤوسها يقال طائر مخنون . ومن ذلك أمّا وإمّا لا يفرقون بينهما والفرق بينهما ان التي تفصل بها الجمل وتجاب بالفاء مفتوحة الهمزة تقول امّا زيد فعاقل وامّا عمرو فعالم . والّتي تكون للشك او التخيير مكسورة الهمزة تقول إمّا زيدًا وإمّا عمرًا. وخذ إمّا هذا وإمّا ذاك. ومن ذلك العُضروط تذهب العامة الى انه الذي يحدث اذا جامع وليس كذلك انما العضروط والعُضرُط الذي يخدمك بطعام بطنه وهم العضاريط والعضارطة . وقال الاصمعيّ هم الاجراء. وانشد :

اذاك خير ايها العضارط

وقال طفيل يعني نفسه :

وراحلة وصت عضروط ربها . بها والذي تحتي ليُدفع انكب

يريد انه كان على راحلة يجنب فرسه فلما دنا منه القتال ركب الفرس ووصى التابع بالراحلة وانكب يعني الفرس الذي تحته قد تحرف للعدو ولما لحقه من الزمع. فاما الذي يحدث عند الجماع فهو العذيوط . ومن ذلك التابل والابزار يفرق عوام الناس بينها والعرب لا تفرق بينهما التابل والابزار والقزح والقزح والفحا والفحاة كله بمعنى واحد. يقال توبلت القدر وفحيتها وقزحتها اذا القيت فيها الابزار والأبزار بفتح الهمزة وليس بجمع وهو فارسي معرب وبعضهم يكسر الهمزة . ويقولون للخارج من الحمام طاب حمامك وليس لذلك معنى وانما الكلام طاب حميمك وان شئت قلت طابت حمتك اي طاب عرقك لان عرق الصحيح طيب وعرق السقيم خبيث. ويقولون اقطعه من حيث رق بالقاف وكلام العرب اقطعه من حيث رك اي من حيث ضعف . ومن ذلك قولهم قد زاف الوقت اذا قرب وهو خطأ والصواب ان يقال قد ازف الوقت وكل شيء اقترب فقد ازف أزفاً قال الله تعالى أزفت الآزفة اي دنت القيامة فاما زاف فتستعمل في الحمامة اذا نشرت جناحيها وذنبها على الأرض . وزافت المرأة في مشيها كانها تستدير . وزاف الجمل في مشيه زيفاناً وهو سرعة في تمايل. ومن ذلك العروس تذهب العامة الى انه يقع على المرأة خاصة دون الرجل وليس كذلك بل يقال رجل عروس وامرأة عروس ولا يسميان عروسين الا ايام البنا. قال الشاعر : وهذا عروسا باليمامة خالد . صدره : ارضى بأنا لا تحف دمازنا. ومن امثالهم : كاد العروس يكون اميراً . ويقال لهما عروسان في كل وقت . قال الراجز : انجب عرس جما وعرس. الراجز هو العجاج والذي في رجزه: انجب عرس جبلا اي خلاقا . وقبله :

بين ابن مروان قريع الانس وابنة عباس قريع العبس

ومما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بعض حركاته او بعض حروفه بغيره يقولون قرأت الحواميم وذلك خطأ ليس من كلام العرب والصواب ان يقال قرأت

آل حم . وفي حديث عبدالله بن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دميثات . ومرّ رجل بابي الدردا. وهو يبني مسجدًا فقال ابنيه لآل حم. وقال الكميت :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منّي تقيٌّ ومعربُ

اذا صارت حم اسمًا للسورة فلا انكار على من قال . قرأت حم وذكرته حاميم . قال الاشتر :

يذكّرني حاميم والرمح شاجر فهلّا تلا حاميم قبل التقدم

وقال رؤبة :

أو كتبا بيّنّ من حاميا قد علمت انبا. ابراهيا

وكذلك لا يمتنع ان يقول قرأت الحواميم . انشد ابو عبيدة :

حلفت بالسبع اللواتي طوّلت وبمئين بعدها قد أُمّيت
وبمثان ثنيت وكرّرت وبالطواسين التي قد ثلثت
وبالحواميم اللواتي سبعت وبالمفصل اللواتي فصلت

فاما قول الكميت : وجدنا لكم في آل حم ، فانه اراد بالآل ايات السورة التي اسمها حم . ويقولون امر مهول وانما هو هائل يقال هالني الشيء يهولني هولًا اذا افزعك فهو هائل والهول المخافة من الامر لا تدري على ما تهجم عليه . الذي حكاه اهل اللغة عن العامة انهم يقولون يوم مهول ورجل مذهول العقل وصوابه هائل وذاهل وكذلك يقولون مبغوض ومتعوب وصوابه مبغض ومتعب . ويقولون أفّ منه وأفَّ وأفُّ وأفٍ وأفًا وأف وأفّي مضاف وأفة وافًا بالألف ولا تقل أُفّي بالبا. فانه غلط (الصواب ان يقال أُفّي ممال على وزن فُعْلي وليس مضافًا الى يا. المتكلم كما ذكر . ومعنى افّ النتن والتضجر واصلها نفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد وللمكان تريد ازالة الاذى عنه فقيلت لكل مستثقل . وتقول هوشت الشيء اذا خلطته ومنه اخذ اسم ابي المهوش الشاعر . ولا تقل شوشته فقد اجمع اهل اللغة ان التشويش لا اصل

له في اللغة العربيّة وانه من كلام المولّدين وخطأوا الليث فيه . وهو ابو رياح لهذا الذي يلعب به الصبيان وتديره الريح ولا تقل بُرْباح . وكذلك يقولون للقرد بوزنة وانما هو ابو زنّة وهي كنيته . ويقال له ايضاً ابو زنة وتقول لمرسل الحمام زجّال باللام والزجل ارسال الحمام الهادي من مزجَل بعيد ولا تقل زجّان فانه خطأ . ويقال للقناة الجوفاء المضروبة بالعقب يرمى فيها بسهام صغار تنفخ نفخاً فلا تكاد تخطي سَبَطانة ولا يقال زربطانة كما تقول العامة . وهي السُتَيْرِيّة لضرب من السفن بالياء وهي منسوبة الى رجل يقال له ستير اظنه كان بالبصرة وهو اول من عملها فنُسبت اليه ولا تقل سُتارية فانه خطأ . والضَّبَغْطي شيء يُفزَع به الصبيان ولا تقل الضَّبَغْطَغ . قال الراجز هو منظور الزبيري .

وزوجها زَوَنْزَك زَوَنْزا يفزَع ان فزع بالضبغطا

ويقولون لمن ينسبونه الى السرقة هو برجاص اللص وانما هو بُرْجان بالنون وهو فضيل بن بُرْجان . ويقال فضل احد بني عطارد من بني سعد وكان مولى لبني امرئ القيس وكان له صاحبان يقال لهما سهم وبِشام فقتلهم مالك بن المنذر بن الجارود وصلب بن برجان بعد ما قتله في مقبرة العتيك وكان الذي تولى ذلك شعيب بن الحجاب واخذ اللصوص المشهورين بالبصرة فقتلهم فقال خلف بن خليفة :

إن كنت لم تسألي سهماً وصاحبه عن مالك فاسألي فضل بن برجان
يخبرك عنه الذي أوفى على شرف حتى اناف على دور وبنيان

ويقولون قد جئت الى عندك وهو خطأ يقال جئت من عنده ولا يقال جئت الى عنده لان عند لا تدخل عليها من حروف الجرّ غير من وحدها . ويقولون الكُبُولة وانما هي الجبولاء بالجيم والمد واشتقاقها من الجَبْل . ويقولون كبلت الشيء اذا خلطته والمعروف لبكت وبكلت وربكت اذا خلطت فاما كبلت فمعناه قيدت . يقال كبلته كبلاً والكِبْل القيد . ويقولون افعل كذا إمّا لي والصواب إمّا لا واصله ان لا يكن ذلك الامر فافعل هذا وما زائدة انشدني ابو زكريا رحمه الله :

امرعت الارض لو ان مالا لو انّ نوقاً لك او جمالا
أو ثلّة من غنم إمّا لا

كذا تكتب إمّا لي باليا. وهي لا أُميلت فألفها بين اليا. والالف والفتحة قبلها بين اليا. والكسرة. ويقولون فعلت ستي وقالت ستي والصواب ان يقال سيّدتي لانه تأنيث السيّد. وقرأت بخط ابي الحسن عليّ بن محمد الكوفي: حدثني عبدالله بن عمّار الطحيني قال: حدثني الزغل قال رأيت ابن الاعرابي في منزلنا فقالت عجوز لنا ستي تقول كذا وكذا فقال ابن الاعرابي ان كان من السؤدد فسيّدتي وان كان من العدد فستي لا اعرف في اللغة لستي معنى وقد تأوّله ابن الانباري فقال. يريدون يا ستّ جهاتي وهو تأول بعيد مخالف للمراد. ويقولون حطب زَجْل وانما هو جزل وهو الغليظ من الحطب وقيل اليابس. قال الشاعر:

ولكن بهذاك اليفاع فاوقدي بجزل اذا اوقدت لا بضرام

والضرام والشخت ضدّه ثم كثر الجزل في كلامهم حتى صار كل ما كثر جزلاً فقالوا اعطوه عطاء جزلاً واجزلت للرجل وجزل لي من ماله. ويقولون في جمع المكوك مكاك وانما المكاكي جمع مكّا. وهو طائر يسقط في الرياض ويكو اي يصفر والصواب ان يقال في جمع المكوك مكاكيك. ويقولون لما يدفع بين السلامة والعيب في السلعة هَرْش وقد هرّش السلعة وانما هو أرْش وقد أرشت الثوب وسُمّي أرشاً لان المبتاع للثوب على انه صحيح اذا وقف منه على خرق او عيب وقع بينه وبين البائع ارش اي خصومة من قولك ارّشت بينهما اذا اغريت احدهما بالآخر فسُمّي ما نقص العيب الثوب ارشاً اذا كان سبباً للارش. ويقولون انا مُونس من خيرك والصواب ان يقال انا يائس من خيرك يقال يئست وأيست لُغتان. ويقولون هذا الاناء من الخزف يتطيّر فيه صاغرة بالغين وانما هو صاخرة: صاخرة فاعلة من الصخر. ويقولون لدويّبة اصغر من الضبّ الورن بالنون وانما هو الورل باللام وجمعها الورلان وهي احد الاحرف التي اجتمعت فيها الرا. واللام. ولم تجتمع الرا. واللام في شي. من لغة العرب الاّ في احرف يسيرة هذا احدها وارلُ وهو جبل معروف وغرلة وهي القلفة وجَرْل وهي الحجارة المجتمعة. ويقولون السُكَرْجة بفتح الرا. والكاف وانما هي الأُسْكُرُجة بضمها

وبالهمزة وهي اعجمية معربة ومعناها بالفارسية مقرب الحلّ .

ويقولون الهاون والصواب ان يقال الهاوُون براوين على مثال فاعول لانه ليس في كلام العرب كلمة على فاعَل وهو اسم موضع العين منها واو. ابن بري: قد حكى ابن قتيبة والجوهري انه يقال هاوَن . وزعم الجوهري ان اصله هاوُون فحذفت الواو الثانية تخفيفاً وفتحت الواو التي قبلها لانه ليس في الكلام فاعُل فأما من انكر هاوَنا لكون فاعَل لم تجيء العين منه واو فان انكاره عجب وذلك انه قد ثبت في الكلام فاعَل ولا يلزمنا ان تكون العين منه واوا او غيرها من حروف المعجم على انه لو كان في كلامهم مثل هاوَن وكان المسموع هاوونا لم يعدل به الى هاوَن كما لا يعدل بقارون الى قارَن وان كان في كلامهم فاعَل . ويقولون الدستك وانما هو الدستج وهما اعجميان معربان ايضا .

ويقولون لضرب من الثياب يتخذ من صوف مِنطَر والصواب مِمطَر وهو مِفعل من المطر كأنهم ارادوا انه يلبس فيه . ويقولون ما ومّلت فيك كذا وانما الكلام ما أمّلت . ويقولون الميضَة لموضع الطهارة وانما هي الميضأة وهو يتوضأ منه او فيه . ويقولون لاجل ذنب زمكاة والصواب ان يقال الزِمِكّى والزِمِجّى . ويقولون للا ينذر بين يدي الأسد فزوانا وانما هو فرانق وهو سبع يصيح بين يديه كأنه ينذر به الناس ويقال انه شبيه بابن آوى يقال له فُرانِق الاسد ويقال انه الوعوع وهو اعجمي معرب . ويقولون لضرب من الحلواء المعقودة والصواب ان يقال المعقَدة . ويقولون في جمع قرية قرايا وانما جمع قرية قُرى لا غير وهو جمع نادر لان جمع فعلة من الواو والياء يجيء على فِعال فيكون ممدودا مثل ركوة ورِكاء وشكوة وشكاء وقشوة وقشاء ولم يسمع في شيء من جمع هذا القصر الا كوة وكوى وقرية وقُرى . وقال بعضهم هو جمع قرية بكسر القاف لغة يمانية ككِسوة وكُسى وقد رُدّ عليه وقالوا القرية بفتح القاف لا غير والنسبة الى القرى قروي . ويقولون الانبوبة والانابيب في جمعها وهذا لفظ بشع ونبا منكر وانما الكلام الانبوبة والاناييب كالأعجوبة والاعاجيب . ويقولون لهذا النبات الاصفر المجتث الذي يتعلق باطراف الشوك الاكشوث وانما هو الكشوث والكشوثا . وجاء على فعولا ممدودا

الدبوقا.. قال رؤبة: لولا دبوقاء استه لم يبطغ اي لم يتلطخ وجلولا. وصرورا. وهما بالمدّ بلدان. وكشوثا. وبزر قطونا. بالمدّ وقد يقصران. قال الشاعر:

هو الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظلّ ولا شجر

وقد جاء الحروقاء للحراقة التي يقدح بها النار والجبولاء للعصيدة وسبوحاء موضع والمعروف رواية البيت: هو الكشوث فلا ظل ولا ثمر. ويقولون لفم المزادة العَزْلة وانما هي العزلاء. ويقولون للجبة من الصوف زُرْنبانقة وانما هي زُرْمانقة وهي عبرانية وقد تكلمت بها العرب وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود ان موسى لما اتى فرعون اتاه وعليه زُرمانقة. ويقولون العِثى والصواب العِذق. ويقولون للخيوط المعقدة كُداد وكلام العرب جُداد. قال الاعشى يصف الخمار:

اضاء مظلّته بالسراج والليل غامر جُدادها

ويقولون لبَثرة تخرج في جفن العين الكُدْكد وذلك غلط والصواب الجُدجد بجيمين هذه لغة تميم وربيعة تسميه القمع. قال سُوَيد بن ابي كاهل:

صافي اللون وطرفاً ساجياً اكحل العينين ما فيه قَمَعْ

وقال الاعشى: وطرفاً لم يكن قمعاً. ويقولون للذي يستصبح به على ابواب الملوك مِنْيار بالياء. والصواب ان يقال مِنوار لانه مأخوذ من النور او من النار وكلاهما من الواو ولو بنيت مِفعالاً من النوال والقول لقلت منوال ومقوال بالواو ولم يُقلْهُ بالياء. ويقولون على فلان حُلاس والكلام احلاس كأخلاق وهي جمع حلس وهو ما بسط تحت حرّ الثياب. وفي الحديث كن حلس بيتك. والحلس للبعير كساء رقيق يكون تحت البرذعة. ويقولون للسائل شحّاث بالثاء. وانما هو شحّاذ بالذال وهو السائل الملحّ في مسئلته من قولك: شحذ الصيقل السيف اذا الحّ عليه بالتحديد وشفرة مشحوذة. قالت عائشة بنت عبد المدان:

حُدِّثتَ بِشراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابنيّ مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يُقترف

والصيقل شاحذ وشحّاذ والملحّ في المسئلة مشبّه به . ويقولون فلان يتاطع علينا باللام والصواب يتطّع بالنون والمتنطّع المتعنق في كلامه. ومنه حديث ابن مسعود رحمه الله اياكم والتنطّع واشتقاقه من نِطع الفم وهو اعلاه حيث يحنك الصبي . ويقولون فلان بدن من الابدان وليس للبدن ههنا موضع . وانما هو بدل من الابدال وهم المبرزون في الصلاح وسُمّوا ابدالًا لانه اذا مات منهم واحد ابدل الله مكانه آخر والواحد بِدْل وبَدَل وبديل . ويقولون قد قرفشه اذا اخذه وانما هو قد قرفصه ومعناه شدّ يديه الى رجليه ثم اخذه كما تفعل اللصوص وهم القرافصة . ويقولون لضرب من السمك الكنعت بالتاء وهو الكنعد بالدال . قال جرير يهجو آل المهلّب :

كانوا اذا جعلوا حبّهم بصلًا ثم اشتووا مالحًا منه كنعد جدفوا

ويقولون للصغار نشوٌ بالواو وانما هم النشأ والنشْ بالهمز . ويقولون للموضع الذي يجفف فيه التمر والثمرة مشطّاح بشين معجمة وزيادة الف وهو خطأ فاحش والصواب مِسطَح بسين غير معجمة على وزن مِفعل ومثله المربَد والجرين وهما لاهل نجد ومثله للطعام البيدر لاهل العراق والاندر لاهل الشام واهل البصرة يسمون المربد الجوخان والجرخان فارسيّ معرّب . ويقولون للشي الذي يذيب فيه الصناعة ونحوهم من الصناع البوتقة. وقال الخليل هي البوطة : المعروف في هذه اللفظة البوطقة . ويقولون نحنا فعلنا ذاك يريدون نحن فعلنا ذلك وهي لكنة قبيحة . ويقولون لرؤوس الحليّ وما تكسّر منه خشر بالراء وهو خطأ والصواب خشل باللام . قال ذو الرمّة :

وساقت يبيس القلقلان كأنما هو الخشل اعراف الرياح الزعازعُ

صوابه الزعازع بالخفض واول القصيدة :

خليليّ عوجا عوجة ناقتيكما على طلل بين القلات وشارعِ

ومن روى كأنه نوى الخشل اراد بالخشل المُقل .

ويقولون بصل العُنصُر بالراء وانما هو العنصل باللام وهو بصل بري يعمل منه خلان وهو شديد الحموضة قال امرؤ القيس :

كأنَّ السباع فيه غرقى عشيةً بارجائه القصوى انابيش عُنصلِ

ويقولون جاء فلان يطحلُ وانما هو يطحَرُ اذا تنفس نفساً عالياً . ويقولون المرزنكوش .وهو خطأ والصواب المرزجوش . والشهدانك والصواب الشهدانج . وجلست عَونا والصواب ههنا . ويقولون خزمش وجهه وانما هو خمشه . ويقولون للتأفف قد كدَّف وهو يكدِّف وانما يقال جَدَف الرجل وهو يَجدف تجديفاً بالجيم اذا استقلَّ ما اعطاه الله وكفر النعمة يقال لا تجدّف بايام الله . وفي الحديث شرّ الحديث التجديف . قال الشاعر : انشده ابو عبيد :

ولكنّي مضيت ولم أجدِّف وكان الصبر عادة أوّلينا

ويقولون هَوَلي فعلوا ذلك وانما هو هؤلاء بالمدّ وان شئت قصرت. ويقولون المُدُق القصار الكوذين والكلام الكُذينق. قال الشاعر :

قامة الفُصعُل الضئيل وكفّ خنصراها كُذينقا قصّارِ

ويقولون للريح زيقا وكلام العرب الصيق وهو الغبار ايضاً. قال الشاعر :

من رأي يومنا ويوم بني التيم اذا التفَّ صيقه بدمه

ويقولون هذا الشيء مُبَرْطَح والكلام مفلطح يقال درهم مُفلطح ونعل مفلطحة وكذلك قرص مفلطح اذا بسط . ومرَّ الحسن البصريّ على باب ابن هبيرة وعليه القرّاء فسلَّم ثم قال ما لكم جلوساً قد احفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم وقصرتم اكمامكم وفلطحتم نعالكم اما والله لو زهدتم في ما عند الملوك لرغبوا في ما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم فضحتم القرّاء فضحكم الله . وقال رجل من بني الحرث بن كعب يصف حيّة :

جملت لهازمه عزيز ورأسه كالقرص فلطح من طحين شعير

ويقولون في جمع خيشوم وهو الانف مخاشم والصواب خياشيم وخياشيم الجبال انوفها ويقولون القسيل بالسين وانما هو بالصاد ويسمّى قصيلاً بالقصل وهو القطع فعيل في معنى مفعول يقال قصلت الشيء اقصله قصلاً اذا قطعته ويقال سيف

مِقْصَل وقُصَّال اذا كان قطاعاً . ويقولون لدابــة كثيرة الارجل دُخان الأذن بالنون ويذهبون الى تشبيه بالدخان ولا معنى لذلك وانما هو دخَّال الأذن فقال من الدخول اي انه يدخل الإذن كثيرًا وتسمى هذه الدابــة الحريش بالياء على وزن حريص . ويقولون لضرب من النبت الشابابك وهو بالقاف . ويقولون البوتنك وهو الفوتنج وهذا معربان والفوتنج بالعربية يُسمَّى الحَبَق . ويقولون سلمة غالة والصواب غالية ومنه سُمّي هذا الضرب من الطيب غالية فيما حكى المفضل بن سلمه ان معاوية بن ابي سفيان شمَّها من عبدالله بن جعفر بن ابي طالب فاستطابها. فسأله عنها فوصفها له فقال هذه غالية فسُمّيت غالية وهــذه الحكاية ضعيفة لما روي عن عائشة انها كنت تطيّب النبي بالغالية اذا اراد ان يحرم. وعنها انها قالت كنت اغلّل لحية النبيّ بالغالية ثم يُحرم فدلّ على ان الغالية كانت معروفة قبل ذلك . ويقولون للخشبة التي في رأسها حجنة عُرقافة وقد عرقفت الشي. وانما هي عقّافة وقد عقفت الشي. أعقِفُه عقفاً بمنى عطفته فانعقف. ويقولون فلان مقرّى بكذا والصواب مغرى بكذا . وقد غري به ولا يقال مقرّى وقد أُغري به وغَرِيَ به وعسِك به وعبِق به وسدِك به ولكِنَ به ولزم به وأُلزم به ولكِد به وأُغرم به. وأُولع به واذا لم يفارقه ويقولون نبيّــة وانما يقال نفيّة بالفا. وهي سفرة تُعمل من الخُوص وعن زيــد بن اسلم يصنع لنا نفيّتين يشرّر عليها الاقط . ويقولون في كنية الثعلب ابو الحسين وانما هو ابو الحصين. ويقولون فلان قذيف الجسم. والصواب قضيف الجسم وجارية قضيفة وقد قضُف قضفاً وقَضَفاً وقضافة وهو النحيف خلقة لا من هزال . ويقولون لطش الكتاب اذا محاه وانما يقال طلسَه اذا محوته لتفسد خطّه فاذا انعمت محوه قلت طرسته . ويقال للصحيفة اذا مُحيت طِلس وطِرس وفي الحديث ان النبيّ امر بطلس الصورة التي في الكعبة اي بطمسها ويقولون مــا بفلان خساسة يذهبون الى الخسّة وانما الكلام ما به خصاصة اي حاجة واصله من الخصاص وهو الفرج وكل خلل او خرق يكون في منزل او باب او سحاب او برقع فهو خصاص والواحدة خصاصة . ويقول بعض المتحذلقين الإبِط بكسر البا. والصواب الإبْط بسكون البا. ولم يأتِ في الكلام شي. على فِعِل الّا إبِل واطِل وحِبِر وهي صفرة الاسنان. وفي الصفات امرأة بِلِز وهي السمينة وأتان

إِبد تلد كل عام وقيل التي أتى عليها الدهر. المعروف في كلامهم اتان إِبدٌ في كل عام تلدُ مرتوف كما ترى. ويقولون للامير من الروم القُمْس والصواب القومِسُ كذا تكلّمت به العرب وهي رومية معرّبة. قال الشاعر هو المتلمس :

فعلتُ اني قد رميت بنتصِل إن قيل صار مَن ال دَوْلَمن قومِسُ

ويقال ان القومس يكون تحت يده نيف وثلاثون رجلًا . ويقولون المهندز بالزاي وهو المهندس بالسين لا غير وهو مشتق من الهنداز فصيرت الزاي سيناً لانه ليس في كلام العرب زاي بعد الدال والاسم الهندسة . ويقولون لما يلقى من الشجر خشب التشنيح والصواب ان يقال خشب التشديخ يقال شدخت الغصن ونحوه اذا كسرته ويقال له ايضاً الشدان وقد حكي عن ابي عمرو انه قال شنّخ نخله اذا نزع عنه سُلاه . ويقولون قد مزّج العنبُ اذا بلغ والصواب مجّج مجيجين والمجج بلوغ العنب . وفي الحديث لاتبع العنب حتى يظهر مججه وقال ابن عباس لا يباع العنب حتى يمجج . ويقولون الصدى في الصدّق وهو عيد للفرس يوقدون فيه النار ليلًا. ويقولون للذي لا غيْرة له على اهله القَرْطبان وهو مغيّر عن وجهه وانما هو الكلتبان. روى ثعلب عن ابي نصر عن الاصمعي قال: الكلتبان مأخوذ من الكلب وهو القياده والتاء والنون زائدتان قال وهذه اللفظة وهي القديمة عن العرب وغيّرتها العامّة الاولى فقالت القلطبان قال وجاءت عامّة سُفلى فغيّرت على الاولى فقالت القرطبان. قال ابن خالويه يقال الكلتبان والقرطبان والقلطبان والديوث والنموث والصقّار والقرقضنة والمجلّز والمزوُر والقُنذع والقُنْدُع والمُحصّل والمحصّلة والطمز والطَمْع والبُكاكة . ويقولون هجل بقلبي كذا وهو بالسين . ويقولون شمَمت راحة الشيء. الشيء. والصواب رائحته فاما الراحة فراحة اليد والرفاهية. ويقولون لولاك والخُبّد لولا انت قال: الله تعالى: لولا انتم لكنّا مؤمنين . ويقولون الحارص والحرص بالصاد وهما جميعاً بالسين وقانصة الطائر بالصاد وهم يقولون بالسين . ويقولون سَيلان السكين بفتح السين والياء. والصواب السِيلان بكسر السين واسكان الياء. وانشد ابو عمرو :

ولن اصالحكم ما دام لي فرس واشتدّ قبضاً على السِيلان إبهامي

ويقولون في الدعاء للمريض مسح الله ما بك وكان النضر يقول الصواب مصح الله ما بك بالصاد اي اذهبه . وغيره يجيز مسح وروى ابن الكوفي فيما قرأته بخطه عن محمد بن حاتم المؤدب قال مرض النضر بن شميل فدخل عليه الناس يعودونه فقال له رجل من القوم. مسح الله ما بك. فقال له النضر بن شميل لا تقل مسح وقل مصح الله ما بك الم تسمع قول الاعشى في قصيدته الحائية :

واذا الخمرة فيها ازبدت أفل الازباد فيها فمصح

قال الرجل لا بأس السين قد تعاقب الصاد فتقوم مقامها. فقال النضر فينبغي ان يقول لمن كان اسمه سليمان يا صليمان. وتقول قال رصول الله. ثم قال النضر لا تكون الصاد مع السين الا في اربعة مواضع. اذا كانت مع الطاء. والخاء. والقاف والغين. تقول في الطاء. سطر وصطر وفي الخاء. صخر وسخر وفي القاف صقب وسقب وفي الغين صدغ وسدغ . قال الشيخ ابو منصور رحمه الله فاذا هدمت هذه الاربعة الاحرف السين لم يجز ذلك. لا يجوز ان تقول خضر وخسر ولا قضب وقسب ولا طرس وطرص ولا غسل وغصل . لم يذكر الهروي في كتابه الغريبين الا السين فقط وقال معناه غسلك وطهرك من الذنوب وهو الصحيح ويقوي ما قاله ان مصح لا يتعدى الا بالهمزة او الباء. فكان يجب اذا كان بالصاد ان يقال مصح الله بما بك أو امصح الله ما بك . ويقولون الحلي وانما هو الحلي وجمعه الحلي كثدي وثدي فاما الحلي فهو يبيس النصي. ويقولون رجل انط وانما هو نط . قال الشاعر وهو ابو النجم العجلي كلحية الشيخ اليماني الشط صوابه كلحية الشيخ لانه يصف كعب جارية بالسمن والاملاس وأول الابيات :

علقت خوذا من نبات الرطط ذات جهاز مغنط ماطط
رابي المجس جيد المخطط كأنما قط على مقطط
اذا بدا منه الذي يغطي كان تحت ثوبها المنعط
شطار ميت فوقه بشط لم يتر في البطن ولم ينحط
فيه شفا من اذى التسطي كهامة الشيخ اليماني النط

ويقولون ديار براقع للخيالة وانما البراقع جمع برقع وهو ما تجعله المرأة على

وجهها والصواب بلاقع . وفي الحديث اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع . قال رؤبة: فاصبحت ديارهم بلاقعا ويقولون للجوالق الصغير كَزْكه وانما هو الكرز ومنه المثل يا ربّ شدّ في الكرز. يا رب شدّ في الكرز يضرب مثلاً للامر الخفيّ يعلم منه خير واصله ان رجلاً نتج فرساً مُهراً فأخذه وشدّه في الكرز فلقيه رجل فقال هذا المثل . ويقولون التِّغار وهو اليغار بالياء على وزن تِفعال. ويقولون القِشيش بالقاف وهو الكِشيش. قال الشاعر، هو ابو المُنَطِش الحنفي ويقال ابو النَّطَنش :

كأنّ الثآليل في وجهها اذا سفرت بدد الكشمش

ويقولون في اللغة العبرانية العمرانية وانما يقال بالبا. قال الشاعر، هو الشماخ:

كما اختطّ عبرانية بيمينه بتيماء حَبْرٌ ثم عرض اسطرا

والعبرانيّة معدولة عن السريانية . ويقولون للامر الفظيع هذه ردّة والصواب هذه إدّة اي داهية . ويقولون للجاسوس ذو العُوينتين وانما يجب ان يقال ذو العيينتين ويقولون الشاة تشترّ والصواب تجترّ واسم ما تدفعه من كرشها الى فيها الجرّة وفي المثل ما اختلفت الدرّة والجرّة واختلافهما ان الدرّة تسفل والجرّة تعلو . ويقولون حيُّ الشاة والكلام حياؤها ممدود . ويقولون في موضع وَيْ التي يكنى بها عن الويل وانشتّ وهو خلف من الكلام ومثله من كلامهم المحال الغثّ قولهم جئت في القاك يريدون حتى القاك وجيّة يريدون جيء به . وقولهم مدريك يريدون ما يدريك وقولهم المِيد يريدون المسجد وقولهم الايذ في اليد . وقولهم ضربه بالعُصَى يريدون العِصِيّ وقولهم في موضع ايضاً هَمْ وفي موضع حَسْبُ بِسْ وغير ذلك من الكلام الظاهر الفساد الذي يُرغب عن ذكره . وتقول هي تستد بالتا. واذربجان وهي الشأم بوزن رأس مهموز والبراستق والجلنار والفَرُوند للبرَنْد وهي الفاختة واشتقاقها من الفخت. وهو ظل القمر وهو الوَعِل والنَّمِر والاعرابي ولا تقل العرابي . وهي المُنتأَقة ولا تقل المنتقة وتقول ايش. فعلت بالتنوين واصله اي شي. فعلت. ومما يكسر والعامّة تفتحه أو تضمه .هو الشِطْرَنج بكسر الشين على وزن فِعلّلٌ كجردحل. المعروف عند اهل اللغة الشَطْرنج بفتح الشين يقولون هي لعبة الشَطْرنج ولا.

يجب ما قاله من كسر الشين لتكون على امثلة كلام العرب وانما كان يجب ما قاله لو كانت العرب تصرف كل ما عرّبته من الفاظ العجم الى امثلتها. فاما اذا وجدنا في كلامهم اسماء كثيرة مما عربوه مخالفة لاوزان كلامهم فلا وجه لما ذكره وذلك نحو الآجرّ والفِرِند والجُرْبُز ونحو ابراهيم واسمعيل وبهرام وشتراق. وقال سيبويه في المعرّب من كلام العجم ربما الحقته العرب بابنية كلامهم وربما لم يلحقوه بابنيتهم. وليس في كلام العرب شي. على فَعْلَل بفتح الفا. وهو المِريخ للنجم بكسر الميم ولا يفتح والتِّنين بكسر اوله والخِنزير كذلك والجِراحات بالكسر. وكذلك الشِّفار الذي نهي عنه والوِتد بكسر التا. . وهي التِّقنِية بكسر القاف . وتقول سألتك بالله الّا فعلت . وهي السِّنون بكسر السين. وفلان تِلميذ فلان . وهي الغِرارة والبِلّورة بكسر البا. وفتح اللام وهو المِربد بكسر الميم وفتح البا. . وهي الشِّقوة وجِرم الشمس وسِلخ الحيّة . وهي الوِقاية بكسر الواو : وهي الشِّحْنة بكسر الشين ولا تفتح وهو اسم للرابطة من الخيل في البلد لضبط اهله من اوليا. السلطان وليس باسم للامير او القائد كما تذهب اليه العامّة والنسبة اليه شِحْني وشحنيّة ولا تقل سحنكيّة ولا شحنيّة وهذه الكلمة عربيّة صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخيل اذا ملأته بها . والفُلك المشحون اي المملو. . وهي السِّقاية والبِرطيل للرشوة بكسر البـاء. وكذلك كل ما كان على فِعليل نحو زِحليل وهو اثار ترجّح الصِّبيان وشِمليل وهم اخوة زيد بكسر الهمزة وهي المِصيصة بكسر الميم وهو الزِرنيخ بكسر الزاي وشِراع السفينة . وهم في خِصْب وهو المِأصر بكسر الصاد وفتحها خطأ ومعنى المأصر في اللغة الموضع الحابس من قولهم أصرت فلاناً على الشي. آصِرُهُ أصرًا اذا حبسته عليه وعطفته. ذكر الجوهري انها المَصيصة بفتح الميم وتخفيف الصاد وهو اسم موضع بالشام فيكون النسب اليه على هذا مَصيصي.

وما يُفتح والعامة تكسره هو الرَّيحان والامـير والاكار وبَيرم النجار وهو الخلخال وهي السَّعة والضَّيعة . وهو الدَّيزَج بفتح الـدال والعَناق بالفتح فأمّا العِناق فمصدر عانق وهو الوَداع والقَـنول وهو الجَنّص وقد تكسر وهو الكثير والكبير بالفتح ولا يكسر انما يكسر اول فعيل اذا كان ثانية حرفاً من حروف الحلق نحو شعير ورغيف وبهيمة وسعيد وما اشبه ذلك وهو القَيروان

بفتح القاف. قال ابن دريد القيروان للجيش بفتح الراء. والقيرُوان القافلة بضمها وقال ابن خالويه القيروان المُباد والجيش والقافلة وانشد للجعديّ :

وعادية سومَ الجَراد شهدتها . لها قَيْرَوان خلفها متنكب

وهو السَّكران والجَناح والقَضارة والنَجدة وفي عين فلان حَورٌ وهي الأنبار وهو الاحاق وكِرمان وهو الخُشخاش لهذا الحبّ المعروف بالفتح وهو عربيّ صحيح وهو إلجبن وهي القَصعة وتقول للمرأة تعالَي بفتح اللام وفلان يشتهي كذا بفتح التا. وهي المنارة بفتح الميم وهذا نادر لانه من الآلة ومثله في الشذود المنقَل الخُف بفتح الميم والمنقبة حديدة يبقب بها البيطار وهي المَكنَة بفتح النون ولا تكسر وهو كَسلان ولا تقل كِسْلان وهي الشجر بفتح الشين ولا تكسر وهي تَكريت وهو السَّبي ولا تقل السِبْي وهي الأهاة والاربَعون بفتح البا. ولا تكسر والمَجلِس بفتح الميم وليس في الكلام مِفعِل إلّا منخِر ومنتِن ومغيِرة والشَن القربة الخَلق اليابسة وكل وعاء أخلق من أدَم وجفّ فهوشَنٌ بالفتح ولا تقل شِنٌ فليس بشيء. ومما جاء مفتوحاً والعامّة تضمّه هو الكَوْلان والمَصطكا بفتح الميم. الكَوْلان نبت وهو البرديّ وقال ابن ولاد المصطكاَ بالمدّ فيما حكاه الفرّاء . قال عليّ بن حمزة هذا اغلط منه ومن الفراء والوجه المُصْطَكى بضمّ الميم والقصر وانشد للاغلب : تقذف عيناه بعلك المُصطكى . وهي سَروج بفتح السين ولا تضمّ وقتله صَبرًا . وهو السغرجل بفتح السين ولا يضمّ وهي الزَرافة بفتح الزاي لهذه الدابة التي جمعت فيها خِلَق شتى مأخوذة من قولهم للجمع من الناس زَرافة وهو الوَجه بفتح الواو والعامّة تضمّها وهو الجَوزاب. وتقول هو مَرميّ ومَطويّ ومَقضيّ ومَسبيّ وكذلك كل ما اشبهه بفتح الميم وضمّها خطأ . واذا نسبت الى حيّ من الانصار يقال لهم بنو الحُبلى قلت حَبَليّ بفتح البا. ولا تقل حُبْليّ وفلان التَيمليّ بفتح الميم اذا نسبته الى تيم اللات كما تقول عبدريّ في النسب الى عبد الدار وعبشميّ في النسب الى عبد شمس . وهو التَنوع والبَخور والزَعفران بفتح الفا. ولا تضم وهو التَور للخادم والعامة تقول تُور بالضمّ وهو خطأ والرَوش العبد اللئيم والعامة تقول رُوش . وهي سَوداء لهذه القرية بفتح السين وهي الجَنوب للريح بفتح الجيم ولا تقل الجُنوب

انما الجُنُوب جمع جُنُب وهو السموم ولا تقل السُّموم الّا في جمع سمّ وهو ابو دُلَف على مثال عُمَر ولا تقل دُلْف وهي المُزُون لعمان وفلان مُزُونيّ ولا تقل المُزُون. ذكر الجوهري انه المُزُون بضم الميم وذكر في آخر الفصل عن بعضهم انهم كانوا ملاحين في زمن كسرى. وهذه يهود ومجوس بفتح اوّلها ولا تضمّ وهو البَوْرَق لهذا الذي يلقى في العجين ولا تقل بُورق بضمها لانه ليس في الكلام فوعل بضمّ الفا. وكل ما جا. على فَوْعل فهو مفتوح الفا. نحو جَوْرب ووَوْشن وكَوْسج ووَوْزن وما اشبه ذلك. ومما جا. مضموماً والعامّة ... أو تكسره

هو المُشان بضم الميم. المُشان رطب الى السواد دقيق وفي المثل: بعلّة ... تأكل رُطَب المُشان. وحُرّاق القوم بالضمّ ولا تفتح ومُعاوية بضمّ الميم ولا يفتح ... البُهار بالضمّ. قال الشاعر وهو البُريقة الهذليّ كمَيرِ الشام يحملن البُهارا. البيت ...:

يرتجز كأنّ على ذُراه — ركاب الشام يحملن البُهارا .

وهو المُطبق بضم الميم للحبس لانه أُطبق على مَن فيه ولون من الصبغ أسودُ يقال له حُماحم بالضمّ والنسبة اليه حُماحميّ بالضمّ ولا تقل حَماحمي — وتقول قرأت السبع الطُّوَال ولا تقل الطِوال انما الطِوَل الحبل . قال الشاعر:

. سكنته بعدما طالت نَعامته بسُورة الطور لمّا فاتني الطُّوَل

وهو كُلثوم بضم الكاف والمُصران بضمّ الميم ولا يُكسر وهو جمع مصير وليس بواحد كما تذهب اليه العامّة وهو الجُوَالِق بضم الجيم ولا تفتح في الواحد انما يفتح في الجمع ومثله خُلاحِل وقلاقِل وقَلاقِل والكُمْنة بالضم وهو ورم في الاجفان وغِلَظ وقيل قَرْع في المآقي رقيل جَرَب وحُمْرة تبقى في العين من رَمَد يُسا. غلاجه وهي الأُسطُوانة بضم الهمزة والطا. ولا تكسران ووزنها أُفْعُوالة وكان الاخفش يقول هي فُعْلُوانة وقيل أُفْعُلانة وتقول اصابه ذُباح وهو تحزّز وتشقيق بين اصابع الصبيان من التراب بالضم ولا يفتح. ومما يشدّد والعوام تخففه

يقولون مئة ونَيف وانما هو ونَيّف بالتشديد ولا يجوز تخفيفه كما يخفّف مَيْت لامرين احدهما انه قلّ استعماله والآخر ان هذا لا يقاس. وهي المَرَقّية بفتح الميم وتشديد القاف لانها منسوبة الى المرقّ احد مراقّ البطن ولا تقل مراقة. وهو الثِبِتّ بتشديد التا. ولا يجوز تخفيفها . وهو الجاز لضرب من الحيّات

وانطاكيّة بتشديد اليا. والخطبيّ بالتشديد والدوابّ بتشديد اليا. ولا تخفّف وكذلك دوبيّة وهو هوامّ الارض بتشديد الميم، الواحدة هامّة وسمّيت بذلك من الهميم وهو الدبيب. والسُلّاق عيد النصارى بتشديد اللام ولا تقل السُلاق.

ومما يخفّف والعامّة تشدّده هو الهَنُ بالتخفيف ولا يشدّد. وهي مَلَطية وسَلَمية وقسطنطينية بتخفيف اليا. فيبَين. وهي الدية بتخفيف اليا. والخُرفات بتخفيف الرا. وهي المحارة بتخفيف الحا. ولا يشدّد وقُرَيات بتخفيف اليا. وهو ابو نُواس بضمّ النون وتخفيف الواو ولا تقل نُوّاس وذو نواس ايضاً ملك من ملوك حِمْيَر وهو الحرُ بالتخفيف واصله حرح وجمعه احراح. قال الفرزدق :

اني إقود جملًا ممراحا ذا قبّة مملوءة أحراحا

وهي قُوارة القميص بضمّ القاف والتخفيف ولا تقل قوّارة وكذلك قياس كلّ ما كان فضلة كالقُصاصة والقُراضة والنُحاتة. وتقول هذه عُقدة مسترخية وفلان مجدور وقد جُدر بالتخفيف ولا يقال جُدّر بالتشديد وهو مُجدّر هذا اجماع منهم وهي المنة ولا تقل مِيّة والرئة ولا تقل ريّة وفراشة القفل ولا تقل فرّاشة يقال لكل رقيق من عظم أو حديد فراشة ومنه فراش الرأس عظام رقاق الواحدة فراشة. قال النابغة : ويتبعها منها فراش الحواجب. صدره :

يطير فُضاضاً بينها كل قونس

والفراشة ايضاً الما. القليل. وهي السُلاميات بفتح الميم وتخفيف اليا. الواحد سُلامى ولا تقل السُلاميّات. وهو القُلاع من ادوا. الفم بالتخفيف ولا يشدّد وعلى هذا البنا. جميع الادوا. كالصُداع والسُعال والزُكام.

ومما جا. ساكناً والعامّة تحرّكه هي البَكْرة التي يستقى عليها بالاسكان وهو الأَثْل بسكون الثا. وهي الحَدْية وهو الإِبْط والقَلْي والمُرْي. قال الجوهري هو المُرّي منسوب الى المرارة وانشد : وعندها المُرّي والكامَخ وهو عامرُ الشَبي. ومما جا. محرّكاً والعامّة تسكنه هي النُعَرة لواحدة النُعَر وهو الذباب الذي يدخل في انف الحمار ولا تقل نعْرة. وتقول قد ردّها جَذَعة بالفتح ولا تقل جَذْعة ومعناه انه ردّها الى اوّل ما ابتدئ بها. وهي الضَبُع ولا تقل الضَبْع انما الضَبْع العَضْد وهم نخبة القوم وكلب بن وَبَرة. ومما تصحف

فيه العوام يقولون للرجل اذا نسبوه الى الجهل والبلادة عليه لحية التيتل بتائين انما هو الثيتل بثاء وتاء وهو الوعل ويقولون عند الوجع اخ بالخاء المعجمة وكلام العرب أحّ بالحاء وليس الخاء من كلام العرب وانما هي لغة العجم ولما اشتدّ امر شبيب على الحجاج وحصره في القصر أمر غلاماً شجاعاً فلبس ثياب الحجاج وسلاحه وركب فرسه وصاح في الجند فجمعهم وخرج. فقال الناس: قد خرج الحجاج فاقبل شبيب ثم قال ابن الحجاج فأومأوا اليه فحمل حتى خلص اليه فضرب بالعمود فلما احسّ بوقعه قال اخ بالخاء. فانصرف شبيب وقال قبحك الله يا ابن امّ الحجاج اتتقي الموت بالعبيد وقتل العبد . ويقولون فلان مُتشَتِّع بالشين وهو خطأ وانما هو مُتَسَتِّع بالسين غير معجمة من قولهم خطيب مِسْتَع تبجحه وكثرة كلامه وتقول قد تفل عليه يَتْفُل بالتاء ولا تقل ثفل ويقولون لقوس السحاب قوس قدح وهو تصحيف قبيح والصواب قوس قُزَح واختلف العلماء في تفسيره فرُوِي عن ابن عباس انه قال لا تقولوا قوس قُزَح فان قُزَح اسم شيطان ولكن قولوا قوسُ الله وقيل القُزَح الطرائق التي فيها الواحدة قُزْحة فمن جعله اسم شيطان لم يصرفه لانه كعُمَر ومن قال هو جمع قُزْحة وهي خطوط من صفرة وحمرة وخضرة صرف ويقال قزح اسم ملك موكّل به وقيل قزح اسم جبل بالمزدلفة رُوِيَ عليه فنُسب اليه . قال السكري كان يظهر من وراء الجبل فيرى نصفه كأنه قوس فسمّوه قوس قزح. وهو الجنين للطفل ما دام في بطن امه ولا تقل الجنيّ . وتقول لعب الصبيان جدبدبى وهي لعبة لهم والعامة تجعل مكان الباء الاولى نوناً ومكان الثانية لاماً وهو خطأ .قال الراجز ، هو سالم بن دارة يهجوا بن نافع الفزاريّ :

جدبدبى جدبدبى يا صبيان ان بني فزارة بن ذُبيان
قد طرقت ناقتهم بانسان مشيَّأ اعجب بخلق الرحمان

..ومما جاء بالسين وهم يقولونه بالشين هو سجار التنور وقد سجرته بالسين ولا يقال بالشين وهو السلجم بالسين ولا تقل شلجم ولا ثلجم وفي المثل تسألني برامتين سلجماً وبعده :

لو أنها تسأل شيئاً أمما جاء به الكريّ او تجشما

قال ابو حنيفة السلجم معرب واصله بالشين والعرب لا تتكلم به الا

بالسين غير المعجمة. وهي السجية بالسين وتقول لاصحاب المتاع الاسيام بالسين والعامة تقول الاشيام بالشين وتقول هو الكُردوس والجمع كراديس بالسين المهملة لا غير والعامة تقوله بالشين وهو خطأ والكراديس رؤوس العظام وقيل كل عظم تام ضخم كُردوس وفي صفة النبيّ انه كان ضخم الكراديس. وتقول للجبل مرس بالسين وفتح الراء ولا تقل مَرش انما المَرش كالخَدش . ومما جاء بالذال وهم يقولونه بالدال هو الجُرَذ بالذال المعجم ولا يقال الجرد والذَقن بفتح الذال والقاف ولا يقال دقن كما تقول العامة والناجذ اقصى الاضراس يقال فلان منجّذ اذا احكم الامور ولا يقال بالدال . والاذاذ الضرب من التمر بالذال ولا يقال بالدال والزُمرُذ والشِرذِمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء بالذال ولا تقل شِردِمة ولا تقل شِردَة فانه خطأ وبين الرجلين ذَحل اي حقد وعداوة بالذال والعامة تقول دَحل بالدال وهو الطبرزذ بالذال ولا يقال بالدال . ومما جاء بالدال وهو يقولونه بالذال . هم الدُعّار للخبثاء المتلصصين بالدال مأخوذ من العود الدَعِر وهو الذي يؤذي بكثرة دُخانه . قال ابن مقبل :

باتت خواجل ليلى يلتمسنَ لها جزل الجذا غير خوّار ولا دَعِرِ

فان ذهب بهم الى معنى الفزع جاز ان يقال بالذال. وتقول كذب العادلون بالله بالدال اي المشركون الذين يعدلون بالله تعالى غيره ولا تقل العاذلون . يقال عدل الكافر بالله عدولًا . قال الله عزّ وجلّ : وهم بربهم يعدلون . وهو جُردان الفرس لقضيبه بالدال ولا تقل جُرذان . ومما جاء ممدودًا والعامة تقصره كداء وجراء جبلان بمكة ممدودان والقباء ممدود وهو عربي صحيح وسمّي قباء لاجتماع اطرافه وكل شيء جمعته باصابعك فقد قبرته قبوًا والملحاء من البعير ما تحت سنامه بالمدّ وايلياء بيت المقدس ولا تقل ايليا . قال الفرزدق: وبيت باعلى ايلياء مشرّف. صدره: وبيتان بيت الله نحن ولاته . واللوبياء بالمد والصِحناء والصحناة ممدودان وبزر قُطُوناء بالمدّ وقد تقصر والصّبناء للقضيب الشاميّ مفتوح الصاد والنشاء والكرُوياء . كَرَوياء كان يجب على قياس نظائرها ان يقال كرِيّا لان الواو والياء اذا اجتمعتا وسبق الاول منهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وقد شذّ من هذا ضَيوَن وحَيوَة وخيوان وعوية ولم يذكروا فيها كرّيا.

والمشهور فيها عند اهل اللغة كَرُويا. مثل تَيميا. وكَرِيَّا بالقصر مثل زكريا. وعاشورا ولم يجئ على فاعولاء في كلام العرب الا عاشوراء والضاروراء والساروراء. السرّاء والدالولاء الدالة وخابوراء موضع وهي القرياء وكربلاء وسُلّا النخل شوكه والواحدة سُلّاة كل ذلك ممدود وهي الصحراء ولا تقل الصحراة بالهاء. وقرقيسياء هي مدينة بالجزيرة وسمبراء موضع والرهاء مدينة. ومن الافعال التي غيّرت العامة ماضيها ومستقبلها. فَعَلْتُ: عقَل الغلام يعقِل ورجَع الشي يرجع وجَهَدَ الرجل يجهَد ودرى اي علِم يدري وفرق بين المشتبهين يفرق ورجف الشي يرجُف وشخص البصر يشخَص وقبض الشي يقبِضه وبهرني الامر يبهَرني فهو باهر اذا غلبك وسمحت استبيح وسفَل الشي يسفِل ونزع الميت ينزِع وعناني الشي يعنيني وسَلِمَ يسلَم ولا تقل سُلِم انما يقال سُلِم الرجل بمعنى لُدِغ وقد ردمت الباب والشي اذا سددته فهو مردوم ولا تقل مُردَم ولا اردمته. وسبَق الفرس يَسبِق وبذَل الشي يبذُله ولهث يلهث وشهَق يشهَق وغربت الشمس تغرُب ومرن على العمل يَمرُن وخلَص الشي يخلُص وسهوت عن كذا ولا تقل سهيت وقرض الفار يقرِض. قال ابن دريد وليس في الكلام يقرَض البتة ونحل جسمه ينحَل وما شعرت بكذا. هوى الشي يهوي وعرَض يعرِض وضبط الشي يضبِطه. ومن فعُل تقول صلُب الشي وضعُف وسهُل وقرُب وحسُن وقبُح وعتُق وكثُر ورخُص السعر وحمُض الخل وظرُف الرجل كل هذا الباب تخطي فيه العامة فتتكلم به على ما لم يسمّ فاعله ولا تكاد تلفظ به ويقولون ايضا في ضَرِس ضُرِس وفي وَجِع وُجِع وفي سَبِين سِبين. ومما جاء على أفعل تقول أروحت الجيفة ولا تقل راحت وقد أعوزني الشي ولا تقل عازني وأشفقت من كذا ولا تقل شفقت وأباد الله الشي ولا تقل باده واخزاه الله يخزيه ولا تقل خزاه الّا بمعنى ساسه وقد احسنت الشي ولا تقل حسنة وقد أريته كذا أريه ولا تقل أوريته وأمسكت الشي ولا تقل مسكته. واصح الله بذلك ولا تقل صح الله وأثبتُ الشي فهو مُثبَت ولا تقل مثبوت. وأفسدته فهو مُفسَد وانقعته فهو مُنقَع واصلحته فهو مُصلَح. وقد اردت ذاك ولا تقل ردته. وقد افاق من علّته. فهذا ما تيسر اثباته من مغفل خطئهم.

واتّفق الفراغ يوم الثلثاء في العشر الاوسط من شوّال سنة ٥٨٧ من نسخه.

كتاب المعجم في تحليل أعلام الاماكن

بقلم عيسى اسكندر المعلوف .

هو من وضع المغفور له سيدي الوالد الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق ، والمعجم هذا مرتب على الأبجدية ومن توطئة خطها المؤلف سنة ١٩٠٢ في شهر آب قوله : « ولعت منذ شبابي بعلم الاشتقاق وتحليل اسماء الأشخاص والأماكن لمعرفة أسباب التسمية وما كان يستلفت انظار الذين يطلقون الاسماء بحسب قرائن الاحوال وما يتجلى لهم من المظاهر والشؤون المناسبة للمسميات فلهذا ألمت قليلاً بالسريانية والعربية والقبطية والحبشية والكلدانية والتركية والفارسية ونحوها وبلغات الافرنج كاللاتينية واليونانية والانكليزية والافرنسية والايطالية ونحوها واقتنيت لها معجمات قواميس لتساعدني على المعاني المرادة ودرست علم العاديات ونحوها بما يتعلق بالعبادات القديمة (الميثولوجية) وراجعت المعالم (دوائر المعارف) والتواريخ وما اكتشف من الآثار الى غير ذلك مع مراجعة الجغرافيات والرحلات وصححت بعضها مما سبق اليه الوهم وأخذ على مظاهره دون تعمق في البحث ومراجعات الى أشباه ذلك من المؤثرات على التاريخ وشؤونه فجمعت هذا الكتاب في تحليل الأماكن كما جمعت كتاباً آخر في تحليل اسماء الاشخاص وهو معجم ورتبت ذلك على الهجائية تسهيلاً للمراجعة فلعله ينفع مطالعيه وعساهم يسترون خطاءي والحمد لله على كل حال » .

وبهذا دلالة على المعجم وفائدته العلمية والثقافية وطول أناة مؤلفه وتحقيقه وتدقيقه .

رياض معلوف — زحله

حرف الالف

آبل كرامِيم — قرية في شرق الأردن بمعنى — روضة الكروم .

آبل شِطّيم — روضة السنطا أي الأقاقيه — آبل مَحوُلة روضة الرقص

آبل مصرايم مناحة المصريين .

آبل ليسانياس وهي سوق وادي بردى

آت ميدان — ميدان الخيل بالاستانة .

آستانه (تركية) بمعنى العتبة .

آق سراي — (وفي ابن خلدون وابن بطوطة) اقصراي بمعنى القصر الأبيض مدينة في بلاد الروم .

آق شهر — معناها المدينة البيضا. اشتهرت بالورد الأبيض وهي في بلاد الروم .

آبد — ديار بكر يسميها الأتراك — آميده — وقره آبد أي آمد السودا. لسواد حجارتها .

آون — عبرانية بمعنى العدم أو البطل ولعلها (أون) بمصر سماها اليونان هليو بوليس أي مدينة الشمس وبقعة — آون — السهل بين اللبنانيين أي بعلبك والبقاع .

آياس — فرضة في بر الأناضول اشتهرت بانتصار الاسكندر على داريوس الفارسي سنة ٣٣٣ فسميت نيكو بوليس أي مدينة النصر واسمها القديم — آسوى — واياتسو واسمها الآن — آياس .

ادرنه — الأناضول — نسبت الى ادريانوس الروماني واسمها (ادريانو بوليس) باليونانية .

آيدين — مدينة في آسية الصغرى وهي ولاية مركزها ازمير آيدين تركية بمعنى (ضيا. القمر) وهي ايضاً اسم — الكوزول حصار — أي الحصن الظريف .

إبتانوميذه — اسم يونانية بمعنى المقاطعات السبع التي كان يطلق قديماً على مصر الوسطى وهي سبع مقاطعات بين الصعيد والبحيرة .

ارخبيل — مجموع جزر معناها (راس البحر) ويقال ارشيبل وخرطبيل يونانيـة مركبة من (أرخي) بمعنى معظم (وبيلغوس) بمعنى بحر ويسمى بحر جزائر الروم وبحر سفيد . واسم التركي (آق دكز) أي البحر الأبيض . ويسمى بحر الجيوس .

استنبول – أو – اسطنبول = منحوتة من كلمات يونانية هي (إس) و (تِنْ) و (بُولِين) أي إلى المدينة . وتسمى (اسطرومبول) أي مدينة الاسلام أو هي تحريف هذا الاسم المذكور ومن اسمائها دار السعادة ودار السلام (البيزنطية) وتسمى (بالقسطنطينية) نسبةً الى قسطنطين الملك .

حاشية : للبحث صلة وهذا بعض ما جاء في حرف – الالف – من هذا المعجم العام في تحليل أعلام الاماكن .

الشعر الصيني

لرياض معلوف – زحلة لبنان

منذ الزمن البعيد والشعر في الصين له منزلته أي في عهد (تشيو) في القرن الثاني عشر قبل عصرنا. ولم يبق من هذه الحضارة التي تعود الى الجيل الثامن والعشرين قبل الميلاد سوى بعض خرافات وأسماء، ومما يتضح لنا ان مناخ البلاد وخطة بنا. آثارها لم تترك دلائل حساسة كما هي الحال في مصر وبلاد الكلدان.

وأول كتاب الصين هو (كنفوشيوس) و (لوتزه) فالاول والثاني عاشا في الجيل السادس قبل الميلاد. (فكنفوشيوس) لم يكن شاعرًا فيلسوفًا وله كتاب (طريق الخلال الحميدة) وهو مؤلف شعري فيه تأملات وابتهالات تتصل بالحقائق الروحية عن طريق النغم والصورة الشعريين وهذا انموذج حي من هذا الشعر المفوف بسحر الشرق:

الطريق التي نسلكها
ليست الطريق الابدية!
والإسم الذي نسمي به
ليس الإسم الخالد . . .
والغير مسمى هو سبب وجود السما. والأرض!
والمسمى هو أب كل البشر
اذن هذا هو الخالد دون رغبته، والمكتشف الروح!
والرغبة الأبدية التي تكتشف الحدود
وهاتان المعرفتان هما بمعنى واحد
وإن اختلف اسمها
وهذه وتلك تسميان السر – سر السر . . .
باب كل روح!

. وله ايضاً هذه القصيدة العميقة المغزى بعنوان : العِلم الأسمى .

دون ان أمرَّ بالباب أعرف العالم
ودون ان افتح الشباك استكشف طريق السما . !
والذاهب كلما ابتعد كلما عجز عن الفهم !
هكذا العاقل يتقدّم دون أن يمشي
ودون أن يرى يعرف الاسما . .
ودون ان يهتم ينجح !

وكنفوشيوس رغم انه لم يكن شاعرًا فانه كان مولعًا بالعزف على القيثار وبالغنا . مع تلامذته وتباعه حيث قال عنه أحد هؤلاء . انــه كان يهوى الشعر وله مؤلف مشهور (شركنغ) أو كتــاب الأشعار . ونظم بعض شعره في امتداح أباطرة الصين وأنشده في قصورهم :

ويزعم كنفوشيوس وتلاميذه ان ملكاً قديمًا قبل عهد الإهانة التي ألحقها القيصر بفارس اسمه (ليبيريوس) الذي أجبره على الرقص له .

وهذه الأبيات التالية بعنوان الراقص مصداقة لما تقول :

انني سأرقص وأرقص
غير مبالٍ . . . الآن في منتصف النهار
انني اقفز وانطلق !
قامتي عالية منتصبة !
وفي قصر الملك أنا أرقص . . .
أنا قوي مثل النمر
أطوي الجلد . . . مثل قطعة النسيج
ويدي اليسرى تحمل الشبابة
والثانية ريشة الديك !

وعلى ما يظهر ان الشعر الصيني وزنه كالوزن الشعري الفرنجي على التقطيع نفسه وبعضه على الايقاع ما بين مقطعين على طريقة المزامير بعد ذلك تستكمل

القصيدة بالنثر الشعري الحر المطلق ويسمى — المجنون -- لانه على السجية الإيقاعية وعلى هوى الإلهام !

وشاهدنا على ذلك الشاعر (كويويون) الذي عاش في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد وكان وزيراً عند الأمير وأسر في ناحية نائية من الصين حيث قضى وقته في جمع بعض الاعتقادات وتعاطى كذلك السحر والشعوذة ثم يئس من الحياة ورمى بنفسه في النهر وحتى الآن يعيّدون في الصين لهذا الانتحار الغريب في اليوم الخامس من الشهر الخامس من كل سنة. وهذه هي قصيدته البديعة — جنية الجبل

من الذي أراه في قلب الجبل
حيث يتيه النظر وترتسم البسمة !
هل تتطلب انت العزلة التلقاني معك .
أجرُّ أمامي الحيوانات المفترسة
المرتبطة بها عربتي المصنوعة من أغصان الزيزفون والورد
وأضع عصبةً وغطاء لرأسي من الزهر
وأقتطع غصناً معطرًا لأفكاري !
ومسكني غابة القصب التي تحجب عني السماء !
الطريق صعبة أسير فيها وحيدة . . .
فتظللني الغيوم . . .

وينتهي هكذا بقوله :

الهواء يدور ويعصف
والأشجار تصفر
انني أفكر بك وحيدةً في حزني !

وفي معهد (طانغ) في العصر الثامن والتاسع كان الملوك يرعون الآداب والفنون وخاصةً الشعر . وكذلك في عهد الامبراطور (منغ) الذي سمي قديماً بعد مماته تحت اسم (هيون تسنغ) أو الجدّ الساحر وكان هو ايضاً شاعراً وعطف

على زمرة من الشعراء أدخلهم في حاشية قصره مثل : (ليوتنغ تشو) و (ليتاه) وهو أشهرهم جميعاً و (ونغ واي) الذي كان مصوراً ايضاً و (تشنغ كيان ودتوثو) و (منغ هوجن) ومن قول هذا الاخير وفيه السحر الكلامي :

سعادة الأرواح السماوية تشغل تفكيري
وصوت الارغن محفور على قلبي !

ومما شك فيه ان الشعر الصيني تأثر إلى حد بعيد بالآداب الانكليزية والأميركية وابتدأت الآن في عصرنا هذا نهضة شعرية وثابة ودليلنا على ذلك بعض مقاطع للشاعرة (سيه بنغ سن) في الأمومة :

— في السماء وفي قلبي تهب العاصفة !
وما لي مأوى إلا في قلبك ...

ومن لطيف قولها في الطفولة :

ايتها الطفولة !
يا حقيقة الحلم
وحلم الحقيقة !
ايتها الذكرى الممزوجة بالدموع والابتسامات !

ومما وصفت به الأوقيانوس واجادت :

أيها الأوقيانوس أأنتَ نجمة دون نور ...
أم وردة بلا رائحة ؟
في كل هنيهة تصطدم أمواج أفكاري
بصدى أمواجكَ الجبَّارة !

الى ما هنالك من قطع أخاذة تدعو الى عمق التفكير ويتضح لنا بذلك ان الشعر الصيني راقٍ وساحر وفيه الكثير من الطلاسم الإيحائية والرموز والصور التي تُذهل وتدهش ! وعلى ما نرى ان الشعر انبعث الى العالم كله من الشرقين الأدنى والأقصى وهكذا اعمَّ الخافقين .

الموسيقي الأعمى !

أناميل يشيع بها الضياءُ
وتلعبُ باللحون كما تشاءُ
كأنَّ بها من الحدقات عشرًا
فكل يدٍ بها خمس سواءُ
وحطَّ بكل أنملةٍ هزار
يزقزق ثم يحجبه الفضاءُ !
فآنا كالربيع نعى هديرًا
لطيفاً ثم يعقبه الشتاءُ ...
فتمتمة وهمهمة وهمسٌ
كما جمع الحبيبين اللقاءُ
وأعمى في تفننه بصيرٌ
يلحن مثلما توحي السماءُ !
شبيه الطير تفقأ مقلتاه
ليقضي العمر يشغله الغناءُ ...
ولا يدري بما في الأفق يجري
أطلَّ الصبح أو هبط المساءُ !

رياض معلوف

البطريرك مخايل فاضل ونسبه

بقلم المونسنيور يوسف زياده (✝)

لقد تضاربت الآراء بشأن البطريرك مخايل فاضل هل هو الخوري مخايل القرطباوي الذي حضر المجمع اللبناني كلاهوتي وذكره هذا المجمع في (ص ٢٦) من الترجمة العربية هكذا :

« الخوري مخايل القرطبي » .

وذكره في (ص ٣٠) هكذا :

« مخايل من قرطبة تلميذ المدرسة المارونية وخوري بيروت » .

والذي وقع امضاءه في (ص ٥٥٨) هكذا :

« مخايل القرطبي تلميذ مدرسة الموارنة برومية سابقاً وخادم كنيسة بيروت » .

ام انه غير ذاك ؟

فذهب القس اغوسطين سالم الى ان البطريرك فاضل هو نفسه الخوري مخايل القرطباوي واجتهد في اثبات ذلك[١] .

ولما كان البعض يدعون العكس رأينا ، مع قصر الباع ، ان نبحث هذا الامر ليس لمجلبة فخر ، وكسب اجر بل لمجرد جلاء حقيقة .

١ : ان الخوري لويس الهاشم صاحب تاريخ العاقورا اتى على ذكر الخوري مخايل القرطباوي خادم رعية بيروت بما نصه[٢] :

« انحدرت عائلة السخن من حصيا الجرد الى قرطبا واستوطنتها واشادت كنيسة مار الياس ونمت نمواً كبيراً حتى بلغت الآن نصف البلدة عدداً وهي ذات فروع عديدة تنحدر من ثلاثة فروع كبيرة وهي بيت غصيبة وبيت عزيز وبيت سابا فمن هذه الثمرة نشأ قديماً العلامة الخوري مخايل القرطباوي خوري بيروت » .

ولكنه لما تكلم عن البطريرك مخايل فاضل وضع عنواناً ضخماً :

« البطريرك ميخائيل فاضل البيروتي مولداً والعاقوري اصلاً » .

---

١) خواطر الجنان سنة ١٩٣٩ ص ١٤٦

٢) تاريخ العاقورا سنة ١٩٣٠ ص ٣٥٩

واكتفى بقوله :

«تأدب المترجم به في رومة العظمى وخرج منها خطيباً فقيهاً مدققاً وكان من طبعه سياسياً محنكاً وتضلع من النفقة الحنفي حتى اصبحت فتاويه دستوراً للقضاة ونظاماً للحكام فاتخذه البطريرك سمعان عواد كاتباً لاسراره وكان يوكل اليه كل امر هام ففي حزيران سنة ١٧٥٠ انتدبه فاحصاً رهبانية هندية بكركي»[1] .

غير انه لم يذكر تاريخ مولده ولا تاريخ ذهابه الى رومة ولا تاريخ رجوعه منها مما يدل على انه كبعض الكتبة يكتفي بالمسموع والمنقول ، او ان جل همه ان يجعله من العاقورا .

٢ : وكتب الاب ابراهيم حرفوش في مجلة المنارة ما يلي :

« ورد في مفكرة البطريرك بولس مسعد : «رجع مخايل فاضل من رومية في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ وفي ١٣ تموز سنة ١٧٤٠ رسمه كاهناً البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي ارسله الى عكا لاجل عمار الكنيسة ورسمه بردوطاً على كنيسة عكا المطران جبرايل عواد وفي ٦ ت ١ سنة ١٧٥٣ استدعاه البطريرك سمعان عواد الى بيروت فمسّر كنيسة بيروت مبتدئاً في ٢٥ حزيران سنة ١٧٥٤ وانتهى منها سنة ١٧٥٥ وتسلم دير حراش في اول ايلول سنة ١٧٥٨ لحد سنة ١٧٦٢ التي جا ارتسم مطراناً على بيروت ووكيلا على الكرسي البطريركي من البطريرك طوبيا الخازن في كنيسة بيروت[2] » .

٣ : وقال المرحوم الخوري اسطفان بشعلاني :

« وُلد مخايل فاضل في بيروت حوالي سنة ١٧١٠ على الاصح وارسل الى رومة العظمى حيث تلقى العلوم والمعارف وعاد الى الشرق في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ وفي ٢١ تموز من هذه السنة رسمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن كاهناً وارسله الى عكا فانشأ في هذه المدينة كنيسة ومركزاً لائقاً بطائفته التي سعى بجمع شتاتها بعد التعب والجهد وقد رقاه المطران جبرايل عواد سنة ١٧٥٣ الى رتبة برديوط ، ولكن السلطة الكنسية اعادته الى بيروت حيث شرع بتجديد كنيستها المؤسسة على اسم القديس جرجس وذلك سنة ١٧٥٥ ثم اقيم رئيساً على دير حراش سنة ١٧٥٩ وفي ١١ حزيران سنة ١٧٦٣ رقاه البطريرك طوبيا الخازن الى المقام الاسقفي . . . واخيراً انتخب بطريركاً على الموارنة في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣ وترل به القضاء المحتوم في ١٧ ايار سنة ١٧٩٥ » .

١) ص ٢٢٨ ، وما يلي .
٢) المنارة سنة ١٩٣٦ ص ٢٥٨

وارجع القارئ الى مجلة المنارة التي استند اليها في هذه الرواية في سنتها[1] ص٢٥٨.

وبعد ان ذكر الخوري مخايل القرطباوي الذي ارسل الى رومة سنة ١٦٩١ ورجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ وصار كاهناً على رعية بيروت وحضر المجمع اللبناني، لا نعرف كيف توصل الى النتيجة التالية:

«مما يحقق ان الخوري مخايل فاضل البيروتي الماقوري هو غير الخوري مخايل القرطباوي خادم بيروت ... لكن القس غسطين لغاية في النفس خلط الاثنين معاً فتغير وحرف ووصل بينهما بسلسلة انسابه العربية المزعومة وخلق منهما شخصاً عجيباً بلغ من العمر اكثر من ١١٥ سنة وجعل يوسف اسكندر ومخايل فاضل ومخايل القرطباوي من بيت السخني اسرته[2] ..»

ونحن نجيب:

اولاً: اننا لنعجب من تحامل الخوري بشعلاني على القس غسطين لاننا لم نجد اثراً «للتغيير والتحريف» المنسوب اليه، فإما لان الخوري المذكور كان يكتب احياناً اجاز لنفسه اعتقاد من يكتب لاول مرة ببساطة واخلاص نية لظنه اياه عاجزاً عن الجواب!

اما القس غسطين فكان جل استناده في كلامه عن البطريرك فاضل الى الرسالة التي وجهها اليه القس مبارك صقر الانطوني وسنأتي على نشرها في آخر هذا الدرس.

ثانياً: ورد في الروايات السابقة عن مخايل فاضل ما لا اساس له كقول الخوري لويس الهاشم انه كان كاتب اسرار البطريرك سمعان عواد — فهو لم يكن حينئذ كذلك، كما سيتبين من الوثائق، وان كان هذا البطريرك يعهد اليه بامور هامة كفحص الخلاف بين الرهبان وزيارة مؤسسة هندية زيارة قانونية — وورد فيها من التباين ما يدل على انها لا تستند الى مستند راهن: فالاب حرفوش يجعل رسامة فاضل كاهناً في ١٣ تموز سنة ١٧٤٠ والبشعلاني يجعلها في ٢١ تموز من تلك السنة كما يجعل استلامه دير حراش في سنة ١٧٥٩ بدلاً من سنة ١٩٥٨، على قول الاب حرفوش — فاين الحقيقة والى اي المصادر يستند الكاتبان ومن نصدق منهما؟

١) تاريخ الامر المارونية — المشرق — اذار نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١١

٢) في المحل المذكور ص ٢١٢

ثالثاً : لم يذكر احد منها ولا الخوري لويس الهاشم اسم والد الخوري مخايل القرطباوي وجده تهرباً من الحقيقة لانهم لو ارادوا التقصي وقول الحق لوجدوا ان اسم ابيه هو موسى واسم جده هو فاضل فكتبوا كأن لا اب له ولا جد حتى يجعلوا الخوري مخايل فاضل غير الخوري مخايل القرطباوي الذي يرجع نسبه الى مالك الغيث فقدم الماقورا[1] .

رابعاً : لم يرسل الى رومة تلميذ باسم مخايل فاضل بل باسم مخايل القرطباوي .

فقد ذكر تاريخ تلامذة المدرسة المارونية في رومة :

في سنة ١٦٩١ وصلوا الى المدرسة خمس تلاميذ صحبة القس بطرس مبارك الغوسطاوي . . .

والخامس مخايل القرطباني وهذا من بعد ما خلص من الفلسفة واللاهوت رجع الى بلاده وبسبب انه كان رجلاً عالماً وعابداً كل ارفاقه كانوا راضين منه وشاكرين جداً .

(المنارة ١٩٣٦ ص ١٩)

. . . وفي سنة ١٦٩٤ ربانية جاء الى المدرسة واحد يسمى يوسف ابن جرجس الماروني وهذا من بعد ما خلص علم الفلسفة كان ناوياً ان يصير يسوعي مثل اخيه ولكن عادت تغيرت الاحوال ورجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ صحبة الشماس مخايل القرطباني الذي كان رفيقه في المدرسة .

(المنارة-١٩٣٦ ص ٢٠)

ولدى مراجعة اسماء تلامذة المدرسة المذكورة الذين ذكرهم البطريرك الدويهي في نبذة خاصة نشرها الاب لويس شيخو (في كتابه « الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية » سنة ١٩٢٣) واسماء التلامذة الذين ذكرهم المونسنيور نعمة الله عراد نقلاً عن المخطوط ٤١٠ سرياني من مكتبة الفاتيكان حتى سنة ١٧٢٠ .

(المنارة سنة ١٩٣٥ و ١٩٣٦)

ومن ذكروا فيما بعد ، يتبين انه لا يوجد اسم « مخايل فاضل » بين تلامذة

---

١) تاريخ الماقورا ص ٢٢٨ ونبذة تاريخية للقس يوسف اسكندر القرطباوي نشرت في خواطر الجنان للقس فلسطين سالم ١٩٣٩ ص ١٢٧ وما يلي .

رومة . فلا نعرف كيف جعل بعضهم هذا الاسم مستقلًا عن اسم الخوري مخايل القرطباني ، الثابت ارساله الى رومة ورجوعه منها وكان خوري رعية بيروت وحضر المجمع اللبناني ، ولا كيف اخترعوا تاريخ رجوعه من رومة ،دون تاريخ ارساله اليها ، مع ان تلامذة رومة مذكورون باسمائهم فردًا فردًا مع تاريخ ارسالهم واحيانًا مع تاريخ رجوعهم الى الوطن .

خامسًا : ان الخوري بشملاني ، كالاب حرفوش الذي استند اليه ، لم يذكر تاريخ ارسال مخايل فاضل الى رومة لانه لم يرسل في التاريخ الذي يتفق مع تاريخ رجوعه المحدث او المفترض سنة ١٧٤٠ بل ارسل قبل ذلك سنة ١٦٩١ . الا ان البشملاني قد اخذ عن الاب حرفوش ان مخايل فاضل رجع من رومة في ٢٤ حزيران سنة ١٧٤٠ ولكي يوفق كلامه مع هذا التاريخ افترض له تاريخ ولادة فقال انه « ولد في بيروت حوالي سنة ١٧١٠ على الاصح » . فما هو هذا الاصح واين هو تاريخ الولادة ومن ارسل فاضل الى رومة حتى رجع سنة ١٧٤٠ ؟ فكلامه ليس الا على التقدير والتخمين لان لا مستند له .

اما قول الاب حرفوش انه رجع من رومة سنة ١٧٤٠ بناء على مفكرة البطريرك مسعد فلا اساس له ، ولا نظن ان البطريرك المذكور كتب ذلك ولا مستند لديه عليه بل اراد ان يكتب عن الخوري مخايل القرطباوي الثابت ارساله الى رومة ورجوعه منها ، وقد حصل غلط في هذا التاريخ اما من البطريرك كاتب المفكرة (التي لم نعثر عليها بعد جدّ التفتيش) على عجل واما من ناقلها الاب حرفوش ، لان الذي رجع من رومة هو الخوري مخايل(فاضل) القرطباوي في ١٤ حزيران سنة ١٧٠٤ . وقد اخطأ الناسخ بوضع الصفر قبل ٤ فصارت سنة ١٧٠٤ سنة ١٧٤٠ وصار ١٤ حزيران ٢٤ حزيران ، وذلك ثابت من جواب الاب حرفوش للقس غسطين عن سبب هذا الغلط فنسبه حرفوش الى البطريرك ، والاصح انه من حرفوش ، كما كان يحدث له احيانًا لتسرع في الكتابة . ومن ذكر شهر حزيران عينه دليل على الغلط في السنة .

وهكذا قد انهار الاساس الذي بنى عليه البشملاني في نظريته في الموضوع . وسترى نص الجواب في آخر هذه المقالة .

اما سبب الغلط في ذكر رسامة فاضل سنة ١٧٤٠ فهو ان البطريرك يوسف

الخازن رقاه في تلك السنة الى رتبة برديوط وارسله الى عكا»، كما سيجي. في رسالة القس مبارك صعر للقس غسطين سالم، فحصل الخلط بين تاريخ الشرقية الى البرديوطية وبين تاريخ الرسامة الكهنوتية.

فما تقدم ينتج انه لم يرسل الى رومة تلميذ باسم مخايل فاضل بل ان حامل هذا الاسم هو نفسه الخوري مخايل القرطباني، الذي كان يوقع امضاءه اولاً منسوباً الى بلدته قرطبا. ثم عاد ينسب ذاته الى جده فاضل، وهذا غير مستغرب اذ ترى ان اكثر التلامذة المرسلين الى مدرسة رومة كانوا يُنسبون الى قريتهم دون ذكر نسبهم العائلي، كعادة تلك الايام — او كان يوقع امضائه هكذا «الخوري مخايل خادم مار جرجس بيروت سنة ١٧٤٤» بدون ذكر قريته او جده حتى بعد رسامته التي يدعون حصولها سنة ١٧٤٠، على ما سترى قريباً — فهل هذا مخايل ثالث مستقل عن الاثنين السابقين؟ وكيف غفل المعترضون عن هذا الاستنتاج؟

سادساً: ومما يزيد هذه النتيجة تأكيداً ما كان عليه الخوري مخايل فاضل من العلم والشهرة والدور الذي لعبه في احوال الطائفة:

١: فلقد ذكرنا ما وصفه به الخوري لويس الهاشم.

٢: ونرى في تاريخ الرهبنة اللبنانية المارونية للاب لويس بليبل (المطبوع سنة ١٩٢٤) توقيع «الخوري مخايل خادم مار جرجس بيروت» على فتوى صادرة سنة ١٧٤٤ منه ومن بعض اساقفة ورؤساء رهبانيات الفرنج بخصوص خلاف الرهبان والبطريرك سمعان عواد (٢٠٢٠ ص ٤٦).

ونرى في ص ٥١ فتوى، بخصوص خلاف الرهبان، من بعض الرهبان اللاتين، مذيلة هكذا:

«انا مخايل فاضل مرسل رسولي وقفت على اسباب ودعاوي الفريقين من الرهبان اللبنانيين من خصوص مجمعهم العام ورأيت كما احكم بالرب بان الحق لهم كما ذكر اعلاه».

وفي ص ٧٤ جواب من «الحقير مخايل فاضل مرسل رسولي» الى الرئيس العام الاب يواكيم حاقلاني، الذي كان قد طلب ليستشيره في امر المجمع الرهباني المنوي عقده وبه يعتذر فاضل عن الحضور ويوصي الرئيس العام بان يعقد المجمع في حينه ويترجى البطريرك سمعان «بان يحضره باقنومه بموجب الحكم الرسولي

وان ما شاء لم يحق لاحد الروساء دونه ان يدخل الى مجمعكم ام يتداخل بامورکم لانه ضد القوانين الرهبانية والفرائض الكنائسية » .

حرر في قرية جباع في ٢٦ ت ١ سنة ١٧٤٧

وفي ص ١٦٣-١٦٥ براءة رسولية تاريخها ٧ ايلول سنة ١٧٥٤ مترجمة عن الاصل بقلم الخوري مخايل فاضل المرسل.

وله ترجمات تحارير وبراءات أخر من الكرسي الرسولي (ص ٢٠٤-٢٢٢) وغير ذلك ...

ومن المهام المعتبرة التي استندت اليه ما جاء في « الاصول التاريخية » :

« منذ بدأت ثورة المرسلين الاجانب على هندية والبطريرك سمعان عواد واحبار الطائفة المارونيه انفذ صاحب الغبطة الخوري مخايل فاضل الملفان في اللاهوت زائراً بطريركياً الى دير بكركي ليتفقد شؤون مؤسسته وراهباته ورهبانه ويرفع خلاصة زيارته الى البطريرك لينظر فيها » .

الاصول التاريخية للاب بولس مسعد والشيخ نسيب وهيبه الخازن ص ٣٧١ المجلد ١ الجزء ٤) .

وقد اتم الخوري مخايل مهمته بكل نشاط في حزيران سنة ١٧٥٠ وسطر رسالة مطولة في الموضوع تبتدئ هكذا :

« من الفقير والحقير اليه تعالى نفساً وجسماً مخايل فاضل بنعمة الله القس الانطاكي خادم اسرار سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح بغير استحقاق ورسول بيته المقدسة الرومانية الى جميع الرؤساء والآباء المكرمين » .

وفي آخر الرسالة تثبيتها من البطريرك سمعان باعلام جاء فيه :

لقد وقفنا على هذه الرسالة ولدنا العزيز وقاصدنا الخوري مخايل فاضل المكرم ... ولثبات ذلك اثبتناها بسلطاننا وسجلناها باسمنا وختمنا » .

تحريراً في غرة شهر اب سنة ١٧٥٠ وهي السنة السابعة لبطريركيتنا .

✝ ارحم يا فضل الافاضل عبدك مخايل فاضل

الخوري مخايل فاضل ملفان لاهوتي ومرسل رسولي وقاصد وفاحص من قبل السيد البطريرك الكلي الاحترام عفي عنه تعالى » .

(الاصول التاريخية ص ٣٦٠-٣٧٨)

وقال صاحب مختصر تاريخ لبنان :

« وقام بعد البطريرك يوسف اسطفان البطريرك مخايل فاضل من بيروت وقد عنه تكن بكوكب الشرق » (ص ١٠٩) .

اما قوله من بيروت ، فلانه كان خوري بيروت ثم مطرانها .

هذا وان كل ما ذكر عن الخوري مخايل فاضل وما اطلق عليه من الالقاب لا ينطبق الا على الخوري مخايل القرطباوي الذي جاء عنه في تاريخ تلامذة مدرسة رومة :

« ويثبت انه كان رجلاً عالماً وعابداً كل ارفاقه كانوا راضين منه وشاكرين جداً » .

والذي حضر المجمع اللبناني كاحد اللاهوتيين المتبرين في الطائفة ، ولو لم ينتسب اولاً الى جده فاضل .

سابعاً : « وان بقي من ريب في الامر عند البعض فالبرهان القاطع هو في ما كتبه البطريرك مخايل عن نفسه ونسبه في كتابه « كمال الاشتمال في الاماكن والعيال » .

ذلك وغير خاف علينا ما كتبه الخوري البشعلاني (المشرق عدد آذار — نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١٢) : « ان هذا الكتاب هو كالغول والعنقاء والخل الوفي» ، اي لا وجود له — ولكن هذا قول اعتباطي لا مستند له ، وهل يكفي ان يكون صادراً بدون سند عن الكاهن المذكور ، او نقلاً عن الاستاذ عيسى المعلوف كما يدعي ، حتى يعتبر كحقيقة راهنة . فقد اسند زعمه الى انه لا يوجد اثر لهذا الكتاب لا في دير حراش حيث كان مؤلفه ولا في خزائن البطريركية حيث نقلت مخطوطات هذا الدير » . فهل هناك شيء من المنطق وهل عدم وجود كتاب في دير او في خزانة برهان على ان هذا الكتاب غير موجود ، وهل ضياع كتاب برهان على انه لم يوجد اصلاً ، وكم من كتب مفيدة مفقودة ؟ بيد انه يوجد من طالع هذا الكتاب ونسخه او اخذ عنه ، فيها ان المرحوم القس مبارك صقر الانطوني ، وهو معروف بالفهم والرصانة يقول صراحة انه نقل الكتاب على دفاتر عنده ، كما جاء في رسالة منه الى القس غسطين سالم عن انطوش حوش حالا بتاريخ ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ (نشرت بالطبع في بالطبع في « خواطر الجنان » للقس غسطين المذكور في ص ١٤٦ — ١٥١) قال :

« ابدي وصل الينا عزيز تحريركم الذي به تطلبون منا الافادة عن حياة السعيد الذكر العلامة البطريرك يخايل فاضل الخ افيدكم عنه باختصار نقلاً عن كتابه « كمال الاشتمال في الاماكن والبيال » ص ١٨٤ الذي نسخته على دفاتر محفوظة عندي في مكتبتي التي في انطوش مار يوسف زحلة ، يوم كنت مقيماً في دير مار اشعيا بعبدات سنة ١٩١٣ ، اذا تذكرتم ذلك ، وكان هذا الكتاب المخطوط في الحرف الكرشوني موجودًا في مكتبة الدير المذكور . . . »

فهذا الاب يصف الكتاب كرجل مدقق ويذكر محتوياته . . . ومنها خلاف فاضل مع البطريرك يوسف اسطفان مع ابرشية بيروت وعرائض عديدة بهذا الشأن ، ونسب البطريرك . وخبر موته الذي كتبه القس نوهرا ضو مرشد راهبات دير حراش ، وهو يصرح بانه نسخه ويذكر سنة النسخ ، ويذكر القس غسطين باقامته اذ ذاك بدير مار اشعيا — فهل يجوز لاحد ان يشك في ما كتبه هذا الراهب الفاضل المتزن ، في وقت لم يكن ليظن ان الاب بشلاني سينكر وجود الكتاب الذي كان بين يديه ، وقد كتب ولا دافع له ، ايًا ما كان الى اختراع مثل هذا الامر الذي ذكره بكل بساطة ونزاهة .

ولكن ما لا يجوز لاحد قد جاز للمعترض ! — ومما يزيد في غرابة هذا القرن انه طالع في « خواطر الجنان » الذي ذكره وانتقده ، رسالة القس مبارك المنشورة فيه فكان عليه ان ينقض لكلام الكاتب بالبرهان السديد قبل ان يقول ان كتاب « كمال الاشتمال » خرافة — وان نعجب لشي. فلجرأة بعض الذين يقيمون نفوسهم عفوًا معلمين واعية للبشرية ، ولله في خلقه شؤون !

هذا ، وان ما ورد في رسالة القس مبارك من التفاصيل والظروف الدقيقة عن نسب وحياة البطريرك المذكور ، نقلاً عن « كمال الاشتمال » لا يمكن ان يستنبطه احد ايًا من كان ولا ان يعرفه الا البطريرك نفسه .

وفوق ذلك فان المعترض يقول ايضاً في مقالته السابقة الذكر :

« وذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي تاريخ فاضل في كتابه « جهاد لبنان » ص ٣٤٨ قال : انه اعتمد في روايته عن اصل اسرته « البيت الاشقر » على اوراق دير مار اشعيا وعلى تاريخ فاضل المذكور وسألناه عن هذا التاريخ فاخبرنا ان والده انشأ نبذة عن اسرته نقلاً عن كتاب « كمال الاشتمال » من الصفحة ١١٨ » .

فهل الاستاذ حبشي او والده الذي اخذ نسب اسرته من الكتاب المذكور

من ص ١١٨ لا يصلح شاهداً على وجود هذا الكتاب، وان لم يُعثر عليه فيما بعد في دير حراش ولا في خزانة بكركي، وهل شهادة القس مبارك والاستاذ حبشي غير كافية للاثبات، مع العلم انه على فم اثنين او ثلاثة تقوم كل شهادة- وكيف بعد هذا جاز للاب بشلاني ان يقول ان هناك خرافة!.

هذا وقد سألنا الاستاذ حبشي عن رأيه في ما جاء عنه وعن والده بشأن كتاب «كال الاشتال» فاجابنا بتاريخ ٢١ ايلول سنة ١٩٥٧ مؤكداً وجود الكتاب ومستغرباً كل الاستغراب ما ادعاه اعتباطاً البشعلاني وعيسى المعلوف وسننشر الجواب في آخر مقالتنا هذه.

اما اذا كان المعترض قد استغرب، كما ذكر، ان يعيش البطريرك المذكور ١٦٥ سنة فذهب الى ما ذهب اليه بدون سند، فهذا الحادث غير مستحيل وغير مستغرب، اذ كم كان يعرف هو وكم نعرف نحن وغيرنا من الذين تجاوز عمرهم مائة سنة: فالخوري لويس الهاشم قد ذكر عن المطران جرجس خيرالله اسطفان مطران العاقورا ما يلي:

«استأثر الله به في ٩ كانون الثاني سنة ١٧٣٣ وله من العمر مائة وخمس سنوات».
(تاريخ العاقورا ص ٢٢٦)

وذكر ايضاً في كلامه عن اسرة جمعه في منجز عكار:

«وكان منها الخوري مخايل ملحم الذي عمّر نحواً من ١١٥ سنة وكان خادماً قرية منجز». (المحل المذكور ص ٣١٩)

وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٥٢٤:

«وقضى نحبه ايضاً البطريرك شمعون بن داود المعروف بابن حسان الحدثي وكان عمره نيفاً وعشرين سنة». (طبعة شرتوني ص ١٥٦)

ثم الم تذكر صحف العالم ان اناساً عاشوا ما فوق ١٢٥، في الهند مثلاً وفي روسيا. وقد ذكرت الصحف حديثاً ومنها «الجريدة» في العدد ١٤٣٤ بيروت ٢٧/٨/١٩٥٧ ما يلي:

«معمّر ١٥٦ سنة يموت من الجوع في البرازيل: أعلن في سان بولو ان مانويل دوريو كوتنهو الذي كان يحتفظ بشهادة ميلاد تثبت انه ولد في اول اوكتبر سنة ١٨٠١ قد وُجد اليوم ميتاً في الغرفة التي يقطنها، وقال قريب للسنيور كوتنهو ان عمره ١٥٦ سنة وانه مات من الجوع».

واذا كان الله قد منّ على البطريرك فاضل بعمر مديد فما ذنبه هو وما شأننا نحن ؟

وعلى كل ففي كتاب «كمال الاشتمال» كتابة من القس نوهرا ضو مرشد راهبات دير حراش الذي مات البطريرك بين يديه تفاصيل موته «عن عجز طبيعي في سن ١١٢ سنة على ما سترى في رسالة القس مبارك صقر» وفيها الجواب الشافي وفصل الخطاب في الموضوع.

ولا يسعنا ان ننهي هذا المقال ولا نبين ما كان للمطران مخايل فاضل من الايادي البيضاء على ابرشية بيروت: فلقد سبقنا وذكرنا تجديده لكنيسه بيروت القديمة — ثم انه في ٢٥ نيسان سنة ١٧٩٠ انشأ وقفية من املاكه في بيروت اي سبعة اقبية معقودة بالحجارة وبيت صغير ودارة صغيرة على كنيسة مار جرجس لاجل قيام مدرسة لعلم الاولاد — ومما جاء في صك الوقف ما يلي :

« وكري المعلم ومعاشه من الاجار المذكور الصامد ولاجل ذلك لا يطلب المعلم من الاولاد ولا من اهاليهم شيئاً لاجل علمهم بل بكل اجتهاد يعلمهم القراءة والكتابة سريانياً وعربياً ومخافة الله والتعليم المسيحي . . . واذا كان المعلم كاهناً لا نسمح له بان يتعاطى في خدمة الرعية ويفارق المدرسة . . . ولا نسمح ولا نأذن بالرب ابداً بان الوقف المذكور ينباع او يرهن او يتغير باي نوع كان بل يمكث وقفاً سالماً ، مؤبداً لاجل قيام ونيات المدرسة المذكورة . . . »

(السجل البطريركي ٣ ص ١٠—١١ ومجلة المنارة سنة ١٩٣٦ ص ٢٧٠-٢٧٣)

وبهذا القدر كفاية .

رسالة القس مبارك صقر للقس غسطين سالم

حضرة الجليل الفاضل والمؤرخ النقيب القس اغوسطين سالم السخن القرطباوي الجزيل الاحترام .

بعد تقبيل يديكم بمزيد الشوق والاحترام وطلب دعاكم الصالح . . . ابوي وصل الينا عزيز تحريركم وبه تطلبون منا الافادة عن حياة السعيد الذكر العلامة البطريرك مخايل فاضل .

افيدكم عنه باختصار نقلاً عن كتابه كمال الاشتمال في الاماكن والميال ص ١٨٤ الذي نسخته على دفاتر محفوظة عندي في مكتبتي التي في انطوش مار

يوسف زحلة .. يوم كنت مقيماً في دير مار اشعيا ببعبدات سنة ١٩١٣ اذا تذكرتم ذلك . وكان هذا الكتاب المخطوط في الحرف الكرشوني موجوداً في مكتبة الدير المذكور .

ان البطريرك مخايل فاضل مؤلف كتاب كمال الاشتمال في الاماكن والعيال هو ابن الشيخ موسى بن فاضل السخني القرطباوي العاقوري الاصل الذي مات في قرطبا في ١٩ شباط سنة ١٦٩٤ ب م ابن جرجس بن مخايل بن اسعد بن مالك اليمني مقدم العاقورا ابن ابي الغيث بن عبدالله بن غيث بن يزيد بن سالم ابن صادق بن شبل ابن غصية بن جهجاه بن دياب العاقوري بن زيد الخ . . .

تزوج والده الشيخ موسى بن فاضل منيرة بنت انطونيوس بن الشيخ عزيز السخني القرطباوي بن نصرالله العاقوري قرابته في ٩ كانون الثاني سنة ١٦٣٤ ب م وولد مخايل في قرطبا في ٣ آذار سنة ١٦٨٣ ب م[1] . وارسله السعيد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الى مدرسة رومية مع القس بطرس مبارك الغوسطاوي في ١٥ ايلول سنة ١٦٩١ ب م وكان عمره ثمان سنوات ومن رفقائه الى مدرسة رومية بشاره البشراني وسركيس الحجري الاهدني وعبدالله البشراني وجرجس من ارده وكان ذلك بواسطة ابن عمه القس يوسف ابن الشيخ اسكندر السخني القرطباوي الذي كان يازجي عند غبطته ومكث مخايل في مدرسة رومية ١٣ سنة . وبعد ان درس قواعد اللغة العربية والافرنسية و(اللاتينية) والفقه والفلسفة واللاهوت النظري والادبي الخ . . . .

رجع الى بيروت ووصل اليها في ١٤ حزيران سنة ١٧٠٤ ب م ثم ذهب من بيروت الى دير سيدة قنوبين لكي يزور قبر ابن عمه المرحوم القس يوسف . الذي مات بالطاعون في ٢٠ ايار سنة ١٦٩٣ ب م فامسكه السعيد الذكر البطريرك جبرايل البلوزاوي عنده وعينه كاتباً لاسراره ولما توفي هذا البطريرك

---

١) اما زواج والده في سنة ١٦٣٤ فيمكن ان يكون مغلوطاً فيه بالنسبة الى تاريخ ولادته في سنة ١٦٨٣ اذ تكون الولادة ٤٩ سنة بعد الزواج – وبما ان المخطوط الذي اخذ عنه القس مبارك مكتوب بالكرشوني وبالتالي تاريخ الزواج فقد يكون قرأ حرف اللام الذي يوازي ٣٠ بحساب الجمل بدلاً من حرف العين الذي يوازي ٧٠ لانها متشابهان ولا فرق بينها الا ان حرف العين اقصر من حرف اللام فكتب ١٦٣٤ = ادخد بدلاً من ١٦٧٤ = اعحد والله اعلم .

في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٠٥ ب م وخلفه السعيد الذكر البطريرك يعقوب عواد الحصروني عزله من وظيفته ورجع الشماس مخايل فاضل المذكور الى بيروت واقام في بيت والده الشيخ موسى . . .

ثم عينه الامير بشير الشهابي الاول مدبر الامير حيدر الشهابي قاضي شرع في صيدا في ٢١ كانون الاول سنة ١٧٠٦ ب م وفي ٢٥ من نيسان سنة ١٧١٠ ب م رسمه كاهناً السعيد الذكر البطريرك يوسف مبارك الريفوني على مذبح كنيسة مار جرجس بيروت وعينه خوري رعية فيها وكان الخوري مخايل فاضل . . اول المخاصمين للبطريرك يعقوب عواد الحصروني في حطه وعزله عن الكرسي البطريركي وكان يستعين باقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه وباهالي العاقورة على امضاء وختم العرائض التي ارسلت على يده الى رومية في حط وعزل البطريرك يعقوب عواد الحصروني وتثبيت البطريرك يوسف مبارك الريفوني في الكرسي البطريركي الخ . . .

فكانوا اقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي العاقورة الحزب القيسي لا يلبون طلبه ورغبته الخ . . .

وهنا كتب الخوري مخايل فاضل . في كتابه كمال الاشتال في الاماكن والعيال بعض جمل مجحفة في حق اقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي العاقورا . . . معناها انه لا يريد بعد ان ينتسب اليهم ولا يتودد اليهم الخ . . .

هذا وفي ١٣ من ايلول سنة ١٧٤٠ ب م رقاه السعيد الذكر البطريرك يوسف ضرغام الخازن الى درجة برديوط على دير مار شليطا مقبس وفي ٢١ من ايلول من السنة المذكورة ارسله غبطته الى مدينة عكا وهناك شرع في الرسالة وعتر فيها كنيسة على اسم القديس مارون وعمّر قربها انطوس على نفقة السعيد الذكر البطريرك المشار اليه وضمّ الطائفة الى طقسها الماروني بعد ان تشتت في الطقس اللاتيني وكابد من قبل ذلك اضطهادات وسجوناً واتعاباً شاقة والله نجاه من جميعها وبعد ان نظم الطائفه هناك ورتب الكنيسة المذكورة في كافة ما يلزمها . . طلبه من عكا السعيد الذكر البطريرك سمعان عواد الحصروني وكافة مشايخ عائلة اده انسبائه وكافة اعيان بيروت خطاً وختماً فحضر حالاً وكان ذلك في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٧٤٤ ب م لاجل فحص

اسباب الخلاف الحاصل بين الرهبان الحلبيين والرهبان البلديين اللبنانيين الخ .. ولاجل خدمة الرعية في بيروت وتوسيع كنيسة مار جرجس في بيروت ، وفي سنة ١٧٥٤ تنصر الامير حيدر الشهابي على يده في بيروت وفي مدته جدد عمار كنيسة مار جرجس بيروت بمساعدة الشيخ منصور والشيخ بطرس من ابناء اده اقاربه في النسب ونظم لها هذا التاريخ التالي ووضعه جنب بابها الشمالي من داخل الكنيسة المذكورة برضاهم ورضى المطران يوحنا اسطفان الخ ...

وهو يد المولى بيروت اشادت : كنيسة جرجس الشهم المناضل
وقد تمت فارخها بكدّ : بكاهنها مخايل وابن فاضل
سنة ١٧٦١ ب م

وفي ١١ من حزيران سنة ١٧٦٢ رقاه السعيد الذكر البطريرك طوبيا الخازن الى اسقفية بيروت وكان ذلك في كنيسة مار جرجس بيروت الجديدة بحضور المطران جرمانوس صقر الحلبي والمطران ارسانيوس الحلبي الخ .. وشعب غفير من الاكليروس والعوام وجعله نائباً للكرسي البطريركي ووكيلاً على دير مار يوحنا حراش وشرع سيادته في تهذيب وترتيب هذا الدير في الامور الروحية والجسدية حتى انه اغناه بعمله وسيرته الصالحة وفضائله السامية . وكانت الناس تأتي اليه من كل جهة لتسمع وعظه ...

وقد خلص انفس عديدة من اسر الشيطان وردّ كثيرين الى الايمان وعتدهم وانفق عليهم اموالاً وافرة وربح نفوسهم حباً بالله ... وفي سنة ١٧٨١ تسلم تدبير ابرشية بيروت ولهذا التسليم شرح مسهب وعرائض عديدة في كتابه كمال الاشتمال في الاماكن والعيال بين المطران مخايـل فاضل ... وبين البطريرك يوسف اسطفان مرسلة من المطران مخايل فاضل .. الى رومية بخصوص ابرشية بيروت الخ ...

وفي كتابه كمال الاشتمال المذكور نسب اسرته وقد اخذته قبلاً من مقدمة كتاب رفيق الواعظ لابن عمه المرحوم القس يوسف بن الشيخ اسكندر السخني. نسيكم واذا كان من لزوم له افدني حتى انسخه عن دفاتري وارسله لكم. وافيدكم ايضاً عما جا. في كتاب كمال الاشتمال المذكور بخط القس نوهرا ضو مرشد راهبات دير مار يوحنا حراش والحرف الكرشوني :

صح ان غبطة سيدنا وتاج روسنا البطرك مخايل فاضل القرطاني صار معه قصر نظر وقلة سمع وضعف جسم زايد كثير وقطع الاكل خالص وكان صار عمره ميه واتنعشر سنة وفي اليوم السابع عشر من شهر ايار سنة الف وسبعاية وخمس وتسعين ميلادية توفي بدون مرض من قلة الاكل وقبل موته الله يرحمه مشحته انا واعترف عندي وتناول القربان المقدس وبقي يقول يا يسوع ويا عذرا مريم تسلموا روحي حتى سلّم الروح عند العصر.

وثالث يوم عند العصر صار دفنه قرب كنيسة الدير وترك على يدي الدير الفين قرش حسنة قداديس عن نفسه والف وخمساية قرش طالعته الله يرحمه ويرزقنا بركة صلاته.

كاتبه

القس نوهرا ضو مرشد الاخوية

اتركوا عبارة موت السعيد الذكر البطريك مخايل فاضل السخني . على علاتها . . .

هذا ما لزم بشأنه باختصار كلي مع كل خدمة تلزمكم . . . ولكن اني اوجه اليكم شديد الملامة لاجل ارسالكم لنا الدراهم مكافأة عن ذلك وفقكم الله في انجاز تاريخ وطننا قرطبا .

عن انطوش حوش حالا في ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ ب م .

اخوكم

القس مبارك حنا صقر من الدوار الانطونياني

في (خواطر الجنان ص ١٤٩ وما يلي) .

جواب الاستاذ اميل حبشي للخور اسقف يوسف زيادة .

الليالي — مجلة التاريخ العربي.

بيت شباب في ٢١ ايلول سنة ١٩٥٧

صاحبها : اميل حبشي الاشقر

(بعد الترجمة)

هذا جوابي الان عما سألتم :

يقول المرحوم البشعلاني في مقاله الـذي نشر في المشرق «وقد جرى على الالسنة ذكر هذه المخطوطة « كتاب الاشتمال » الى آخره» فلماذا جرى ذكرها على هذه الالسنة ، واي شيء حمل الناس مع التحدث بامرهـا وهي لا وجود لها ؟ ... وقال :

« ذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي . . » نعم ذكرت ذلـك ، وانا مؤمن بان « كمال الاشتمال » بعيد كل البعد عن الخرافة بدليل ان المرحوم ابي – الكاتب والشاعر – لم يكن – غبياً – . . عندما نقل عنه ما نقل ، ولم يخترع النبذة التي اخذها عنه اختراعاً وانما نقلها عن مخطوطة المطران فاضل – وهي محفوظة عندي بخطه في دفتر – واما اني فتشت عن الكتاب في دير حراش وفي بكركي فلم اجده ، فهذا صحيح . . . عدم العثور عليه في الديرين ، لا يجيز لعيسى الملوف ان يقول انه « كالغول والعنقاء والخل الوفي ». فاذا كان البشعلاني والملوف لم يجداه ولم يضعا ايديهما عليه ، فقد وجده قبلها يوسف حبشي ، وهو من ادباء جيله ، منذ اكثر من ستين سنة ، والقس مبارك صقر الذي رآه واخذ عنه في دير مار اشعيا منذ اربع واربعين سنة اي سنـة ١٩١٣ ، افليس من الجائز ان يمد لصوص الادب ايديهم الى كتاب له قيمته ليضموه الى كتبهم ، ثم يجيء آخرون فيأخذونه كما أخذ من قبل ، ولكثرة ما تعاوره القوم وتداولوه ، او مرقوه ، ضاع واختفى اثره ؟؟

. لقد رآه المرحوم والدي في حراش ، ثم رآه القس الانطوني ، بعد زمن ليس بالقصير في مار اشعيا افليس وجوده في الديرين ، في زمانين مختلفين ، دليلاً على ان كلمـة الملوف والبشعلاني تقدير خاطئ ، او نبوءة كاذبة . واية قيمة لكلمة جوفاء ، لا تستند الى دليل ، يرسلها صاحبها في ساعة ذهول . او ساعة غرور حكماً لا اخذ فيه ولا رد ! ؟ كأنه المرجع الذي تضعف عنه الحجة ويموت في جانبه الجدل ! ! افلا ترى ايها الاب المحترم ان في استنتاج البشعلاني والملوف تكذيباً لرجلين معتبرين رأيا كتاب الاشتمال بـالعيون ولمساه بالايدي . ان في هذا الاستنتاج الشيء الكثير من الجهل وقلة الذوق .

واقبلوا يا سيدي احترام ولدكم

اميل حبشي

جواب الخوري ابرهيم حرفوش للقس غسطين سالم .

حضرة الجليل الاب اغوسطين سالم الجزيل الاحترام :

بعد تأدية واجب الاعتبار الى حضرتكم نبدي وصلنا تحريركم بشأن مخايل فاضل . .

انه رجع من رومية في ٢٦ حزيران سنة ١٧٦٠ سنداً لرواية البطريرك بولس مسعد فهي مغلوطة كما جاء في مجلة المنارة السنة السابعة العدد الاول كانون الثاني سنة ١٩٣٦ في صفحة ٢٥٨ . وعليه افيدكم ان مخايل فاضل رجع الى بيروت في ١٤ حزيران سنة ١٧٠٤ من رومية . هذا وقد وردت روايات عديدة عن البطريرك بولس مسعد مغلوطة منها ما ورد في المنارة في السنة السادسة في عدد ايلول وتشرين الاول سنة ١٩٣٥ ص ٦٦٤ عن مجمع ضيعة موسى المنعقد في هيكل مورت مودا سنة ١٥٩٨ وان ضيعة موسى هذه في بلاد عكار سنداً لرواية البطريرك بولس مسعد فهي غير صحيحة ايضاً لان ضيعة موسى وهيكل مورت مودا الموجود للآن هما بين بقوفا وكفرصناب .

فتنبه هذا ما لزم بشأنه مع كل خدمة تلزمكم وفقكم الله في انجاز تاريخكم وطبعه .

في بكركي في ١٤ شباط سنة ١٩٣٦

مستمد دعاكم

الخوري ابرهيم حرفوش

من فرائد الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

سنة ١٩٥٧ اصدرت المطبعة الكاثوليكية في بيروت كتابنا «جولة في آداب العالم»، الحاوي مئة وثمانين قطعة من خمسين لغة، منها قصيدتان تمثلان العربية الفصحى، ومئة وستة وسبعون تعريباً لاجمل القصائد التي قرأناها في اشهر الالسن اوربة وغيرها، وتعريب قطعتين نثريتين فقط.

قد رتّبنا تلك المنتخبات، التي هي نفثات اقلام مئة وواحد واربعين من نوابغ ادباء الخافقين، وفقاً لطوائف لغاتها الاصلية. ثم خطر ببالنا ان نتخذ من هذه المجموعة الوحيدة من نوعها في لسان الضاد، مادة جديدة لبضع مقالات ننشرها في «المشرق».

في هذه المقالة الاولى نقدم للقراء عدداً غير يسير من فرائد الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية، وهي الفرنسية، البُروفنسية التي يتكلم بها كثير من اهالي اقليم بروفنسة في جنوب فرنسة، الاسبانية، الكاتالونية لغة اهالي اقليم كاتالونية في جنوب اسبانية الشرقي، البرتغالية، الايطالية، الرومنشية لسان بعض ولايات سويسرة، الرومانية لغة رومانية.

قد رتبنا تلك الفرائد على حسب انواع الشعر الغنائي، بغض النظر عن اختلاف لغاتها الاصلية، واضفنا بغاية الايجاز شرحاً لكل نوع منها، وملخصاً لموضوع كل قصيدة، مع ايجاد التلاحم المنطقي في سرد كل ذلك.

من البديهي ان الموضوع الاسمى للقريض الغنائي هو الله تعالى، الكائن الاسمى، الذي هو وحده لازم الوجود، وقد اخرج من العدم ما يكاد لا يُحصى من الكائنات الروحية والمادية والجامعة بين الروح والمادة، بقدرته الخالقة العاجز عن سبر غورها اعظم الفلاسفة والمفكرين، وهو مع ذلك احن على كل فرد من البشر من الامهات على اولادهن، فلا يساوي مجموع حب كلهن قطرة واحدة من بحر حبه غير المحدود.

قد وصف حنا ملندث فلدس Meléndez Valdés (١٧٥٤—١٨١٧) حضور

الله في كل مكان . يرى ضياءه في الشمس ، عظمته في الجبل الشامخ ومياه اليمّ العميق ، بشاشته في الربيع ذي الزهور الفرحة والعطور المنعشة . يراه ايضاً في احقر خلائقه : في النسيم المداعب لاوراق الشجر ، في الحشرة التي لا يمكننا سوى المجهر من معاينة ضآلتها الشديدة، وفي الذرّة التي عجزت حتى الآن اعجب آلات الرصد عن ارائتنا اياها . وفي الختام يتذلل امام الاله الذي ضاقت عن احتواء عظمته رحابة الكون الرائعة لعقول اكبر الفلكيين ، وهو مع ذلك مصغ على الدوام ، بحنو ابوي لامتناه ، الى مليارات الاصوات المتصاعدة نحو عرشه الخفي من عالمي الانسان والحيوان، ويتوسل اليه ألا يحتقر نداءه المتواضع، بل يلبّيه ويقوّي عيني صاحبه ليرى في كل خليقة صورة زهيدة لكمال مُبدعها الفائق كل ادراك ، ويضرم فؤاده بنار الحب الاخويّ النزيه لجميع البشر :

« حيثما ادرتُ العينين قلقاً ، بتوق نشيط ، شعرتُ بحضورك نفسي المدهوشة ، ايها الاله العظيم . هناك انت مالئاً الكون الفائق الرحابة ، تحت السماء العالية التي تجلس فيها مستتراً بالضياء، وفي الآن ذاته تُظهر مجدك الذي لا يعبّر عنه . العُشبة الوضيعة التي ادوسها ، الجبل الذي يرتفع مغطى بثلج دائم ويخفي اصله العميق في المهواة ، النسيم الذي يعبث بين الاوراق مخشخشاً بريشه الخفيف ، الشمس التي تنعش الكون مضطرمة في درة الجلد الشامخة ، تصيح لي بانك تسطع في لهيب الشمس ، وتعبر من الغرب الى مطلع الفجر ، بجناح طائر ، فوق الريح السريعة، وان الجبل الشاهق يقدم لله عرشاً في قمته المكسوة بالثلج ، وان العُشبة تنمو وتزهر بنَسَمك المحيي !

عظمتك الفائقة تملأ كل شيء ، يا رب ، بل اكثر من ذلك ، من الحشرة التي لا تُرى الى الفيل، من الذرّة الى المذنَّب اللامع . انت تغطي الظلام الدامس غطاء رأسه الادكن ، والصباحَ الفرح ستره الرقيق ، صابغاً آثاره بلوني الذهب والاحمري[1] . وحين ينزل الربيع الى العالم الفسيح ، تضحك بشوشاً بين زهوره الجذلة ، وانتشقك في عطوره اللذيذة . وعندما يزيد القيظ القائظ الملتهب اشتعالاً بنيرانه المكتنبة ، تحرك في طيرانك السنابل الملأى وتخفف حرارتها الشديدة .

---

١) الشديد الحمرة .

واذا ركضتُ عندئذ الى الغابة الظليلة ، فانت في ظلها ، وهناك تكثر البرودة الخفيفة اللذيذة فرجاً رقيقاً لروحي التعبة ، ومهابة ورعة تهيج صدري ، ويصيح بي صوت : « هو ساكن في هذا الصمت السرّي ، فاسجد له متواضعاً » !

بيد اني اجدك في الآن ذاته في مياه البحر العميق ، تنادي الرياح وتسلمها الى غضبه الشديد ، او تسكّنه اذا حسُن لديك . في كل مكان القاك واشعر بك عادم الحد ، في المرج المزدان بالزهور ، وفي الستر الساطع الذي يكسو به السما ليلك المظلم . فانك اله الذرّة واله الشمس والدودة الصغيرة الثاوية في الوحل الحقير ، والملاك الطاهر العابد لضياء مجدك . فتسمع اناشيدهم على السواء ، وتسمع صوتي الذليل وثناء أنثى الحمل الهادئة وزئير الاسد الهائل ، وتثبت الكل بأريحيتك في كل مكان ، ايها الاله الفائق العظمة والحاضر على الدوام . آه ! اصغ الى ابن في صلاته الحارة . اصغ اليه بحلم وانظر الى كياني الزائل ! فلتكن خطاي لائقة بحضورك ، ولترَ عيناي الوهيتك في كل موضع ! افعم فؤادي بنار سماوية تشمل مثلك جميع الكائنات ، ولاحبك في كونك ، يا اله المحبة ! كلنا ابناؤك ، التتري اللبوني[1] ، الهندي الخشن ، الافريقي المشعّب ، هو انسان ، هو صورتك وهو اخي ! »

قد عالج اسكندر إركولانو Herculano (١٨١٠-١٨٧٧) البرتغالي ذلك الموضوع ذاته ، اي حضور الله في كل مكان ، على سبيل الايجاز ، معظماً قدرة الخالق الجبار ، التي تهز البر واطواده ، البحر ولجبه ، بل الجلد وملايارات اجرامه ، التي كرتنا الارضية كحبة تراب بازائها . ثم ينبه الانسان ، ولا سيما الخاطئ ، لعجزه المطلق عن تجنب نظر مولاه :

« ما اعظم الهي ! الى اي حد تصل قدرته الفائقة ! قد خفض السموات ونزل واطئاً ضباباً كثيفاً ، وطار محلقاً على اجنحة الكاروبيم الساطعة ، وعلى اعاصير من الريح الشديدة قد دار حول العالم . امام نظر المولى تهتز الارض ، والبحور المرتعبة تصيخ الى الامكنة البعيدة ، والجبال الملموسة بيده ترشح الدخان . اذا فكر في الكون ، فها هو ظاهر امام وجه الصد ، واذا اراد ، فتح الجلد اجوافه وفتحت جهنم اجوافها .

١) الساكن في لبونية ، وهي بلد واقع في شمال اسوج .

ايها الانسان، اذا استطعت، فاختف هنيهة عن عيني الرب: انظر اين تجد محلًا يبقى مُعفى من نظره! اصعد الى السموات، إجتز البحور، اطلب الهواة؛ هناك تجد الهك؛ لا محالة؛ هو يتودك ولا بد ان تسندك هناك يمينه! إنزل الى ظلام الليل وحاول ان ترتدي بردائه... لكن الدجى ليست دجى له، وليس الليل دامسًا.

يوم الغضب الشديد سوف تحاول سدى الهرب من امام الاله القوي، حين يدفع حانقًا من قوسه الهائلة سهمًا يثوي فيه الموت. بيد ان من يخافه ينام هادئًا في يومه الاخير، حين ينشق في القبر ستر اوهام الحياة».

اوجانيوس ده أُشوا Ochoa (١٨١٥–١٨٧٢) الاسباني يرى في البحر صورة من اروع الصور لجمال الله وعظمته، ومن جهة اخرى مثالًا مؤثرًا لمواصف النفس البشرية وسكناتها المتعاقبة على الدوام، ولعجز عقلنا المحدود، مع فرط محاولاته الناهكة وثوراته الجنونية، عن التعمق في فهم كنه خالقه، وعن مقاومة ارادته الضابطة كل ازمّة الكون:

« ايتها الخليقة الفائقة السمو، يا بحر، انت، ايها الرمز الكبير والغامض للعقل الفائق كل العقول ولحالة البشر، هذا الهياج الابدي، الذي قضي عليك ان تحيا فيه، هو ايضًا حالة قلبنا الدائمة. نحن ايضًا، معشر الناس، ذوو عواصف وسكنات، ورغم انوفنا نطيع ارادات سامية. نحن ايضًا نريد في بعض الاحيان هدم الحد الذي اقامه الكائن الاعلى امام عقلنا المتشامخ، كما تريد، ايها البحر، حين تتمعض بسبب سجنك، تجاوز الرمل الذي يحد اطرافك. سيان نحن في الجنون. سيان في القحة، والعقاب الاكيد لكلينا: لا يحدث الاصلاح فقط.

ايها البحر الشبيه بالزمان في تعذر مقاومته، والمماثل لله في امتناع سبر غوره، تارةً شديد الهدوء وطورًا شديد الغضب، ايها البحر المقدم لانظارنا اتحاد الجمال والرحابة التي لا تقاس، المباهي باظهار قدرتك، كأنها اله، اني لاحني امامك جبيني؛ بل ربما عبدتك، لو لم تكن روحي قد عبدت من قبلُ الكائن القادر على كل شيء. هو وحده يفوقك في اجتذاب مخيلتي اليه؛ وليس غير تأملي فيه يرقيني اكثر من تأملي فيك! على اني، يا رب، لا ادهش البتة من قدرتك غير المحدودة بقدر دهشي منها، اذا غصت في مشاهدة البحر الذي

وهيبته الوجود ، البحر هنا ، وفي السماء الشمس ، لانهما مثل جارين توأمين ، سلطانا كل الخلائق ! »

الفونس ده لامرتين Lamartine (١٧٩٠—١٨٦٩) الفرنسي يرى في جدار متداع ، وهو الاثر الوحيد الباقي من صيدون القديمة — وكانت قبل ميلاد المسيح، في مقدمة مدن الفينيقيين الفائضة بالحياة والجمال والقدرة — رمزاً بليغاً لازلية الله، التي لا ماضي فيها ولا مستقبل ، بل حاضر دائم بدون ادنى تغير :

« انزلنا مرساتنا الى وحل قعر البحر ، حيث كانت صيدون[١] القديمة ، في جوار رأس[٢] واسع التقوس ، تجمع في غابر الزمان ، تحت ارصفتها الساحلية المصنوعة بالخشب ، اشرعتها ، كأنها فراخ نسور بمثل عددها ، راجعة الى وكرها.

الدهر لم يُبق من دمارها العظيم الا جداراً منهدماً يقي السفن من الامواج ، وهو راقد في طرف خليج شديد الصغر ، ورملاً ينير القمر بياضه . وزبداً يغسل قارب صياد .

ما اشد ما تدهشنا وتذوب بنا ايديك ، يا اله الازمان ، اذ تفتقد شعباً في رمال ، والضجة الوحيدة لمملكة بعيدة الحدود ، نزلنا فيها ليلاً ، هي — اواه ! — وقع مقذاف زورق ! »

حنا ده داووش de Deus (١٨٣٠—١٨٩٦) البرتغالي يكشف لنا في بضعة ابيات ملتهبة افتتانه وهيامه بالله وحده ، وانه يراه في كل شيء ، مع خفائه ، بل يشعر بنكهته اللذيذة كلما تنشق الهواء :

« من الذي اجتذبني فجعلني مقطوع النفس . مدهوشاً ولهان . . . ولمن ينبغي ان اقول بخلاصة القول اني لا أفتن بشيء سواه ، ولست بقلبي مُلك شخص غيره ؟ اذا نزلت الى الوادي او تسلقت المنحدر الوعر فمن الذي اطلبه وبمن ترى افكر ؟ هو تذكارك ذو الافق العظيم الرحابة ، الذي افعم نفسي بافتتان دائم ! تتبعني على الدوام ، وانا لا اتوق الا اليك ! اراك في كل شيء ، والارض والسماء تخفيانك ! لم اشاهدك البتة ، ولا ازال ازيد اعجاباً بك ! لم يُحب قط

١) اسم مدينة صيدا القديمة .
٢) بالمعنى الجغرافي .

صوتك صوتي، ومع ذلك اشعر في نفسي – او في مكان لا ادري اين هو – بنكهتك، الصدى الامين للهواء عينه الذي اتنشقه!»

الفرد ده موسه de Musset (١٨١٠–١٨٥٧) الفرنسي قد رسم صورة مؤثرة لفرط عذاب النفس المتذبذبة بين الايمان بوجود الله تعالى وحقيقة ملكوته السماوي المهيأ لها، والالحاد الناكر لها والحاصر كل حياة الانسان ومقتنياته ومطامعه في نطاق الارض الضيق وحطامها الزائل. يقول لنا الشاعر انه قد تخلص من ذلك الموقف الحرج بانتصاره على الشك القتال وتقربه الى خالقه بالايمان والرجاء:

«ما دام قلبي الضعيف، المفعم شباباً حتى الآن، غير مودّع لاوهامه، اود لو اني اكتفي بحكمة القدماء الذين جعلوا ابيكور[1] القنوع نصف اله. اود لو اني احيا واحبّ وآلف الناس، ان اطلب شيئاً من الفرح مع تجنب الافراط في الاتكال عليه، ان اعمل ما عمله البشر، ان اكون ما نحن كائنون، وان انظر الى السماء بدون اكتراثي لها.

لا اقدر! ما لا حد له يعذبني قسراً، فلا استطيع ان افكر فيه بدون خوف ولا رجاء؛ ومهما قيل عنه، فعقلي يرتعب من عدم فهمه مع رؤيته. فما ترى هذا العالم واي عمل اتينا لنعمله فيه، اذا تحتم حجب السماء ليحيا الناس في السلام؟ ان نمر مرور قطيع، وعيوننا محدقة الى الارض، وننكر ما سواها، افهذه سعادتنا؟ كلا، ان ذلك تخلّ عن الانسانية وتذليل نفسنا. لقد القاني الاتفاق في الكون، سعيدًا او شقيًا. لقد وُلدت من امرأة، ولا يسعني ان اخرج من البشرية هارباً منها.

ما العمل اذًا؟ العقل الوثني يقول: «تنعّم، تنعم ومُت، فان الآلهة لا تهم بسوى الرقاد». اما الايمان المسيحي فيجيب: «أرجُ وحسبك، فان السماء يقظى بلا انقطاع، ومن المحال ان تموت». بين هذين الطريقين اتردد وأقف، واذا سلوك سبيل اشد إراحةً، على حدة. لكن صوتاً خفياً يقول:

---

١) فيلسوف يوناني شهير (٣٤١–٢٧٠ قبل المسيح)، قال ان غاية الحياة البشرية هي طلب الملذات بتثقيف العقل وبالاعتدال في تنعيم الشهوات.

« لا يوجد ! بازاء السماء يجب الايمان او الانكار » . ذلك رأيي ، في الحقيقة ؛ النفوس المعذبة تتهور تارة في واحد من زينك التطرفين ، وطورًا في الآخر . اما غير المبالين فليسوا الا دهريين ؛ ولو شكوا يومًا واحدًا ، لما استطاعوا النوم . ومن ثم انا راض بحالتي ، وما ان المادة تبقي في القلب منية ملأى ارتعابًا ، ستنحني ركبتاي ، فاني اريد ان اومن ، بل انا راج . »

اما النفس المستسلمة للشك في وجود الله او في حبه وعنايته ، فهي فريسة الجوع الروحي المضني واليأس القتّال ، فلا تزال تتسكع في ظلمات وادي الدموع ، ولا تستشف وراء ليل الموت الدامس ، انبلاج فجر السعادة الابدية . لقد ابدع كسبار نونيث Gaspar Nunez (١٨٣٤—١٩٠٣) الاسباني في وصف شقاء تلك النفس الملحدة ، وزانه بخيالات مبتكرة عديدة :

« ما اقسى وما امرّ انتقال النفس التي تهجر حضن الايمان وتضجع في سرير الشك المصنوع بالاشواك ! انواع الالم والارق والظلام والهول تحاصرها عديدة ، واياما سوداء كالفحم ؛ العطش يضرمها ولا تجد مجرى ماء يسكنه ؛ فكرها خنجر تحمله مغرزًا في ضميرها ، فترتعد وتبكي ، تتوخى الصلاة ، وشفتها العاصية تأباها ؛ ترفع عينيها فترى السماء بلا نور ، تستغيث والصدى يظهر ميتاً لصيحتها ؛ هي كسفينة غارقة ، ضائعة في بحر ثارت عليه العاصفة وفي ليل دامس ، فصارت على وشك الفناء . اه

روى لنا فنتورا رويث ده اكيليرا Ventura Ruiz de Aguilera (١٨٢٠—١٨٨١) الاسباني ، انه رأى شيخاً ضريرًا متسولًا يضرب القيثارة لاستنداء عابري السبيل ، وفي حضنه طفل خدّره زمهرير الشتاء ، فخامره الارتياب في عناية الله بالاطفال المتضورين من الجوع . وبعدما اطال الاصغاء الى تلك القيثارة الغليظة المنظر ، خُيّل له ان روحًا خفية تُصعد الشكاوى والزفرات والشهقات من اوتار الآلة الشجية ، فاهتز قلبه شفقةً على ذينك الفقيرين ، وجاد عليهما بحسنة غمرت نفسه فرحاً ، وافهمته ان العناية الالهية قادرة على استخدام لحن مبتذل عادم الايقاع ، لاثارة حنان صاحب الرفاهة على اخيه المنكود الحظ :

« امس اذ كان الثلج يتساقط بالرُضاب ، صامتاً بطيئاً ، وهو يهفو في الهواء الخفيف ، مد فقير اليّ يده تاركاً القيثارة التي كان ينقرها ، وكان الفقير اعمى

وشيخاً. ورأيت في حضنه طفلاً ضعيفاً مخدراً، برعماً شاحباً لم يهتز قط في الصحراء على خرير نسيم لطيف! رأيته مندى دون انقطاع بالبكاء اللاذع، وحزيناً لقُبلة الموت المقرسة.

فصرخت، وقد رفعت نظري الغضبان الى العلاء بشكاوى خافتة: «يا رب، أتُرى صحيح انك تبخل بحبك على اولئك الاطفال الضعاف، انت العالم بألمها وشقائها، انت المغذي الازهار والطيور»؟

وعند نقر الشيخ آلته ثانيةً، كانت اصواتها العادمة الايقاع تتساقط على فؤادي شبه قطرات مرتجفة، وليست اصواتاً مبهمة، بل اكثر من ذلك: زفرات وشهقات وتشكيات! لا ادري اي روح خفية سامية، اي عبقرية صانعة الاعاجيب استطاعت انتزاع كلام رقيق من الآلة الغليظة، فكان يخيَّل لي ان نفساً منفية في قعرها تنوح مخذولة! وبتأثير لحنها الحزين، ذلك الندى من الالم، كان قلبي العطشان ينفتح، والعاطفة تستيقظ في الوقت ذاته.

ما اعجبكِ، ايتها العناية الحكيمة! اذا احللت الكروب على الشقي المحتوم عليه بالموت، فقد حثثت غيره على الرحمة المقدسة لكي يحب الانسان السعيد الانسان الباكي، فتخرج الى حيّز العمل شريعتك المنزية.

يا رب، اني اباركك، ونفسي تضطرم في حبها لك! بعدما تركتُ للمتسول حسية زهيدة من مالي الناقص، عظمتها دمعة نازلة من عينيه الساكنتين العادمتي الحياة. وبصدر فرح واصلت السير على دربي ظافراً مفتخراً مسروراً، وفي تلك الهنيهة كان اعظم ملوك الارض قد غبطني على السلام المجهول الثاوي في باطني!»

بعد الله تعالى، مصدر كل كيان وجمال، لا موضوع اجدر بالشعر الغنائي من الفضيلة التي وحدها تطبع على ابن العدم والتراب شبهاً فتاناً بخالقه القيّوم.

تاودورس ده بنفيل Banville (١٨٢٣—١٨٩١) الفرنسي يحث طفلاً رضيعاً من معارفه على الفضيلة، فيذكّره اننا آتون من السماء ومن النور، ويحذره عن عبادة عجل الذهب، ويتمنى له ان يقرأ في كتاب الرقيع الصامت شيئاً، ولو يسيراً، من كمالات مؤلفه القدير، فيتعلم بتسبيحه وحبه والتشبه بقداسته، مبادئ لغة الوطن السماوي الموقوفة الى الابد على تمجيد الكائن الاسمى:

«ايها الطفل الذي تضحك شفتك وتزهر طريقة مثل تويج[١] فاغم ، وانت تبدي حتى الآن على خدك النضير لوني الشمس والوردة ! في هذه الايام المنزولة بالذهب ، التي لا تزال تشبه فيها كل الاشياء الجميلة ، الشاعر الشيخ يبارك طفولتك والعش اللذيذ الذي تبسط فيه نفسك جناحيها .

اواه ! بعد قليل ، ايها الملك الصغير ، ستغدو كبيرا ! فتذكر سناءنا الاصلي . قل بصوت عال الاسماء الالهية ، وتذكر اننا آتون من السماء ومن النور . لا اتمنى لك ان تطأ كل شيء تحت خطاك بكبرياء وحشية ، او تكون احد اولئك المجانين الذين يوسون على الذهب ونقود السو[٢] الضخمة غنائم البخيل ، بل ان تنظر الى السماء . فلتكن حدقتك قادرة على قراءة الكتاب الصامت[٣] ، ولتنفتح اذنك ، وهي منقادة للاغاني ، امام اصوات القيثار الغامضة المعاني !

ايها الطفل المهزوز بين ذراعي امك ، سوف تعلم أن الانسان قد حتم عليه ان يعيش في هذه الغبراء على ارض منفى ، حيث لا ادري اي رصاص حقير يمسك نفسنا اسيرة ضمن هذا الافق المعكر — آه ! — الويل للمنفي الذي ذاكرته الذابلة عاجزة عن تذكر لغة الوطن ، وهو عاجز عن التكلم بها ! لكن السماء ، في حال ضجرنا ، ليست مفقودة عن الذي يريدها ويترجم بها ، وهو ، مع كل شرورنا ، لا يزال يتمتم بلفظ الكلمات الالهية الاصل .

- إملأ عقلك بلون السماء اللازوردي ، واحفظه رزينا طاهرا ؛ واياك ان يكون قلبك الجدير على الدوام بعدم اللوم ، اكثر تدنسا من ريش التم[٤] يوماً من الايام . تذكر دار النعيم ، ايها القلب العزيز ؛ اقول لك ذلك ، وانت لا يفسدك وحل ارضي ، وبينما جبينك الصغير لا يزال جبين ملاك ».

- انما جوهر الفضيلة حب الله ثم حب الانسان قريبنا ، لانه مخلوق على صورة الله ومفدي بدم ابنه الوحيد . والحال ان من اعجب واعم مجالي حبنا لابنا.

١) مجموع ورق الزهرة الملون .
٢) تعريب الكلمة sou الفرنسية ، وهي قطعة نقد ثقيلة ، قيمتها جزء من عشرين من الفرنك .
٣) معنى الكتاب الصامت هو السماء .
٤) طير مائي شبيه بالاوز واطول منه عنقاً .

جنسنا ، هيام الام باولادها . الكاهن جاسنتو ڤرداكر Jacinto Verdaguer (١٨٤٥–١٩٠٢) يصف لنا ذلك الهيام المقدس الذي لا يزال مضطرماً في قلب والدة ، انتزعه ابنها المتوحش من صدرها ، ليجود به على معشوقته الطاغية ، نزولاً عند رغبتها الفاحشة :

« ذلك الابن الشرير قال يوماً لبنت طالحة هذا القول : « انت التي هي اسطع نجمة من نجوم حياتي ، قولي : ماذا تطلبين مني ؟ سآتيك ، اذا اردتِ ، باكبر كنز من بيت ابي ، سآتيك ، اذا شئت ، بجواهر امي » . فأجابت : اعطني قلبها .

الابن الشرير وجد والدته نائمة ، وهي تحلم بلا انقطاع ، وذلك الحلم الشديد العذوبة الذي تحلمه ليلاً ونهاراً ، هي الآن حالمة اياه . ففتح صدرها وانتزع بخنجر فؤادها الحنون، فؤادها الذي يحيا كحمامة بيضاء . من حبها الوالدي. سمعه خافقاً . وهو حامل اياه في يمينه مثل مصباح من ذهب ، آه من يسمعك ، يا قلب امي ، شاعراً بجب لطيف لي !

بينما كان سائراً بعجلة في طلب حبيبته ، وقع عند الرتاج ، وكان قلب امه يقول له : « يا بنيَّ ، هل اصابك اذى » ؟

السيدا كارت Almeida Garett (١٧٩٩ — ١٨٥٤) البرتغالي مصيب بقوله ان الجمال الاسمى صادر عن الحب ، وان الامم التي تُذبل زهرة شبابها ، بل تُفني ايام حياتها لخير اولادها ، هي اجمل اعمال الله :

« من الحب يصدر الجمال كما يصدر اللهيب من الضياء ؛ هذا ناموس الطبيعة. اتريدين ان تكوني جميلة ؟ فأحبي . الاشكال الفاتنة تستطيع الريشة تصويرها على النسيج ، والمنقش يعرف كيف يمثلها نقشاً ، والازميل كيف يصنع التمثال الحسن من اصلب حجر . ولكن اهذا جمال ؟ لا ، بل ظرافة فقط .

بابتسامها بين الآلام للولد الذي تمده قبل ان تراه ، كما يبتسم الفجر باكياً في الزهور التي على وشك النشأة ، الأم هي اجمل اعمال الله ! أيشك في حبها ؟ اطهر ما في نار السموات يشعل فيها هذا اللهيب ذا النور البلوري . هو النور الالهي الذي لم يتغير قط ؛ هو الضياء ، هو الجمال في الطهارة الكاملة ، لان الله قد اوجده ! »

انطون كرشبو Crespo (١٨٤٦–١٨٨٣) البرتغالي يصف بخيالات مبتكرة فرط هيام امه العجوز به، كأنه خيرها الوحيد على الارض، وسهرها الروحي الدائم عليه، من وراء البحور، لينام نوماً هنيئاً بعد اشغال النهار المتعبة وحوادثه المحزنة:

« لشخص ما انا الزنبقة بين الاشواك[١]، لي ملامح المسيح الفائقة الجمال! لشخص ما انا الحياة ونور العينين، واذا كانت الارض موجودة، فلاني موجود.

ذلك الشخص الذي يفضل على تغريد الطيور المشتي صوتي الخشن، ليس انت، يا ملاكي المعبود كالصنم[٢]، وليس واحداً منكم، يا اصدقائي!

حين احني رأسي واضطجع للنوم في صميم الليل، وانا مكتئب حزين تعب، ذلك الشخص يبسط جناحيه في سريري، فينقضي نومي هنيئاً معطراً.

فلتنزل بركات الله وابلاً على التي تبكي عليّ وراء البحور! ذلك الشخص هو فجر ايامي الساطع، هو انت، ايتها العجوز اللطيفة، يا والدتي! »

— الولد لا يستطيع ان يمحض والدته حباً يساوي حبها له. فيجب عليه ان يبذل اقصى الجهد ليقتدي بها في روح التضحية الدائمة. وقد ابدع ادمون ده اميتشيس Amicis (١٨٤٦–١٩٠٨) الايطالي في وصف توقه الى ذلك التشبه النبيل:

« الزمان لا يمحو الجمال دائماً، ولا تذهب دائماً بنضارته الدموع والهموم: كان امي بنت ستين عاماً، وبقدر ما أطيل النظر اليها، يزيد جمالها في نظري! ليس لها التفاتة او ضحكة او كلمة او عمل لا تؤثر في قلبي تأثيراً لطيفاً. آه! لو كنت مصوراً، لقضيت كل حياتي في رسم صورتها! اود لو اني اصورها حين تخفض محياها، لكي اقبل ضفيرتها البيضاء، او حين تخفي تألمها وراء ابتسامة، وهي مريضة ضانية. على اني، لو استجيبت في السماء صلاة من صلواتي، لما طلبت ريشة روفائيل الأربيني[٣] الفتانة، لكي اتوج محياها الوسيم بهالة من المجد. لا، بل اتمنى ان استطيع إبدال حياتي من حياتها ومنحها

١) الكلمة البرتغالية تدل على نوع من الشوك لم نجد له اسماً في العربية.

٢) ربما لمح الشاعر بهذه الكلمة الى زوجته او بنته.

٣) روفائيل سنتي Santi (١٤٨٣–١٥٢٠)، المصور الايطالي النابغة، كانت مدينة أربينو مسقط رأسه.

كل قوى شبابي ، فارى نفسي شيخاً ، واراها متجددة الشباب بفضل تضحيتي !»

على الاخ البكر ان يحذو حذو والديه في تناسي مصالحه الشخصية للسعي الحثيث وراء خير اخوته واخواته ، بحيث يكون سنداً وطيداً لهم بعد وفاة ابويهم . إسمعوا النصائح السامية التي يزوّد بها ڤيكتور ده لپراد Laprade (١٨١٢—١٨٨٣) الفرنسي ابنه البكر :

« ها انت قوي ويافع وعلى وشك دخول الشباب ، فتلقّن ارشادي الاخير وتعلّم كُنه حق بكريتك . لكي تعرفه بكل شدة مقتضياته ، لا تحتاج الى كتاب ضخم ، فان ذلك الحق مسجّل في قلبك ... قلبك هو الشريعة الواجب عليك العمل بها . ولكي تزيد فهماً لذلك ، اقرأ في قلبك مع ابيك ، امام صور جدودنا هذه ، التي ارجو ان تساعدنا .

كما فعل والدي ، ان بكراً نزيهاً من اصلنا بيدي افتخاره ورضاه بكونه يشغل الموضع الاخشن . الشغل والخطر ومقاومة النصيب المضاد مختصة به ؛ وله الافتخار بحماية الاخت الكبيرة والاخ الصغير . ما ادّخره من الدراهم هو المال المشترك الذي يأخذ منه جميع محبوبيه ، وهو يزيد حصة كل منهم بجميع ما يطرحه عن ذاته . فيرى بفضل جهوده ، وهو مقتفٍ آثار ابيه ، كل الاخوة علماء واقوياء ، وكل الاخوات رزينات وجميلات .

هو الذي في كل فصل من السنة يجهّز البيت بلوازم جميع الاعياد ، فيكثر فيه الزهور ودواوين الشعراء . خلاصة القول انه يشتغل ليلاً ونهاراً ، غير مكترث لذلك ، فان الآخرين يتنعمون . اليس هو الاب في نوبته ؟ اذا شاخ ، فان الاطفال ينمون . من الوظيفة التي جعله فيها الاله اللطيف ، لا يحيد ساعة واحدة ، فهو يحابه الاعداء . فيها ، بل يموت فيها اذا تحتم عليه ان يموت . حين يعوز القطيعَ الراعي الغائب — اواه ! — وربما توفي ، فمثله الكلب الصالح ، يموت بعد سيده في سبيل النعجة والحمل .

هكذا ، حين يتوفاني الله ، تعلم كل العلم الحصة المتاحة لك في ميراثنا الزهيد والمختصة بك من دون قسمة . سوف يسعد صغارنا ، بيد انه ينبغي لي ان أولد فيك ثانية . السهر والكفاح والتألم لاجلهم ، ذلك ، يا ابنيّ ، هو حق بكريتك !»

الجد يجب احفاده برقة لا تخلو في الغالب من الافراط في غض النظر عن عيوبهم والصبر على ملاهيهم الصاخبة ، بل يحلو له جداً ان يشاطرهم اياها ، متوهماً انه يستعيد شيئاً من هدوء طفولته وسعادتها المحضة ، بعد اضطرابات حياته الطويلة وكروبها. لقد اجاد ڤيتال آثا Vital Aza (١٨٥١—١٩١٢) الاسباني كل الاجادة في وصف ذلك الحب الحار النفور المتنازل، وهو يحادث غنياً اعزب من معارفه :

« أؤكد لك يا بسكال (Pascal) ، انه ليس على الانسان سوى الرضى بنصيبه ؛ من يستطيع التزوج ولا يتزوج ، فعمله سيّ جداً . ترى ما هي حالتك ؟ اي خيبات ! باوغ الانسان الستين من عمره ، وهو ممراض واعزب ! ان يكون شخص غني مثلك جالساً على هذه التُكاة ولا يتمتع بسوى محبة خادمة بيت كثيرة الدمدمة ! وحين تمرض مرضاً ثقيلاً ، يأتي هنا للعناية بك اولاد اخوتك ، وهم يتمنون ان تموت ! اتدعي ان حالك حسن جداً ؟ فلنسلّم بذلك ؛ هذا ذوقك وقد قُضي الامر ، لكن لي غير رأيك في هذا الشأن . هذه الاثرة وخيمة العواقب ؛ فليعش اعزب من شاء! اما انا ، فبدون عائلة كنت قد مُت من زمن بعيد ، يا بسكال . اشاهد افراحي كاملة حين ارى ذاتي ، وانا قاعد في منزلي ، محاطاً باولادي واحفادي . فخر شيخوختي : عشرة احفاد ! جمهور ! انت لا تعرفهم ؛ العشرة فاتنون . شُقر مثل الكاروبيم ، أصحاء ، ولاولئك الاطفال الصغار خدود وربلات سيقان ... وما اشد شهوتهم للطعام ! أهم طائشون ؟ كلا ! يمكن ان يجاريهم غيرهم بالجمال ، ولكن من المحال ان يفوقوهم .

يوجد واحد فقط منهم ، بيبه (Pepe) ؛ هذا التاعس الصغير اعرج وافطس الانف ، واحدى عينيه حولاء ، لكنه اكثر علماً من ليبه (Lepe) . حين يأتي اليّ برجله العرجاء ويلاطفني هذا الملعون ، ينال من جده كل ما يشتهيه . من البديهي ، في الحقيقة ، انهم ، مع كونهم موضوع ملاطفة شديدة ، اطفال مجتهدون جداً ، ذوو علم فاحش ، اكثر جداً من علمي . اصغرهم ، مريم ، اوفر معرفة للجغرافية من الذي ابتكرها . وايم الحق ؛ هي استاذة ، فتجعلني في مواقف حرجة ! احفاد اليوم اولئك ، اصحاب الثقافة الواسعة ، هم عفاريت ! اتصدّق ان

تلك الصغيرة قد سألتني البارحة اين الكونغو، فلم اعرف كيف اجيبها .
فأغربت الخبيثة في الضحك وقالت: « هو، لا جرم، في افريقية » . فأجبتها :
«أذلك صحيح ؟ فلاحظي جهلي ؛ قد ظننت انه في الصين » . ومن ثم، فلكي
اتجنب امثال تلك الحماقة، اقول لهم : « اذا اردتم ان تبقوا معي، فلننبذ العلم
ولنشرع في اللعب ! اعفوني من هذه الاحاديث التي ليست من شؤوني ؛ فلنُعرض
عن الجغرافية ولنترك الرياضيات . ما درسته قد نسيته، ومع معرفتي ان علمي
زهيد، لا احتاج في سني الى معرفة شيء اكثر مما اعلمه، فلنلعب فوراً » !

وحين اصيح هذه الصيحة، تبدأ بلبلة هائلة، فما من طنفسة تقوى على
احتمالها . احدهم يصعد على تحت، والآخر يثب فوقي، واسمع « جدي » من هنا
و« جدي » من هناك . . . وما اكثر الركض في الدهاليز !

— اتركض انت ايضاً ؟

— اولادي يقولون اني شرٌ من صغار الاطفال ! انا هكذا، ولا انكر
الامر . لا ادري اعملي حسن ام سيء، لكني احلف لك، يا بسكال، بان
هذا اللعب يفتنني . فاضحك وسمني طفلاً، إهزأ بتظاهر خرفي . . . انت الشديد
الاثرة، غير جدير بذلك النوع من المودة . انت لا تستطيع فهم الحب ؛ ماذا
تدرك من ذلك ؟ اتعرف ما هي قبلة من حفيد ؟ هيهات ان تعلم ذلك ! هي
السعادة المشتهاة، هي جوهر الحب، هي اعظم ملاطفة، هي شيء يمنح الحياة.
هي ما لم تشعر به قط ! هي رؤية سما. في العالم ! انا التمس من الله امرا
واحداً بتوق حار، وهو ان ارى ذاتي محاطاً باحفادي، اعزاء روحي، حتى
اموت بسلام، حين يدعوني الى جواره . »

حب الوطن ما هو سوى مظهر من مظاهر الحب المتبادل بين اهل بلد
واحد، جمتهم منذ قرون عديدة، في الغالب، وحدة الاصل واللغة والشرائع
والعادات، تحت سلطة حكومة واحدة . ذلك الحب الشريف الذي اسمه الوطنية،
يُثير في قلوب ذويه مقاومة الاجنبي المحتل بلادهم بقوة الاسلحة او بواسطة
اخرى، والواطئ حقوق استقلالهم، فيحث المواطنين على بذل النفس والنفيس
لكسر نير الاستعباد، ولو اقتضى ذلك خوض غمار حرب ضروس . لويس
مركنتيني (١٨٢١—١٨٧٢) الايطالي قد دعا كل مواطنيه، بلهجة تذكّر انفجار

البراكين ، الى توحيد قواهم لطرد النمسيين المحتلين قسماً كبيراً من شمال قطرهم ، فلبوا نداءه ونصرهم الله تعالى على اسيادهم الطغاة :

« القبور منفتحة والموتى ناهضون ، وشهداؤنا قد قاموا كلهم ، والسيوف في قبضتهم ، واكاليل الغار على شعر رأسهم ، ولهيب ايطالية واسمها في قلبهم ! نحن آتون ، نحن آتون ! فقومي ايتها الزُمر الفتية ! لتنتصب في الريح راياتنا في كل مكان ! ليقُم جميعكم بالحسام ، ليقم جميعكم بالنار ، ليقم جميعكم بنار ايطالية في القلب ! أخرج من ايطالية ، اخرج فقد حان خروجك ، اخرج من ايطالية ، اخرج ، ايها الاجنبي !

بلد الزهور والالحان والقصائد فليصر ثانيةً ، كما كان ، بلد الاسلحة ! لقد كبلوا ايدينا بثنة كبل ، ومع ذلك لا تزال تعرف كيف تهز سيوف معركة لنيانو[1] . العصا الالمانية لا تقمع ايطالية ، وسلالات رومية لا تنمو تحت النير ! منذ الآن لا تقبل ايطالية اجانب وطغاة ، فقد دامت خدمتها لهم اعواماً مفرطة الكثر . أخرج من ايطالية ، اخرج قد حان خروجك ، اخرج من ايطالية اخرج ، ايها الاجنبي !

بيوت ايطالية مصنوعة لنا ، وهناك على ضفاف الطونة[2] بيت قومك . انك تُتلف حقولنا وتسرق خبزنا ، ونحن نريد ان يكون ابناؤنا لنا . جبال الالب وبحران هي حدود ايطالية ، وبمركبة النار[3] نقطع جبال الأبنين ، والآن ننصب علَمنا في كل مكان بعدما دُمرت كل علامة للحدود القديمة . اخرج من ايطالية ، اخرج فقد حان خروجك ، أخرج من ايطالية ، اخرج ، ايها الاجنبي !

فلتكن الالسنة خرساً . والاذرع متأهبة ، ولنُدر وجهنا الى العدو فقط ، وعن قريب يذهب الاجنبي وراء الجبال ، اذا توحدت فكرة ايطالية بأسرها . لا يكفي الظفر القائم بغنائم همجية ، بل لتوصد ابواب ايطالية في وجه اللصوص ! ان اقوام ايطالية كلها قوم واحد ، ومدنها المئة هي جميعها مدينة واحدة !

١) لنيانو (Legnano) مدينة في ولاية ميلانو ، وقد انتصر اهاليها في جوارها على امبراطور المانية فردريك الاول سنة ١١٧٦ .

٢) اسم نهر كبير في النمسة .

٣) يعني الشاعر القطار .

اخرج من ايطالية ، فقد حان خروجك ؛ اخرج من ايطاليـة ، اخرج ، ايها الاجنبي ! »

الحب المتبادل بين جميع بني آدم، مع اختلاف اديانهم وجنسياتهم ومصالحهم، هو شبه ملاط يصل ويوحد مئات ملايين حجارة بناء المجتمع ، فيجعلها صرحاً راسياً شامخاً ، لا يقوى على دكه تباين الآراء والاميال ، ولا تنازع الخيرات . فلولا ذلك الاخاء الصادق ، المتجلي في التعاون الدائم ، لافضى حتماً تخاذل البشر وتحاربهم الى هلاك جميعهم . لقد عبّر ارمان سولي برودوم Armand Sully Prudhomme (١٨٣٩—١٩٠٧) الفرنسي عن كل ذلك تعبيراً جامعاً بين الايجاز والاعجاز :

« الفلّاح قال لي في منام : « إصنع خبزك ، فاني لن اقوتك منـذ الآن ، فحكّ الارض وازرع » . الحائك قال لي : « اصنع ثيابك انت ذاتك » . والبناء قال لي : « خذ المالج بيدك » . وفي حالة انفرادي ، بعدما خـذلني جميع البشر الذين كنت اجرّ ورائي ، في كل مكان ، وقرّ لعنتهم المستحيل تسكينها ، كلما تضرعت الى السماء طالباً منها رحمة فائقة ، وجدت اسوداً واقفة على طريقي . »

ثم فتحت عينيّ مرتاباً في حقيقـة الفجر ، فاذا رفقاء جُسُر يصفرون على سلّمهم ، والانوال تدوي ، والحقول تُزرع . فعرفت اني سعيـد ، وان في العالم الذي نسكنه . لا يوجد من يسوغ له الافتخار باستغنائه عن النـاس ، ومن ذلك اليوم هويتهم كلهم . »

قد ذكرنا انواع الحب النبيل الذي اجاد وصفها بعض الشعراء المفلقين ، وقد ادركوا ذلك الشأو البعيـد من الاجادة في وصف الموت ، وأيم الحق ان الموت ليس ختام حياتنا الزائلة فقط ، بل يجب ان يكون للصالح الانتقال من الحب الارضي الطاهر المتألم الى الحب السماوي الابدي السعادة ، وللطالح الانتقال من بغض الله والانسان ، المصحوب ببعض الملذات السافلة ، الى ذلـك البغض عينه مؤبداً في نار جهنم . ذلك الفرق العظيم يهون علينا فهم تمتع ربوات من الخطأة بانواع الخيرات الارضية المحضة ، كما اوضح حنا ملندث فلدس Meléndez Valdés (١٧٥٤—١٨١٧) ، في « فلاح الاشرار » :

« في بحبوحة مجده كان الخاطئ يقول هذا القول :« عبثاً يستطيع الرب مد يده الضعيفة الى حظي ، فـان جبيني يرتفع الى الغيوم ويحتجب في السماء . اين الصدّيق واين وعود الاله الـذي يترنم متواضعاً ؟ بربةٌ خبزه وعسلٌ طعامي وشوكٌ فراشه ، اي ثمر انتجه بفضيلته الباطلة ؟ فلنكد على حياته مكيدة ، وليستأصل ابنائي بالسلاح بيوته واراضيه ، وليحملوا مجـدي الباذخ الى اقصى العصور ! فان اسم الصلاح كالسحابة ، يتلاشى عند الموت ؛ اما اسم الرجل القدير فيزداد سناؤه شيئاً فشيئاً ويرتقي الى الكواكب ، فلنسقط ، فلنسقط في فخاخي سذاجة الصدّيق !

تكلم وانا عابر ، ولكنني حين ادرت وجهي لأرى هامته ، لم اجد مقره ! »

الحِمام رهيب على كل حال ، ولا سيما موت آلاف النواتي الذين قضوا غرقى في لجج البحر المظلمة ، بعيدين عن عائلاتهم ، بحيث لا يبقى لهم اثر بعد عين . ذلك ما صوره ڤيكتور اوكو Hugo (١٨٠٢—١٨٨٥) الفرنسي ، بمخيلته القديرة وشعوره الرقيق ، تصويراً في « الليل على المحيط » :

« آه ! كم من النواتي ، كم من الربابنة المنطلقين بفرح لاسفار بعيدة ، قد فنوا ضمن هذا الافق الحزين ! كم منهم قد زالوا – ويحاً للنصيب القاسي المشؤوم ! — في بحر بلا قعر ، في ليلة بلا قمر ، وهم مدفونون الى الابد تحت المحيط الاعمى ! كم من اصحاب السفن الموتى مع نواتيهم ! فان العاصفة قد انتزعت من حياتهم جميع الصفحات ، وبنفخة واحدة قـد نثرت كل شيء على الامواج ! لن يعرف احد خاتمتهم المغطّسة في اللجة ، فان كل موجة ، وهي عابرة ، قد حملت غنيمة ؛ احداها خطفت الزورق ، والاخرى البحارين !

لا يعرف احد نصيبك ، ايتها الرؤوس المفقودة ! انك تزلقين مجتازة المسافات المظلمة ، وصادمةً بجباهك الميتة صخوراً طافية مجهولة . آه ! كم من الوالدين الذين لم يبقَ لهم سوى توق واحد ، قدماتوا منتظرين كل يوم ، على الساحل الرملي ، من لم يعودوا من اولادهم !

يسأل الناس :« اين هم ؟ أهُم ملوك في جزيرة من الجزائر ؟ هل غادرونا ليحلوا في شاطئ اخصب » ؟ ثم يُدفن تذكاركم عينه ، الجسم يضيع في الماء ، والاسم في الذاكرة ، والدهر الذي يسكب على كل دُجية دجية اشد سواداً .

قد ألقي على المحيط المظلم النسيان المظلم ! عن قريب يكون شبحكم قد زال عن عيون كل الناس ؛ أليس لاحدهم قاربه ، وللآخر محراثه ؟ اراملكم وحدهن ذوات الجباه البيضا ، التعبات من انتظاركم طول تلك الليالي التي العاصفة ظافرة فيها ، سوف يواصلن الكلام عنكم ، وهن يحركن رماد موقدهن وقلبهن ! وفي الختام ، اذ يكون القبر قد اطبق جفونهن ، لن يعرف اسماً كم شيء من الاشيا ، حتى حجر وضع في المقبرة الضيقة التي يجيبنا فيها الصدى ، حتى صفصاف اخضر تتساقط اوراقه في الخريف ، حتى الاغنية الساذجة العادمة التنوع في نغمتها ، التي يغنيها متسول في زاوية جسر قديم !

اين الذواتي الغرقى في الليالي الدامسة ؟ يا امواج ، كم تعرفين من الروايات المحزنة جداً ، ايتها الامواج العميقة التي ترهبها الامهات الجاثيات ! انت تتداقلينها حين ركوبك مياه المد[1] ، وذلك هو سبب تلك الأصوات اليائسة الصادرة عنك في المساء ، عندما تأتين الينا . »

مهما كانت اهوال الموت ، فهو رقاد طويل تليه قيامة جميع البشر لنعيم او عذاب ابديين . وقد عبّر تعبيراً فتّاناً عن هذه الحقيقة المشتركة بين مئات الاديان ، ارمان سولي برودوم Sully Prudhomme في « العيون » :

« زرقاء او سوداء — وكلها محبوبة ، كلها جميلة — عيون لا تحصى قد رأت الفجر . الآن هي راقدة في قعر اللحود ، والشمس لا تزال تطلع ! الليالي ، وهي احلى من النُّهر ، قد فتنت عيوناً لا تحصى ، مع ذلك تسطع النجوم على الدوام ، والعيون قد امتلأت ظلاماً !

آه ! ان تكون قد فقدت النظر ؟ لا ، لا ، ذلك غير ممكن قد لفتت نظرها في مكان ما ، الى ما يدعى غير المنظور ! وكما ان الكواكب المائلة[2] تغادرنا ، وهي باقية في السما ، كذلك الاحداق لها مغاربها ، ولكن لا يصح انها تموت . زرقاء او سوداء ، — وكلها محبوبة ، كلها جميلة — العيون المغمضة لا تزال بصيرة في ما وراء القبور ، وهي مفتوحة على فجر عظيم ! »

طوبى ، بل الف طوبى للانسان الصالح ، الذي يجابه الموت غير هيّاب ، لانه

---

١) المد هنا بمعنى ارتفاع مياه البحر في اوقات مطردة .

٢) المنحدرة الى مغاربها .

يُسلم نفسه الطاهرة بين يدي مولاه الرحمان، ويرجو رجاء اكيداً ان يقوم من دُجى قبره، في آخر الاجيال، ليجمع ما تشتت من شمل عائلته، في دار الحياة الابدية السعيدة. لقد اوضح ذلك الرجاء المعزي لاون ده برلوك پروسي de Berluc-Pérussis (١٨٣٥-١٩٠٢) الفرنسي في قصيدته البروفنسية «لاجل قبره»:

« ايها العالم، إنني في خلوتي المظلمة! حسبي ان يضحك شعاع صيفي على الحائط المجاور لقبري، وان يأتي من حين الى آخر غناء زيز او ثغاء كبش، فيغوصاني بعذوبة في رقادي الطويل. حسبي ان يمدح اهل محل قبري، عند مرورهم بي، اسم والديَّ السنين الزاهر، قائلين عني: «هو ايضاً كان صالحاً مستقيماً»، وسيحفظ ذكر ذلك البيت». حسبي حين تجيء احياناً في الظلام بنتي النقية الجبين الى قبري لاجل الصلاة، ان تمزج دمعة بالماء المقدس. سانتظرك بسلام، يا يوم الفرح الابدي، الذي فيه، مع جدودي واولادي، ابني داراً عائلية جديدة في السماء.»

اكثر الناس اشد حرصاً على اطالة حياتهم وابعاد شبح الموت المرعب، منهم على الاستعداد المتواصل لميتة صالحة. اما الانسان الحكيم، فيتخذ من ادنى الحوادث عبرة تذكره على الدوام انه سائر حتماً بخطى سريعة الى الموت القتار، وان اسمه لا بد ان يغوص في لجة النسيان قبل انقضاء عصر واحد على وفاته. لقد عبّر تعبيراً شديد الابتكار عن تلك الحقيقة المذلة لكبريائنا، بطرس ده الركون Alarcon (١٨٣٣-١٨٩١) الاسباني، في قصيدته المشهورة «عند تناول صورتي»:

« عند رؤيتك، ايتها الصورة الرزينة، واصلةً الى بيتي اليوم بسني وبوجهي، لا ادري اي حزن مبهم اشعر به حين اقول: «هكذا انا الآن».

ربما فكرت ان غداً، حين لا يبقى فيك سوى آثار من عمري الزاهر، سوف تقول شيخوختي المتكبرة لابنائي: «هكذا كنت»!

ربما فكرت ان يوماً من الايام، عندما يريد الله ان يدعوني، سوف تطلب صحبتك زوجتي هذه الفاتنة لتقول: «هكذا كان»!

ربما فكرت انه من الممكن الا يعرفك احد بعد اعوام عديدة، فيقول عند مشاهدتك غريب لغرباء آخرين: «من تُرى هو»؟

ربما فكرت ان احد البشر، وقد اجتذبه ما فيك من الالوان والشياب، يشتريك قائلًا: «هذا الشخص الوجيه لم يوجد حتمًا»!

وربما فكرت في الختام انك، انت ذاتك، وقد انكرت الجميل بين اختلاف الآراء الشديد، تأسفين لكونك صورة الركون مجهول.»

في كل عصر ومصر قد عُني الشعراء الغنائيون اخص العناية بوصف احوال النفس البشرية، غير السابق ذكرها لان نفسنا قد خلقها الله تعالى على صورته، وجعلها ملكة الكون المادي اجمع وحلقة الاتصال الحية بين عالم الارواح المحضة وعالم الحيوانات والنباتات والجمادات. بما ان القصائد الرائعة على هذا الموضوع تُحصى بالمئات، نكتفي بذكر ثلاث منها. گرًا جونكيرو Guerra Junqueiro (١٩٥٠-١٩٢٣) البرتغالي يصف لنا بعاطفة ابوية مضطرمة وخيالات مبتكرة، الضياء والفرح الفائضين على نفسه من ابتسام بُنيّته:

يا بنتي، حين تبسمين، تنير الدار بضياء سماوي، فان الفرح في الطفولة هو كالجناح في الطير، والعطر في الزهرة. واهًا للابتهاج الذهبي، للطهارة المقدسة الموجودتين في ابتسام الطفل!

اذ تضحك شفتاك، تُنشد روحي كل قصيدة نيسان[1]! عند رؤيتي هذا الابتسام، يا بُنيّة، أحدّ اليك نظري، وتنفذ السماء اللازوردية الى باطن نفسي، وبصحبتها حمامات طائرة!

انا الشمس المنازعة، وانت، يا ملاكي الاشقر، الشمس الصاعدة، فاغمريني بالنور، تبسمي وانثري مسحوق الذهب على رداني المصنوع بالظلام!

جبرائيل دنّنتسيو d'Annunzio (١٨٦٣-١٩٣٨) الايطالي يبيّن لنا تقدم روحه في التواضع والشجاعة واللطف والشفقة، بعد انتقالها من الشباب المفرط الاثرة والطيش الى الكهولة الرزينة:

«ايها الشباب، اوّاه! يذبل اكليلك على جبيني، اشعر بثقل وطأة حمل الحياة على جبيني المخفوض، بعدما كانت وافرة السرور! لكن روحي زادت طيبةً في قلبي كالثمر الناضج. بتواضعها وشجاعتها تقدر على التسليم وعلى المقاومة. ان جُرحت، فهي لا تنوح، تفهم كثيرًا وتغفر كثيرًا. انقضت

(١) يعني الشاعر بهذه الكلمة الربيع ومحاسنه الفاتنة.

اسحارك الاخيرة القصيرة، ايها الشباب؟ سكتت الشواطئ حيث زال الدُردور المرعد. اسمع الآن رنة جديدة، ارى ضياء جديدًا؟ ارى في عيون اخوتي دموعًا شديدة السخونة، اسمع صدور اخوتي لاهثة!»

ارثور كُراف Graf (١٨٤٨–١٩١٣) الايطالي يصف لنا شدة تأثير لحن حقير حزين، سمعه من الشارع ليلة من الليالي، وهو على فراشه، فخُيّل له انه نحيب نفس جرّحها العذاب واليأس:

«الم تسمع قط ليلًا، وانت راقد في سريرك، معلّق بين النوم واليقظة، في ساعة متأخرة، الم تسمع قط في الليل، عن بُعد، نحيب الارغن[1] في الشارع؟ نحيب بطيء الى حد الاتعاب؟ نغمة رخيمة، تبكي وتتوسل، نغمة مسموعة كثيرًا منذ الطفولة وغير منسية البتة من ذلك الزمان. هي نبرات حقيرة عالية، فيها شيء من البح والتقطع، شاذة عن الاصول بعض الشذوذ؟ لكنها تنحب في الظلام وعن بعد، شديدة التوجع، شديدة اليأس! اما تذكرت وتنذ الايام الماضية او ضحكة امك المقدسة او حبًا فقدته، فشعرت بوابل من الدموع يتزل من عينيك وبشفرة تطعن قلبك؟».

الفونس توزور Tuor (١٨٧١–١٩٠٤) السويسري يصور لنا في قصيدته الرومنشية «الزارع» افكار الفلّاح وعواطفه، حين يُلقي البذور على الحقل، وهو في غير مأمن من كوارث الطبيعة ولا من مفاجآت الموت:

«إشرح لي لماذا يخطو خُطاه الرجل الذي يزرع هناك، وهو ذو شفتين شاحبتين مرتجفتين؟ لماذا هذا المحيا الرزين الجليل، كأن صاحبه يفكر على الدوام في اسرار؟

ترى كيف يزرع وترى كيف يمرّ على الاتلام، من هنا وهناك، بهم اليم. ترى كيف يرفع وترى كيف يخفض رأسه الى السماء والارض. انه يفكر بخوف وتفور شديد في الثلوج والجراد والصقيع والبَرَد، فيطيل توصية المولى بحقله، وهو يُمسك في يده القبضة المرتعشة؟

هو نفسه قد عالج ذلك الحقل بالف تعب، ولكن أترى يتمتع هو نفسه بشغل يده؟ ربما كان غيرُه من يحصدون ويجمعون السنابل ويدرسون الحنطة

(١) يعني الارغن الميكانيكي الذي تسمع الحانه بادارة مقبضه.

ويذرونها ويستعملونها ! حين الحصاد لا يوجد من يسأل عن خطى الرجل ومشاقه. وربما كان راقدًا مستريحًا تحت الارض الآكلة لجسمه والماحية لاسمه !

إشرح لي لماذا يخطو خطاه الرجل الـذي يزرع هناك ، وهو ذو شفتين شاحبتين مرتجفتين ? لماذا هذا المحيا الرزين الجليل ، كأن صاحبه يفكر على الدوام في اسرار ?»

كثير من نوابغ الشعراء الغنائيين قد إنسوا الطبيعة غير الناطقة ، ولا سيما النباتات وبعض الجمادات كالنجوم والبحار والرياح ، اعني انهم قد اعاروها نفوسًا بشرية ، لما شاهدوه من وجوه الشبه العديدة بينها وبين احوال الانسان الجسدية والروحية .

فيكتور اوكو Hugo يناجي اشجار الغابة ، بل بُقعها الجرداء ومجاري مياه الامطار ، مناجاة العاشق الولهان ، فيبوح لهـا باسرار نفسه ، ويتمنى من صميم فؤاده ان يرقد في ظلها رقاده الاخير :

« يا اشجار الغابة ، تعرفين روحي . عامة الناس تمدح او تقـدح على هوى الحُساد ؛ اما انت ، فانك تعرفينني . كثيرًا ما رأيتني وحدي في اعماقك ناظرًا وحالمًا . تعلمين ان الحجر الذي تركض عليه خنفسة ، ان قطرة الماء الوضيعة الساقطة من زهرة الى زهرة ، ان غيمًا او قصبة ، تشغلني نهارًا كاملًا ، التأمل يفعم قلبي حبًا . رأيتني الف مرة ، في الوادي المظلم ، استفهم همسًا اغصانك الخافقة ، بتلك الالفاظ التي يقولها العقل للطبيعة ، وبنظرة واحدة ، اواصل في آن واحد ، وانا متأمل خافض الجبين ، غـائص بنظري في العشب الكثيف ، استقصاء ذرة واستقصاء العالم ! ايتها الاشجار ، قـد رأيتني اهرب من الانسان واطلب الله منتبهًا لاصواتك ، التي لكل منها بعض الحديث .

ايتها الاوراق المرتعشة في طرف الغصون ، ايتها العشاش التي تنثر منها الريح الارياش البيض ، ايتها البُقع الجرداء في وسط الغابة ، ايتهـا الاودية الصغيرة الخضراء ، ايتها القفار المظلمة اللطيفة ، انك تعلمين اني هادئ نقي مثلك . عبادتي تتصاعد الى الله تصاعد عطورك الى السماء ، وانا ممتلئ خمولًا شبه امتلائك صمتًا . عبثًا يُفيض البغض مرته على اسمي ، فاني ، على الدوام ، — استشهدك

على ذلك ، ايتها الغابات التي تحبها السماء — على الدوام قد خبئت بعيداً عني كل خاطر مُر ، ولا يزال قلبي كما صاغته لي امي .

يا اشجار هذه الغابات الكبيرة ، الدائمة الخفقان ، اني اهواكِ ! وانتِ ، ايها الجلبلاب النابت على عتبة المغاور الصماء ، يا مجاري مياه الامطار التي يُسمع فيها تملق الينابيع ، ايتها الادغال التي ينهبها العصافير ، اولئك الندامى الفرحون .

كلما كنتُ بينك ، يا اشجار تلك الغابات الكبيرة ، في كل ما يحيط بي ويخفيني في آن واحد . في خلوتك التي الج فيها باطن روحي ، اشعر بكائن عظيم يصغي اليّ ويهواني !

ولذلك ، ايتها الغابات المقدسة التي يتجلى فيها الله بنفسه ، ايتها الاشجار الورعة ، ايتها السنديانات ، يا نبتات الطحلب ، ايتها الغابة ، ايتها الغابة ، في ظلك وفي خفائك ، تحت اغصانك الجليلة المقترنة ، اريد ستر قبري المجهول . واريد الرقاد يوم رقادي الاخير . »

يوسف سلكاس Selgas (١٨٢٤—١٨٨٢) الاسباني يصف لنا تعزية سروة ناظرة الى السماء لصفصافة تذمرت من احزانها الدائمة ، وغبطت الكائنات التي لا تشوب افراحها شائبة :

« اذ كان المساء الكئيب الهادئ يلبس مرة اخرى رداءه الخفي على ابواب الليل المظلم ، بعد مغادرته المرج والغابة الظريفة ، كانت صفصافة ناحلة تترجح لتخفيف كربها الدائم ، وقد سُمعت وهي تتذمر عند نسمة الريح ، بصوت رخيم مفعم بالزفرات : « لقد وُلدت حزينة ، ولكن تسكن في العالم كائنات سعيدة تجهل الالم الكارب والبكاء المستتر والحزن » ! قالت ذلك ونثرت اغصانها على الارض ، فاجابتها سروة ناظرة الى السماء : « آه ! طوبى للذين يبكون على الغبراء » ! »

شرل لكونت ده ليل Leconte de Lisle (١٨١٨ — ١٨٩٤) يقارن فؤاده المصاب بمرض روحي عضال ، افقده الحياة واللهيب والصوت ، بقلب الشمس الغاربة الجريح ، فيغبطها لكونها تموت في المساء ، وتولد ثانية في الصباح التالي :

« ريح الخريف المائلة لزمزمات البحار ، تلك الريح الملأى بانواع الوداع

الاحتفالي وبشكاوى مجهولة ، تهز على طول الشوارع ذات الاشجار ، الايك الضخم المحمّر بدمك ، ايتها الشمس . الورق طائر بين السُحب بشكل الاعاصير ، وتُرى اوكار كبيرة مائلة الى النوم عند قرب المساء ، مصبوغة بالارجوان في طرف الغصون العارية . متذبذبة في نهر قاتم الحمرة .

إنزل ، ايها الكوكب المجيد ، ينبوع النهار ومصباحه ! ان مجدك سائل من جرحك ببينة شلالات من الذهب ، كما ينحدر من صدر قدير حب فائق . موتنّ فانك تولد ثانيةً ، ورجاء ذلك اكيد . ولكن من يعيد الحياة واللهيب والصوت الى قلب قد تمزق آخر تمزق ؟ ».

قد بلغنا اقصى حدود مقالة صالحة للنشر في مجلة . يجب تنويع مواضيعها ، يرضى طبقات من القرّاء المختلفي الاذواق والاميال . على كل حال نرجو ان ان تكون منها لجميعهم فائدة وتفكهة ، اولاً لجدة موضوعها ، فان «المشرق» لم ينشر شيئاً عليه في حياته الطويلة ، ثم لان شعرنا الغنائي الممتاز لا يزال ، على رأينا ، في نشأته ، وهو في مجموعه قليل المادة ، زهيد الابتكار في الخيالات والتعابير . فلا بد لنا من تعريب كثير من بدائع ذلك الشعر عند نوابغ اصحابه الغربيين ، لنقتبس منهم شيئاً من غزارة مواضيعهم وقدرة مخيلاتهم ، فضلاً عن عمق الأفكار ونُبل العواطف .

رد المفتري عن الطعن في الششتري

رضي الله عنه

لعبد الغني النابلسي

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تصدير

لا يخفى على القارئ ما للنابلسي من المؤلفات التي ضمّت في صفحاتها من التحليلات العميقة والدروس النفسانية والانطلاقات العقلية وهو في كلها يسمو الى اجواء عالية تجعل من المؤلف مصدرًا وميناً في تلك الابواب التي طرقها وفي السبل التي فتحها .

اشتهر النابلسي خاصة في علم التصوف . وانّنا نذكر له مؤلفاً صدر اخيراً كسب به الشهرة الواسعة وهو « الفتح الرباني والفيض الرحماني » (نشره الاب انطونيوس شبلي) لا فضل مؤلفات عديدة اخرى في العلم نفسه . وهذا المؤلف الصغير الذي نحن بصدده يلفت نظر القارئ الى التفسير الروحاني للخمرة التي كانت منذ القدم عند المتصوفين رمزًا للمرّة الالهية الفيّاضة حسب التقليد في هذا الباب . ولقد نشرنا في هذه المجلة لثلاث سنوات خلت كتاب دعوة القسوس واظهرنا اذاك ما للخمرة من الفاعلية على عقلية الصوفي وعلى تأويلاته الروحانية . ولذا فاتي النابلسي يدافع عن الششتري ولكنه لم يُطلعنا في هذا المؤلف على سعة معارفه وسعة اطلاعه كما نرى ذلك في الفتح الرباني وهو يعترف بذلك اذ انه لم يقض الّا نصف يوم في تأليف هذه الرسالة . ولكننا نشعر أن كلامه كله يستند الى بحر يزخر بالمعلومات والمعارف .

وجدنا مؤلفنا هذا مجموعًا الى مخطوط ابن خرداذبه «مختار من كتاب اللهو والملاهي» وهو من مكتبة السيد الذكر حبيب زيّات . محفوظًا بخط نسخي جلي ومكتوبًا بحبر احمر تارة وبحبر اخضر تارة اخرى . في سطره تسع كلمات وفي صفحته ١٧ سطرًا .

لا يتميّز هذا المخطوط بتجديد المفردات الصوفية أو بتاتها . انما فيه من طريقة النابلسي ما يفيدنا الكثير عن عقليته وانّ اخطأ الناسخ مرّات في ترتيب الكلمات وكتابتها .

وللقارئ الكريم فائدة من مطالعة هذا المؤلف .

[١] بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . اما بعد فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير عبد الغني ابن النابلسي الدمشقي الحنفي خادم كلام السادات وحامل نعال الفقراء ارباب السيادات . طلب مني بعض الاخوان كتابة شيء من فيض الملك المنان بطريق الشرح لعقيدة العارف بالله تعالى الششتري تلميذ الشيخ العارف الكامل عبد الحق ابن سبعين قدس الله روحيهما ونور ضريحيهما على وجه البيان لمعنى تلك الاشارة والتبيان في تحقيق هاتيك العبارة فاجبته الى ذلك مستمدًا من امداد القدير الملك . وسميته رد المفتري عن الطعن في الششتري . والله ولي الهداية والتوفيق وبيده ازمة التحقيق .

مقدمة

اعلم يا اخي في رضاعة ثدي الاسلام والتربية في حجر الاذعان للدين المحمدي والاستسلام [٢] ان الله تعالى يقول فيما انزل على نبيه خير الانام ان الدين عند الله الاسلام . وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم . قال : اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم نبيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي. قالوا نعبد الاهك والد ابايك ابراهيم واسماعيل واسحاق الاها واحدًا ونحن له مسلمون . وقال تعالى : ما كان ابراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين . وقال تعالى : وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا الى غير ذلك. فعلم من هذا ان الانبياء والمرسلين عليهم السلام كانوا كلهم على دين الاسلام الذي هو [٣] دين الله تعالى في السموات والارض ولا دين الا هو .

ثم ان الله تعالى بعد موت الانبيا والمرسلين عليهم السلام وانقراض عمرهم جعل الله تعالى في هذه الامة المحمدية اوليا. في كل زمان هم ورثة الانبيا. الماضين في العلوم الالهية والحقايق العرفانية لا فيما يدخله النسخ والتبديل والتغيير من الشرائع العملية والاحكام التكليفية . قال الشيخ الاكبر محي الدين ابن

العربي قدس الله سره : الاوليا. على عدد الانبيا. فلا بـد ان يكون في كل عصر ماية الف ولي واربعة وعشرون الف ولي لا يزيدون ولا ينقصون لكل نبي ولي . انتهى كلامه . ولا شك ان هذا جعله الله تعالى جبرا لهذه الامة حيث ختمت فيها النبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعد نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الورثة من العلما. بالله تعالى موجودون في كل وقت الى يوم القيامة والورثة تحققوا بمشارب النبيين والمرسلين عليهم السلام فكان الانبيا. والمرسلين كلهم عليهم السلام لا يفارقون هذه الامة بامداداتهم في كل حين فكل زمان من الازمنة الماضية كان فيه نبي يخدم امر الله تعالى لاهل ذلك الزمان بالارشاد والتعليم والهداية . وهذه الامة كل زمان فيهم ورثة جميع الانبيا. والمرسلين يخدمون امر الله تعالى لاهل ذلك الزمان بخدمة النبيين طاعة وعبادة لرب العالمين ولا بد ان يروا من الاذى مثل ما رأت الانبيا. قبلهم من اهل العناد والكفر ويصبروا كما صبروا ولكن اختفى الامر عند غير اهله والتبست احوال الاوليا. الصادقين على الاجانب منهم الجاهلين والعصابة الغافلين من كثرة الافتقار وقلة الاعتقاد وسوء النيات وخبث الطويات ولنا من النظم في ذلك من المواليات قولنا :

يا منكرين الكم في نارکم كيات . نياتكم صيرت اعمالكم حيات
انتم عميتم عن المنشور في الصيات والكل بالله والاعمال بالنيات

[٥] ولا شك انا معاشر المسلمين نحن الاولى والاحق بجماعة الانبيا. والمرسلين دون انتساب غيرنا اليهم من جميع طوايف الكافرين قال تعالى : ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا . ففي الاوليا. ادمي محمدي ونوحي محمدي وادريسي محمدي وابراهيمي محمدي وموسوي محمدي وعيسوي محمدي وهكذا الى آخر الانبيا. المذكورين في القرآن وغير المذكورين فيه كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ومنهم المحمدي الجامع لجميع مشارب النبيين كلهم . ويقال في خاتم الولاية المحمدية وهو في كل زمان واحد لا يتعدد يكون خاتما لاوليا. زمانه على قلب خاتم النبيين . فان كان التجلي الالهي عليه في الحقيقة العيسوية المحمدية كان لسانه في

ذلك المشرب لساناً سريانياً يعني [٦] غير متبين المعنى وكتابه المنزل على صدره بمكة الالهام لا بوحي النبوة كتاباً سريانياً ومعنى انجيلياً فهو الولي المسلم المؤمن المحسن اسلاماً وايماناً واحساناً عيسوياً محمدياً وحكمته روحانية وهو على ما هو عليه في هذه الملة الاسلامية المحمدية من الاعمال والطاعات والاعتقادات والاحوال ولكن الصبغة مثل تلك الصبغة العيسوية في دين محمد صلى الله عليه وسلم وكثير من الاوليا. يكون لهم هذا المشرب في جميع اوقاتهم او في بعض الاوقات كالمحمدي الجامع. فان له هذا المشرب في وقت دون وقت وقد كانت حقيقة عيسى عليه السلام في بني اسرايل تقرر احكام التوراة في الاعمال الظاهرة وتبين اسرار الانجيل فيما لا يدخله نسخ من الاسرار الباطنة. وكان اصطلاح ذلك بتلك اللغة السريانية حيث هو لسان بني اسرايل كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء [٧] ويهدي من يشا.. فلما نقل الانجيل الى اللغة العربية عربوا تلك المقامات السريانية الانجيلية فسموها بالدير والراهب والبطريق والشماس والقسيس والخمر والكاس والكنيسة. ولم يكن هذا اللفظ في الانجيل ولكنه هناك بالفاظ غير هذه الالفاظ وهي اسما الاسرار الالهية واحوال ربانية عرفانية اذا كان فيها العبد يسمى بتلك الاسما. كما ان في شريعتنا يسمى العبد مومناً ويسمى مسلماً ويسمى سالكاً ومريداً اتيامه باحوال باطنية الالهية ومطيعاً ويسمى عابداً ويسمى راكعاً وساجداً اذا اتى باعمال مخصوصة وافعال معروفة واذا ترك الاكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الثاني الى الليل ناوياً العبادة ويسمى صايماً واذا قصد مكة محرماً يسمى حاجاً ومعتمراً وهذا في امثال ذلك فيسمى شماساً لشهوده شمس الازل ويسمى بطريقاً لخدمته كبرا. ملته ويسمى راهباً لخوفه حقيقة القيام عليه ويسمى قسيساً لتحققه بمعرفة الاعظم ويطلق الخمر على معاني التجليات الالهية اذا تحقق بها العبد ويطلق الكاس على الصورة النفسانية اذا تحققت بالمتجلي الحق لها [٨] منها وتسمى الكنيسة اذا كنستها السالكون عن نجاسات الاغيار وطهرتها عن لوث التصرف والاختيار بالقوة والاقتدار وهكذا الامر في هذه الاصطلاحات الانجيلية والمقامات الالهية والعبارات السريانية .

ولما عبرت بهذه الالفاظ وادعت طايفة النصارى القيام بها والظهور بحقائقها

وهم كافرون بالله تعالى وبجميع الانبيا. وان زعموا انهم مومنون ببعض الانبيا. كعيسى عليه السلام على دعواهم . فان محمدًا صلى الله عليه وسلم نسخ جميع تلك الاديان وما نسخه لها الّا من حيث الاعمال الشرعية كما ذكرنا . واما في العقايد فانه لا يدخل النسخ ومن كفر فان الله تعالى لا يهديه الى الحق . قال تعالى : ان الله لا يهدي القوم الكافرين . وقال تعالى : ومن يومن بالله يهد قلبه . فعند ذلك غار الحق تعالى على مشرب عيسى عليه السلام ان يدعيه من هو فيه من الكافرين [٩] فكان هــذا من جملة الحكم والاسرار في جعل الاوليا. في هذه الامة على عدد مشارب جميع الانبيا عليهم السلام في كل زمان. فجعل سبحانه اوليا. عيسويين محمديين يستعملون اصطلاحات الانجيل الحق الذي هو كتاب عيسى عليه السلام فيتزل على قلوبهم بالالهام لا بوحي النبوة ليلا تضيع تلك الحقايق وتنقطع هاتيك الرقايق . قال تعالى واورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية . وليس ببعيد نزول الكتب ثانياً بالالهام على قلوب الورثة كما نزلت اولًا بالوحي على قلوب الانبياء عليهم السلام ونقل عن ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه وقد كان وارثنا محمدياً جامعاً انه قد نزل القرآن على صدره بالالهام فالهمه الله تعالى جميع القرآن من غير قرأة على احد فقالوا ما مات حتى استظهر القرآن آية آية .

وقال الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنــه في الفتوحات المكية في الباب التاسع والعشرين وثلاثماية [١٠] نزل القرآن عــلى قلب محمد صلعم ثم لا يزال ينزل على امته الى يوم القيامة . فنزوله في القلوب جديد لا يبالي فهو الوحي الدايم فللرسول صلوات الله عليه الاوليــة في ذلك التبليغ الى الاسماع من البشر انتهى .

وكان الششتري رضي الله عنه من اصحاب هذا المقام وقد استعمل في نظمه اصطلاحات الانجيل وسلك هاتيك المسالك العيسوية الربانية وهو محمدي ولكنه محمدي عيسوي في هذا المشرب المذكور وكلمته عربية محمدية لانها كلمة الاهية ولكنها في هذا المشرب سريانية عيسوية محمدية كما كانت كلمة عيسى عليه السلام كلمة الاهية سريانية لا عربية .

قال تعالى : وكلمة القاها الى مريم وروح منه . وقال تعالى : ذلك عيسى

ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. فاخبر سبحانه ان الامتراء حاصل في هذه الكلمة السريانية العيسوية فاذا تكلم بها المحمدي من المشرب العيسوي ظهرت [١١] سريانية كما كانت لانه تعالى لا مبدل لكلماته . والتبديل من النفوس والاولياء خارجون عن احكام النفوس فهم تحت احكام ربهم . قال تعالى : ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الناس وبما كنتم تدرسون اي لا نفسانيين والنصارى الذين كفروا كانوا نفسانيين لا ربانيين فحرفوا الكلم عن مواضعه ولهذا لما جاءهم ما عرفوا كفروا به والذي جاءهم محمد صلعم فانه جاءهم بحقايق اناجيلهم وزيادة فكفروا وانكروا وسلكوا بنفوسهم وهم جاهلون ضالون مضلون. والششتري رضي الله عنه كان ربانياً مسلماً محمدياً عيسوياً والمسلمون اولى بعيسى ابن مريم من النصارى لانهم كافرون بما كان عليه من الحق وان جهلوا وعاندوا والمسلمون مومنون به وبما جاء به من الحق وسينزل في آخر الزمان يقاتلهم على ملتنا هذه ويلزمهم بها ويكذبهم [١٢] فيما افتروا عليه ويقتلهم ويسلموا او يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويبطل الجزية كما ورد في الاخبار الصحيحة فتحقق يا اخي في هذه المقدمة تفهم ما ستذكره بطريق الاجمال في معنى هذه القصيدة المذكورة وتنحل لك ان شاء الله اشكالات كثيرة في كلام اهل الله تعالى من المحققين والله الهادي الى حقيقة الحق المبين .

المقصد والبيان

اما معنى هذه القصيدة فانها لا تحصى لكثرة تشعب الحقايق وتداخل الاشارات . ولكن نحن نشير الى طرف من ذلك يسير بوجه اجمالي من فتوح الوقت وفيض هذه الساعة وامدادها من الجناب المقدس . قال رضي الله عنه :

تادب بباب الدير واخلع به النعلا وسلّم على الرهبان واختلط بهم رحلا[١]

يعني اذا دخلت يا ايها السالك في طريق الله تعالى على المشرب العيسوي المحمدي فاكثر الادب مع الحق تعالى في باب دير الازل وهو الحضرة [١٣]

١) تقرأ في هامش هذه الصفحة : بلغ مقابلة .

الالهية الديمومية الابدية التي يشهدها العارف بمنة محو الزمان والمكان والغيبة عن جميع الاكوان وخلع النعل ترك الصورة النفسانية المعنوية والحسية والسلام على الرهبان اعطاء الامان للقوم الواقفين في مقام الخوف والرهبة من صطوات القهر الالهي فلا ينكر عليهم حالاً من احوالهم ولا قولاً من اقوالهم ويحترمهم على كل حال .

وعظم به القسيس ان شيت خطوة   وكبر به الشماس ان شيت ان تملا

به اي بالدير يعني كن مبجلاً مكرماً صاحب هذا المشرب العيسوي المحمدي اذا دخلت عليه ولا يخطر لك سواه فيه كما ورد في الخبر الشيخ في جماعته كالنبي في امته فمن انكره في حال من الاحوال فقد كفر بشرته ومقامه ومثله . والشماس وهو دون القسيس في هذا المشرب العيسوي المحمدي فهو يترأى انوار تجلياته في خلواته وجلواته .

[١٤] ودونك اصوات الشماميس فاستمع   لالحانهم واحذرك ان يسلبوا العقلا

اي استمع لكلام العارفين السالكين من افواههم في شرح مواجيدهم وحقائقهم وبيان اذواقهم التي هم مستطربون بها واحذر منهم ان يسلبوك عن حالك ويخرجوك عن معقولك فتصير مجذوباً معهم فيهم .

بدت فيه اقمار شموس طوالع   يطوفون بالصلبان فاحذرك ان تبلا

فيه اي في الدير اقمار شموس اي هم من حيث نفوسهم اقمار ومن حيث ارواحهم شموس وصور اجسامهم المصاوبة بالرياضة الشرعية بعد قتلها بالمجاهدة الالهية في الطريقة المرضية كما ورد عن رابعة العدوية رضي الله عنها انها كانت من كثرة المجاهدة كالشن البالي اي الجراب العتيق والقربة اليابسة .

وإياك ان تسمع لهن بحكمة   وإياك ان تجمع لهن بك الشملا
فان كان هذا الشرط وفيت عهده   وكم تنتقض منه عهودا ولا قولا
[١٥] دعوك بقسيس وسموك راهباً   وابدوا لك الاسرار واستحسنوا الفعلا
واعطوك مفتاح الكنيسة والتي   بها صوت عيسى رهابينهم شكلا

يعني احذر ان تسمع حكمة هؤلاء العارفين فتعمل بها على مقدار ما سمعتها فانك ما سمعتها كما هي عندهم وانت لا تعرفها فتعمل بها لانها سريانية محمدية وانت عربي محمدياً . فان علمت بهذا الشرط وامنت بكلامهم على حسب ما يعرفون واصطبرت عليهم حتى فتح عليك بها من نفسك على يدهم ولم تتأول عليهم شيئاً مما رأيت ولم تنكر واستطعت معهم صبراً صرت كاملاً في مقامهم هذا ومشربهم العيسوي المحمدي وسموك بما هم يسمون به بعضهم واظهروا لك اسرارهم واعطوك مفتاح كيفية الدخول في مداخلهم وانهموك الصور التي في نفوسهم تظهر لهم فيها الحقيقة الالهية فيتزهونها بحكم ليس كمثله شيء ويشبهونها بحكم وهو السميع البصير وهو التشبيه الشرعي [١٦] الذي ورد بالمعنى الذي يعلمه الله تعالى . وقد ذكر تعالى فيه انه سبحانه له وجه بقوله اينما تولوا فثمّ وجه الله . وله يد بقوله : يد الله فوق ايديهم الى امثال ذلك والتنزيه لازم في جميع ذلك . ومثل هذا المتشابه ورد في الانجيل ايضاً على حسب تلك المشارب العيسوية : .

نعم كلما قد قلته لي سمعته ولا ابتغي في ذاك ردًّا ولا ميلا
ولما اتيت الدير امسيت سيدًا واصبحت من زهدي اجذبه الذيلا
سالت عن الخمار اين محله فهل حال خالي للوصول به ام لا

ثم اخبر الناظم قدس الله سرّه انه قبل ما ذكر الشروط وعمل بها في ايام سلوكه وانه جاء الى دير الازل متادباً حتى صار من الكاملين رضي الله عنه ثم سال عن الخمار اي الذي يسقي الخمرة الالهية في ذلك الدير وهو شخصه الذي سلك على يده او به تعالى من قوله سبحانه :

وسقاهم ربهم شراباً طهورًا

فقال وراسي والمسيح ومريم . ودين ولو بالدير تبذله بدلا
[١٧]فقلت ازيد التبر للدر قال لا ولو كان ذاك التبر تكتاله كيلا
فقلت له اعطيك خفي ومصحفي واعطيك عكازًا قطعت بها السبلا
وهاك حرمداني وهاتيك شيلتي وهادست بندي والكشكيل والنعلا

وها سر مفهومي وعود اراكتي ... وقنديل محرابي انادمه ليلا
فقال شرابي عز عما وصفته ... وخمرتنا مما ذكرت لها اغلا
فقلت له دع عنك تمظيم وصفها ... فخمرتكم اغلا وحرقتنا اعلا
على انا فيها رأينا شيوخنا ... وفيها اخذنا عن مشايخنا شغلا
وفيها لنا المذال لاموا فاعذلوا ... واذ انا من لبسها نترك العذلا

ثم اخبر قدس الله سره ان شيخه اقسم له من جهة هذا المقام العيسوي المحمدي وهذا المشرب الانجيلي السرياني براسه اي رياسته في هذا التحقيق وبالمسيح وهو روحه المنفوخ في جسده الانساني من حيث انه من امر الله تعالى وبمريم وهي النفس الكلية المسماة باللوح المحفوظ في شرعتنا المحمدية كما سمي الروح المذكور بالقلم الاعلى واقسم له بالدين ايضاً وهو مشربه الخاص انه لا يكون ما اراد ولو يبذل الدر وهو جميع ما يعرفه [١٨] من العلوم التي استخرجها من بحار الكتاب والسنة يجب فهمه فينبغي من علومه كلها واخبر انه قال له ان يدل على ذلك التبر وهو الذهب فهو اكمل المعادن ولا يكمل معدن عبد الّا بالتخلق به في الرزانة والصبر من غير تغير فيذهب ذلك العبد عن نفسه بالكلية ويغني عن كل شيء . ثم انه زاد فقال له اعطيك خفي وهو صورته الظاهرة ومصحفي وهو صورته الباطنة والعكاز وهو نفسه المشار اليها بقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي الاية. والجرمدان الجراب وهو القوة المحافظة في موخر الدماغ والشملة تصغير شملة وهي القوة المخيلة في مقدم الدماغ والدستبند وهو الزنار وهو القوة المفكرة في وسط الدماغ . والكشكيل تصغير كشكول وهو قلبه الذي يتناول به ما يقته من حضرة الغيب والنعل وهو عيشه [١٩] الذي يمشي به في الناس يعني انه يخرج عن جميع ذلك فلا يقوم فيه بنفسه ويغني عن حظوظ نفسه في الخير والشر فلا يريد الدنيا ولا الآخرة وانما يريد وجه الله تعالى في حق الانصار يريدون وجه الله . وقال في غيرهم منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وسر مفهومه مقدار ما فهم في جبلة من معرفة ربه . فانه اعرض عنه عند وصوله الى شيخه وعود الاركة هو المسنول وهو الذكر باللسان على مقتضى ما تامره به نفسه اعرض عنه

ايضاً يرشده شيخه الى ذكر اخر يلقنه له وقنديل المحراب ايضاً هو قراة القراة مع الغفلة والجهل تركها ايضاً حتى لا يدخل تحت تربية نفسه الامارة بالسوء. كما قال بعضهم لئن يكون المريد تحت حكم هرة خير له من ان يكون تحت حكم نفسه الامارة بالسوء. وشرابه مشروبه وهو خمرته التي هي المعاني الإلهية والتجليات الربانية واخبر انه لقي[٢٠] شيوخاً قبل شيخه ذلك ورأى منهم وصف ذلك ولكنه اخذ منهم الاشتغال بالاعمال الظاهرة من غير سلوك باطني. واخبر ان الجاهلين لامره على ما هو في صدده من طلب هذا الكمال كما هو عادتهم في كل عصر مع الرجال اصحاب الفضايل والاحوال.

فلما طلبناها وهمنا بحبها تركنا لها الاوطان والمال والاهلا
فقال له ان شئت لبس عبيتي تطهر لها بالطهر واصحب لها اهلا
وبدل لها تلك الملابس كلها ومزق لها الزنار واهجر لها الشكلا
فقال نعم اني شغفت بحبها ساجعلها بيني وبينكم وصلا
فدونك خمري قد اتحتك بها وناولنيها من اباريقها تجلا
فقلت له ما هذه الراح مقصدي ولا ابتغي من رآكم هذه نيلا
ولكنها راح تقادم عمرها فما وصفها قبل ولا عرفت قبلا
تدل بان الله لا رب غيره وان رسول الله افضلهم رسلا
عليه صلاة الله ما لاح بارق وما دام ذكر بني الورى يتلا

ثم اخبر انه قال شيخه المذكور انه طلب هذه الخمرة وهام بحبها وزهد في كل ما سواها حتى [٢١] قال له شيخه البس عبيتي تصغر عبارة وهي حلته التي هو لابسها من المعارف الالهية والحقايق التوحيدية وامره بان يتصبر لها بالخروج عن الاغيار وصحبة الفقراء واهل هذه الطريقة الاخيار وانه يبدل الازل في حال الغفلة فيخرج عما كان يعتاده من الاخلاق الذميمة ويقطع زنار الافكار ويهجر اصحاب العلوم الرسمية من القاصرين اهل الانتقاد والانكار ثم اخبر انه ناوله الخمرة الالهية في اباريق اي كشف له من صورة تجلياتها ومعاني ظهوراتها بالعبارات النطقية والاشارات اللفظية ثم اخبر انه قال له ما هذه العبارات

مقصدي ولا معرفة هذا الكلام الذي قلته لي مرادي وانما مرادي ان اذوق انا في نفسي هذه الحقايق وتحقق بها ذاتي وتصير لي مشرب بالا اني اسمعها منك وافهم مجرد معانيها ثم اخبر ان خمرته المقصودة له هو كشفه عن الحضرة القديمة [٢٢] التي ليس لها قبل ولا تتصف بالقبلية لشي. اصلا التي تعطي التحقق لمن كشف عنها بالاسم الله وبالتوحيد الذي وقى العياني الكشفي وتعريفه بالحقيقة المحمدية وتمشي به في المقامات الجامعة عن صدق وعيان وتحقق واستيقان .

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . وقال تعالى: من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر ومـا بدلوا تبديلا وللششتري رضي الله عنه من موشح له في ديوانه قوله :

لا تقل يا بني كلمه الا ان كنت صادق

ولو بسطنا الكلام لطال هذا الامر واستعذب الناظرون مذاق هذا الخمر ولكن في هذا المقدار كفاية وحسب المصنف على مقصوده . قال المصنف رضي الله عنه حررنا بالعجلة في اقل من نصف نهار والله يقول الحق وهو [٢٣] يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل . تم من فيض فضل الله على مداد قلم الحقير عبد الغني ابن النابلسي يوم الاحد الخامس والعشرين من جماده الاول سنة ستة وتسعين والف والحمد لله وحده .

وقد تم تحرير هذه النسخة يوم الخميس خامس عشر من شهر
ذي الحجة الحرام سنة ثلاثة ومئة والف . تم

صدر اخيراً

في مجموعة

نصوص ودروس

كتاب

الفتح الرباني والفيض الرحماني

لعبد الغني النابلسي

حققه وقدّم له

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

وقابل لتحقيقه بين نسختي عين تراز واستانبول

ونشر في المقدمة بعض القصائد الغير معروفة للنابلسي